

سلسلة وثائق الإسلام ٣٨

الوثائق السننسية والإدارية

العائدة

للعصوة العباسية المتأبعة

٢٤٧-٦٥٦ هـ / ٨٦١-١٢٥٨ م

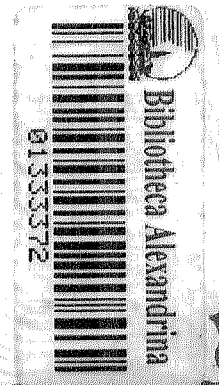
تأليف

محمد ماهر حمادة

دكتور في علم المكتبات

أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مؤسسة الرسالة



الوثائق السياسية والإدارية

المادة

للعضو العباسية المتابعة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٨٥ - ١٤٠٦ هـ

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي و
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ بريقياً : بيو



طوكيو - القاهرة - بيروت - الكويت

سلسلة وثائق الإسلام - ٣

الوثائق السياسية والإدارية

العائدة

للعصبة العباسية المتتابعة

٢٤٧-٦٥٦هـ / ٨٦١-١٢٥٨م

« دراسة ونصوص »

محمد ماهر حمادة
دكتور في علم المخطبات

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

الحمد لله الذي لا يعبد غيره في الأرض ولا في السماء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من أقلت الغبراء وأظلت السماء ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

وبعد يسرني أن أقدم إلى قراننا الأعزاء عامة ، وإلى المهتمين بالوثائق والتاريخ الاسلامي خاصة الجزء الثالث من سلسلة وثائق الاسلام ، وهو الجزء الذي خصص لجمع ودراسة وثائق الفترة الممتدة بين سنتي ٢٤٧ و ٦٥٦ هـ في الجناح الشرقي من الخلافة الاسلامية من عهد المتوكل إلى سقوط بغداد بيد المغول ، والوثائق السياسية والادارية التي وجدت في كل من مصر وسورية في العهد الطولوني والأخشيدي والحمداني . أما بقية العمود والأقطار فسيخصص لها حيز لبحثها وذلك نظراً لأهميتها وغزارتها كوثائق الحروب الصليبية والعمود الأيوبية والملوكية ووثائق شمالي أفريقيا والأندلس . والمؤلف يسأل الله تعالى أن يمهده بسبب من عنده حتى يتمكن من إنجاز هذا المشروع الهام . كما وأن المؤلف لا يدعي أنه جمع في كتابه جميع الوثائق العائدة لهذه الفترة ، ذلك ان اتساع الموضوع وتشعبه وامتداده الواسع عبر

الزمان والمكان ، وفقد المواد ونشتت الموجود منها وتعذر الوصول إلى كثير منها يجعل الاحاطة بها كلها متطاباً عسيراً كل العسر ، ويسر المؤلف أن يخبره الآخرون عن وثائق لم تصل إلى علمه حتى يضيفها إلى مجموعته وسيكون من الشاكرين .

كما وأن المؤلف لا يفوته في هذه المناسبة أن يقدم شكره الخالص إلى كل من ساعده في اعداد هذا البحث ، ويسأل الله جلت قدرته أن يجعل أعماله خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بعلمه وعمله وأن يجنبه المزالق والمهاوي والغرور ، وأن يتقبل منه أفضل أعماله ويتجاوز عن سيئها بمنه وكرمه . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وسلم تسليماً . والله من وراء القصد .

المؤلف
محمد ماهر حمادة

جدة في ٢ ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ
١ نيسان ١٩٧٨ م

القسم الاول

مدخل

لدراسة الوثائق السياسية والادارية

العائدة للعصور العباسية المتأخرة

سبق أن ذكرنا في دراسة سابقة (١) أن العصر العباسي يعتبر عصر الابداع في الحضارة الاسلامية ، فيه بلغت الحضارة الاسلامية أوجها وأثمرت ثمارها اليازمة ، وشاهدت نهايته بداية انحطاطها وانحلالها . والواقع أن العصر العباسي عصر طويل يمتد على أكثر من خمسمائة سنة وحدثت به أحداث كثيرة جداً ومهمة جداً . ولقد قسم المؤرخون هذا العصر إلى أربعة أو خمسة أدوار حسب المميزات الغالبة . والمؤلف ، وإن كان يقف موقف المعارض من تقسيم تجري التاريخ إلى أدوار ، إذ أن هذا التقسيم لا معنى له ولا يعكس حقيقة الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك ، إلا أنه يوافق على هذا التقسيم الذي هو سياسي بالدرجة الأولى ولا علاقة له بالناحية الحضارية ، وذلك حسب الصفات والمميزات العامة للعصر . فقد قسم المؤرخون العصر العباسي إلى أدوار خمسة :

(١) انظر كتاب المؤلف : « الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الاول : الفصل التمهيدي » .

دور القوة ، وعصر النفوذ التركي ، وعصر بني بويه ، والعصر السلجوقي ، والعصر الأخير . ونعود فنقول إن هذا التقسيم سياسي ومن وجهة نظر سياسية محضة ولا يؤثر أدنى تأثير في سير الحضارة ، كما وانه يسهل البحث في هذا المجرى التاريخي الطويل .

هذا ولقد تناولنا بالدراسة خصائص ومميزات ووثائق العصر العباسي الأول الذي هو عصر القوة والذي يمتد بين عامي ١٣٢ - ٢٤٧ هـ وذلك في كتابنا : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الأول : دراسة ونصوص . والآن نريد أن نعطي الملامح العامة لبقية الأعصر العباسية كما تبدو من خلال الوثائق السياسية والادارية العائدة لتلك الأعصر مع ذكر أهم تلك الوثائق .

إن هذه العصور هي امتداد لشجرة كبيرة هي شجرة الحضارة الاسلامية ، وكل ما حدث فيها من تغيرات أو نكسات لم تحرف جدول هذه الحضارة عن سيره المرسوم له ، وإنما لونتها وأعطتها مظهراً مغايراً لبعض المغايرة لها في عصور سابقة أو لاحقة . هذا مع العلم أن التغيرات السياسية كانت واضحة كل الوضوح وأثرت تأثيراً قوياً في حياة الشعب وفي قوة الدولة وعظمتها أو ضعفها وانحطاطها وتجزئتها .

ولا نتحدث المصادر الاسلامية المعاصرة لتلك الأحداث على أنها شيء متميز ، وإنما أجمع المؤرخون المسلمون على اعتبار التاريخ الاسلامي وحدة ، على الرغم من التجزئة السياسية التي حلت بالبلاد الاسلامية منذ استلم العباسيون الحكم ، وعلى الرغم من تتابع السلالات وتتابع مراكز القوى وتوزعها ، وإن كان هناك ، لدى بعض المؤرخين ، تركيز على بعض النواحي الميينة أو الأماكن الميينة حسب اهتمامات المؤلف أو أصله أو ميوله . . .

مصادر الوثائق :

والواقع أن كتب التاريخ التي تغطي جميع العصور العباسية قليلة، وتغطيها ضئيفة وهزيلة في جميع المجالات ولا سيما في حقل الوثائق .
فهناك كتب تؤرخ لعصور الاسلام جميعها حتى العصر المملوكي كالسيوطي في تاريخه : تاريخ الخلفاء ، وابن كثير في كتابه : البداية والنهاية ، والذهبي في كتابه : العبر ، وابن تغري بردى في كتابه : النجوم الزاهرة ، وأبي الفداء في كتابه : المختصر في أخبار البشر وابن العبري في كتابه : تاريخ مختصر الدول . ولكن أغاب هذه الكتب معلوماتها موجزة هزيلة لا تسمن ولا تغني من جوع ، ووثائقها نادرة كل الندرة ، ويكتفي أغلبها ، عندما يورد وثيقة من الوثائق بإيراد مقتطفات منها .

ولكن هناك استثناءً واحداً مهماً من الحكم السابق وهو كتاب القلقشندي المسمى باسم صبح الأعشى في صناعة الانشا . فهذا الكتاب العظيم حشد فيه مؤلفه وثائق سياسية وإدارية لمختلف عهود الاسلام منذ عهد صاحب الرسالة عليه السلام حتى عصر المؤلف أوائل القرن التاسع الهجري . وعلى الرغم من أن كتاب صبح الأعشى ليس كتاباً تاريخياً مجال من الأحوال ، إلا أنه يحوي أكبر نسبة من الوثائق الاسلامية لمختلف العصور . وهو بهذا الوصف مصدر لا يثمن لدراسة الوثائق الاسلامية وتطورها خلال فترة طويلة من الزمن . كما وان هذه الوثائق بما فيها من معلومات تاريخية وسياسية وإدارية تعكس سير التطور التاريخي والإداري والعلاقات السياسية والمالية أفضل عكس وأوضحه . وسنعود للكلام عنه عند تحليلنا لعدد من الوثائق .

أما بالنسبة لكل عصر من هذه الأعصر أو لعصرين أو أكثر فهناك مصادر كثيرة نجمل مميزاتهما فيما يلي :

ويأتي على رأس القائمة كتاب الطبري العظيم الذي مر معنا ذكره في عدد من الدراسات السابقة ، وهو ، باعتباره عراقي الهوى والاتجاه يركز كل التركيز على العراق والقسم الشرقي من الامبراطورية الاسلامية ويأتي بعدد من الوثائق الهامة جداً لذلك العهد ولا نجد لها في غيره من المصادر . ولسوء الحظ يقف الطبري في تاريخه عند سنة ٣٠٢ هـ . وهو ، عملياً ، يتوقف عن إيراد وثائق بشكل غزير ومنتظم منذ التسمينات من القرن الثالث الهجري . ومعلومات الطبري جيدة صادقة متسقة ، وهو دقيق كل الدقة في إيراد نصوص العهود والرسائل وما شاكل ذلك ، مما يجعله مصدراً أساسياً لمثل هذه الدراسات .

وعلى الرغم من أن عربياً القرطبي حاول اكمال عمل الطبري فأصدر كتابه المعروف باسم صلة تاريخ الطبري إلا أنه لا يوازن بكتاب الطبري دقة وتحصيلاً واهتماماً وثقة ، كما أن وثائقه هزيلة في السكم ضعيفة في النوع مما يجعله صلة باهتة لأصل جيد وهاج .

وأما بقية العهد التركي فيغطيه المؤرخون العامون كابن الأثير وابن كثير وغيرهما ، ولكن ابن مسكويه وعريباً مما أهم من غطى بقية هذا العهد ، وقسماً كبيراً من العهد البويهى بالنسبة لابن مسكويه فقط يعتبر ابن مسكويه من المؤرخين الموثوقين في التاريخ الاسلامي ، وكتابه المسمى باسم تجارب الأمم وتعاقب اهمم يعكس وجهة نظره في التاريخ . فالتاريخ في رأيه تجارب الأمم ، ومن واجب الحاكم العاقل أن يستفيد من تجارب الأمم السابقة . وعلى الرغم من عظمة

ابن مسكويه كمؤلف في الأخلاق وفي التاريخ ، وعلى الرغم من أنه عاش فترة من عمره في العصر البويهي واتصل بالحكام البويهيين وخدمهم وكان موظفاً ومستخدماً عند عضد الدولة البويهي وكان ذا حظوة ونفوذ لديهم ، إلا أن كتابه خالٍ تقريباً من وثائق مهمة تعود لذلك العصر . ذلك أن المفروض أن يستغل ابن مسكويه مكانته هذه ووظيفته ليثبت في كتابه هذا نصوص ووثائق أكثر أهمية مما فعل ، وأكثر عدداً مما أثبت .

وهناك مؤلف ثالث له أهمية خاصة في تاريخ العراق وما وراءه في هذه الفترة وفي التي تليها حتى عهد الناصر لدين الله العباسي . وأعني به ابن الجوزي وكتابه : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . وابن الجوزي مؤلف غزير كل الغزارة متنوع كل التنوع ألف في كثير من الموضوعات كالتاريخ والتراجم والحديث الشريف والتفسير والتصوف ... وكان ذا حظوة لدى الخلفاء ، وألف كتابه هذا ليقتص سيرة التاريخ العام من بدء الخليقة حتى عصره هو . والكتاب الموجود بين أيدينا الآن ناقص مبتور يبدأ بالجزء الخامس ، والطبعة سقيمة وغير محققة وتحوي كثيراً من الأخطاء الشنيعة مما يجعل الاعتماد عليه صعباً ، والحكم بوجهه على ابن الجوزي كمؤرخ لا يخلو من مخاطر . والذي يبدو لنا ، من مطالعتنا لكتاب ابن الجوزي المذكور آنفاً ، أنه حاول فيه تقليد الطبري في تاريخه المذكور آنفاً وهو كتاب تاريخ الرسم والملوك ، أو كما يسمى أحياناً باسم تاريخ الأمم والملوك . وذلك واضح من العناوين ، كما وان ابن الجوزي اتبع طريقة الحوليات في روايته التاريخية . ولكن ابن الجوزي يعتمد عن طريقة المحدثين التي اتبعها الطبري ، كما وانه خصص حيزاً

أكبر بكثير للوفيات وتراجم الاعلام مما فعل الطبري ، حق انه يمكن القول أن كتاب ابن الجوزي كتاب تراجم أكثر منه كتاب تاريخ . كما وان الاثني عشر كان في الدفاع عن السنة ، وخاصة ابن الجوزي الذي يدافع عن السنة ضد العلويين والشيعة . ويأخذ ابن الجوزي خاصة جانب الخلفاء العباسيين في كل صغيرة وكبيرة ويناصرهم على خصومهم من المتغلبين الأتراك والبويهيين والسلاجقة ... ويبدو ذلك حق في الوثائق التي يثبت نصوصها في كتابه . على حين أن الطبري أوسع أفقاً وأرحب نظرة وأغزر غزراً وأكمل بحثاً بما لا يقاس من ابن الجوزي . وعلى الرغم من أن اتجاه الاثني عشر محلي ، إلا أن عملية الطبري لا تنمعه من أن يكون أوسع أفقاً بكثير وأدق معلومات فيما يتعلق بالمقاطعات البعيدة عن العراق .

هذا وإن قسماً وافراً من الوثائق العائدة للمعهد البويهي أتتنا من القلقشندي وكتابه صبح الأعشى .

ذلك أن هذا العصر أنتج علماء من اعلام النثر العربي والفصاحة العربية هو أبو اسحاق الصابي . وقد دخل الصابي في خدمة عدد من خلفاء بني العباس كالمطيع والطائع وعدد من أمراء بني بويه كعز الدولة وعضد الدولة وغيرهما . ولذلك آتت رسائله التي كان يوجهها باسم هؤلاء الحكام لختلف الناس وفي جميع الأغراض آية من آيات البلاغة والفصاحة اللفظية ، يوردها القلقشندي على أنها نماذج يمكن بل يجب احتذاءها في إنشاء الوثائق التي هي رسائل وعمود وما شاكل . وإذا حللنا هذه الوثائق وجدنا أن من الممكن تلخيصها في أسطر قليلة ، ذلك انها كثيرة المترادفات طويلة الجمل ، الصنعة فيها ظاهرة كل الظهور ، تشغل التعميدات والصلوات والأوامر والنواهي ومدح

الخليفة أو الحاكم حيزاً كبيراً جداً من الوثيقة بحيث لا يبقى للمعلومات الحقيقية التي تحويها الوثيقة إلا مكان متواضع كل التواضع . وسنجد فيما بعد إحدى هذه الوثائق كنموذج على بقية هذا النمط من الوثائق . والواقع الملاحظ من خلال دراستنا لوثائق هذا العصر أن الوثائق تطول وتظهر فيها الصنعة وتصبح مجالاً طيباً لظهار بلاغة الكاتب وفصاحته وقدرته اللغوية والبيانية حينما وجد كاتب قدير بليغ متولياً لديوان الانشاء ، كما هي الحال مع أبي اسحاق الصايي المذكور آنفاً ، ومع أحمد بن الخصيب الذي كتب المنتصر وغيره من الخلفاء ، والعلاء ابن موصليا الذي كتب للقائم بأمر الله ، والطغراني الذي كتب عهد طغتكين لما ولاء السلطان السلجوقي محمد بلاد الشام . أما في ما عدا هذه الحالات فالوثائق عادية في حجمها ، سهلة في تركيبها ، تطرق الغرض مباشرة بعد مقدمة قصيرة لا بد منها وكذلك الخاتمة .

كذلك يجب ذكر كتاب ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع الذي ألفه تكملة لتاريخ ابن مسكويه كمصدر آخر للوثائق في العصر البويهي . وأما العهد السلجوقي فتغطيه أغلب المصادر المذكورة آنفاً ، وأخص بالذكر المنتظم لابن الجوزي ، والكامل لابن الأثير ، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، مع وجود عدد من الوثائق في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي ، ولكنها أقل بالعدد من الوثائق العائدة للعهد البويهي ، كما وان مستواها الفني أقل .

ومنسالك كتاب يجب ذكره هو كتاب الجامع المختصر لابن الساعي الخازن . هذا كتاب ضخم في تاريخ العراق خاصة ولكن لم يصلنا منه إلا جزء صغير جداً يغطي عدداً قليلاً من سنوات حكم الخليفة

الناصر . وهو يعطينا نصوص ثلاث وثائق مهمة كل الأهمية أصدرها الخليفة الناصر . وإذا كان الكتاب - ككل - يحوي نفس النسبة وعلى نفس المستوى من الوثائق ، فإن ذلك يجعله كتاباً وثيقاً من الدرجة الأولى ، ولكن عدم وجود الكتاب يجعل من المستحيل القطع بمثل هذا الحكم .

ويؤرخ السنوات الأخيرة للخلافة العباسية مؤرخ مشهور هو مؤرخ المغول المعروف الهمداني وذلك في كتابه المعروف باسم جامع التواريخ ، وهو يحوي نصوص مراسلات دارت بين المستعصم آخر خلفاء بني العباس وبين هولاءكو السفاك المشهور . وهي تكشف موقف المستعصم وموقف هولاءكو ، ولا ندري إذا كانت هذه الرسائل كتبت أصلاً باللغة العربية أم أنها كتبت بالمغولية ، أم ، وهو الأغلب ، بالفارسية ثم نقلت إلى العربية . ونحن نعتقد أنها لم تكتب أصلاً بالعربية وإنما نقلت إليها لأن أسلوها وروحها بعيدان عن اللغة العربية .

أما كتب الثقافة العامة فلا تقدم إلا أقل مساعدة ممكنة في حقل الوثائق إذ أنها خلو أو شبه خلو منها . ولم كان بودنا لو نحصل على كتاب رسائل الصابي لنوازن محتوياتها بما وصل إلينا من نصوص رسائله ليكون حكمنا أدق ، ولكن ما كل مايتعنى المرء يدركه .

كذلك لا تقدم كتب التراجم العامة والخاصة الا قدراً ضئيلاً جداً من الوثائق وذلك مثل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ومعجم الأدياء لياقوت الحموي ووفيات الأعيان لابن خلدان . ولكن هناك استثناء وحيد في هذا المجال هو سيرة أحمد بن طولون للبلوي ، إذ تحوي وثائق غاية في الأهمية تكشف شخصية ابن طولون وعلاقاته مع قضاته ومع الخلفاء ومع ابنه الثائر ضده مما يجعل له قيمة وثيقة كبرى .

وأما في حقل الخراج وأموره فلا بد من ذكر كتاب خطط المقرئ
إذ يحوي نصوص عدد من الأوامر الخلافية التي أصدرها خلفاء بني
العباس المتعاقبون وذلك لجعل السنة التقويمية مطابقة للسنة الخراجية ،
وهذا أمر مهم كل الأهمية في هذا الموضوع ، وهو يتناغم ويتكامل
مع بعض نصوص وردت في القلقشندي وكتابه صبح الأعشى في
هذا الموضوع .

ويمكن القول ان مصادر الوثائق السياسية والادارية في العصر
العباسية المتتالية هي كتب التاريخ الاسلامي المعروفة بالاضافة الى كتاب
صبح الأعشى .

هذا ولا بد من التنويه ان أغلب الوثائق ، بل ان غالبيتها العظمى
الساحقة ، مواد مكتوبة - عمود ، رسائل ، مراسيم ، أوامر .. الخ -
أما الخطب فقد ولي عهدا إلى غير رجعة وليس لدينا إلا عدد ضئيل
جداً من كلمات قيلت في بعض المناسبات الخاصة ، لا تسمى خطباً
بجمال من الأحوال ، ولا يمكن أن ترقى بشكل من الأشكال إلى مستوى
أبسط الخطب في العصور السابقة .

كذلك نحب أن نؤكد هنا مرة أخرى عدم مسؤوليتنا عن هذه
الوثائق ومدى صحتها ، إذ ان ههنا فقط هو جمع الوثائق ، بصرف
النظر عن طبيعتها أو محتوياتها وما إذا كانت منحولة أم صادقة ، أم
تمثل رأياً معيناً أم فكرة معينة . أما قضية إظهار صدقها من زيفها
وبيان أصالتها من تزويرها فتقع على عاتق البحاث الذين سعيئنا هو تقديم
المادة اللازمة لهم وجعلها في متناول أيديهم .

كما واننا هنا نقدم ونعرض الوثائق السياسية والادارية المائدة للمصور

العباسية المتتابعة حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ بيد المغول ، كما تعرض الوثائق العائدة لعدد من الدول المتغلبة وخص بالذكر البويهيين والسلاجقة والغزنويين والخوارزميين والمغول في شرقي الامبراطورية الاسلامية ، والطولونيين والاششيديين والمحدانيين في غربي الخلافة العباسية . أما بقية المناطق وبقية المتغلبين فهذه ستكون مجال أبحاث قادمة بإذن الله وان شاء الله .

وإذا أردنا استعراض مميزات العصور العباسية المتتابعة كما تبسّدو من الوثائق قلنا ان العصر الأول منها - وهو مايسمى بعصر النفوذ التركي - كان عصر صراع عنيف مرير في أوله وآخره على حين ساد أواسطه هدوء نسبي .

عصر النفوذ التركي :

فقد افتتح هذا العصر بقتل الأتراك الخليفة المتوكل . بالاتفاق مع ولده المنتصر . وهذه أول مرة في التاريخ الاسلامي يقتل الخدم والعبيد سيدهم ويتأمر الولد مع عبيده ضد والده الخليفة . وهذا وحده دليل على تدهور الأخلاق وتدهور الوضع في الخلافة العباسية . وقد استمر الصراع بين الخلفاء والأتراك من جهة ، وبين الخلفاء ومنافسيهم من بني العباس ، وبين الأتراك بعضهم بعضاً عشر سنوات كما في صراع المستعين ضد الأتراك وصراع بغيا ووصيف ضد صالح وكما في صراع المهتدي والمعتز . وظل الأمر على هذا الشكل العنيف حتى ظهر شخص قوي هو الموفق اخو الخليفة المعتمد الذي تمكن من السيطرة على أخيه وعلى الجيش وهدأت بذلك حدة الصراع الداخلي . ولكن الخلافة

تعرضت خلال هذه الفترة لثورات داخلية تمثلت في ثورة الزنج وحرركات القرامطة وغيرهم . كذلك تمكن ابنه المعتضد أن يضبط الأمور بشكل جيد وأعاد للدولة شيئاً من هيبتها . واستمر الوضع بشكل مرض في عهد ابنه المكتفي ، ولكن وفاة المكتفي وخلافة المقتدر الذي كان صغير السن فتح الباب من جديد للصراعات الداخلية بين القواد والخليفة وبين بعضهم بعضاً . والواقع أن الخلافة العباسية التي امتحنحت بالأتراك قد تكشفت خلال هذه الفترة الأولى من هذا الصراع عن بعض الحيوية بما أدى الى استرداد شيء من هيبتها وقوتها على يد الموفق والمعتضد . ولكن صغر سن المقتدر وشخصيته المهلهلة أدت إلى عودة الوضع أسوأ مما كان ، فتدهور الوضع الاقتصادي وتدخل النسوة في شؤون الخلافة وتصارع الأتراك مع الخليفة ومع بعضهم بعضاً ، وعاد الصراع على الخلافة بين العباسيين إلى أشده حتى بلغ الأمر ذروته بمصرع المقتدر سنة ٣٢٠ هـ ، وبموته افتتح عهد من اقبح عهود الخلافة العباسية امتلأ بالدسائس والصراع وخلع الخلفاء وسلمهم وغير ذلك ، حتى إذا تعب المتصارعون وكفوا برز عنصر ثالث هو العنصر البويهي الذي احتل زعيمه معز الدولة بغداد وسيطر على الأمور فيها وجرّد الخليفة العباسي من كل سلطة له .

العصر البويهي :

ويعتبر العصر البويهي من اقبح عهود التاريخ الاسلامي وأشدها . فقد احتل البويهيون قسماً كبيراً من شرقي الخلافة العباسية بما فيها العراق وبغداد ، وكانوا شيعة غلاة ، ولم يلغوا الخلافة العباسية لأسباب

سياسية فأدى الأمر إلى صراع مرير جداً بين السنة والشيعة ، وكانت بغداد خاصة مسرح هذا الصراع . كما وأن جميع رجالات بني بويه - باستثناء عضد الدولة - كانوا أشخاصاً ثانويين ليسوا أهلاً للحكم وأساءوا التصرف ولم يتمكنوا من ضبط الأمور في الداخل والخارج ففسدت أحوال الرعيّة وخرّب السواد وكثر اللصوص والدعار وزالت هيبة الحكومة وتناقص عدد السكان بشكل رهيب ، كما وأن الروم البيزنطيين اجتاحوا منطقة الثغور الشمالية وزحفوا على سورية واحتلوا قسماً منها وهو الشاهلي ، على حين احتل الفاطميون البقية الباقية منها . والشخصية الوحيدة التي تبسّر بارزة بين بني بويه هي شخصية عضد الدولة البويهي الذي تمكن أفع يوحّد قسماً مهماً من تراث بني بويه تحت سلطته ووطد الأمن وقضى على الفوضى وأصلح الأحوال ، ومع هذا فإن عضد الدولة كان طموحه أكثر من امكاناته ، ولا يمكن موازنته مع عظماء رجال التاريخ الاسلامي وعمالقه كالحليفة المنصور أو الحليفة الأموي الناصر أو الحاحب المنصور ، وإنما هو شخص ثانٍ تالٍ لهؤلاء العظماء .

ولكن هذا العصر امتاز بالهدوء الذي ساد علاقات البويهيين بالخلفاء العباسيين ، والسبب في ذلك أن البويهيين جردوا الخلفاء من كل سلطة . ورضي الخلفاء بهذا الوضع ، ولذلك لم يعد أحد يطمح إلى منازعة الخلفاء على هذا المنصب الأسمى . وانصرف الخلفاء أنفسهم إلى النواحي الدينية كما فعل القادر والقائم .

العصر السلجوقي :

ولقد أمد السلاجقة الإسلام بدماء جديدة وخلقوا نهضة جديدة في العالم الإسلامي كان لها آثارها الكبرى . فقد احتل زعيمهم طغرلبيك بغداد وانهى حكم البويهيين في وقت أصبح سلطان البويهيين منهاراً ومن الواجب إزالته . كذلك نصر السلاجقة مذهب أهل السنة وأوقفوا الشيعة عند حدهم .

ولقد نظر الناس والخلفاء العباسيون إلى السلاجقة على أنهم منقذون ولذلك استقبلوهم بترحاب .

ويبدو لنا أن خلفاء بني العباس اعتادوا على أن يكونوا بعيدين عن مسرح الأحداث ، ولذلك لم يحاول اوائلهم زمن بني سلجوق الاستقلال واستعادة النفوذ السياسي المسلوب . ولقد تدفقت جيوش السلاجقة على سورية وعلى الأناضول وأعادوا للإسلام شبابه ومجده وخاصة في معركة ملاذكرد الشهيرة التي دارت بين الب أرسلان ورومانوس ديوجينيس ملك الروم في شرقي الأناضول . ولقد كانت هذه المعركة نتائج بعيدة المدى إذ أنها فتحت أبواب الأناضول أمام أفواج الأتراك للاستيطان بها ومهدت السبيل لتتريك الأناضول وتأسيس دولة قوية هي سلاجقة الروم ، كما كانت من أهم الأسباب المباشرة للحملات الصليبية على سورية . كما وأن السلاجقة أعادوا سورية للخلافة العباسية وأوشكوا على القضاء على الخلافة الفاطمية . ولقد استفاد ملك شاه من كل هذه الظروف فوطد سلطانه ونفوزه على مساحة واسعة من الأرض وحكمها حكماً صالحاً ولا سباً وقد رزقه الله وزيراً من اقدر الوزراء

الدين عرفهم التاريخ الإسلامي وهو نظام الملك الذي عمم المدارس المعروفة باسمه المدارس النظامية وحكم البلاد أفضل حكم حتى وفاته .
ولكن وفاة نظام الملك وملك شاه فتحت الباب لعهد شنيع من الفوضى والحروب والانقسام استمر زمناً طويلاً حتى تاريخ انقضاء الحكم السلجوقي ، ولم يبرز من أولاد ملك شاه من يتمكن من ضبط الأمور أضف إلى ذلك أن السلاجقة قسموا الممالك بين أبناء ملك شاه وكأنها إرث شخصي ، وكان أغلبهم صغار السن فنشب صراع مرير على السلطة وعلى الملك وعلى الأراضي . والشخص الوحيد الذي تمكن أن يثبت وجوده وأن يؤسس مملكة قوية هــو سنجر بن ملك شاه الذي أسس مملكته في خراسان ، ولكن نهايته كانت مفرجة . ولقد استغل بعض الخلفاء الطموحين فرصة الصراع بين السلاجقة فحاولوا الخلاص من التبعية لهم ، كما فعل المسترشد ومن بعده الراشد ، ولكن لم يقدر لهـذه المحاولات النجاح . وأخيراً زال سلطان السلاجقة عن بغداد ليظهر في آسيا الصغرى باسم دولة سلاجقة الروم . وهم الذين لعبوا دوراً هاماً جداً في الحروب الصليبية ، وتمكن الخليفة الناصر العباسي من التحرر من التبعية وحكم هـو وخلفاؤه بغداد وقسماً من العراق حكماً مباشراً بدون أية سلطة من أية فئة واستمر الوضع هكذا حتى سقوط بغداد بيد المغول سنة ٨٦٥ هـ . .

حيوية الحضارة الإسلامية ووحدها وازدهارها :

وبعد فنقول أن هذا الاضطراب السياسي والانقسام السياسي لم يؤثر في الحضارة الإسلامية . ذلك أن هذا العصر الذي حفل بالحروب والفواجع والكوارث ، والذي انقسمت فيه دار الخلافة إلى عدد كبير

جدا من الدويلات الهزيلة ، والذي سيطر فيه الأعاجم الجبهة ،
وبعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من العربية . والذي حفل بالمبادئ
المنحرفة عن الإسلام كالباطنية الذين استشرى شرهم وعظم خطيئهم
وكانوا أشد على المسلمين من أي عدو لهم ، أقول أنه في هذا العصر
وصلت الحضارة الإسلامية إلى أوجها وذروة تطورها ، ونبغ العظماء في
كل حقل وفن . ولسنا بصدد تعليل هذه الظاهرة ، ولكننا نريد أن
نقول أن بذور النور الأولى غرسها الإسلام في أرض خصبة ، وسقتها
الرعاية والعناية بمزيد من الاهتمام والاحتياط ، ولذلك أنبتت هذه
البذور الطيبة ثماراً يانعة ، على الرغم من كل ما حدث من تمزق
وانقسام ، ولا ننسى كذلك ظهور مشاعل أضواء الطريق المظلم ،
واعني بذلك الحكام المتنورين امثال عضد الدولة ونظام الملك وغيرهما .
كما وأن تعدد المراكز الحضارية وتنافس الحكام على اجتذاب العلماء
والدارسين ، كل ذلك ، مع غيره من العوامل ، أدى إلى حدوث
هذه الظاهرة ، ظاهرة بلوغ الحضارة الإسلامية أوجها في عصر
الاضطراب السياسي والضعف والتمزق والفتن .

وهذا كله يقودنا إلى القول أن حيوية الإسلام الحضارية وتوجيهه
نحو النور أقوى بكثير من عوامل الهدم والتجزئة والفرقة والحصام .
بعد هذه الكلمة الموجزة والاستعراض السريع نحاول اعطاء الملامح
العامة لخلفاء هذا العصر كما تبدو من خلال الوثائق .

المنتصر :

فالمنتصر الذي تأمر ضد أبيه حق أصبح خليفة ليس من السهل

أبدأ إصدار حكم عليه أو له . ذلك أن عهده قصير جداً لم تتضح فيه معالم شخصيته ولا أعماله . كما وأن كل حكم لابد وأن يتأثر بفعلته الشنعاء هذه التي تقف حائلاً دون محاولة إصدار حكم منصف عادل عليه . والذي يبدو لنا من خلال الوثائق العائدة لعهد أنه تأثر في صياغة هذه الوثائق خطى والده المتوكل ولا سيما فيما يتعلق بأخذ عهود البيعة . فقد أخذ على المبايعين أشد العهود والمواثيق التي يمكن أن تؤخذ على إنسان : من طلاق نسائه البتة ثلاثاً وعتق مماليكه وجعل أمواله صدقة للفقراء والحج إلى بيت الله الحرام مشياً ثلاثين سنة . إلى غير ذلك من الأمور المشددة . ولكن جميع هذه العهود والمواثيق أثبتت أنها لا شيء عند أقوام مردوا على التآمر والدس والثورة والسعي للحصول على المكاسب الدنيوية ، لاهم لهم إلا ذلك . ولذلك فقد كانت جميعها حبراً على ورق ، ومات المنتصر مسموماً كما قيل بيد الأتراك (١) .

المستعين :

أما المستعين الذي خلف المنتصر فقد كان شخصاً غير عارف بحقيقة القوى المتصارعة من حوله وغير عارف بنفسيات القواد وأهوائهم والدوافع التي تحركهم . وقد أسلم نفسه وأمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر وترك له تدبير أمور السلم والحرب ، ذلك أن قسماً من الأتراك رفضوا بيعته وعقدوا البيعة للمعتز ودارت الحرب بين الطرفين .

(١) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الامم والملوك . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٣٩ م ج ٧ : ٤٠٢-٤٠٤ .

وقد أمثل المستمين ، كما يبدو ، أن يعيد محمد بن عبد الله بن طاهر دور جده طاهر بن الحسين في نصرة المأمون ضد الأمين ، ولكنه كان واهماً في ذلك . ويدل البيان الذي أذاعه محمد بن عبد الله بأنه لما انتصر في إحدى معاركه ضد حزب المعتز على رغبة عارمة في اسباغ ثوب الجهاد على حربه ضد حزب المعتز وعلى أنه هو وخليفته صاحب الحق وأن الآخرين هم المعتدون ، كما ويدل البيان على إظهار حزب المستمين بمظهر الجماعة التي تحاول منع الحرب بمختلف الوسائل وتعط خصومها ولا تخوض حرباً إلا إذا اضطرت إلى ذلك (١) . كذلك تظهر لنا شخصية محمد بن عبد الله من خلال البيان ومن خلال أفعاله فيما بعد شخصية خيالية متقلبة لا تعرف ما تريد وانتهى به الأمر أن خان المستمين وبايع للمعتز .

المعتز :

وكما أخذ المنتصر على الذين بايعوه أشد المهود والموثيق ، كذلك فعل المعتز عندما بايعه جنده وقواده وحزبه ، فقد أعطوه من أنفسهم أوثق الموثيق وأقسى المهود من عتق وطلاق وزكاة وحج وما شاكل ، ولكن ذلك كله لم يمنعهم أبداً من أن يخلعوه ويقتلوه ، وقد فعلوا الأولى بمنتهى البساطة وفعلوا الثانية ببساطة أكبر (٢) . وإذا كان كلام الرجل دليل عقله وتفكيره فخطاب المعتز في أنصاره يدل على أنه شخص ذو فكر جيد ومعرفة لا بأس بها في صفات قواد الجيوش

(١) نفس المصدر ، ج ٧ : ٤٥٠-٤٥٦ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٧ : ٤٤٠-٤٤٢ .

وما يجب أن يتحلوا به : وقد علمت أنه لا يصلح لقود الجيوش وسد الثغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلا رجل تكاملت فيه خصال أربع : حزم يتقى به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ، وعلم ينجزه عن التهور والتغرير في الأشياء إلا مع إمكان فرصتها ، وشجاعة لا تفضها للمات ... وجود يهون تبذير الأموال عند سؤاها (١) .

المهتدي :

وإذا وصلنا إلى المهتدي الذي أصبح خليفة بعد خلع المعتز وقتله ، نكون قد وصلنا إلى شخص خيالي غير واقعي خلق لغير وقته وزمانه ، ذلك أنه حاول أن يكون في بني العباس كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، ولكنه غفل عن الظروف الموجودة فيها ، وغفل عن الزمان والبشر الذين حوله ، وعجز عن إدراك أنه لا حول له ولا قوة ، بينما كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يأمر فيطاع . كذلك غفل عن نفسية أنصاره من الأتراك ، ذلك أنهم مردوا على الشقاق والخصام ، ولم يعد يهمهم إلا المال ، وفقد شخص الخليفة في نظرهم كل قيمة واعتبار ، ولم يعودوا يحترمون إلا القوة ولا يخضعون إلا للقوة وبالقوة . كذلك لم يعد للعبود والمواثيق عندهم ذلك الوزن الذي كان لها سابقاً . ولذلك لم يلبثوا أن دخلوا مع الخليفة في صراع غير متكافئ ، وعلى الرغم من أن العامة ، وخاصة عامة بغداد ، أحببت الخليفة كل الحب ، وأبدت استعدادها لنصرته والدفاع عنه

(١) ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي . الكامل في التاريخ . القاهرة . دار الطباعة

المنيرية ، ١٣٥٦ هـ . ج ٧ : ١٩٦-١٩٨ .

وهددت بقتل رؤساء الأتراك إن سقطت شعرة من رأس أمير المؤمنين (١) ، وعلى الرغم من نواياه الطيبة تجاه الجميع وورعته وسمعته لإصلاح ذات البين إلا أنه هزم في صراعه ضد الأتراك ، واضطر إلى اللجوء إلى بغداد حيث جرت حرب بينه وبين أعدائه انتهت بانتهزاه وخلعه وقلته ، ولم تنغ العامة وعواطفها شيئاً عنه أمام قوة الأتراك وهجومهم . ولقد حاول فريق من العامة إثارة عواطف الشعب ليهب لنصرة الخليفة ، فألقوا المناشير في المساجد طالبين من المصلين الدعاء للخليفة المظلوم الشبيه بعمر بن الخطاب أن ينصره الله على أعدائه (٢) . ولكن الله تعالى لم يستجب لدعائهم وانتهى الخليفة نهاية فاجعة ، والله في خلقه شؤون .

المعتمد :

ولقد هدد الأتراك على الخلافة بصعود المعتمد إلى عرشها ، ذلك أن أخاه الموفق استبد بالأمور دونه وتمكن من السيطرة على أخيه وعلى الجيش والأتراك ، ولا تبدو شخصيته واضحة من خلال الوثائق لندرتهما .

المعتضد :

ولقد استلم الخلافة بعد المعتمد ابن أخيه المعتضد الذي يوصف أنه خليفة قوي . والواقع أنه من أقوى خلفاء هذه الفترة إن لم يكن

(١) الطبري . المصدر المذكور آنفاً . ج ٧ : ٥٧٢-٥٧٣ .

(٢) نفس المصدر . ج ٧ : ٥٧١-٥٧٢ .

أقوام ، ولكنه كان يضطرم حياً لعلي بن أبي طالب وبغضاً لمعاوية ابن أبي سفيان حتى أنه قرر أن يذكر مثالب معاوية على المنابر ويدعو الناس إلى ذلك . ولقد حاول قواده ونصحائه نذبه عن ذلك فلم يزد إلا إصراراً . ولكن وزيره تمكن أن يقنعه أن اذاعة هذا المنشور من شأنه أن يقوي موقف العلويين الثائرين ضد الدولة العباسية في بلاد الديلم وجيلان والجهال وغيرها من المناطق ، فاضطر إلى الكف عن ذلك ، ولكن وصلتنا صورة ذلك البيان الذي يقال أن أول من أعده ليذيعه المأمون ثم كف عن اذاعته لنفس الأسباب التي دعت المعتضد للكف عن ذلك ، ويقال أن المعتضد أخذ صورة عن ذلك المنشور الذي أعده المأمون ولم يذعه . والملاحظ في هذا البيان استناده التام إلى القرآن الكريم والحديث الشريف لإثبات كفر أبي سفيان ومعاوية ومن أتى بعدهما من خلفاء بني أمية . ولما كان القرآن الكريم غير قابل للكذب أو الدس أو الزيادة ، لذلك فقد لجأ الخليفة إلى تأويل الآيات ليثبت أن من تعنيه هذه الآيات هي الأسرة الأموية ، كما في قوله تعالى : « والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً^(١) » . ويقول منشوره : إنه لا اختلاف بين أحد انه أراد بني أمية^(٢) . كذلك يلجأ إلى إيراد أقوال نسبها إلى رسول الله عليه السلام يندم بها بني أمية ويلمعنهم ، وهي كثيرة لا مجال لإيرادها هنا وكلها طعن في أبي سفيان ومعاوية وتكفير لهما . أما إذا وصل إلى يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم فالمجال أمامه واسع كل الاتساع

(١) سورة الاسراء : الآية ٦٠ .

(٢) نفس المصدر . ج ٨ : ١٨٣-١٨٩ .

لتكفيرهما ولعنهما والظعن عليهما (١) . وإن المرء ليعجب من جرأة خليفة من الخلفاء على الله ورسوله حيث يأتي بأقوال مكذوبة وأحاديث موضوعة ينسبها إلى رسول الله ليثبت دعواه .

بقية الخلفاء :

هذا ولا نجد بين الخلفاء الذين تولوا على الخلافة بعد المعتضد من المقتدر بالله إلى القادر بالله شخصية لها وزن ، فكلهم أصبحوا ألعوبة بيد الحكام العسكريين ، وأكثرهم كان مصيره القتل أو السمل أو الخلع ، وإذا وصلنا إلى بني بويه لا نجد بين خلفاء ذلك العهد من كان عنده الشخصية القوية ، وإنما تركز نشاطهم حول المسائل الدينية . ومن جهة أخرى أظهر بنو بويه احتراماً ظاهرياً لهم مبالغاً فيه كل المبالغة ، كما هو ظاهر من الخطاب الذي وجهه جلال الدولة البويهى إلى الخليفة القادر لما سمي ابنه ولياً للعهد (٢) .

أما القائم بأمر الله الذي عاصر بني بويه وآل سلجوق فيبدو لنا شخصاً عادياً لا يمتاز بشيء من دهاء كبير أو ذكاء أو طموح ، ويبدو أن هؤلاء الخلفاء تعودوا أن يروا إلى جانبيهم أناساً يحمونهم ويحكمون باسمهم .

وكذلك الحال بالنسبة لخلفاء آل سلجوق باستثناء المسترشد والراشد اللذين حاولا الخلاص من وصاية آل سلجوق عليها فأدى الأمر إلى

(١) نفس المصدر . ج ٨ : ١٨٣-١٨٩ .

(٢) ابن الجوزي ، علي بن عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٧ هـ . ج ١٠ : ١٩٣-١٩٤ .

الحرب بين الخليفة من جهة وبين السلطان السلجوقي من جهة أخرى وكانت النتيجة خسارة الخلافة العباسية ومصرع الخليفة وعودة نفوذ آل سلجوق .

ولقد استفاد الخليفة الناصر من عدد من الظروف ، بجانب طموحه واستعداده الشخصي وذكائه حتى تمكن من الخلاص من النفوذ السلجوقي وحكم بغداد وقسماً من العراق حكماً حراً مباشراً واستمر ذلك في خلفائه حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

ولقد حاول ابنه الظاهر أن يكون عادلاً وأن ينصف الرعية ويحسم مواد الفساد التي كانت سائدة بين كبار الموظفين . ويدل مرسومه الذي أصدره عقب توليه عرش الخلافة على رغبة أكيدة في الإصلاح والعدل وسياسة الرعية^(١) . ولكن قصر عهده حال دون تنفيذ هذه السياسة الحكيمة .

الوزارة والوزراء :

ولقد حفل هذا العصر بالوزراء العظام الذين ساسوا البلاد أفضل سياسة ، وكانوا مصابيح تضيء وسط الغياهب ، على الرغم من وجود عدد كبير منهم سيئين فاسدين وأثرهم غير محمود . ولقد زهى عصر المقتدر خاصة بوزيرين من ألمع وزراء بني العباس ، وأعني بهما ابن الفرات وعلي بن عيسى بن الجراح الذي تقلد كل واحد منهما الوزارة عدة دفعات . ولقد كان ابن الفرات ادارياً ممتازاً ومواسياً لجراح

(١) ابن الاثير . المصدر المذكور آنفاً . ج١٢ : ٤٥٦-٤٥٧ .

الدولة المالية ممتازاً على الرغم من انه لم يكن نظيف الكف واليد .
 أما علي بن عيسى فعبقرية ادارية من الطراز الممتاز ، ويفضل علي بن
 الفرات بعفته عن اموال الدولة واموال الناس وخوفه من الله ومحاولته
 استيفاء حقوق بيت المال بالطرق الشرعية دون ظلم او ارهاق . فقد
 كان يوجه رسائله الى جميع عماله وفيها هذه التعليمات : وتمكين
 في نفسك انه لا رخصة عندي ولا هودة في حق من حقوق أمير
 المؤمنين أغضي عنه ، ولا درهم من ماله اسامح فيه ، ولا تقصير في
 شيء من امور العمل اصبر لقريب أو بعيد عليه . ولا تكون باظهار
 أثر جميل في ذلك أشد عناية منك بانصاف الرعية والعدل عليها ورفع
 صغير المؤمن وكبيرها عنها . فإني أطالبك بذلك كما اطالبك بتوفير
 حقوق السلطان وتصحيحها . . . (١) .

كذلك وجد في العصر البويهي وزراء جيدون - من الناحية
 الادارية - كالمهلي وابن بقية وغيرهما ، ولكن الملاحظ انه أصبح هناك
 وزيران في العصر البويهي أحدهما للخليفة والثاني للحاكم البويهي واستمر
 ذلك في العصر السلجوقي ، وكانوا جميعهم من المرتشين ، واغلبهم من
 أصل وضيع . وكافقد الخليفة سلطته الزمنية لحساب المتغلب ، كذلك
 فقد وزير الخليفة سلطانه لحساب وزير المتغلب . ويعتبر مرسوم القائم
 بأمر الله الذي أصدره سنة ٤٧٢ هـ بتعيين فخر الدولة بن جبير وزيراً
 له نموذجاً احتذاه الآخرون في صياغة مراسم تعيين الوزراء . فقد افتتح
 المرسوم بحمد الله والثناء عليه ، وثنى بالصلاة على الرسول الكريم والسلام
 عليه ومدحه ، ثم انتقل إلى مدح الخليفة وبيان حقه وفضله وقوابته ،

(١) ابن مسكويه ، ابر علي احمد بن محمد . تجارب الامم وتعايبهم ، القاهرة ، شركة
 التمدن الصناعية ، ١٩١٤ م . ١٦٠-٢٢٠ .

وبعد ذلك يذكر المرسوم ان الله تعالى أرشد الخليفة إلى اقرار الحقوق في أماكنها وذلك انه شعر بالحاجة إلى وزير ولم يجد من هو افضل من ابن جبير ليكون وزيراً ، ويطنب المرسوم في مدحه وذكر خلاله ، وانه أوحده الزمان ويلقبه بلقب تاج الوزراء ، ويذكر ان هناك كثيرين كانوا يأملون الفوز بهذا المنصب العظيم ونصبوا كثيراً من الأحابيل وعملوا كثيراً من الدسائس ، ولكن الخليفة آثره بهذا المنصب لخلاله الرفيعة (١) .
ولعل نظام الملك أشهر وزير وزير في الاسلام بعد البرامكة ، وهو ، وإن لم يكن وزير خليفة إذ كان وزيراً لسلاطين من سلاطين السلاجقة هما الب ارسلان وملك شاه ، إلا انه كان واسع النفوذ جداً ، وهو الذي ساس الامبراطورية السلجوقية أفضل سياسة حتى تضايقت من نفوذه ملك شاه نفسه وحتى يتهم أنه عمل على اغتياله ، لأنه - أي السلطان - لم يجرؤ على خلعه أو قتله . وكفى بهذا دليلاً على مكانته . وهو الذي أقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة وأنفق الأموال الطائلة في بناء المدارس ووقف الأوقاف عليها وجذب العلماء إلى خدمته حتى أعاد لبغداد وجهها الجميل المعروف زمن الرشيد والمأمون .

أما من أتى من الوزراء فيما بعد فلم يكن لهم شأن يذكر حتى اختتمت سلسلتهم في بغداد بؤيد الدين بن العلقمي وزير المستعصم الذي يتهم عادة بالتواطؤ مع المغول ضد سيده الخليفة وضد الاسلام والمسلمين . ومن الطريف أن نلاحظ تقليداً كان سائداً على الأقل زمن الخليفة الناصر في ارسال الخليفة إلى الوزير الجديد . فقد أصدر الخليفة الناصر مرسوماً بتعيين ابن زيادة للوزارة ، وكان مقيماً بواسط ، فأرسل

(١) القلقشندي ، ابو العباس احمد . صبيح الأعشى في صناعة الانشا . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٣ م . ج ١٠ : ٢٣٤-٢٣٧ .

الخليفة إلى ناظر واسط نص المرسوم مع رسالة يقول فيها : قد بمننا خلمة ودواة لابن زيادة ، فتحمل الخلمة على رأسك ، والدواة على صدرك وتمشي راجلاً اليه وتلبسه الخلمة وتجهزه الينا وزيراً^(١) .

القضاء والقضاة :

وإذا وصلنا إلى القضاء لاحظنا هذه الملاحظة : وهي ان جميع المراسيم التي صدرت بتعيين القضاة صادرة عن الخلفاء باستثناء مرسوم واحد اصدره أحمد بن طولون بتعيين قاضي نجبل اسمه للقضاء في برقة ونواحيها . وهذا يدلنا على ان قضية تعيين القضاة تركت للخلفاء ليقوموا بها هم انفسهم ، لأن ذلك لا يؤثر على سلطة المتغلبين . ويعتبر مرسوم ابن طولون هذا السلف الذي سارت على نهجه جميع مراسيم الخلفاء في تعيين القضاة وبيان واجباتهم وحقوقهم ، وهو يجعل مافصلته المراسيم اللاحقة له والتي اصدرها الخلفاء اللاحقون . ولكن مرسومه هذا تفرد بذكر راتب القاضي وراتب أعوانه وحاجبه ونفقات قرايطه وهو مبلغ أربعين ديناراً شهرياً^(٢) . وهو مبلغ يبدو لنا قليلاً حتى بمقاييس تلك الأيام .

ولعل أكمل مرسوم وأشمله وأكثره تفصيلاً وبياناً لوظائف القاضي ، وبشكل أدق قاضي القضاء وصاحب المظالم هو المرسوم الذي أصدره المسترشد بتقليد علي بن الحسين الزيني القضاء في بغداد وسائر الجهات .

(١) ابن خلكان ، ابو المباس شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الاعيان... تحقيق محمد محي الدين هيد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ م . ج٥ - ٢٩١ .
(٢) القلقشندي ، المصدر المذكور آنفاً . ج١١ : ٢٩-٣٢ .

فهو يذكر الأسباب التي دعت الخليفة إلى أن يعهد إليه بهذا المنصب الرفيع والتي يمكن إجمالها في عقل رصين ودين متين وأمانة مشكورة ونزاهة محبوبة . بالاضافة إلى النسب الرفيع والعلم المكتسب والسوابق الحكيمة ، ثم يذكر مجال سلطته وهي مدينة السلام وسائر أمصار الدولة العباسية . وبعد ذلك تأتي الأوامر : وأولها تقوى الله تعالى ويطنّب في وصفها وفائدتها وأهميتها بشكل خاص للقضاة ويختم كلامه عنها بآية من آيات الذكر الحكيم . ثم يشني بأمره . بالخوف من الله تعالى واستشعار خشيته التي هي الجنة الواقية ، وكذلك يختم كلامه بآية أخرى تناسب المقام . بعد ذلك ينتقل إلى أمره بتلاوة القرآن الكريم بشكل دائم وأهمية ذلك وفائدته للجميع وخاصة القضاة . ثم يطلب منه ويأمره بدراسة السنة النبوية المطهرة وتمحيصها وطرح الموضوع منها والتنسك بالصحيح منها ، ويذكر له أهمية السنة المطهرة في القضاء وبالنسبة لمن يتصدى لمظالم والفصل بين الناس . كذلك يطلب إليه أن يواظب على حضور الصلوات الخمس المفروضة في أوقاتها مع الجماعات . بعد هذا يؤكد عليه في الأمر بضرورة مجالسته للعلماء ومباحثته الفقهاء للاهتمام بآرائهم فيما يعرض له من مشاكل ، ويبين له فوائد الشورى وما يؤدي إليه تبادل الآراء . ويطلب إليه أن يحكم بين الخصوم بالعدل ، ويكون ذلك في الأماكن الفسيحة وأن يوصل إليه جميع الخصوم وأن يساوي بينهم في لحظة ولفظه ويماملهم معاملة واحدة . وعندما يريد الحكم عليه الرجوع إلى القرآن الكريم وإذا لم يجد به لجأ إلى السنة المطهرة ، فإن لم يجد رجوع إلى ما قاله الفقهاء السابقون وما حكم به الأئمة المجتهدون ، وإن لم يجد عمل عقله وبادر إلى اجتهاده وبذل وسعه في سبيل الوصول إلى الحق . كذلك

يطلب إليه ألا يجعل في إصدار الأحكام وأن يثبته للخصوم وفصاحه .
بعضهم وعي البعض الآخر حق لا يتأثر بفصاحة الأول وعي الثاني ،
وأمره بالتفرغ لعملية القضاء تفرغاً جسيماً ونفسياً حق لا يقع في
الخطأ . وأمره كذلك أن يقيم الحدود بالبينات وأن يدرأها بالشبهات
ولا يجعل أبداً في إصدار حكم لا يمكن الرجوع فيه . وطلب إليه
التثبت من الشهود وأحوالهم وعدالتهم وأن يقبل شهادة من ثبتت
عدالته ويرد شهادة من لا تستقيم عدالته . ولقد عهد إليه أيضاً أن
ينظر في أحوال اليتامى وأموالهم وتربيتهم وزواجهم ، وأن يكل ذلك
إلى من يثق بهم من الأولياء . وكذلك عهد إليه الإشراف على الأوقاف
ومراعاة أحوالها ، وفوض إليه أن يعين قضاة من قبله يرتضيهم هو
على البلاد والأقطار النائية وأن يراقب عملهم وأن يكونوا مسؤولين
أمامه وهو مسؤول عنهم . وكذلك طلب إليه أن يوافق على أحكام
القضاة السابقين وألا يحاول تتبع عوراتهم أو هفواتهم إلا في حال
حكم إنحرافه عن الشريعة الإسلامية ظاهر . كذلك فوض إليه أمر
إيجاد كاتب له فيه الصفات الجيدة الواجب توفرها في مثله ، ورغب
إليه أن يتسلم ديوان القضاء وما فيه من وثائق وحجج ليضيف إليه وثائقه .
وختاماً يقلده أمر الحسبة ومراقبة الأسواق والأسعار والآداب العامة
وما مائل ذلك (١) .

وبالجملة يعتبر هذا المرسوم جساماً لواجبات القضاة في الإسلام
وظائفهم والأسس التي يجب أن يقوم عليها القضاء بين الناس بما يؤدي
إلى تحقيق العدل ورفع الظلم وإيجاد القاضي الصالح الذي يأخذ على يد

(١) نفس المصدر . ج ١٠ : ٢٦٤-٢٧٦ .

الظالم ويأخذ بيد المظلوم . فهو بهذه الصفة دستور للقضاء في الاسلام
زمن العباسيين .

وعلى الرغم من تدهور الوضع السياسي في هذا العصر ، وعلى الرغم
من فساد أخلاق وضمم عدد كبير ممن بيدهم الحل والعقد من وزراء
وولاة وقواد وغيرهم ، إلا انه وجد قضاة وقفوا في وجه الحكام المنحرفين
ورفضوا الانصياع لرغباتهم . والقاضي أبو خازم الذي وجد زمن المعتضد
بالله من هذا النوع ، فقد خاطب الوزير عبيد الله بن سليمان القاضي
أبا خازم في بيع ضيعة ليتيم تجاور بعض ضياعه فرفض وكتب اليه
يقول : إن رأى الوزير - أعزه الله - أن يجعلني أحد رجلين : إما
رجلا صين الحكم به ، أو صين الحكم عنه ، والسلام (١) .

العلويون والشيعة :

وتمتاز علاقة العباسيين بالعلويين خلال هذه الفترة بناحيتين : الأولى
إيجابية والثانية سلبية .

أما الناحية الايجابية فهي تعاون العباسيين مع الطالبين الموجودين
تحت حكمهم في بغداد وغيرها ، ذلك أن العباسيين حاولوا إرضاء
الطالبين فأوجدوا نقابة الطالبين وعهدوا برئاستها إلى أحد العلويين
وجعلوها من المناصب المهمة . وعندنا عدد من المراسيم التي أصدرها
الخلفاء يعهدون بها إلى أفراد من العلويين برئاسة هذا المنصب الرفيع
مثل الطاهر لله والقادر بالله والناصر لدين الله .

(١) الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد . تاريخ بغداد أومدينة السلام . القاهرة ،

مكتبة الخانجي ، ١٩٣١م - ١١٦-٦٢ .

وتظهر هذه المراسيم مهام وواجبات هؤلاء النقباء وما يجب أن يقوموا به من أعمال . هذا وإن استعراض أحدهما : وهو المرسوم الذي أصدره الخليفة الطائع لله بتقليد الشريف أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي نقابة الطالبين والإشراف على المساجد ، يعطينا فكرة واضحة عن طبيعة هذه الوظائف والمهام ، إذ أن جميع المراسيم اللاحقة اقتنفت أثره في ذلك .

فهو يفتتح مرسومه بذكر الصلة الموجودة بين الخليفة وبين نقيب الطالبين ويذكر أنه اختاره ليخلف أباه في هذا المنصب الهام ، لأنه وجدته متحلياً بالصفات الحميدة وله المواقف الجيدة في خدمة الدولة والدعوة العباسية . والخليفة ، إذ يفعل ذلك إنما يهدف لرفعة شأنه ومكافأته ومكافأة والده واجراء الأمور في نصابها .

ثم بعد ذلك يبدأ توصياته له التي هي بيان واجبات شاغل هذا المنصب وأولها هو تقوى الله تعالى ومراقبته بالسر والعلن ثم المواظبة على تلاوة القرآن الكريم إذ أن ذلك يساعده في إيجاد حلول للمشكلات التي تعرض له ، يجانب الفوائد الأخرى من ذلك . ومن ثم يعرض لناحية هامة هي طلبه منه أن يضبط نفسه وأن ينزهها عن الشبهات ويحكم عقله في أموره كلها ، ولا يجعل غضبه يسيطر عليه .

وهذه نصيحة جيدة جداً لو اتبناها كل إنسان وخاصة من بيده الحل والعقد . بعد ذلك ، وبعد أن فرغ من وعظه في سلوكه وأخلاقه يبين له واجباته تجاه من عهد إليه الإشراف على شؤونهم .

وأول هذه الواجبات تفقد أحوالهم وتعهد شؤونهم باستمرار وأن يثيب الحسن ليزداد إحساناً وأن يعاقب المسيء ليقطع عن إساءته . كما

بأمره أن يعطي كل ذي حق حقه من الرعاية والنظر والإحسان والإكرام . ويأمره أيضاً أن يسلك في عقوبة من يستحق العقوبة طريق التدرج لأن الغاية من العقوبة الإصلاح لا الإنتقام .

ثم ينتقل إلى موضوع مهم بالنسبة للأسرة الهاشمية وهو موضوع النسب ، ذلك أن كثيراً من الناس يحبون أن ينتسبوا إلى هذا النسب الشريف وهم ليسوا منه ، ولذلك طلب منه حياطة هذا النسب الأطهر والشرف الأفضر عن أن يدعيه الأذعياء أو يدخل فيه الدخلاء . وطلب منه الرجوع إلى شجرة النسب للثبوت من ذلك . كما طلب منه أن يعاقب الأذعياء والدخلاء عقوبة تردعهم وتكون وازعة لغيرهم عن الإقدام على ذلك . كما طلب منه أن يكون أباً حانياً وراعياً صالحاً لشؤونهم وأحوالهم المادية والاجتماعية : فقد أمره بمراعاة متبئلي أهله ومتهجدتهم وصلحاتهم حتى يسد خللتهم ويدر الموارد عليهم ، كما أمره أن يربي اليتامى وأن يعلمهم ويجهلهم يقصدون الكتابات ليتعلموا القرآن الكريم والفرائض ، كما أمره أن يزوج الأيتامى بالكفاهن ، وبكلمة مختصرة أمره أن ينظر إليهم كما ينظر رب الأسرة إلى جميع أفراد أسرته ويهتم بأمورهم جميعاً . كذلك أمره أن ينوب عن والده في نظر المظالم ورسم له طريق النظر في المظالم ، وطلب منه أن يتعاون مع الحاكم في ذلك لا أن يعمل بطريقة معاكسة له .

وطلب إليه أن يهتم بتسيير الحجاج إلى بيت الله الحرام وأن يسهل سبلهم في الذهاب والإياب وأن يوجد لهم المنازل وأن يوردهم المناهل .

وأمره أن يتفقد أحوال المساجد في بغداد وغيرها من البلاد الأخرى وأن ينظر في الاوقاف وأن يصلح أمورها ، كما سمح له أن

يثبت اسمه بعد ذكر اسم أمير المؤمنين على المساجد المستجدة والمصلحة التي يتم ذلك على يده . كذلك سمح له باتخاذ الأعوان والنواب والموظفين في بغداد وبقية الأطراف ، الذين يحتاجهم لأجل القيام بعمله خير قيام . وأخيراً أعطاه سلطة مخاطبة مدراء الشرطة في كل مكان ومكاتبهم من أجل تنفيذ الأحكام التي يصدرها أو يصدرها موظفوه (١) .

وبالجملة فهو سجل حي لمهام تقييب الطالبيين في العصر العباسي . كذلك تمثلت الناحية الايجابية في علاقة العلويين بالعباسيين في تعاون الطرفين في الطعن بنسب الفاطميين الذين حكموا مصر وتقدموا إلى سورية وأصبحوا خطراً يهدد العباسيين في عقر دارهم . فقد أنشئ محضر في بغداد سنة ٤٠٢ هـ في الطعن بنسب الفاطميين وأنهم ليسوا من نسل علي بن أبي طالب وإنما هم ادعياء كذبته ينسبون إلى ديسان بن سعيد الحرمي أحزاب الكافرين ونطف الشياطين . وقد وقع المحضر عدد كبير من المدول من بينهم الشريف المرتضى والرضي وغيرهما من العلويين (٢) .

ولكن الناحية السلبية كانت أبرز خلال ذلك العهد . فقد حصل أول ذلك العهد تقارب بويهي فاطمي ، وذلك زمن عضد الدولة البويهي فقد خضع عضد الدولة ، في إحدى لحظات ضعفه ، لميوله الشيعة وراسل العزيز بالله الفاطمي الذي بدأه بالرسالة وإرسال الرسل ، فرد عضد الدولة التحية بأحسن منها ولقب العزيز بالله بالحضرة المحروسة -

(١) القلقندي . المصدر المذكور آنفاً . ١٠٠ : ٢٤٧-٢٥٤ .

(٢) ابن الجوزي المصدر المذكور آنفاً . ٧٠ - ٢٥٥ .

حرسها الله تعالى^(١) . كما وأن العزيز بالله اهتبل هذه الفرصة وأرسل رسولا آخر ومعه رسالة يشكر بها عضد الدولة على ولائه له ومودته ومعرفته بحق إمامته مما جعل العزيز بالله يسر ويعرف أنه (أي عضد الدولة) لا يعدل عن الحق^(٢) .

ولكن يبدو أن عضد الدولة ، وهو الحاكم القوي ، أدرك خطر مثل هذه المحاورات فتوقف عنها .

كذلك تمثلت هذه الناحية السلبية في ثوران الشيعة المتكرر في بغداد نفسها وتحديدهم الخليفة نفسه ولا سيما زمن القادر بالله الذي حدثت في عهده حادثتان مهمتان في هذا الموضوع : الأولى هجوم المصلين في مسجد براكا في بغداد - وهو وكر الشيعة ومقرهم - على خطيب للمسجد أرسله القادر هناك ليخطب الجمعة فأثارت خطبته جمهور المصلين الشيعة فقتلوه بالأجر وضربوه حتى أوشك على الموت . والثانية الأبيات التي قالها الشريف الرضي العلوي ينعي وجوده ومقامه على الدل في بغداد ، وفي مصر الخليفة العلوي الذي أبوه أبو الشريف وعرقه عرقه ، وهي الأبيات المشهورة المعروفة .

ولم يكن لدى القادر قوة يبطش بها فاضطر أن يكتب إلى جلال الدولة البويهبي المتغلب على بغداد يطلب منه التدخل لوضع حد لمثل هذه الأعمال . وتحوي هذه الرسالة فقرات مما كان يدعو به إمام مسجد براكا مقر غلاة الشيعة لعلي بن أبي طالب وكيف أنه نسب

(١) جمال الدين ، علي بن ظافر . اخبار الدول المنقطعة . تحقيق اندريه فريه . القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٧٢ م . ص ٣٣-٣٤ .
(٢) ابن قفري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين . النجوم الزاهرة . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب . ١٢٤ : ١٢٥ .

له قوى خارقة مما اضطر الخليفة لعزله وتميين شخص من أهل السنة ليحل محله ، ولكن ذلك لم يعجب المصلين فأشاطوا دمه ولم ينقذه منهم إلا وجود أربعة من الأتراك أنقذوه . ويطلب الخليفة من جلال الدولة التدخل وحماية الخطيب ومعاينة المسؤولين ووضع حد لمثل هذه الأمور (١) .

ووصلت إلى مسامع القادر الأبيات التي قالها الشريف الرضي في مدح الفاطميين ويذكر إقامته على الذل في أرض الهوان وما مائل ذلك ، فغضب القادر كل الغضب ، وحق له الغضب ، فقد كان القادر عهد إلى أبي الشريف الرضي بنقابة الطالبين وقلد الشريف الرضي النيابة عن أبيه في النقابة وتسيير الحجيج ، وهي أعلى المناصب المتروكة للخليفة العباسي . ولذلك أرسل إلى والده يعتب عليه ويذكر ما قاله ابنه ويطلب منه معاقبته .

ولعمري لقد صدق القادر عندما قال لوالده : وعساه لو كاث بصر لما يخرج عن جملة الرعية (٢) .

كذلك تمثلت هذه الناحية السلبية في سلوك القرامطة وموقفهم من الخلافة العباسية وموقف الخلافة منهم .

القرامطة وموقفهم من الخلافة العباسية :

فقد أصبح القرامطة خطراً في أواخر القرن الثالث هجري وأول الرابع وهاجموا مكة المكرمة بعد أن أسسوا لهم دويلة في هجر

(١) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . ٨٠ : ٤٢-٤٣ .

(٢) نفس المصدر . ٧٠ - ٢٨٢ .

وأصبحت خطراً يهدد أطراف الدولة العباسية .

ولاندري مدى صحة الكتاب الذي يورده الطبري في تاريخه ويذكر أن فيه تعاليمهم ، ولكن إذا صح ، وهو في الغالب صحيح ، فهذا يعني الاندلاخ التام من الاسلام عقيدة وشريعة ونصاً وروحاً . ومستوى التعاليم منخفض وتلوه المفاهيم القرآنية ، مع تشويه لها وصرف لها عن أهدافها السامية لخدمة وثنية كافرة كاذبة (١) .

كذلك دارت معارك بينهم وبين جيوش الخلافة وكان النصر تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ، وتعطي هذه الرسائل تفاصيل عن سير المعارك وأسماء القواد الذين اشتركوا في قود الجيوش من الطرفين وما شاكل ذلك (٢) . ولكن المضحك في الأمر أن أتباع القرمطي يخاطبونه بأمر المؤمنين والمهدي والقائم بأمر الله وغير ذلك من الألقاب (٣) .

ولعل رسالة أبي سعيد الجنابي إلى المعتضد تمثل أصدق تصوير ترف الجيش العباسي الذاهب لمحاربة القرامطة وشطف عيش هؤلاء ويقظتهم . فقد هزم أبو سعيد جيشاً للخليفة المعتضد وأسر قائده ، ولكنه أحسن للقائد وأعادته برسالة شفوية للخليفة ينصحه بالأل يعاود إرسال الجيوش لمحاربته ... فوالله لو أنفذت إلي جيشك كله ما جاز تظفر بي لأني رجل نشأت في العسف فاعتدته أنا ورجالي ولا مشقة علينا فيه ، وأنت تنفذ جيوشك من الجيوش ، والثلج والريحان ، فيجيبون من المسافة البعيدة الشاقة قد قتلهم السفر قبل قتالنا ، وإنما غرضهم أن

(١) الطبري . المصدر المذكور آنفاً . - ٨ : ١٦١-١٦٢ .

(٢) نفس المصدر . - ٨ : ٢٢٦-٢٢٨ .

(٣) نفس المصدر . - ٨ : ٢٢٤ .

يبلغوا غرضاً من موافقتنا ساعة ثم يهربون ، وإن هم هزموني بعدت
عشرين فرسخاً أو ثلاثين وجلت في الصحراء شهراً أو شهرين ثم
كبستهم على غرة فقتلتهم (١) .

الشؤون الادارية :

تضم الشؤون الادارية عدداً من الوثائق في موضوعات متفرقة ،
بعضها يتعلق بالاضطرابات التي أثارها الخنابلة في بغداد ضد خصومهم ،
وبعضها اقطاع لبعض العمال ، وبعضها محاولات بذلها بعض الخلفاء
للتسكين ثائر قواد الجيش ، وبعضها مراسيم للتدريس في نظامية بغداد
ولتنظيم الفتوة وغيرها .

فقد أثار الخنابلة المشاكل في بغداد وأصبحوا قوة حتى اضطر الخليفة
الراضي بالله أن يصدر منشوراً يندد بهم وبأعمالهم (٢) .

وإن المرء ليعجب للدرك الذي انحدر إليه خليفة كالمقتدر في مخاطبة
خادمه والمسيطر على الجيش مؤنس الخادم ، وذلك لما ثار الجيش
بقيادته ووجه قواده رسالة للخليفة يعددون مأخذهم ويذكرون طلباتهم
«وأما أنت يا أبا الحسن المظفر لا خلوت منك فشيخي وكبيرتي ومن
لا أزول ولا أحول عن الميل إليه والتوفر عليه والتحقق به والإيجاب
له ، اعترض بيننا هذا الحادث أم لم يمترض ، وانتقض الأمر الذي
يجمعنا أم لم ينتقض» (٣) . وإذا أوزنا هذا الكلام وهذا السلوك بسلوك

(١) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . ٥٠ - ١٣٤ .

(٢) ابن الاثير . المصدر المذكور آنفاً . ٨٠ : ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٣) ابن مسكويه . المصدر المذكور آنفاً . ١٠٠ : ١٨٩ - ١٩٢ .

خليفة كالمصور تجاه أبي مسلم الخراساني، أو الرشيد تجاه البرامكة
أمكنا أن نتصور الهوة السحيقة التي انحدرت إليها خلفاء بني العباس في
أوائل القرن الرابع هجري .

كذلك يعجب المرء من صبر وحلم خليفة كالناصر على أحد بماليكه
وهو طغرل الذي أقطعه البصرة ، فقد طالبه الديوان العزيز ببعض
المسال ، ولكن طغرل عوضاً عن أن يمثل للأمر قرر الفرار وترك
البصرة واللجوء إلى أحد الأماكن وبلغ الخبر الوزير فأرسل له رسالة
هي : زيج من عطف وحب ، وإثارة للنزعات الطيبة في نفسه وتذكير
له بالأبيدي السالفة وما ينتظره من تشريد ان هو نفذ عزمه ، وكان
لذلك أثره في ثني طغرل عن عزمه وبقائه في مركزه وعفو الخليفة
عنه (١) .

هذا وإن مرسوم الخليفة الناصر باسناد التدريس في المدرسة النظامية
في بغداد والنظر في أوقافها للقاضي محي الدين محمد بن فضلان دليل
على أهمية هذا المنصب الجليل حتى أن الخليفة نفسه أصدر مرسوماً
بذلك . كذلك يحوي المرسوم ذاته بعض التوجيهات التربوية التي تحمل
نفحة من نفحات توجيه الاسلام الاصيل للربيع نحو النور . فبعد
المقدمات التي لا بد منها وبعد مدح القاضي ابن فضلان وكيف أن
الخليفة ندبه لهذا المنصب الجليل لكفايته وعلمه واستقامته ودينه ،
وبعد أن يوصيه بتقوى الله تعالى يقول :

... وأن يشرح صدره للمتعلمين ولا تأخذه ضجرة من المستفيدين ،
ولا تعدو عيناه عن جهلاء الطالبين ، ولا يتبرم بالمبالغة في قهيم المبتدئ ،

(١) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً . ٨٣ : ٢٦٩-٢٧٤ .

ولا يغفل عن تذكير المنتهي ... وليكن بسائر المتفهمة معتنياً رقيقاً ،
وعليهم حذباً شقيقاً ، يفرع لهم من الفقه ماوضح وتسهل ، ويمين
لهم ماالتبس من غوامضه وأشكال... (١)

ولقد كان الناصر مهتماً كل الاهتمام بالفتوة وأخذها تحت كنفه .
وصدف أن حدث اضطراب بين الفتيان فغضب وقرر تنظيمها وأصدر
مرسوماً يحدد واجباتها ويذكر حقوق الفتيان وواجباتهم وينسب الفتوة
إلى علي بن أبي طالب (٢) .

شؤون الخراج والضرائب :

وإذا وصلنا الى شؤون الخراج والضرائب لاحظنا اهتماماً متزايداً
بقضية أساسية هي الفرق بين السنة الهجرية وإدراك الغلات ، فمن
المعلوم ان الغلات الزراعية تدرك وتجنّى في وقت واحد ثابت من كل
سنة شمسية على حين ان السنة القمرية أقصر من الشمسية بجوالي أحد
عشر يوماً . ومع توالي الايام والسنين أصبح الفرق واضحاً جداً
وأصبح موعد أخذ أموال الخراج والعشور في غير وقت إدراك الغلات
ما أدى إلى مشاكل كثيرة وإلى شكوى دافعي الضرائب . ولذلك
أصدر المعتضد مرسوماً ينص على ألا يفتتح الخراج في كل عام إلا في
شهر حزيران . كذلك أصدر بعده بجوالي ثمانين سنة المطيع لله مرسوماً
آخر من أجل نفس الغاية يمتاز بالوضوح والاطلاع على تقاويم الفرس

(١) نفس المصدر . ح ١٠ : ٢٩٢-٢٩٣ .

(٢) ابن الساعي الخازن ، ابوطالب هلي بن انجب . الجامع المختصر في عنوان
التواريخ وعيون البر . تحقيق مصطفى جواد . بغداد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ،

١٩٣٤ م ، ص ٢٢٣-٢٢٦ .

والروم والعرب وغيرهم ويصحح الأوضاع بشكل جيد كل الجودة .
والذي يلاحظ في هذا الباب هو نكول عدد من الناس عن تسديد
مأجورهم من خراج وبلجوه بعض العمال إلى حبسهم ، حتى ان بعض
هؤلاء العمال أرسلوا إلى رؤسائهم يستأذنونهم ببسط العذاب على هؤلاء
المكلفين كما فعل عامل خراج بادروبا حين أرسل إلى الوزير علي بن
عيسى يستأذنه في بسط يده في عقوبتهم : ومتى لم تطلق اليد في تقويمهم
واستخراجهم منهم ، كسروه وتأسى بهم أهل السواد فبطل الارتفاع . (١)
ولكن الوزير الصالح رفض ذلك وأرسل إلى العامل يقول : الخراج
- عافاك الله - دين ، وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعد في ذلك
إلى غيره ، والسلام (٢) .

ومن الوثائق الطريفة في هذا الباب ما سجله أحد كتاب الدواوين عن
واردات الدولة العباسية - أو بشكل أدق - واردات خزينة الخليفة
الخاصة ، وهو ما يطلق عليه اسم بيت مال الخاصة ، وذلك زمن
المقتدر بالله الذي امتد حكمه حوالي خمس وعشرين سنة من سنة
مائتين وخمس وتسعين إلى ثلاثمائة وعشرين . والغاية من الوثيقة هي بيان
تبذير المقتدر المتناهي ، ولكنها مهمة لنا كل الأهمية لأنها ترينا
مقدار ثروة الدولة العباسية في ذلك الوقت المضطرب والذي حفل
بالثورات والحروب ، وفي وقت انفصلت فيه أغلب الاقطار عن جسم
الخلافة ولم يعد للحكومة المركزية سلطة فعلية الا على شقة ضيقة من
الأرض بالنسبة للسابق . وتذكر الوثيقة انه في مدي خمس وعشرين
سنة دخل خزانة المقتدر الخاصة مبلغ مقداره تسعة وثمانون ألف ألف

(١) ابن مسكويه . المصدر المذكور آنفاً . ص ٣١-١٠ .

(٢) نفس المصدر .

دينار ، أتفق منها بطريقة قانونية ولحاجات ضرورية حوالي بضعة عشر ألف ألف دينار ، فيكون المتبقى نيفاً وسبعين ألف ألف دينار كلها اتلفت (١) .

الثورات والثوار :

ولقد حفل هذا العصر بالثوار والثورات من كل جنس ومذهب ؛ فهناك ثورات العلويين وحركات القرامطة وهناك تصارع المتغلبين على السلطة كالبريدي وابن رائق ، وهناك ثورة الزنج التي كلفت الدولة الملايين وملك بها مئات الألوف ، وهناك وهناك . والملاحظ في بعض هذه الوثائق أنها رسائل بلاغية من الدرجة الأولى ديجت وأصدرها الخليفة من أجل تأمين جماعة من العرب الثائرين ، أو لانتصار المتغلب على الخليفة على شردمة من الثائرين كما فعل الطائع لله عندما وجه رسالته إلى مصاصم الدولة يدعوه لأنه تغلب على أحد الثوار التافهين . وهكذا انحدرت الدولة العباسية ووصلت إلى هذا الدرك .

وإن ثورة البساسيري ضد الخلافة العباسية هي أخطر هذه الثورات وأجدها بالبحث ، ذلك أنها هدفت لإلغاء الخلافة العباسية وإحلال غيرها محلها . وقد قام بها أحد قواد الأتراك الداخلين في خدمة أواخر البويهيين في بغداد واسمه أبو الحارث البساسيري . ذلك أن هذا القائد الطموح استغل فرصة إنشغال طغرلبيك السلجوقي الذي احتل بغداد وأنهى الحكم البويهي فيها بثورة أخيه إبراهيم اينال في خراسان

(١) نفس المصدر . ١٠ : ٢٣٨-٢٤١ .

واضطارره لترك بغداد والتوجه بجيشه إلى خراسان لمحاربة أخيه ، فتحالف مع أمير بدوي من بني عقيل هو قريش واحتل بغداد وأعلننا خلع الخليفة القائم وإنهاء الخلافة العباسية وخطبنا في بغداد بنفسها مدة سنة كاملة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله . ولقد كان من الممكن أن يتغير سير الحوادث لو أن خليفة مصر تمكن أن يقوم بعمل من الأعمال لمساعدة الثائرين ، وعلى الرغم من أنها أرسلنا إليه رسلاً يبلغانه ما حدث ويطلبان منه المعونة والنجدة ، إلا أنه أعارهما أذناً صماء ولم يلب طلبهما ، وذلك واضح من خطاب قريش الذي وجهه إلى البساسيري لما سمع أن طغرلبيك ، بعد أن فرغ من أمر أخيه ، قد توجه بجيشه من جديد إلى العراق لمحاربتهم وإعادة الخليفة القائم إلى مقره ودار خلافته : قد دعوت إلى سلطان على ستائة فرسخ فخدمناه وفعلنا ما لم يكن يظنه ، ومضى لنا ستة أشهر من فتحنا العراق ما عرفنا منه خيراً ولا كتب إلينا حرفاً ولا فكر فينا ، وقد عادت رسلنا بعد سنة وكسر صفراً من شكر وكتاب فضلاً عن مال ورجال . ومق تجدد خطب فما يشقى به غيري وغيرك . والصواب المهادنة والمسألة ورد الخليفة إلى أمره والدخول تحت طاعته وأن يستكتب أمنه^(١) .

ولقد اضطرت الخليفة العباسي ، الذي فقد الحماس والنصير والذي وجد نفسه في وضع حرج كل الحرج ، أن يجد ملجأً لدى أمير بدوي آخر هو مهارش ابن عم قريش الذي أذمه وأمنه حتى رجع طغرلبيك وقتل البساسيري وأعاد الخليفة إلى عرشه خلافته وبدل الخطاب

(١) ابن الجوزي المصدر المذكور آنفاً . ٨ - ٢٠٢ .

الذي وجهه الخليفة القائم إلى مسعود الغزنوي بمناسبة عودته للخلافة وانتهاء محنته على مدى الأهمية التي أعطاها الخليفة لهذا الحادث ، وكيف أن العناية الربانية هيأت له طغرلبيك الذي حطم الكفرة المارقين وأباد جمعهم وأعاد للإسلام بهجته ونضارته وجدد للخلافة بهجتها ورونقها . والكتاب كله مدح لشاهنشاه طغرلبيك وطعن في البساسيري وأنصاره وتصوير الأمر أنه معركة بين الكفر والإيمان والإسلام والإلحاد (١) .

أهل الذمة :

ولقد عاش أهل الذمة تحت كنف الحكومات الإسلامية المتعاقبة عيشة تسامح وحرية ، حتى أن أحوالهم كانت أفضل من أحوال عامة الرعية المسلمة الذين كانوا عرضة للسلب والنهب والاضطهاد وفرض الضرائب الثقيلة . والشيء الوحيد الذي كان يضايق أهل الذمة هو إلزامهم لبس لباس معين يميزهم عن المسلمين . وإن ورود مثل هذه المراسيم ، بين الفينة والفينة ، دليل في ذاته على أن أهل الذمة لم يكونوا يتقيدون بتطبيقه ، فكان الأمر يحتاج إلى صدور مراسيم على مراحل متتامة تلزمهم فعل ذلك ، كما فعل القائم بأمر الله فأصدر مرسومه سنة ٤٢٩ هـ بإلزامهم اللباس المميز لهم (٢) . كذلك كان الخلفاء يصدرون مراسيم ينصون بها على تنصيب رئيس أعلى للمسيحيين في ديار الإسلام ، ورئيس لليهود أيضاً . ولا يعتبر تنصيب الرئيس

(١) القلاشندي . المصدر المذكور آنفاً . ٦٣ : ٤٠٤-٤٠٩ .

(٢) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . ٨٣ : ٩٦-٩٧ .

الروحي للمسيحيين أو اليهود شرعياً أو نافذاً إلا إذا كان صادراً عن الخليفة . فقد أصدر الخليفة القائم بأمر الله أمراً بتقليد عبد يشوع الفطرك جازلياً . ولقد افتتح المرسوم بحمد الله تعالى ومدح الاسلام والصلاة على النبي عليه السلام ، ثم تطرق إلى ذكر الخليفة ومدحه ومدح نسبه وأفضاله ، ثم يذكر أن واجب أمير المؤمنين النظر والرعاية إلى جميع رعاياه بصرف النظر عن أديانهم ، وبعد ذلك يعدد فضائل عبد يشوع التي أهلته ليكون فطركاً لطائفته ، وأوجب على جميع التصاري طاعته وعدم معارضته ، وألا يسمح لإنسان أن يحتل مكانه ، ثم بعد ذلك يذكر وظائفه ومهاته وواجباته وحقوقه ، ويطلب إليه أخيراً أن يحتفظ بكتاب الخليفة هذا حجة ومستنداً شرعياً يرجع إليه إذا اقتضت الضرورة ذلك (١) .

وقد تضمن نفس المبادئ التي تضمنها المرسوم السابق ، في بيان حقوق وواجبات رئيس اليهود في الامبراطورية العباسية ، المرسوم الذي أصدره الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٠٥ هـ ويولي بوجبه دانيال ابن العازر بن هبة الله رئاسة اليهود (٢) . وهذا وحده دليل على الحرية الدينية التي منحت لأتباع الأديان الأخرى ، ودليل على أن هؤلاء الأتباع ورؤساءهم الروحيين كانوا ينظرون إلى الخلفاء العباسيين على أنهم المصدر الرسمي والشرعي لاستلامهم مناصبهم وتوليهم مهامهم .

(١) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً . ص ١٠٥ : ٢٩٤-٢٩٩ .

(٢) ابن الساعي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٢٦٦-٢٦٩ .

العلاقات الخارجية :

نجد ، في حقل العلاقات الخارجية ، أن هذه العلاقات ، تركزت ، أكثر ما تكون المركزية ، مع دولة الروم البيزنطيين ، وأن هذه العلاقات كانت على نوعين : علاقات سلمية وعلاقات حربية .

أما العلاقات السلمية فقد شملت التراسل والتباحث وتبادل الرسل من أجل تبادل الأمرى الذي يسميه المؤرخون المسلمون الغداء ، كذلك التباحث والتراسل من أجل طلب الهدنة من الطرفين . وهناك رسالة مهمة وجهها ملك الروم إلى الأخشيد المتغلب على مصر ، وليس لها هدف محدد إلا التباهي من جهة ، وطلب السماح لملك الروم بتصريف بضائع أرسلها إلى مصر مع رسله وشراء ما يناسب من عروض مصر لأخذها إلى القسطنطينية ، وجس النبض ما إذا كان الأخشيد يوافق على تبادل الأسرى . وقد عرفنا ذلك من جواب الأخشيد للملك .

وأما الناحية الحربية فقد تراجعت بين مسد وجزر ، فقد بدأ المسلمون في أوائل هذا العهد يفقدون تفوقهم الحربي أمام الروم ، وبدأوا يفقدون عدداً من ثغور الجزيرة والشام . وكان الحكم البويهي كارثة في هذا المجال واستشرى خطر الروم ووصل ذروته في حملات نقفور فوكس وتزيمسكيس وباسيل الثاني الذين تمكنوا من احتلال أقسام من بلاد الشام الشمالية وجزيرة كريت ، وأجبروا عدداً من دويلات الشام على دفع الجزية لهم . ولكن هذا الوضع تغير مع قدوم السلاجقة الذين أمدوا الاسلام بدماء جديدة ، وهم الذين أوقفوا المسد البيزنطي أولاً ، ثم بعد هزيمة بدأوا عملية الزحف نحو الأناضول والاستيطان وذلك إثر معركة ملاذكرد التي كانت مصيرية فيما يتعلق بمستقبل

الأناضول ومستقبل علاقات بيزنطة بالإسلام . وعلى الرغم من أن البيزنطيين استردوا قواهم فيما بعد ، أو بالأحرى ، قسماً من قواهم ، وانتمشوا وحاولوا التدخل من جديد في شؤون العالم الاسلامي ، ولا سيما زمن الحروب الصليبية ، إلا أنهم لم يستردوا قط كامل قواهم وأهميتهم السابقة ، وظل هذا الوضع حتى سقوط القسطنطينية بيد محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م .

هذا وأن الفداء قديم بين المسلمين والروم بدأ منذ العصر العباسي الأول واستمر خلال هذا العهد . وعندنا رسالة موجهة من عامل طرسوس إلى الخليفة المعتضد يذكر فيها كيفية إجراء الفداء وذلك سنة ٢٨٣ هـ . ويذكر اسم المتولي له من قبل المسلمين واسم المتولي له من قبل الروم وكيف أن الروم يمجزون عندهم المتولي المسلم ويحجز المسلمون المتولي الرومي ، ويطلق هذان معاً عند انتهاء عملية تبادل الأسرى^(١) .

كذلك كان بعض ملوك الروم يسيء معاملة الأسرى المسلمين ويعذبهم في محاولة منه لإرغامهم على التنصر ، وقد حدث ذلك زمن المقتدر ، وأرسل عامل الثغر إلى علي بن عيسى الوزير يخبره بذلك فطلب الوزير من بطريك انطاكية وجاثليق القدس التوسط لدى القسطنطينية لكف الأذى عن الأسارى . وقد استجاب الأسقفان لطلب الوزير وأرسلوا إلى حكام القسطنطينية يطلبان منهم كف الأذى عن الأسرى وإلا لعنهم وحرمام^(٢) .

ويبدو الأخشيد ، في رسالته الجوابية لملك الروم ، شخصاً ذكياً كل الذكاء وسياسياً بارهاً ومساجلاً من الطراز الأول لملك الروم .

(١) الطبري . المصدر المذكور آتفاً . ٨ - ١٧٦ .

(٢) ابن الجوزي . المصدر المذكور آتفاً . ٦ - ٣٠٣ .

وعلى الرغم من أننا لا نملك إلا نص رسالة الأخشيد ، إلا أنها كافية لبيان مضمون رسالة ملك الروم الذي أرسلها مع رسولين مما نقولا واسحاق . ذلك أن الأخشيد يرد على كل فقرة من فقرات رسالة ملك الروم .

ولقد افتتح ملك الروم رسالته للأخشيد بذكر فضيلة الرحمة وانه بلغه أن الأخشيد رحيم وانه حاكم عادل ، وانه ليس من عادة ملك الروم أن يرسل أحد أتباع الخلفاء ، إلا أنه فعل ذلك الآن حباً في الأخشيد وتواضعاً ورغبة منه في إقامة علاقات جوار طيبة وفي تبادل الاسرى وازدهار التجارة وما شاكل ذلك .

ولقد رد الاخشيد بتوسع على رسالة ملك الروم فقرة فقرة ، وأظهر له أنه - أي الامبراطور - هو الرابح باتصاله بالأخشيد وبدئه في مراسلته ، لأن الأسير المسلم لا ينتظر إلا إحدى الحسينين ، أما الأسير الروسي فأمره مختلف . كذلك يثبت له بالدليل القاطع أن ملوك الروم السابقين كتبوا وراسلوا حكماً مسلمين أقل منزلة من الاخشيد مثل خمارويه بن أحمد بن طولون ومثل تكين . ثم يذكر له أن الممالك التي يتقلدها الاخشيد نيابة عن أمير المؤمنين ويحكمها باسمه أعظم وأهم وأوسع بما لا يقاس من مملكة الروم .

والطف ناحية في هذه الرسالة العظيمة هو رد الاخشيد على فخر ملك الروم أن ملكه باقٍ على الدهر موهوب لهم من الله خاصة ، فقد قال له : إن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده ، وإن الملك كله لله يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويمز من يشاء وينزل من يشاء . وان الله تعالى نسخ ملك الملوك وجبروت المتجبرين بنبوته محمد عليه السلام ، وشفع نبوته بالإمامة وحازها للعترة الطاهرة

من العنصر الذي منه أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ..، وجعلها خالدة فيهم يتوارثها كابر عن كابر^(١).

ثم يوافق على اقتراح ملك الروم بتبادل الاسرى ، ويشكره على حسن ظنه وما يستشعره نحوه من المحبة والمودة ويؤكد له أنه يجد عنده المزيد من المحبة والمودة ، ويعده بتسهيل المتاجر والحصول على البضائع من مصر مادام ذلك لا يحظره دين ولا تمنعه سياسة .

وبالجملة فرسالة الاخشيذ الجوابية مثل طيب على الدبلوماسية الإسلامية الذكية النيرة تجاه الروم بخاصة .

كذلك تمثلت الناحية السامية في علاقات المسلمين بالروم في قضية سكليروس ولجونه إلى البلاد الاسلامية .

ذلك أن سكليروس الذي يسميه المؤرخون المسلمون باسم وردس سقلاروس هُزم أمام منافسه في الحصول على عرش بيزنطة وهرب واضطر إلى اللجوء إلى البلاد الاسلامية . وكان الخليفة آنذاك الطائع لله ، ولكن لم يكن له حول ولا طول وإنما السلطات كلها بيد المتغلبين على الخلافة من آل بويه .

ولقد حاول هؤلاء المتغلبون اللعب بورقة سكليروس هذا ظناً منهم أنها ورقة رابجة ، وساوموا عليه وساوموا معه ، ولكن لم يحصل كبير فائدة من هذا الموضوع ، فهم لم يكونوا في وضع يمكنهم من مساعدته عسكرياً حتى يستطيعوا مطالبته بما تم الاتفاق عليه . وهو نفسه كان عاجزاً عن الرجوع إلى عرش بيزنطة بقواته الذاتية ، ولذلك ظالم الاتفاق الذي عقد بينه وبين خصم الدولة البويهي والذي بموجبه يعد

(١) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٧٠ : ١٠-١٨ .

سكليروس أن يصير حليفاً للعباسيين يوالي من يوالون ويعادي من يعادون ، ويعد أن يسلمهم سبعة حصون شهيرة على الحدود بين البلاد الإسلامية وبيزنطة ، وغير ذلك من الوعود ، أقول ظلت هذه الوعود حبراً على ورق لأن سكليروس عجز عن الحصول على العرش وعجز البويهيون عن مساعدته وانتهى الاتفاق إلى لا شيء (١) .

أما العلاقات الحربية فقد مرت في ثلاثة أدوار : الدور الأول ويمكن أن نسميه دور التوازن ، وذلك عندما كان المسلمون يهاجمون الروم والروم يهاجمون المسلمين ويتناوبون احتلال مدن وحصون الثغور . وأما الدور الثاني فهو دور التفوق البيزنطي الذي تم على أيدي ثلاثة أباطرة هم نقفور فوكاس ، ويوحنا تزييسكيس وباسيل الثاني .

ولدينا من العهد الأول رسالة وجهها المنتصر إلى محمد بن عبد الله ابن طاهر تتعلق بإرسال جيش لغزو الروم بقيادة وصيف . والكتاب عبارة عن دعوة إلى الجهاد في سبيل الله واستنفار للناس للقيام بهذا الواجب المقدس ضد العدو الذي وطئت جيوشه أرض الإسلام (٢) .

ولقد أسفرت حملات نقفور فوكاس ويوحنا تزييسكيس عن احتلال أقسام من شمالي سورية ، ولكن تزييسكيس ، في خطابه الموجه إلى أشوط ملك أرمينية ، ييئس به الخيال جنوحاً خطراً فيصور انتصارات وهمية ، فاحتلاله لنصيبين الصغيرة الواقعة في أقصى شمالي العراق فسره على أنه إخضاع الكل الشرق الفارسي . كما وأنه يسمي الفاطميين الأفريقيين ، وإذا كانت جيوشه وصلت إلى مشارف شمالي فلسطين

(١) نفس المصدر ، ١٤٤ : ٢٠-٢٤ .

(٢) الطبري . المصدر المذكور آنفاً ، ٧ : ٤٠٦-٤٠٨ .

فهذا لا يعني أن فتوحاته اتسعت حتى وصلت إلى مدينة بابلون الكبرى - القاهرة . وهو يعدد أسماء الأماكن التي أخضعها ، وفي سردها اضطراب تارة في الشمال وتارة في الجنوب ، وبعض أخباره تؤيده المصادر الإسلامية والآخر تنفيه نفيًا قاطعاً . والملاحظ هنا هو الروح الصليبية التي كانت تحركه في حروبه ضد المسلمين ، وليست الرغبة في الدفاع عن بلاده أو توسعة حدود بلاده أو غير ذلك من البواعث^(١) .

ويبدو أن تزييسكيس كان يفكر بشن حرب شاملة ضد المسلمين والاسلام ، وأدرك أهمية المبادلات التجارية التي تقوم بها البندقية في تقوية المسلمين ضده وضد مشاريعه فاستعمل نفوذه على البندقية ومارس عليها ضغطاً قوياً جداً حتى أجبرها أن تصدر تعهداً بعدم تصديرها إلى بلاد المسلمين أسلحة أو بضائع يمكن أن تستخدم في صناعة الأسلحة أو أخشاباً تصلح لبناء السفن^(٢) .

ولقد هاجم جيش من الروم بقيادة دمستق يسميه العرب مليحاً منطقة الثغور الشمالية الجزرية فتصدى لهم أبو تغلب الحمداني وأتته النجيدات من عز الدولة البويهى فهزم الروم وأسر بطارقتهم وعلى رأسهم دمستق مليح ، فكان ذلك مناسبة بلاغية أبدى فيها أبو اسحاق الصابي بلاغته الفائقة في شكل خطاب وجهه الخليفة الطائع إلى ركن الدولة عميد آل بويه وعم عز الدولة . والغاية الأساسية إبراز الدور العظيم الذي لعبه عز الدولة في تحقيق هذا النصر^(٣) .

(١) توفيق عمر كمال . مقدمات العدران الصليبي... الطبعة الثانية . القاهرة ، دار

المعارف ، ١٩٦٧ م ١٧٩ - ١٨٦ .

(٢) نفس المصدر . ص ١٨٧ - ١٩٠ .

(٣) نفس المصدر . ص ٢٠٣ - ٢١٠ .

ولكن ميزان القوى انقلب رأساً على عقب عندما أتى السلاجقة، فقد زحفوا على سورية وحرروها بكاملها من الروم وبدأوا يدقون أبواب الأناضول بإلحاح وقوة حتى فتح أمام ضرباتهم ، وكانت معركة ملاذكرد أو منزيكيرت كما تسمى أحياناً الضربة التي فتحت باب الأناضول أمامهم . وعلى الرغم من أن الب ارسلان لم يكن مستعداً للحرب عندما التقى بجيش الامبراطور البيزنطي الذي يفوق جيشه جيش الب ارسلان أضعافاً مضاعفة ، وعلى الرغم من أنه جنح للأسلم وراسل الامبراطور البيزنطي في ذلك فرفض هذا العرض ورفض أن تكون هدنة إلا بالري (١) . أقول بالرغم من كل هذه الظروف المثبطة فإن الب ارسلان وكل الأمر إلى الله تعالى وخاض المعركة بقلب سليم وإيمان صادق ورغبة أكيدة في نوال إحدى الحسينين إما النصر أو الشهادة .

وبدل خطابه لجنوده قبيل المعركة مباشرة على هذه الروح الصادقة ... وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يدعى فيها لنا وللمسلمين على المنابر ، فإما أن أبلغ الغرض أو أمضي شهيداً إلى الجنة ، فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني ، ومن أحب أن ينصرف فليمض مصاحباً عني فما ها هنا سلطان يأمر ولا عسكر يؤمر (٢) ... ولكن جنده رفضوا التخلي عنه وخاضوها معركة من أروع معارك الاسلام ، وحققوا نصراً مؤزراً وأسروا ملك الروم نفسه .

(١) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . ٨ - ٢٦١ .

(٢) نفس المصدر ٨ - ٢٦٢ .

القسم الثاني : الدول المتغلبة

الطولونيون :

إن شخصية أحمد بن طولون هي وحدها التي تستحق أن تذكر من بين جميع الطولونيين الذين تماقبوا على حكم مصر .
ولقد بدأ أحمد بن طولون حياته في خدمة الخلافة العباسية وأثبت أنه شخص ذو قيم منذ اللحظة الأولى ، فقد مُطلب إليه أن يقتل المستعين الخليفة العباسي الذي وضع في عهدة أحمد بن طولون بعد خلعها لقاء تعيينه والياً على واسط ولكنه رفض وأجاب : لا رأني الله قتلت خليفة بايعت له أبداً^(١) . كذلك أثبت منذ أصبح والياً على مصر أنه شخص طموح وعملي ويعرف من أين يأتي الخطر وكيف يدراه وكيف يجرّد منافسيه من قوتهم ومن كل ما يجلب لهم الهيبة والسمة ؛ ذلك أن ابن طولون ولي ولاية مصر نيابة عن باكباك ، وكان ابن المدير عامل خراجها ، وكان شخصاً قوياً وذكياً ، فخاف أن يحاول ابن طولون الاستبداد بحكم مصر فقرر طيه تحت جناحه ، فأرسل له هدية جليلة يوم وصوله غير أن أحمد رفضها . ولكنه لاحظ في نفس الوقت أن ابن المدير يمشي في موكبه وحوله مائة غلام بالسلاح مما يعطيه هيبة عظيمة ، فأراد ابن طولون تجريداه من هذه الهيبة ، فأرسل إليه بعد فترة : قد كنت - أعزك الله - أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها ، فلم نجز تنغم مالك - أكثره الله - فرددناها

(١) ابن تغري بردي . المصدر المذكور آنفاً . ٣٤ - ٦ .

توفيراً عليك ، وأحب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك ، فانا إليهم أحوج منك^(١) .

ولقد حاول منافسو أحمد وأعداؤه جعل الخليفة يخاف جانبه وظلوا يحوكون الدسائس ويحذرون الخليفة المعتمد جانبه وقوته حتى نجحت دسائسهم وأصدر المعتمد أمراً يقضي بعزله عن مهمل بطريقة حسنة^(٢) .

ولكن أحمد الطموح القوي المستعد للأمر لم يأبه لما حصل وظل في مكانه وتمكن أن يكسب رضا الخليفة إذ أخذ جانبه لما نشب الصراع بين الخليفة وأخيه الموفق .

هذا وإن أبرز حادثين أثرا في حياة ابن طولون ولونا سيرته هما صراعه مع الموفق أخيه المعتمد ، وثورة ابنه العباس ضده في أواخر عمره .

وان الصدام بين الموفق وابن طولون متوقع وحتمي لأن كليهما قوي وطموح ، والموفق معتر بأصله ومنصبه ، ويفكر ويسمى لإعادة توحيد الخلافة تحت ظله ، على حين كان ابن طولون يسعى جاهداً للاستقلال وإبراز شخصيته ، ولذلك استعد وأوجد جيشاً ضخماً وجاهول التوسع غرباً وشرقاً . ولقد بدأ الصراع والصدام بين الشخصيتين عندما طلب الموفق مسالاً من ابن طولون فأرسل له مبلغاً زهيداً فلم يكفه وأرسل يطلب المزيد ويقول له : إن الحساب يوجب أضعافه ، فأثار

(١) البلوي ، ابو محمد عبد الله بن محمد . سيرة احمد بن طولون . تحقيق محمد كرد علي .

دمشق ، المكتبة العربية ، ١٣٥٨ هـ . ص ٤٥ .

(٢) نفس المصدر . ص ٥٦-٥٧ .

بذلك غضب ابن طولون وحذره وأراد معالجة الداء معالجة حاسمة ،
ولذلك أرسل إلى الموفق خطاباً يتسم بصفات ثلاث :

أولها النعومة في القول والعتب على الموفق لأنه جعل بهذا الأسلوب
ابن طولون عدوياً وكان بإمكانه جعله ولياً حميماً . . . وكان - أسعده
الله - خليقاً بحسن التخيير له في اختياره مثلي وتصويره عمسده التي
يعتمد عليها . . .

والثانية : إن طلب الموفق غير شرعي لأن أعمال ابن طولون
تابعة للأمير جعفر المفوض ابن المعتمد وهو المشرف على شؤون الجناح
الغربي من الخلافة العباسية . . . وتقليدي ليس من قبله ولا ولايته ،
فإنه والأمير جعفر المفوض - أيدهما الله - قد اقتسما الأعمال وصار
لكل واحد منها قسم قد انفرد به دون صاحبه وأخذت عليه البيعة
تؤديه أن من نقض عهده أو خفر ذمته ولم يف لصاحبه بما أكد على
نفسه فالأمة بريئة من بيعته وفي حل وسعة من خلعه . . .

والثالثة تعريضه بالموفق أنه عجز عن إخماد ثورة الزنج ومحلها
قريب من بغداد وتهديده إياه بالمبايعة لأحد العلويين المنبئين في الآفاق.
ويختتم رسالته بقوله : وما مثل الأمير في أصالة رأيه قصد لمايعة
ألف عنان عدة له فجعلها عدة عليه بغير ما سبب أو جب ذلك (١) .

ثم بعد فترة نشب صراع عنيف بين المعتمد وأخيه الموفق فأراد
ابن طولون استغلال هذه الفرصة لضرب الموفق ضربة قاصمة ، فأرسل
إلى المعتمد يدعوه للحاق به في مصر ويعدده بالنصرة والعز والمنعة (٢) .

(١) نفس المصدر : ص ٨٢-٨٥ .

(٢) نفس المصدر : ص ٢٨١ .

ولكن الموفق كان له بالمرصاد فمنع أخاه من السفر وحجر عليه وعاقب كل من ساعده في هذا المشروع .

ولذلك ثار ناثر ابن طولون واستصدر فتيا من الفقهاء بخلع الموفق من ولاية العهد ، وإنه يحجره على الخليفة قد فارق الطاعة وبرىء من الذمة ووجب جهاده على الأمة (١) .

ولقد رد الموفق التحية بأحسن منها فأمر بلعن ابن طولون على المنابر وتبرأ منه وأظهر كفره وما فعله في حريم المسلمين وثغورهم (٢) والحادثة الثانية الهامة في حياة ابن طولون والتي ختمت حياته أسوأ خاتمة هي عصيان ابنه العباس ضده وهربه مع أتباعه إلى بركة . ولقد حاول ابن طولون معالجة الأمر بالحسنى وأرسل إلى ابنه رسالة شفوية يستعطفه ويستعته ويخاطبه بأرق الألفاظ مثل : يا أقرب الناس إلي وأبرهم لدي ... عن غير إساءة كانت مني إليك ... أيا سبحان الله أما تخاف العقوبة في المعقوق وقاضيا الله جل اسمه فيك ...

ثم أتبع هذه الرسالة الشفوية بأخرى مكتوبة كلها أعتاب وتذكير واستعطاف عله يرجع عن غيه ، ويذكر له أن عصيانه هذا إنما تم بتحرير أشخاص عاقبهم ابن طولون أو صرفهم لإساءتهم فأفسدوا ابنه عليه (٣) .

ولقد أجابه ابنه برسالة حاول أن يبرر انتزاعه عليه وهربه من لده برغبته في أن لا يصطدم بوالده لأن والده بجانب للحق مبتعد عن الحكم بما أنزل الله ، ظالم لا يرقب وجه الله في أحكامه وأعماله ؛ وقد

(١) نفس المصدر ؛ ص ٢٩٥-٢٩٧ .

(٢) نفس المصدر ؛ ص ٢٩٩ .

(٣) نفس المصدر ؛ ص ٢٥٠-٢٥٢ .

احترار الولد إزاء هذا الوضع ، فهو كولد للأمير عليه واجب مساعدته
ومساندته ، ولكنه ، كسلم حقيقي ، واجبه محاربة الطغيان والانحراف
والزيغ . ولما كان لا يستطيع ذلك لكون من سيتصدى لمحاربته أباه ،
لذلك آثر الانسحاب والابتعاد عن والده ، وبذلك يكون قد قام بحق
والده وحق الله تعالى ، وللتدليل على ذلك يقول :

إن فئت ضاع دمى وإن سكت فمثل النار في كبدي (١)

ولما ينس ابن طولون من استصلاح ابنه بالحسنى وبلغه هزيمته أمام
جند برقة وهربه منهم وقدمه إلى الاسكندرية وتحصنه بها أرسل له
رسالة عنيفة تقطر سماً وتقرباً وتوبيخاً وانذاراً ويعدد عليه ذنوبه ،
ولعل أكبرها في رأيه ادعاء ابنه إلتيمات الأمور على أبيه أحمد بن
طولون في الشغل فأتى هو إليه ليصلح ما فسد من أمرها ، ثم ينذره
بالويسل والشبور والحرب حتى النهاية والكتابة إلى كل مكان يصل إليه
سلطان ابن طولون بلغه وثلبه أو يثوب إلى الطاعة ويستسلم لأبيه (٢) .
وأخيراً أرسل ابن طولون جيشاً حارب ابنه وأنصاره وفض جمعه
واعتقله وأتى به إلى والده .

ولقد امتحن ابن طولون بشخصية صلبة أثناء حكمه مصر هي
شخصية القاضي بكار الذي كان لا تأخذه في الحق لومة لائم ولو لاقى
صنوف العذاب من أجل ذلك . ولقد اصطدم مع ابن طولون في أمر
خلع الموفق إذ رفض الموافقة على خلع له لأنه لم يثبت عنده ما ادعاه
عليه ابن طولون فاعتقله فترة ، ثم لما مرض ابن طولون مرض الموت

(١) نفس المصدر . ص ٢٥٦ - ٢٦٠ .

(٢) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً . ج ٧ : ٥ - ١٠ .

أراد إصلاح أمره مع القاضي فأرسل يفرض عليه إطلاق سراحه وبره
على أن يعترف بالخلع ، فأجابته القاضي : يمز علي أن يكون حرصك
على ما تفارقه أكثر من ميلك إلى ما لا بد منه ، وقد أعنتني وأذيتني
لأنك تكلفني الشهادة بالبلاغات التي لا يعد لها الأحكام ، فخف الله في
أمري فإني شيعخ فان وأنت عليل مدنف ولعل التقاءنا بين يدي الله
عز وجل قريب (١)

البويهيون :

يشغل البويهيون حيزاً كبيراً في التاريخ الاسلامي وذلك على الرغم
من أن أثرهم السياسي سلبى بشكل تام ، ذلك لأنهم شيعمة واشتغلوا
بالصراع مع أهل السنة ولم يكن عندهم تصور واضح لمفهوم الحضارة
والدولة بشكل راقٍ ، اللهم إلا عضد الدولة الوحيد من بينهم الذي
اقترب من أن يكون رجل دولة .

ولكن الحضارة الاسلامية وصلت في عهدهم إلى عصر النضج وفتحت
العبريات الاسلامية .

هذا وإن علاقتهم بالخلفاء العباسيين هي علاقة القوي بالضعيف ،
فقد أضعف العصر التركي نفوذ الخليفة وهيبه وسلطته كل الإضعاف .
وأتى العصر البويهي فسلب الخليفة كل سلطة وتحكم فيه كل التحكم ، على
الرغم من أنهم درجوا على تعظيم الخليفة وتقبيل الأرض بين يديه وما
ماثل ذلك ...

(١) الباري . المصدر المذكور آنفاً . ص ٣٣١-٣٣٢ .

ولقد أراد معز الدولة البويهبي إلغاء الخلافة العباسية والمبايعة لأحد العلويين واستشار أصحابه في ذلك ، فكلمهم وافقه إلا نفرأ من ذوي البصيرة منهم نصحه بأن لا يفعل ذلك قائلأ : ليس هذا برأى فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله قتلوه مستعملين دمه . ومقأ جلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك قتلوك (١) . فأعرض معز الدولة عن ذلك .

ولقد كان خلفاء بني العباس يعرفون أنهم مساوون السلطة مع بني بويه ، وإنهم إنما تركوهم لأغراض سياسية ، نجد ذلك واضحأ في رسالة وجهها الخليفة الطائع لله إلى عز الدولة البويهبي الذي ورث حكم والده معز الدولة في بغداد وورث السيطرة والوصاية على الخلافة العباسية .

فقد حدث أن هاجم الروم الثغور الشمالية واحتلوا نصيبين فثار العامة وضغطوا على بختيار عز الدولة من أجل الجهاد ، فوجدها فرصة مناسبة لابتزاز أموال الخليفة ، فأرسل إليه يطلب منه مالأ ينفقه في الجهاد وان ذلك واجب الإمام ، فأجابته الطائع بما يلي :

الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وإلي تدبير الأموال والرجال أما الآن وليس لي فيها إلا القوت القاصر عن كفاي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه ، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابرهم تسكنون به رعاياكم ، فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار وتركتمكم والأمر كله (٢) .

(١) ابن الاثير . المصدر المذكور آنفاً . ج ٨ - ٤٥٢ .

(٢) ابن مسكويه . المصدر المذكور آنفاً . ج ٢ - ٣٠٧ .

هذا وإن تحليلاً لأحد عهود الخلفاء لأحد حكام آل بويه يكشف عن مدى البون الشاسع بين ما يطلب الخليفة من الأمير الاضطلاع به في تصريف أمور البلاد وإدارة العباد وبين ما كان يقوم به ذلك الأمير فعلاً . فعهد الطائع إلى فخر الدولة بن ركن الدولة سنة ٤٣٦٦هـ بتقليده ما كان أبوه يتقلده في بلاد فارس قطعة أدبية بلاغية فنية ويعطي الانطباع أن أمير المؤمنين إنما قلده ذلك لأنه اختاره اختياراً حراً ولما يتمتع به من صفات حميدة وأخلاق رفيعة ودين متين ، إلى جانب مقدرة إدارية وقيادية فائقة . كما وإن العهد يطلق يده إطلاقاً تاماً في جميع الشؤون المالية والادارية والعسكرية والقضائية وغيرها ، ويذكر أسماء الأماكن التي يشملها حكمه : فقلده الصلاة وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والاعشار والضياح والجهنزة والصدقات والجوالي وسائر وجوه الجبايات والعرض والعطاء والنفقة في الأولياء والمظالم وأسواق الرقيق والعميار في دور الضرب والطرز والحسبة في كور همدان واستراباذ والدينور وقرقيسين والايغارين وأعمال أذربيجان وأران والسحاذين وموقان واثقاً منه باستبقاء النعمة واستدامتها والاستزادة بالشكر منها ...

ثم بعد ذلك يفصّل له واجباته بأوامر يسدرها له وأولها تقوى الله تعالى وبيان محاسنها في حكم الآخرين وفي حسن تصريف الامور ، وبعد ذلك يأمره باتخاذ كتاب الله العزيز إماماً يقتدي به في تصريف الأمور كبيرها وصغيرها ، وأن يحافظ على الصلوات المفروضة وأن يؤديها في المساجد الجامعة مع صلوات الجمعة والميدين ، وأن يراعي أحوال مستخدميه ولا سيما الجنود منهم وأن يعاملهم برفق من غير ضعف وخشونة من غير عنف ، وأمره أن يسد ثغور المسلمين وأن

ينعمرها وأن يشحنها بالمقاتلة والمؤن ، وأمره بالعدل في الأحكام والنظر في السجنون وأن لا يتسرع في تنفيذ حكم الاعدام حتى يحصل على موافقة الخليفة ، وأمره أن يعطل ما في أعماله من الخانات والمواخير ، وأن يختار خيار الناس وأكفاهم لتنفيذ هذه المهام . كما وأمره أن ينتبه لمن يمتاز أرضه من العبيد خوفاً أن يكونوا من الآبقين . كذلك أمره أن يرضي على الأحكام والقضاة مهابة وذلك بالشد على أيديهم وتنفيذ أحكامهم ، وطلب منه الاهتمام بجباية الخراج والعشور بشكل لا يهمل حتى بيت المال ولا يعسف على الرعية . كما أمره أن يجلس للشعب جلوساً عاماً أسبوعياً للنظر في شكاياتهم ، وأن يوجد جهازاً صالحاً للتفتيش على الموظفين وقطع دابر الغش والتزوير والسرقة ولا سيما في دار الضرب ، وأن يراعي الحسبة والآداب الشرعية وأسواق الرقيق (١) ..

وبالجملة لم يترك هذا العهد ناحية من نواحي الحكم إلا أكد عليها ونبه عليها ورسم له كيفية السير فيها ، بحيث لو أن صاحبنا فخر الدولة نفذ بعضاً منها لارتفع به ذلك إلى مستوى الولاية العظام وأصبح في العدل قريناً لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولكنه عمل بتقيض هذه الوصايا بندا بندا .

وعلى الرغم من أن واردات الخليفة الخاصة تقلصت كل التقلص ، وعلى الرغم من هزال ما تدره هذه الواردات إلا أنها كانت عرضة ، بين الفينة والفينة ، لهجوم يشنه عليها أمير بويه مفس . فقد أفلس جلال الدولة ذات مرة وطالبه الجند بالمال ، ولم يكن لديه شيء منه

(١) القلغشندي ، المصدر المذكور آنفاً . ج ١٠ : ١٥-١٦ .

فصادر ما جباه وكلاء الخليفة من أموال الجوالي ، فشق ذلك على الخليفة وأرسل يعتب على جلال الدولة وينسبه إلى نقضان العهود والعدول عن العقود ويقول ... فإن ذكر أن ضرورة دعت إلى ذلك فألا راسلنا على الوجه الأجل... (١) . ولكن ذلك لم يؤد إلى نتيجة واعتذر جلال الدولة عن ذلك بأنه نائب عن الخدمة نيابة لا تنتظم إلا بإطلاق أرزاق العساكر . وقد التجأ جماعة من خدمنا إلى الحریم واستعصم به ، حتى أن أحدهم أخذ من تلاعنا في دفعة واحدة تسعائة بدره ونحن نمنع من إحضارها (٢) .

ولقد كانت علاقات البويهيين بعضهم بعضاً سيئة كل سوء وتخللتها الدسائس والحروب والمؤامرات وذلك باستثناء الاخوة الثلاثة المؤسسين ركن الدولة وعماد الدولة ومعز الدولة . ولقد بدأ النزاع بين عز الدولة وعضد الدولة في عهد ركن الدولة والد عضد الدولة . ذلك أن عضد الدولة ساعد ابن عمه عز الدولة في قمع اضطراب قام به الجند ضده في بغداد ، فقد أرسل له جيشاً لمساعدته ، ولكنه اكتشف ضعف عز الدولة وسوء إدارته وكره الشعب له وعدم ولاء جيشه له فقرر أن يحل محله وأن يطرده من بغداد . ويبدو أن نية عضد الدولة هذه كانت معروفة لدى عز الدولة سابقاً ، يدلنا على ذلك خطاب أرسله قبيل ذلك عز الدولة إلى عضد الدولة يعتذر ويتنصل ويبيدي الخضوع ، وإن المرء ليمجب من صدور مثل هذا الخطاب من ند إلى ند . وعلى الرغم من ان الخطاب قطعة أدبية وفنية رائعة ويجوي

(١) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . ٨٣ : ١١٣-١١٤ .

(٢) نفس المصدر .

نصائح كثيرة تظهر فوائده الألفه ومضار الاختلاف ويذكر ان دولة آل بويه مبنية على أسس التراقد والتماضد وموضوعه على قاعدة التوازن والتظافر ، وعلى الرغم من انه هوى الى الحضيض في استعماله عبارات لايحوز أن تصدر من حاكم نظير إلى نظير مثله : ولو وقف بي مولانا الملك الجليل قبل أواخر الجفاء وعطف معي على أول شرائع الصفاء لكانت عريكتي عليه أئين ؛ وطريقه إلى ارتباط طاعتي وولائي اقصد...^(١) إلا أن كل ذلك لم يؤثر في عضد الدولة ولم يثن عزمه . ولذلك لجأ عز الدولة ، بطريقة حمقاء ، إلى أن جعل الخليفة يرسل خطاباً جافاً إلى عضد الدولة بعدد فيه مزايا عز الدولة وتفوقه وسموه بما لا يترك مجالاً للظن ان المقصود بذلك هو عضد الدولة وان الخطاب كله بيان لسمو منزلة عز الدولة واتضاع منزلة عضد الدولة تجاهه . فقد قال الخليفة بعد كلام طويل :

... رأى (أمير المؤمنين) ان من أوجب الحق عنده وألزم الأمر له أن يبين عز الدولة أبا منصور بشعار من الاكرام ... لا يساويه فيها مساوي ، إشارة إلى موقعه اللطيف ... وتميزاً له عن الاكفاء ، وإيقاظ به على النظر ... فجدد له أمير المؤمنين ، مع هذه المساعي السوابق والمالي السوامق ، التي يلزم كل دانٍ وقاصٍ وعامٍ وخاص ، أن يعرف له حق ما كرم به منها^(٢) .

ولقد زاد ذلك من حنق عضد الدولة على عز الدولة وطعمه في ملكه فأقدم على احتلال بغداد ، وهرب منها بختيار وأهله ، ووصل

(١) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً ، ج ٦ ، ص ٥٦٤-٥٦٨ .

(٢) الصائي ، أبو الحسين هلال بن الحسن . رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد .

بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ م . ص ١١٣-١٢٠ .

الخبر إلى أبيه ركن الدولة فغضب كل الغضب وقاطع ابنه وقرر حربه وأرسل له رسالة شفوية تفيض بالولاء لأخيه والحرص على ملك أولاد أخيه : خرجت إلى نصره ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أني نصرت الحسن بن الفيروزان ، وهو غريب عني ، مراراً كثيرة ... حتى إذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها اليه وعدت من غير أن أقبّل منه ما قيمته درهم فما فوقه طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوة . أتريد أن تمن أنت عليّ بدرهمين أنفقتهما عليّ وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ملكهم (١) .

ولكن عضد الدولة أراد أن يصل إلى تسوية سلمية للقضية . فقد أحب بغداد والعراق والسيطرة على الخليفة وأرسل إلى والده مع ابن العميد عدة مقترحات : منها أن يدفع له ثلاثين مليون درهم عن حكم العراق ، وذلك بعد أن حاول اقتناع والده بضعف بختيار وعجزه عن الحكم ، وفي مقابل ذلك لا بأس أن يقطع والده بختيار وأخوته اقطاعات في أملاكه أو في أملاك عضد الدولة في فارس ، ومنها أن يستلم والده نفسه حكم العراق ويضع بختيار مكانه في الري ، ويختم رسالته بالتهديد بضرب رقاب بختيار وأخوته في حال اضطرابه لترك العراق (٢) ،

ولكن والده كان أصلب منه فاضطر عضد الدولة الرضوخ وعاد بختيار إلى بغداد ولكن إلى حين ، فما إن مات ركن الدولة حتى عاد عضد الدولة واحتل العراق وضمه إلى ملكه وطرد بختيار وأخوته . ولقد بُلي عضد الدولة في أولاده بنفس الشيء فقد اختلفوا بعد وفاته

(١) ابن مسكويه ، المصدر المذكور آنفاً ، ٢٣-٣٥٠ .

(٢) نفس المصدر ، ٢٣ : ١٦٩-١٧٠ .

ومحاربوا ونصالحوا ، وفعل نفس الشيء أحفاده حتى انتهى عهدهم على يد السلاجقة .

ولقد امتازت علاقة البويهيين بالمتغلبين الآخرين بكونها عدائية في الأعم الأغلب . وهذا شيء بدهي في مثل تلك الأوضاع حيث لا وازع لدى الحكام من دين أو أخلاق أو ضمير أو مصلحة عامة أو غيرها ، وإنما المحرك الوحيد المصلحة الفردية والمستند القوة المادية والعسكرية ، فتمت سذمت الفرصة لأحد المتغلبين انتهزها ضد زميله أو صديقه أو ... وان قصة الحملات العسكرية التي وجهها البويهيون إلى الموصل لاختضاع الحمدانيين تملأ صفحات كثيرة من تاريخنا . ولكن الطريف ان معز الدولة يأخذ على ناصر الدولة الحمداني ، في إحدى رسائله ، الغدر به والزحف على بغداد في وقت كان فيه معز الدولة مشغولاً في جنوبي العراق ... ثم حصلت في يد وزير الصيمري حصول المستجير الذليل فوفى لك ولو شاء لأسرك واشتمل على بلادك وقلاعك . وظننت انك تعرف لي حق هذه النعمة وتطالب نفسك عليها بالمجازاة فأبيت إلا غدرأ وتقبيحاً في معاملتي (١) .

وإن جواب ناصر الدولة يكشف الهوة السحيقة التي انحدر إليها القوم آنذاك في أخلاقهم ومعاملاتهم فهو يعتذر ويقول : انك قد صدقت في جميع ما عدت ... والله ما كان عن رأي ولا أمرت به ، ولكنني شخ لي أولاد أحداث يخالفوني في تدبيرهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأي لمن لا يطاع (٢) .

وإن المرء ليعجب من حاكم ضعيف مخذول مثل عز الدولة تمكن

(١) نفس المصدر . ٢٥ : ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) نفس المصدر .

من هزيمة حاكم مسلم أضعف منه وأتفه هو أبو تغلب الحمداني واحتل بلده الموصل فنراه يطبل ويتمر ويصيح ويحتفل وكأنه احتل القسطنطينية ، وذلك في رسالة وجهها إلى الخليفة المطيع سنة ٣٦٣ هـ عند احتلاله الموصل. والرسالة قطعة فنية وأدبية وبلاغية ساحرة ، ولكن لا شيء ذا غناء فيها ولم تحدث حتى معركة بين الطرفين وإنما انسحب أبو تغلب واحتل عز الدولة الموصل . وأغلب الرسالة تدور حول سلوك أبي تغلب المنافي للإسلام وتحالفه مع الروم وإهدائه لإيام الخيول والسلاح والخمور والصلبان وما مائل ذلك (١) .

كذلك كان عز الدولة مضطرباً في علاقاته مع عمران بن شاهين حاكم البطيحة . فقد حاربه أولاً ثم هُزم أمامه . ولما أحس بخطور عضد الدولة راسل عمران بن شاهين وأخبره بأغفائه من متبقي الأموال في ذمته وأرسل له هدية وفرنساً وأرسل يخطب إليه إحدى بناته . ويدل جواب عمران على مدى استخفافه بعز الدولة وهوانه عليه . فهو يقبل منه إسقاط الدين المتروك ولكن لا يجمده على ذلك لأنه ساقط ، وهو لا يلبس الملابس ولا يركب الفرس وإنما يعطيها لابنه ، ويرد طلبه تزويجه إحدى بناته ويقول للرسول : قل له : ينبغي أن تتوقر وتترزن ولا تستعمل هذه الخفة والترق . فقد قصدتني محارباً فرجعت عني منهزماً، وقصدت الأهواز فرجعت منهزماً... وأنا أعلم ان أمرك سيتأدى إلى أن تجيئني وتلوذ بي وتحصل عندي وسأذكرك هذا (٢) . . . وقد تم ماتوقه عمران .

أما عضد الدولة الذي تمكن أن يوحد تحت سلطته تراث بني بويه

(١) الفلقشندي . المصدر المذكور آنفاً ٦ : ٤٨٣-٤٩٢ .
(٢) ابن مسكويه ، المصدر المذكور آنفاً ٢ : ٣٢٩-٣٣٠ .

فقد التفت الى اصلاح أوضاع بلاده وتصالح مع صاحب خراسان وآثر
الدبلوماسية على الحروب ، كما يدل على ذلك الخطاب الذي وجهه له
نائبه أبو الفضل الشيرازي لما أخبره عضد الدولة بصالحه مع صاحب
خراسان (١) .

وتدل رسالة عضد الدولة إلى بني عقيل على هيبته وعلى سياسته
في ضبط الأمور وحماية الأموال والاملاك والطرق ، فقد سرق أحد
أفراد بني عقيل أموال الدولة وأخذها لنفسه فطلبه عضد الدولة أشد
الطلب حتى ظفر به ، وتشفع به بنو عقيل فلم يقبل شفاعتهم وإنما
قتله وأرسل يقول لهم : متى لم يضمن أكابركم أصاغركم ويلزموا عهدهم
ويضبطوا الطرق ويحموا مواد الفساد صرفناكم عن ممالكنا (٢) .

السلاجقة :

كانت علاقة السلاجقة الأول ، وأعني طغرلبيك والاب ارسلان وملك
شاه ، علاقة هادئة مع خلفاء بني العباس ، وذلك عائد لقوة السلاجقة
الحكام من جهة ، ولشعور الخلفاء العباسيين بالامتنان لآل سلجوق
لتثبيتهم دعائم خلافتهم من جهة أخرى ، ولم يكرها سوى بعض
الأمر الطارئة . ولكن وفاة ملك شاه وانقسام امبراطوريته بين أولاده
كان إيذاناً بافتتاح عهد من أسوأ عهود التاريخ الاسلامي حروباً وثورات
وانقساماً ومعارك وتطاحنات ؛ ولم يسل عرش آل سلجوق سلطان قوي

(١) الفلقشندي ، المصدر المذكور آنفاً ج ٧ : ٨٢-٨٥ .

(٢) أبو شجاع ، محمد بن الحسين الروذراوري . ذيل تجارب الامم . تحقيق امدرود .

القاهرة ، شركة التمدن الصناعية ، ١٩١٦ م ٣٠-٥٦ .

ولذلك نشب نزاع مرير جداً بين سلاطين آل سلجوق وبين خلفاء بني العباس وأخص بالذكر المسترشد والراشد . ولقد كان من الممكن أن يتغير مجرى التاريخ الاسلامي العباسي لو قيض لأحمد هذين الخليفين أن ينتصر في حروبه ومعاركه ضد السلاجقة ، ولكنها انزما ولاقيا حتفهما في ظروف وصفت أنها غامضة . ثم ضعف آخر السلاجقة كل الضعف وتمكن خلفاء بني العباس أن يستقلوا بحكم بغداد وقسم من العراق ، وظلوا أحراراً في حكمه حتى سقوط بغداد بيد المغول .

ولقد كان الشغل الشاغل لطغرلبيك بعد القضاء على ثورة أخيه في خراسان إعادة الخليفة القائم إلى سدة خلافته والقضاء على البساسيري ، ولذلك أرسل إلى قريش بن بدران ، وهو الأمير البدوي الذي ثار ضد الخليفة مع البساسيري ، يعرض عليه توليته العراق بأسره لقاء إتيانه بالخليفة سالماً معززاً مكرماً ، أو السماح لمن يرسله طغرلبيك أن يأتي بالخليفة في أمان . وهو قد أظهر احتراماً تاماً لقريش وبدأه الخطاب بقوله : إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش ابن بدران^(١) .

ولقد حاول قريش أن يجر المغانم لنفسه وأن يضمن العفو عن جريمته ولذلك أجاب طغرلبيك بالخضوع ، وبنفس الوقت كتب إلى ابن عمه مهارش - الذي أضاف الخليفة لديه - يطلب منه أن يسلمه الخليفة حتى يَكفه المساومة عليه وجبر المغانم له ولابن عمه ولكن ابن عمه رفض ذلك^(٢) .

(١) ابن الجوزي ، المصدر المذكور آنفاً ، ج ٨ ، ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٨ - ٢٠٦ .

ولقد تعكر صفو العلاقات بين طغرلبيك والقائم ، وذلك إثر رفض الخليفة تزويج ابنته من طغرلبيك الذي خطبها إلى أبيها ، وحدث اضطراب في بغداد وأوشكت الفتنة تنشب أظفارها ، وكذلك استاء طغرلبيك من هذا الرفض وأرسل إلى قاضي القضاة يقول : هذا جزاء من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وأنفقت أموالاً في نصرته وأهلكت خواصي في محبته (١) .

ولقد وقعت نفرة بين ملك شاه والخليفة المقتدي فطلب ملك شاه من الخليفة أن يبادر ببغداد فوراً ، وعلى الرغم من أن الخليفة طلب الإمهال شهراً إلا أن السلطان رفض ذلك ، ثم توسط الوسطاء بين الطرفين فأمهله مدة ، وتوفي السلطان قبل انتهاء الأجل (٢) .

كذلك نشب خلاف بين المستظهر وبركياروق : ذلك أن هذا الأخير ضاقت أحواله المادية فقرر مصادرة وزير الخليفة الغني ابن جهير . ولكن الخليفة أرسل إلى بركياروق يقول : ... فلا يفرك إمساكنا عن مقابلة الفلتات ، فوسق السالف من الآباء المتقدمين بحكم رب السماء لئن قصر في أن يعاد شاكرأ وبالحياء موفوراً لنفعلن (٣) . ولقد حاول المسترشد التحرر من وصاية السلاجقة ، وصدف أن نشب خلاف بين السلطان السلاجوقي مسعود وبين ثلاثة من أبرز قواده فانفصلوا عنه وأرسلوا للخليفة يجرؤونه على الخروج معهم ويعدون له النصر ، ووافق المسترشد على ذلك وأرسل يقول لهم : كونوا على ما أنتم عليه فإنا صائر إليكم (٤) .

(١) ابن الأثير ، المصدر المذكور آنفاً - ١٠ - ٢٢ .

(٢) ابن الجوزي ، المصدر المذكور آنفاً - ٩ - ٦٢ .

(٣) نفس المصدر - ٩ - ١١٢ .

(٤) نفس المصدر ، - ١٠ - ٤٣ - ٤٤ .

ولقد حاول المسترشد ضرب السلاجقة بعضهم ببعض فاتفق أولاً مع السلطان محمود ضد طغرل ، ولكن السلطان سنجر سلطان خراسان وعم السلاطين المتنازعين أدرك نية الخليفة وأرسل إلى محمود يحذره الخليفة ويقول له : أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك ، فإذا اتفقتما عليّ فرغ مني وعاد إليك فلا تلتفت إليه (١) .

ولقد نشبت الحرب بين الخليفة المسترشد وحزبه والسلطان مسعود ، وهُزم الخليفة وأمر هو نفسه ، ويبدو أنه حدثت ، في نفس الوقت الذي كان فيه الخليفة مأسوراً لدى السلطان مسعود ، عوارض طبيعية من رياح وعواصف وبروق وزلازل حتى خاف السلطان سنجر من هذا الوضع وأرسل إلى ابن أخيه يطلب منه اطلاق سراح الخليفة وإعادته إلى مستقر عزه وأن يسلم إليه ديبساً ، ويطلب إليه التعجيل وأن ينصب له السرادق ويحمل له الفاشية كما كان يفعل سلاطين السلاجقة السابقون مع الخلفاء الماضين (٢) .

وهذا الكتاب وحده دليل قاطع على ما تأصل في أذهان الناس آنذاك من قدسية الخلافة العباسية وحمايتها حماية أزلية من الله تعالى ، وإن كل ما حدث انذار رباني لمن مس قدسية الخليفة أدنى مساس حتى يرعوي عن غيه ويشوب إلى رشده ، كما وأن سنجر يذكر في رسالته أن المساكر تغيرت عليه وامتنع الناس عن الصلاة في الجوامع وكسرت المنابر بما يعزز رأينا في تعزز وتأصل فكرة الحماية الإلهية للخلافة العباسية وإن كل من مسها بسوء قصمه الله ، مما سيكون له

(١) نفس المصدر ، ٩٣ : ٢٥٤-٢٥٥ .

(٢) نفس المصدر ، ١٠٣ : ٤٧-٤٨ .

أثر واضح في موقف الخليفة المستعصم من هولاء من بعد فترة ليست طويلة .

وعلى الرغم من ان الخليفة المسترشد أطلق سراحه إلا انه اغتيل بيد الباطنية وحل محله الراشد الذي تابع النضال ضد البيت السلجوقي . فقد أرسل السلطان مسعود جيشاً إلى بغداد ليحصل من أهلها خمسمائة ألف دينار وليحصل من الراشد سبعمائة ألف دينار كان المسترشد تعهد بدفعها له ، ولكن الخليفة رفض مطالب قائد الجيش وأرسل يقول له : أما الأموال المضمونة فإنما كانت لإعادة الخليفة إلى داره سالماً وذلك لم يكن وأنا مطالب بالثأر . وأما مال البيعة فلعمري الا أنه ينبغي أن تعاد إليّ أملاكي واقطاعي حتى يتصور ذلك . وأما ماتطلبونه من العامة فلا سبيل اليه ، وما بيننا إلا السيف^(١) .

ولسوء الحظ هزم الراشد وحزبه ودفع هو دمه ثمناً لذلك .

كذلك ساءت العلاقات بين المقتفي الذي خلف الراشد والسلطان مسعود وذلك فور تسلمه الخلافة . ذلك ان السلطان كان شرهاً الى المال وبجاجة اليه ، فأرسل يطالب الخليفة بمائة ألف دينار ، ولكن الخليفة أجابه انه لا يمتلك درهماً واحداً وذلك لأن السلطان أخذ جميع محتويات دار الخلافة بما فيها الأثاث ، وتصرف بدار الضرب ودار الذهب والتركات والجوالي . ولذلك ليس أمامه إلا أن يسلم الدار للسلطان ، لأن الخليفة عاهد الله أن لا يأخذ حبة واحدة ظلماً^(٢) .

ومن المشاكل التي تعرض لها البيت السلجوقي مشكلتان : الأولى منها

(١) نفس المصدر - ١٠٥ - ٥٤ .

(٢) نفس المصدر - ١٠٥ - ٦٦ .

تتعلق بتحديد صلاحيات الوزراء ، والثانية مشكلة الباطنية الذين استفحل أمرهم كل الاستفحال وأصبحوا خطراً كبيراً .

ولقد كانت المشكلة الأولى تطل برأسها حين وجود وزير قوي يستبد بالأمور ويحاول السلطان إيقافه عند حده . وهذا ما حصل بين نظام الملك والسلطان ملك شاه ، ذلك ان نظام الملك سلم المناصب الهامة لأولاده وأحفاده وأنصاره . وصدق أن أساء أحدهم معاملة أحد خالصاء السلطان ، وهناك كثيرون ، ولا بد ، حرضوا السلطان ضد الوزير ودسوا لديه عليه وأوغروا صدره ضده حتى أرسل إليه رسالة يطلب منه ، باعتباره نائبه لا شريكه ، أن يلزم حد التبعية . ولكن نظام الملك الذي آلمه وجود السلطان ونكرانه لجهوده في خدمة البيت السلجوقي أجاب جواب إنسان معتمد بمركزه : إن كنت مساعلمت اني شريكك في الملك فاعلم فإنك مانلت هذا الامر إلا بتدبيوي ورأيي . . قولوا له عني : ان ثبات تلك القلنسوة معدوق بهذه الدواة . . . فإن عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه^(١) . . .

وإن المرء ليعجب لجرأة هذا الوزير وصدق حسده إذ لم يمض أسبوعان على اغتيال نظام الملك حتى مات ملك شاه .

وأما قضية الباطنية فهؤلاء انتشروا في طول البلاد الاسلامية وعرضها: في سورية والعراق وبلاد خراسان وفارس وما وراء النهر ، وكان مركزهم الرئيسي قلعة الموت في فارس . وقد حاربهم جميع الملوك على درجات متفاوتة من النجاح . ولقد تمكن السلطان محمد السلجوقي سنة ٥٥٠ هـ من احتلال قلعة شاه ذر واستأصل الباطنية منها ، وهي من

(١) ابن الأثير ، المصدر المذكور آنفاً ج ١٠ : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

أضحخ قلاع الباطنية وأقواها وأمنعها ، وكان الباطنية فيها برئاسة ابن عطاش يؤذون المسلمين إيذاءً شديداً فتمكن السلطان محمد من فتحها وأرسل خطاباً إلى وزير الخليفة يبشره بذلك ويذكر له كيف تم الفتح وكيف أسر ابن عطاش وصلب فيما بعد وكيف هدم القلعة . ولكن الملاحظ هنا هو وجود موظفين لدى السلطان على مستوى عالٍ كان ضلعمهم مع الباطنية وكانوا ينقلون اليهم الاخبار حتى اضطر السلطان إلى الخلاص منهم والبطش فيهم (١) .

كذلك أرسل السلطان محمد نفسه رسالة إلى الب ارسلان بن رضوان ملك حلب يطلب منه فيها أن يقتل الباطنية ويقول له : كان والدك يخالفني في الباطنية وأنت ولدي فأحب أن تقتلهم (٢) .

ولقد تشبه السلطان محمد السلجوقي بالخلفاء فأصدر العهود بتولية الحكام الأقاليم . من ذلك مرسومه باطلاق يد طغتكين في بلاد الشام سنة ٥١٠ هـ . والملاحظ ان طغتكين كان أتباعاً لأمير سلجوقي في دمشق ثم اغتصب الحكم منه ، ولذلك كان يهيمه أن يصدر مثل هذا التقليد عن سلطان سلجوقي حتى يضيفي صفة الشرعية على ملكه ، علماً ان هذا المرسوم ليس له أية قيمة عملية سوى ماذكرنا ، لأن كل ماورد في المرسوم كان طغتكين قد حصل عليه سابقاً . كذلك تشبه السلطان بالخلفاء من حيث توصياته لطغتكين وأوامره له بتقوى الله تعالى وشحن الثغور وجهاد العدو والصبر عند اللقاء . وأن يوطد الأمن في بلاده وأن يرفق

(١) ابن القلانسي ، ابريلى حمزة . ذيل تاريخ دمشق ... تحقيق امدرود . بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م . أعادته مكتبة المثنى ببغداد طبعة بالافست . ص ١٥٢-١٥٦ .

(٢) ابن العديم . زبدة الحلب من تاريخ حلب . تحقيق سامي الدهان . دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٥١ م . ج٢ - ١٦٨ .

برعاياه أتم رفق ويرعاهم أحسن رعاية وأن يعدل بينهم ، الى غير ذلك من الامور (١) .

الغزنويون :

الغزنويون هم الحكام الذين جعلوا غزنة عاصمة لهم وحاربوا آل سامان في خراسان وحلوا محلهم في حكمها . وإن أبرز وجوه عندهم هو السلطان محمود الغزنوي صاحب الغزوات المشهورة في الهند وغيرها . وهو الذي حطم بيوت الأصنام وأخذ أماكن النيران وجاهد في الله حق جهاده وجعل الهند مكاناً طيباً لفتوحاته وحروبه . وقد كان من أهل السنة والجماعة ولذلك كان يهيمه كسب تأييد الخليفة العباسي ورضاه وشرعيته . وقدل رسالته التي أرسلها إلى الخليفة القادر بالله لما فتح خراسان وأزال حكم ورسم آل سامان عنها على هذه الروح . فقد أنهى حكم السامانيين وذلك بعد حروب متصلة . وصور في خطابه الحرب والفرق والقواد وتوزع الجنود أفضل تصوير . كما وأنه أظهر نفسه وجنده بمظهر المؤيدين بالعناية الربانية . أما الطرف الآخر فقاجر داعر . ولذلك كانت النتيجة حتمية وصفت بلاد خراسان كلها لحكم محمود الغزنوي : وكتابي هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة وجعل منابرها تذكر اسمه متباهية وكلمة الحق عالية (٢) ...

كذلك تابع محمود الغزنوي بعد ذلك رسالته إلى الخليفة القادر يبشره فيها بفتوحاته في الهند ويفصل كيفية سير الحملات وعدد الفرسان والرجالة والغيلة ويذكر انتصاراته وعدد من اعتنق الاسلام من الوثنيين (٣) .

-
- (١) ابن القلانسي . المصدر المذكور آنفاً . ١٩٣-١٩٧ .
(٢) الصابي ، أبو الحسين . المصدر المذكور آنفاً . ٣٤١-٣٤٥ .
(٣) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . ٧٥ : ٢٩٢-٢٩٣ .

والملاحظ في رسائل السلطان محمود إلى الخليفة القادر مبالغة لاندرى كيف نعلها . ففي إحدى رسائله يذكر فتحه قلعة كبرى في الهند تتسع لخمسة آلاف إنسان وخمسة فيل وعشرين ألف دابة (١) . ولكن الأعجوبة حقاً هو الطائر الذي تدمع عيناه إذا كان موجوداً في مكان وقدم في ذلك المكان طعام مسموم . وهذا الطائر إحدى هدايا ملك تلك القلعة للسلطان .

والشيء الذي يذكر لهذا السلطان بالتقدير العظيم هو تحطيمه الاصنام وإيمانه المطلق والصحيح بالله تعالى وحده ؛ هذا الإيمان الذي جعله لا يعبأ بما تردد عن الصنم سومنات من معجزات وذلك على الرغم من ان كثيراً من الناس فتنوا به وكانوا يقصدونه من كل فج عميق من أجل الكرامات ، ولذلك قصده بالرغم من المشقة الهائلة التي لقيها في الطريق والصعوبات التي صادفها حتى وصله وهناك تمكن من تحطيمه وتخليص الناس من عبادة الوثن (٢) .

كذلك لم ينس محمود جهاد الباطنية وكان له باع طويل في حربهم واستنصاهم كما فعل في الري سنة ٥٤٢٠ هـ عندما اعتقل رؤوسهم وعامتهم وجلتهم وصلبهم على جانبي شوارع الري وأراح الناس من شرهم (٣) . فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين من ملك مجاهد عظيم له أياد بيضاء في نصر الاسلام والمسلمين وقمع الزنادقة والباطنية والملحدين . ولم يتميز أحد من خلفائه بشيء من مقدرته أو ذكائه أو حيويته وبعد فترة زالت مملكته وورثها السلاجقة . وهكذا حال الدنيا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

(١) نفس المصدر . ٨٣-١٣ .

(٢) نفس المصدر . ١٠ : ٢٩-٣٠ .

(٣) نفس المصدر . ٨٣ : ٣٨-٤٠ .

المغول :

المغول أقوام من العنصر الأصفر أصلهم من منغوليا وإليها ينسبون ، وقد أصبحوا قوة كبرى في أواخر القرن السادس الهجري على يد زعيمهم جنكيز خان ، ثم بعد ذلك بدأوا بالتوسع غرباً فكانت البلاد الإسلامية المرح الرئيسي لنشاطهم ، وبلغ نشاطهم ذروته في سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ على يد هولاكو ، واحتلوا العراق وتقدموا غرباً فاحتلوا سورية وهددوا مصر ، ولكن معركة عين جالوت أنقذت العالم كله من شرهم فهزم المغول لأول مرة في التاريخ وتراجعوا عن سورية وتمركزوا في العراق وما وراءها من البلاد .

ولقد كان المغول منظمين حتى في تخريبهم وتدميرهم وهمجيتهم وكان مهمهم إيجاد امبراطورية وحكمها حكماً وراثياً . وكانوا يعتقدون أنهم نواب رب السماء كما كان يدعي جنكيز خان في مفتتح رسائله إلى الملوك . من نائب رب السماء مسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب قان قان (١) .

كذلك أحس المسلمون بخطرهم الداهم وأنهم يقصدون إبادة المبدأ وتخریب البلاد . فقد ورد في رسالة أرسلها أحد تجار الري ، وهو مجهول الاسم ، إلى أصحابه بالموصل سنة ٦٢٧ هـ يحذرهم الاستخفاف بالمغول ويقول لهم : لاتظنوا أن هذه الطائفة التي وصلت إلى نصيبين والخابور ... كان قصدهم النهب ، إنما أرادوا أن يعملوا هل في البلاد من يردم أم لا ، فلما عادوا أخبروا ملكهم بخلو البلاد من ممانع

(١) ابن كثير ، اسماعيل . البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة ، المطبعة السلفية ،

١٩٣٢ . ١٥٦-١٣٣٠

ولمذافع... فقوي طمعهم ولم في الربيع يقصدونكم وما يبقى عندكم
مقام، إلا إذا كان في بلد الغرب، فإن عزمهم على قصد البلاد جميعها،
فانظروا لأنفسكم (١).

ولقد افتتح هولاء حملاته على بلاد فارس والعراق بقصد قلاع
الملاحدة كالموت وغيرها ووجه نداءً إلى جميع حكام إيران - ومن
جملتهم الخليفة العباسي - طالباً منهم ، بناء على أمر القآن أن يمدوه
بالجيوش والمساعدة لإخضاع هذه القلاع واستئصال هذه الطائفة (٢).
ولقد تقم هولاء على الخليفة عدم تلبية طلبه بهذه المناسبة . ولما زحف
سنة ٦٥٥ هـ إلى بغداد أرسل قبل الحرب رسالة له يهدده ويعاتبه على
عدم تلبية طلبه ويطلب منه الخضوع . ولم يفت هولاء أن الخليفة
سليل أسرة عريقة وأبيته من أسرته ، ولذلك قال له : ومهما تكن
أسرتك عريقة وبيتك ذا مجد تليد، فإن لعان القمر قد يبلغ درجة
ينبغي معها نور الشمس الساطعة . ثم يذكر له ما فعله الجيش المغولي من
عهد جنكيز خان حتى عهده هو بالأمر السلجوقية والخوازمية والأتابكية
وغيرهم ، ويختم رسالته بطلب حضور الخليفة شخصياً لمقابلته ، وإذا تعذر
ذلك فليرسل الخليفة عنه الوزير وسليمانشاه والدواتدار ليلفوا الخليفة
رسالة هولاء له ، ويعده ، في حال خضوعه ، بإبقاء حكمه ومملكه له
وعدم التعرض لدولته وينذره الدمار والفناء والموت إن عصى (٣).

ويدل جواب الخليفة له على نفسية شخص واثق من نفسه كل الثقة

(١) ابن الاثير . المصدر المذكور آنفاً . ١٢٥-٥٠٣ .

(٢) الممذاني ، رشيد الدين فضل الله . جامع التواريخ... تعريب محمد صادق نشأت
ومحمد موسى هنداري وفؤاد عبد المعطي الصياد . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي .
٢٤٠-١٢٠ ق .

(٣) نفس المصدر . ٢٤٠ ، ١ ق : ٢٦٧-٢٦٨ .

وأن العناية الإلهية التي حرسَت الخلافة العباسية أكثر من خمسمائة سنة
ستحرسها الآن ، وسيقيض لها من ينقذها من محنتها كما أنقذها سابقاً .
ويقول له : إن كل فرد يؤمن بالله ، مهما تكن رتبته أو جنسه أو عمره
أو مهنته ، جندي له ، وإنه إذا أشار اجتمع الجميع تحت إشارته
ولبوا نداءه ، ويبيدي له أنه مستعد للحرب والطمان (١) . وعلى الرغم
من غضب هولاء هذه الرسالة إلا أن الخليفة أرسل له رسالة ثانية
يؤكد فيها حقه وأن العناية الإلهية الربانية تكلاً وترعاه ، وأنه كلما
هجم باغٍ على الخلافة لإزالتها أنقذها الله من براثنه وقيض لها من
ينصرها ، وإن هذا البيت باقٍ إلى يوم القيامة . وهو يذكره بحوادث
التاريخ العباسي من لدن عهد الصفار والبساسيري إلى السلطان محمد
السلجوقي إلى خوارزمشاه ، وما حاولوه من عدوان وكيد وكيف أن
الله تعالى دمرهم تدميراً . ونحب أن نؤكد هنا أن هذه المعلومات
 والمراسلات لا وجود لها في المصادر العربية وإنما نستمدّها من كتاب
الهمداني الذي ألف أصلاً بالفارسية ونقل إلى العربية . كما وأن الخليفة
يرتكب بعض الأخطاء التاريخية فيما يتعلق بالصفار والبساسيري ، ومع
ذلك يبدو لنا أن الخليفة كان مقتنعاً كل الاقتناع بذلك وأن العناية
الإلهية تحرسه وستنقذه من براثن هولاء . ولكنه كان مخطئاً في ذلك
هذه المرة ودفع هو وأسرته وأهل بغداد والمسلمون جميعاً ثناً باهظاً
جداً لهذا التواكل والتخاذل .

* * *

(١) نفس المصدر . ص ٢٠ ، ق ١٠ : ٢٦٩-٢٧٠ .

القسم الثاني

وثائق الحكومة المركزية الخلافة والخلفاء

١ - المنتصر ٢٤٧ - ٢٤٨ هـ / ٨٦١ - ٨٦٢ م

١ - نص البيعة التي بايعه بموجبها الجند العامة والخاصة :

بسم الله الرحمن الرحيم . قبايعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين
بيعة طوع واعتقاد ورضا ورغبة وإخلاص من سرائركم ، وانسراح من
صدوركم ، وصدق من نياتكم ، لا مكرهين ولا مجبرين ، بل مقرين
عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من طاعة الله وتقواه وإعزاز دين
الله وحقه ، ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة ولمّ الشعث
وسكون الدماء وأمن العواقب وعز الأولياء وقمع الملحدين على أن
محمد أ الإمام المنتصر بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته
والوفاء بحقه وعقده ، لا تشكرون ولا تدهنون ولا تميلون ولا تترابون
وعلى السمع له والطاعة والمسألة والنصرة والوفاء والامتقاة والنصيحة
في السر والعلانية والخوف والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله
الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين ؛ وعلى أنكم أولياءه وأعداءه

أعدائه من خاص وعام وأبعد وأقرب ؛ وتتمسكون ببيعتهم بوفاء العقد
وذمة العهد ، سرائركم في ذلك مثل علانيتكم ، وضمائرکم مثل ألسنتكم ،
راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجلكم وآجلکم ، وعلى إعطائكم
أمير المؤمنين بعد تجديدهم ببيعتهم هذه على أنفسكم وتأكيدكم إياها في
أعناقكم ، صفقة إيمانكم ، راغبين طائعين عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم
ونياتكم ، وعلى أن لا تسعوا في نقض شيء مما أكد الله عليكم ، وعلى أن
لا يميل بكم بميل في ذلك عن نصره وإخلاص ونصح وموالاته ، وعلى أن
لا تبدلوا ولا يرجع منكم راجع عن نيته وانطوائه الى غير علانيته ،
وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتكم بها ألسنتكم وعهودكم بيعة يطلع الله
من قلوبكم على إجتباؤها واعتقادها ، وعلى الوفاء بذمته بها ، وعلى إخلاصكم
في نصرتها وموالات أهلها ، لا يشوب ذلك منكم دغل ولا ادهان ولا
احتيال ولا تأول حتى تلقوا الله موفين بعهده ، ومؤدين حقه عليكم غير
مستشرفين ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما
يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ،
ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ، عليكم بذلك وبما
أكدت هذه البيعة في أعناقكم وأعطيتكم بها من صفقة إيمانكم ، وبما
اشتراط عليكم بها من وفاء ونصر وموالات واجتهاد ونصح ، وعليكم عهد
الله ، إن عهده كان مسؤولاً ، وذمة الله وذمة رسوله وأشد ما أخذ على
أنبيائه ورسله وعلى أحسد من عباده من متأكد وثائقه أن تسمعوا
ما أخذ عليكم في هذه البيعة ولا تبدلوا ، وأن تطيعوا ولا تعصوا ، وأن
تخلصوا ولا ترتابوا ، وأن تتمسكوا بما عاهدتم عليه تمسك أهل الطاعة
بطاعتهم ، وذوي العهد والوفاء بوفائهم وحققهم ، لا يلفتم عن ذلك
هوى ولا بميل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدى ، باذلين في ذلك

أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة بما جعلتم على أنفسكم لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها ، فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه مسراً أو معلناً ، أو مصرحاً أو محتالاً ، فأدهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذت به موثيق أمير المؤمنين وعهود الله عليه ، مستعملاً في ذلك الهوننا دون الجدد ، والركون إلى الباطل دون نصرته الحق ، وزاغ عن السبيل التي يعتمهم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم ، فكل ما يملك كل واحد ، ممن خان في ذلك بشيء نقض عهده ، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محرم عليه ان يرجع شيء من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدمها لنفسه أو يحتال بها ، وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يحل قدرها فتلك سبيله إلى أن توافيه منيته ويأتي عليه أجله ؛ وكل مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله ، ونساؤه في يوم يلزمه الحنث ومن يتزوجه بعدهن إلى ثلاثين سنة طواق البتة طلاق الحرج والسنة ، لا مثنوية فيه ولا رجعة ؛ وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ، وهو بريء من الله ورسوله والله ورسوله منه بريئان ، ولا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . والله عليكم شهيد ، وكفى بالله شهيداً .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤

٢- نص الكتاب الذي وجهه كل من أبي عبد الله المعتز وإبراهيم المؤيد إلى أخيها الخليفة أمير المؤمنين المنتصر يخلعان فيه نفسيهما من ولاية العهد التي جعلها لهما من بعده أبوهما المتوكل على الله .
خاف الأتراك ، الذين قتلوا المتوكل بمساعدة ولده المنتصر ووضعوه

مكانه ، أن يلي بعد المنتصر أحد أخويه فيحاول الانتقام منهم لما فعلوه بأبيه ، فظلوا بالمنتصر حتى جعلها يخلعان نفسيهما من ولاية العهد ، ووجه كل منها كتاباً بهذا المعنى إلى المنتصر هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . إن أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه قلدي هذا الأمر ويبيع لي وأنا صغير من غير إرادتي ومحبي . فلما فهمت أمري علمت أنني لا أقوم بما قلدي ولا أصلح لخلافة المسلمين ؛ فمن كانت بيعتي في عنقه فهو من نقضها في حبل ؛ وقد حلتكم منها وأبرأتكم من إيمانكم ، ولا عهد لي في رقابكم ولا عقد ، وأنتم براء من ذلك .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ - ٤١٠

٣ - رسالة المنتصر إلى عماله بخلق أخويه المعتر والمؤيد من ولاية العهد ، وهي موجهة إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين ، وذلك في صفر سنة ٢٤٨ هـ .

من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، أما بعد : فإن الله ، وله الحمد على آلائه والشكر يجميل بلائه ، جعل ولاية الأمر من خلفائه القائمين بما بعث به رسوله ﷺ ، والذابين عن دينه ، والداعين إلى حقه والمضين لأحكامه ، وجعل ما اختصهم به من كرامته قواماً لعباده وصلاً لبلاده ورحمة غمر بها خلقه وافترض طاعتهم ، ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ ، وأوجبها في محكم تنزيله لما جمع فيها من سكون الدهماء واتساق الأهوال ولم الشمت وأمن السبل ووقم العدو وحفظ الحرم وسد الثغور وانتظام الأمور فقال : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر

منكم،^(١) فمن الحق على خلفاء الله الذين حباهم بعظيم نعمته ، واختصهم بأعلى رتب كرامته ، واستحفظهم فيما جعله وسيلة إلى رحمته وسبباً لرضاه ومثوبته ، لأن يؤثروا طاعته في كل حال تصرفت بهم ويقيموا حقه في أنفسهم ، والأقرب فالأقرب منهم ، وأن يكون محلهم في الاجتهاد في كل ما قرب من الله عز وجل حسب موقعهم من الدين وولاية أمر المسلمين . وأمير المؤمنين يسأل الله مسألة رغبة إليه وتذللًا لعظمته ، أن يتولاه فيما استرعاه ولاية يجمع له بها صلاح ما قلده ويحمل عنه أعباء ما حمله ويعينه بتوقيفه على طاعته لأنه سميع قريب .

وقد علمت ما حضرت من رفع أبي عبد الله وإبراهيم ابني أمير المؤمنين المتوكل على الله ، رضي الله عنه ، إلى أمير المؤمنين رقيمتين بخطوطهما يذكران فيها ما عرفها الله من عطف أمير المؤمنين عليهما ورأفته بهما وجميل نظره لهما ، وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عقده لأبي عبد الله من ولاية عهد أمير المؤمنين ، وإبراهيم من ولاية العهد بعد أبي عبد الله ، وإن ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفل لم يبلغ ثلاث سنين ، ولم يفهم ما عقده له ولا وقف على ما قلده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلم ولم يجر احكامها ولا جرت احكام الاسلام عليهما ، وإنه قد يجب عليهما ، إذ بلغا ووقفوا على عجزهما عن القيام بما عقد لهما من العهد وأسند إليهما من الأعمال ، أن ينصعا لله ولجماعة المسلمين بأن يخرجوا من هذا الأمر الذي عقد لهما أنفسهما ، ويمتزلا الأعمال التي قلداها ، ويجعلا كل من في عنقه لهما بيعة وعليه بين في حل ، إذ كانا لا يقومان بما رشعا له ولا يصلحان لتقلده ، وأن يخرج من كان ضم إليهما ممن في

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

نواحيها من قواد أمير المؤمنين ومواليه وغلماؤه وجنده وشاكرتيه وجميع من مع أولئك القواد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومها ، ويزال عنهم جميعاً ذكر الضم إليهما ، وأن يكونا سوقة من سوق المسلمين وعامتهم ، ويصفان ما لم يزالا يذكران لأمر المؤمنين من ذلك ويسألانه فيه منذ أفضى الله بخلافته إليه ، وإنهما قد خلعا أنفسهما من ولاية العهد وخرجا منها وجعلا كل من لها عليهبيعة ويعين من قواد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيته قريهم ويعيدهم ، وحاضرهم وغائبهم ، في حل وسعة من بيعتهم وإيمانهم ليخلعوهما كما خلعا أنفسهما .

وجعلا لأمر المؤمنين على أنفسهما ، عهد الله وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليها من الإيمان بإقامتها على طاعته ومناصحته وموالاته في السر والعلانية ، ويسألان أمير المؤمنين أن يظهر ما فعلاه وينشره ، ويحضر جميع أوليائه ليسمعوا ذلك منها طالبين راغبين ، طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، ويُقرأ عليهم الرقعتان اللتان رفعاهما بخطوطها بما ذكر من وقوع الأمر لها من ولاية العهد وهما صبيان ، وخلعها أنفسهما بعد بلوغها ، وما سألوا صرفها عن الأعمال التي يتوليانها وإخراج من كان بها ممن ضم إليها في نواحيها من قواد أمير المؤمنين وجنده وغلماؤه وشاكرتيه وجميع من مع أولئك القواد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومها وإزالة ذكر الضم إليها عنهم وأن يكتب بالكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي .

وإن أمير المؤمنين وقف على صدقتها فيما ذكرنا ورفعها ، وتقدم في إحضار جميع إخوته ومن بحضرته من أهل بيته وقواده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكرتيه وكتابه وقضاته والقهاء وغيرهم ،

وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهما بذالك عليهم . وحضر أبو عبد الله و ابراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه ، وقرئت رقعتاهما بخطوطها بحضورتها ، الى مجلس أمير المؤمنين ، عليهما وعلى جميع من حضر ، وأعادوا القول بعد قراءة الرقعتين مثل الذي كتبنا به .

ورأى أمير المؤمنين أن يجمع في إجابتها الى نشر ما فعلناه وإظهاره وإمضائه ذلك قضاءً لحقوق ثلاثة : منها حق الله عز وجل فيما استحفظه من خلافته وأوجب عليه من النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتهم في يومهم وغدهم ، ويؤلف بين قلوبهم ؛ ومنها حق الرعية الذين هم ودائع الله عنده حتى يكون المتبسط لأموالهم من يراعيهم أثناء الليل والنهار بعنايته ونظيره وتفقدته وعدله ورأفته ، ومن يقوم بأحكام الله في خلقه ؛ ومن يضطلع بثقل السياسة وصواب التدبير ؛ ومنها حق أبي عبد الله و ابراهيم فيما يوجبهم أمير المؤمنين لهما باخوتها وماس ورحمها ، لأنها لو أقاما على ما خرجا منه لم يؤمن أن يؤدي ذلك الى ما يعظم في الدين ضرره ، ويمم المسلمين مكروهه ، ويرجع عليها عظيم الوزر فيه ؛ فخلعها أمير المؤمنين إذ خلعا أنفسهما من ولاية العهد وخلعها جميع أخوة أمير المؤمنين ومن بحضورته من أهل بيته ، وخلعها جميع من حضر من قواد أمير المؤمنين ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكرتيه وكتابه وقضاة والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين الذين كانت أخذت لهما البيعة عليهم .

وقد أمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذالك الى جميع العمال ليتقدموا في العمل بحسب ما فيها ويخلعوا أبا عبد الله و ابراهيم من ولاية العهد إذ كانا قد خلعا أنفسهما من ذلك وحللا الخاص والعام والحاضر

والغائب والداني والفاصي منه ويسقطوا ذكرهما بولاية العهد ، وذكرهم ما نسباً إليه من نسب ولاية العهد من المعز بالله والمؤيد بالله من كتبهم والفاظهم ، والدعاء لهما على المنابر ، ويسقطوا كل ما ثبت في دواوينهم من رسومها القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضموماً إليهما ، ويزيلوا ما على الأعلام والمطارد من ذكرهما ، وما وسمت دواب الشاكرية والرابطة من أسمائها . ومهلك من أمير المؤمنين وحالك عنده على حسب ما أخلص الله لأمر المؤمنين من طاعتك ومناصحتك وموالاتك ومشايعتك ، ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك وما عرف الله أمير المؤمنين من طاعتك ويمن نقيبتك واجتهادك في قضاء الحق .

وقد أفردك أمير المؤمنين بقيادتك وإزالة الضم الى أبي عبد الله عنك وعن في ناحيتك في الحضرة وسائر النواحي ، ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه أحداً يرؤسك وخرج أمره بذلك الى ولاة دواوينه . فاعلم ذلك واكتب الى عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوعز إليهم في العمل على حسبه إن شاء الله ، والسلام .

وكتب أحمد بن الخصيب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٤١٠ - ٤١٣ .

٢ - المستعين ٢٤٨ - ٥٢٥٢ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م

٤ - منشوره إلى أهل بغداد في النصر على الأتراك :

ولى الأتراك المستعين خليفة بعد وفاة المنتصر ، ولكنهم بعد فترة خلعوه وولوا مكانه المعتز ، وهرب المستعين وحزبه إلى بغداد وأصبح هناك فريقان يتصارعان : فريق يتزعمه ابن طاهر يشد أزر المستعين ومقره في بغداد ، وفريق الأتراك يشد أزر المعتز ومقره في سامراء . ونشبت الحرب بين الطرفين ، وقد انتصر أهل بغداد ، فريق المستعين ، في إحدى المعارك ، انتصاراً كبيراً على الأتراك ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، فوجه محمد بن عبد الله بن طاهر زعيم حزب المستعين وبإسماه المنشور التالي إلى أهل بغداد :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته ، والقادر فلا يعارض في قدرته ، والعزيم فلا يغالب في أمره ، والحكم العدل فلا يرد حكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلا للحق وأهله ، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن أمره ، والهادي إلى الرحمة فلا يضل من انقاد لطاعته ، والمقدم أعذاره ليظهر به حجته ، الذي جعل دينه لعباده رحمة ، وخلافته لدينه عصمة ، وطاعة خلفائه فرضاً واجباً على كافة الأمة ، فهم المستحفظون في أرضه على ما بعث به رسله ، وأمناؤه على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه لئلا يتشعب بهم الطريق إلى المخالفة لسبيله ، والهادي لهم إلى صراطه ليجمعهم على الجادة التي ندب إليها عباده الذين يؤمنون بهم الذين من الغواية والمخالفين ، محتجين على الأمم بكتاب الله الذي استعملهم به ، ودعاة الأمة بحق الله الذي اختارهم له ، إن جاهدوا كانت حجة

الله معهم ، وإن حاربوا حكم بالنصر لهم ، وإن بغاهم عدو كانت كفاية الله حائلة دونهم ومعقلا لهم ، وإن كادهم كائد فالله من وراء عونهم ، نصيبهم الله لاعزاز دينه فمن عاداهم فإنما عادى الدين الذي أعزه وحرسه بهم ، ومن ناوأهم فإنما طعن على الحق الذي يكلؤه بحراستهم . جيوشهم بالنصر والعز منصوره ، وكتائبهم بسلطان الله من عدوهم محفوظة ، وأيديهم عن دين الله دافعة وأشياعهم بتناصرهم في الحق عالية ، وأحزاب أعدائهم ببغيتهم مقموعة ، وحججهم عند الله وعند خلقه داحضة ، ووسائلهم إلى النصر مردودة ، تجمعهم مواهب التحكم ، وأحكام الله بخذلانهم واقعة ، وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه جارية ، وعاداتهم في الأمم السالفة والقرون الخالية ماضية ، ليكون أهل الحق على ثقة من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوبون بما قدم اليهم من الانذار ، معجلة لهم نعمة الله بأيدي أوليائه ، معد لهم العذاب عند ربهم ، والحزبي موصول بنواصيرهم في دنياهم ، وعذاب الآخرة من ورائهم ، وما الله بظلام للعبيد .

وصلى الله على نبيه المصطفى ورسوله المرتضى ، والمنقذ من الضلالة إلى الهدى ، صلاة تامة نامية بركاتها ، دائمة اتصاها وسلم تسليماً .

والحمد لله تواضعاً لعظمته ، والحمد لله إقراراً بربوبيته ، والحمد لله اعترافاً بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته ، والحمد لله الهادي إلى حمده والموجب به مزيده والمحصي به عوائد إحسانه حمداً يرضاه ويتقبله ويوجب طولهُ وأفضاله . والحمد لله الذي حكم بالخذلان على من بغى على أهل دينه ، وسبق وعده بالنصر لمن بغى عليه من أنصار حقه ، وأنزل بذلك كتابه العزيز موعظة للباغين ، فإن أقلموا كانت التذكرة نافمة لهم ، والحجة عند الله لمن قام بها فيهم ؛ ثم أوجب بعد التذكرة والاصرار جهادهم ، فقال فيما قدم من وعده

وأبان من برهانه : ثم بغى عليه لينصرنه الله . وعداً من الله حقاً ،
نهى به أعداءه عن معصيته وثبت به أوليائه على سبيله ، والله
لا يخلف الميعاد .

ولله عند أمير المؤمنين في رئيس دعوته وسيف دولته والمجاهي عن
سلطانه وحمل ثقته والمتقدم في طاعته ونصيحته لأوليائه ، والذاب عن
حقه والقائم بمجاهدة أعدائه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين نعمة
يرغب الله في إتمامها والتوفيق لشكرها ، والتطول بمن أراد المزيد فيها ،
فإن الله قدر لأبائه القيام بالدعوة الأولى لأبائه أمير المؤمنين^(١) ، ثم جمع
له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية حين حاول أهداء الله أن يطمسوا معالم
دينه ويمفوها ، فقام بحق الله وحق خليفته محامياً عنها ومرامياً من
ورائها ، متناولاً للبعيد برأيه ونظره ، مباشراً للقريب بإشرافه وتفقدته ،
باذلاً نفسه في كل ما قرب من الله وأوجب له الزلفة عنده ، وسيمتج
الله أمير المؤمنين به ولياً مكانفاً على الحق وناصرراً مؤازراً على الخير ،
وظهيراً مجاهداً لعدو الدين .

وقد علمتم ما كان كتاب أمير المؤمنين تقدم به اليكم فيما أحدثته
الفرقة الضالة عن سبيل ربها المقارقة لمصمة دينها الكافرة لنعم الله ونعم
خليفته عندهما ، المبينة لجماعة الأمة التي ألف الله بخلافته نظامها ،
المحارلة لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعته الخالعة لريقة الاسلام
من أعناقها ، الموالي الأتراك وما صارت اليه من نصر الغلام المعروف
بأبي عبد الله [بن] المتوكل لإقامتها عند مصير أمير المؤمنين إلى مدينة

(١) الاشارة هنا الى طاهر بن الحسين الذي كان قائد المأمون والذي احتل بغداد وقتل
أخاه الامين ، والى ابنه عبد الله بن طاهر الذي كان بعد ذلك من أبرز ولاة وقواد المأمون
إن لم يكن أبرزهم وأشهرهم .

السلام محل سلطانه ويجمع أنصاره وأبناء أنصار آبائه وما قابل به
أمير المؤمنين خيانتهم وآثره من الأناة في أمرهم .

ثم ان هؤلاء الناكثين جمعوا جمعاً من الاثراك والمغاربة ومن ولج
في سوادهم ودخل في غمارهم مؤاتياً للفتنة من ألاف البغي ، ورأسوا
عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام في
الجانب الشرقي ، معلنين للبغي والاقتدار ، مظهرين للغي والاصرار ،
فتأنام أمير المؤمنين وفسح لهم في النظرة لهم ، وأمر بالكتاب اليهم
بما فيه تبصيرهم الرشد وتذكيرهم بما قدموا من البيعة وإفهامهم مسأله
عليهم وله في ذلك من الحق ، وإن خروجهم بما دخلوا فيه من بيعتهم
طوعاً والخروج من دين الله والبراءة منه ومن رسوله ، وتحريمهم أموالهم
ونسائهم عليهم ، وأن في تمسكهم به سلامة أديانهم وبقاء نعمتهم ،
والاحتراس من حلول النقم بهم ، وأن يبين لهم ماسلف من بلائه عندهم
من أسفى المواهب وأرفع الرغائب والاختصاص بسفي المراتب والتقدم في
المخالف فأبوا إلا تمادياً ونفاراً وتمسكاً بالبغي وإصراراً .

فقد أمير المؤمنين نصيحه المؤمن ووليه محمد بن عبد الله مولى أمير
المؤمنين بتدبير أمورهم ودعائهم الى الحق ما كانت الانابة ، أو محاربتهم
إن جنح بهم غيهم وتتابعوا في ضلالهم ، فلم يألمهم نظراً وإفهاماً وتبييناً
وإرشاداً ، وهم في ذلك رافعون أصواتهم بالتوهد لأهل مدينة السلام
بسفك دماغهم وسبي نسائهم وتغنم أموالهم ، وقبل ذلك ما كانوا في
مسيرهم على السبيل التي يستعملها أهل الشرك في غاراتهم ، ويميلون اليها
عند إمكان النهزة لهم ، لا يجتازون بمسامر إلا خبروه ، ولا بحريم
لمسلم ولا غيره إلا أباحوه ، ولا بمسلم يعجز عنهم إلا قتلوه ، ولا بمال
لمسلم أو ذمي إلا أخذوه ، حتى انتقل كثير من سبقت اليهم أخبارهم

من أمامهم عن أوطانهم ، وفارقوا منازلهم ورباعهم ، ونزعوا إلى باب أمير المؤمنين تحصناً من معرتهم ، لا يرون بغني إلا خلعوا عنه لباس الغنى ، ولا بمستور إلا هتكوا عن الذرية والنساء ستره ، لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة ، ولا يتوقفون عن مسلم بهتك ولا مثله ، ولا يرغبون عما حرم الله من دم ولا حرمة .

ثم تلقوا التذكرة بالحرب وقابلوا الموعظة بالاصرار على الذنب ، وعارضوا التبصر بالاستبصار في الباطل ، فذلفوا نحو باب الشامية ، وقد رتب محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التي سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام الجيوش في العسدة الكاملة والعسدة المتظاهرة ، معاقلمهم التوكل على ربهم ، وحصونهم الاعتصام بطاعته ، وشعارهم التكبير والتهايل أمام عدوهم ، ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين يأمرهم بتحصين ما يليهم والامسك عن الحرب ما كانت مندوحة لهم ، فبدأهم الأولياء بالموعظة ، وبدأهم الغزاة والناكثون بحربهم ، وعادوهم أياماً بمجموعهم وعدادهم مدلين بعدتهم ومقسدين الاغالب لهم ، ولا يعلمون بالله ان قدرته فوق قدرتهم ، وان أقداره نافذة بخلاف إرادتهم ، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحق عليهم ، حتى إذ كان يوم السبت للنصف من صفر وافوا باب الشامية بأجمعهم قد نشروا أعلامهم وتنادوا بشعارهم وتحصنوا بأسلحتهم ، وبدأ الأمر منهم لمن عاينهم ليس لهم وعيد دون سفك الدماء وسبي النساء واستباحة الأموال ، فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا وقابلوهم بالتذكرة فلم يصغوا إليها ، وبدعوا بالحرب منابذين لها ، فتسرع الأولياء عند ذلك اليهم واستنصروا عليهم ، واستحكمت بالله ثقتهم ونفذت به بصائرهم . فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم ، فقتل الله من حماهم وفرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيرة عددها ، ونالت

الجراحة المشخنة التي تأتي على من نالته أكثر عامتهم . فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه ان قد أكذب ظنونهم وحال بينهم وبين أمانتهم وجعل عواقبها حسرات عليهم ، استنهضوا جيشاً من سامراء من الأتراك والمغاربة في العتاد والمعدة والجلد والاسلحة في الجانب الغربي طالسبين المعرة ، مؤملين أن ينالوا نيلاً من أهلها باشتغال إخوانهم في الجانب الشرقي بأعدائهم .

وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شحن الجانبين جميعاً بالرجال والمعدة ، ووكل بكل ناحية من يقوم بحفظها وحراستها ، ويكف عن الرعية بوائق أعدائهم ، ووكل بكل باب قائداً في جمع كثيف ، ورتب على السور من يراعيه في الليل والنهار ، وبث الرجال ليعرف أخبار أعداء الله في حركاتهم ونهوضهم ومقامهم وتصرفهم ، فيعامل كل حال لهم بحال يفت الله في أعضادهم بها ، فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر وافى الجيش الذي انهضوه من الجانب الغربي الباب المعروف بباب قطربل ، فوقفوا بإزاء الناكثين المسكرين بالجانب الشرقي من دجلة في عدد لا يسمه إلا القضاء ، ولا يحمله إلا المجال الفسيح ، وقد تواعدوا أن يكون دنوهم من الابواب معاً لشغل الأولياء بحربهم من الجهات فيضمفوا عنهم ويغلبوا حقهم بباطلهم ، أملاً كادهم الله فيه غير صادق ، وظناً خائباً لله فيه قضاء نافذ . وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبي العون وبندار بن موسى الطبري مولى أمير المؤمنين ، وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قطربل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته والاتباع لأمره والتصرف مع كتابه ، والتوقف عن الحرب حتى يسبق التذكرة والإسماع ، وينزل الحجة بالتتابع منهم والإصرار ، فنفذوا في جمع يقابل جمعهم مستبصرين في حق الله عليهم ، مسارعين

إلى لقاء عدوهم ، محشبين خطاهم ومسيرهم ، واثقين بالثواب الآجل
والجزاء المآجل ، فتلقاهم ومن معهم أعداء الله قد أطلقوا نحوه
أعنتهم وأشروعوا لنحوهم أسنتهم ، لايشكون انهم نزهة المختلس وغنيمة
المنتهب ، فنادوهم بالموعظة نداء مسمما فمجتها أسماعهم وعميت ابصارهم
وصدقهم أولياء الله في لقائهم بقلوب مستجمعة لهم وعلم بأن الله لا يخلف
وعده فيهم ، فجالت الخيل بهم جولة وعاودت كرة بعد كرة عليهم
طعنًا بالرماح وضربًا بالسيوف ورشقًا بالسهم ، فلما مسهم أليم جراحها
وكلمتهم الحرب بأنبيائها ودارت عليهم رحاها وحسم عليهم أبناؤها ظمًا
إلى دمائهم ولوا أديارهم ومنح الله أكتافهم وأوقع بأسه بهم فقتلت منهم
جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة ولم يتحصنوا من عقابه بإبابة .
ثم ثابت ثانية فوقفوا بازاء الأولياء ، وعبر اليهم أشياعهم الغارون من
عسكرهم بباب الشامية ألف رجل من أنجادهم في السفن معاوين لهم
على ضلالتهم ؛ فأهض محمد بن عبد الله خالد بن عمران والشاه بن ميكال
مولى طاهر نحوه ، فنفذوا ببصيرة لا يتخوفها فتور ونية لا يلحقها
تقصير ومعها العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين . فلما وافى الشاه
فيمين معه أعداء الله وكل بالمواضع التي يتخوف منها مداخل الكمناء ،
ثم حمل ومن توجه معه من القواد المسمين ماضين لا يغيهم الوعيد ولا
يشكون من الله في النصر والتأييد . فوضعوا أسيافهم فيهم تمضي أحكام
الله عليهم حتى ألحقوهم بالمعسكر الذي كانوا عسكروا فيه وجاوزوه
وسلبوهم كل ما كان من سلاح وكراع وعتاد الحرب ، فمن قتل
غودرت جثته بمصرعه ، ونقلت هامته إلى مصير فيه معتبر لغيره ،
ومن لاجيء من السيف إلى الغرق ، لم يجره الله من حذاره ، ومن
أسير مصفود يقاد إلى دار أولياء الله وحزبه ، ومن هارب بجشاشة

نفسه قد أسكن الله الخوف قلبه ، فكانت النعمة بحمد الله واقعة بالفريقين
 ممن وافى الجانب الغربي قادماً ، ومن عبر اليهم من الجانب الشرقي
 منجداً ، لم ينجح منهم ناج ولم يعتصم منهم بالتوبة معتصم ولا أقبل
 إلى الله مقبل ، فرقاً أربعاً يجمعها النار ويشملها عاجل النكال عظة
 ومعتبراً لأولي الأبصار ، فكانوا كما قال الله عز وجل : ألم تر إلى
 الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها
 وبئس القرار (١) . ولم تزل الحرب بين الأولياء وبين الفرقة التي كانت
 في الجانب الشرقي والقتل محتفل في أعلامهم ، والجراح فاشية فيهم ،
 حتى إذا عاينوا ما أنزل الله بأشياعهم من البوار وأحل بهم من النعمة
 والاستئصال ما لهم من الله من عاصم ولا من أوليائه ملجأ ولا موئل ،
 ولوا منهزمين مفلولين منكوبين ؛ قد أراهم الله العيسر في إخوانهم الغاوية
 وطرائفهم المضلة . وضل ما كان في أنفسهم لما رأوا من نصر الله لجنسده
 واعزازه لأوليائه . والحمد لله رب العالمين ، قامع الغواة الناكبين عن
 دينه والبغاة الناقضين لعهد المراق الخارجين من جملة أهل حقه حمداً
 مبالغاً رضاه وموجباً أفضل مزيده . وصلى الله أولاً وآخراً على محمد
 عبده ورسوله الهادي إلى سبيله والداعي إليه بإذنه وسلم تسليمًا . وكتب
 سعيد بن حميد يوم السبت لسبع بقين من صفر سنة ٢٥٦ هـ .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٤٥٠ - ٤٥٦

(١) سورة ابراهيم : الآية ٢٨ .

٥ - كتاب المستعين إلى المعتز يخضع نفسه من الخلافة ومبايعته المعتز بالخلافة وإرسال تراث النبوة له :

هُزِمَ المستعين أخيراً في الحرب التي دارت بين أنصاره وأنصار المعتز وتمت البيعة للمعتز ودارت مفاوضات كثيرة أدت إلى اعتراف المستعين ببيعة المعتز وخلافته لقاء شروط كثيرة أولها حقن دم المستعين . وقد كتب المستعين رسالة إلى المعتز يلقيه فيها بأمر المؤمنين وأرسلها ، مع تراث النبوة - أي البردة والقضيب والخاتم - مع عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر . وفيما يلي نص الخطاب :

أما بعد : فالحمد لله متمم النعم برحمته ، والمهادي إلى شكره بفضله ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله الذي جمع له ما فرق من الفضل في الرسل قبله ، وجعل تراثه راجعاً إلى من خصه بخلافته وسلم تسليمًا . كتابي إلى أمير المؤمنين وقد تمم الله له أمره وتسلمت تراث رسول الله ﷺ من كان عنده ، وانفذته إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبده .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ - ٤٩٣

٣ - المعتز ٢٥٢ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩ م

٦ - نص بيعة المعتز بالخلافة

ثار الاثراك بالمستعين فهرب منهم إلى بغداد ، ودعوه للعودة إلى سامراء فرفض فأعلنوا خلعهم وبايعوا المعتز بالخلافة . وفيما يلي نص هذه البيعة .

بسم الله الرحمن الرحيم . تبايعون عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين بيعة طوع واعتقاد ، ورضاً ورغبة ، وإخلاص من سرائركم وانسراح من صدوركم وصدق من نياتكم لا مكرهين ولا مجبرين ، بل مقرين عاملين بما في هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثار طاعته وإعزاز حقه ودينه ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة ولم الشعث وسكون الدهماء وأمن العواقب وعز الأولياء وقمع الملحدين على أن أبا عبد الله المعتز بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ونصيحته والوفاء بحقه وعهده ، لا تشكون ولا تدهنون ولا تيمنون ولا ترتابون ، وعلى السمع والطاعة والمشايعة والوفاء والاستقامة والنصيحة في السر والعلانية والخفوف والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله أبو عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين من موالاته وأوليائه ومعاداة أعدائه من خاص وعام وقريب وبعيد متمسكين ببيعته بوفاء العقد وذمة العهد ، سرائركم في ذلك كعلانيتكم ، وضمائركم فيه كمثل ألسنتكم راضين بما يرضى به أمير المؤمنين بعد بيعتكم هذه على أنفسكم وتأكيديكم إياها في أعناقكم صفقة ، راضين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين ، وعلى أن لا تسعوا في نقض شيء مما أكد عليكم ، وعلى أن لا يميل بكم في ذلك بميل عن نصرته وإخلاص وموالاته ، وعلى أن لا تبدلوا ولا تغيروا ولا يرجع منكم راجع عن بيعته وانطوائه على غير علانيته ، وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتموها بألسنتكم وعمودكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على اجتنابها واعتمادها ، وعلى الوفاء بذمة الله فيها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها وموالاته أهلها ، لا يشوب ذلك منكم نفاق ولا ادهان ولا تأول حتى تلقوا الله موفين بعهده ، مؤدين حقه عليكم ،

غير مستقرين ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين بيعة خلافته وولاية عهده لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين « إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتاه أجراً عظيماً » (١) . عليكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البيعة في أعناقكم وأعطيتم بها من صفقة إيمانكم ، وبما اشترط عليكم من وفاء ونصرة وموالاتة واجتهاد وعليةكم عهد الله إن عهده كان مسؤولاً ، وذمة الله عز وجل وذمة محمد ﷺ وما أخذ الله على أنبيائه ورسله وعلى أحد من عباده من مواكيدته وموائيقه أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ، ولا تبدلوا ولا تملوا ، وأن تمسكوا بما عاهدتم الله عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم وذوي الوفاء والعهد بوفائهم ، ولا يلقنكم عن ذلك هوى ولا ميل ، ولا يزيغ قلوبكم فتنة أو ضلالة عن هدى باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم ، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها ؛ فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة على ما أخذ عليكم ، مسراً أو معلناً ، مصرحاً أو محتالاً أو متاولاً ، وأدهن فيما أعطى الله من نفسه وفيما أخذ عليه من موثيق الله وعهده ، وزاغ عن السبيل التي يعتم بها أولو الرأي ، فكل ما يملك ، كل واحد منكم ممن ختر في ذلك منكم عهده ، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محبوس محرم عليه أن يرفع شيئاً من

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ .

ذلك إلى ماله وعن حيلة يقدمها لنفسه أو يحتال له بها ؛ وما أفاد في بقيمة عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يحل ، فذلك سبيلها إلى أن توافيه منيته ويأتي عليه أجله ، وكل مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين سنة ، ذكر أو انثى ، أحرار لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمه فيه الخنث ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق طلاق الحرج لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ، وهو بريء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان ولا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، والله عليكم بذلك شهيد . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٤٤٠ - ٤٤٢ .

٧ - خطاب المعتز في انصاره لما نشبت الحرب بين جماعته وجماعة الخليفة المستعين الذي سار إلى بغداد وتحصن بها .

أما تنظرون إلى هذه العصابة التي ذاع نفاقها ، والهمج العصاة الأوغاد الذين لامسكة بهم ولا اختيار لهم ولا تمييز معهم ، قد زين لهم تفحم الخطأ سوء أعمالهم ، فهم الأقلون وإن كثروا ، والمذمومون إذا ذكروا ، وقد علمت أنه لا يصلح لقود الجيوش وسد الثغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلا رجلاً قد تكاملت فيه خصال أربع : حزم يتقي به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ؛ وعلم يحجزه عن التهور والتغرير في الأشياء إلا مع إمكان فرصتها ؛ وشجاعة لا تفضها الملمات مع تواتر جوائنحها ؛ وجود يهون تبذير الأموال عند سؤاها ، وسرعة مكافأة الإحسان إلى صالح الأعوان ، وثقل الرطاة على أهل الزينغ والعدوان ، والاستعداد للحوادث إذ لا تؤمن حوادث الزمان .

وأما الائتنان فإسقاط الحجاب عن الرعية ، والحكم بين القوي

والضعيف بالسوية . وأما الواحدة فالتيقظ للأمر . وقد اخترت لهم رجلاً من موالي أخدم ، شديد الشكيمة ماضي العزيمة ، لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء ، ولا يهاب ما وراءه ، ولا يهوله ما يلقاه ، فهو كالخريش في أصل الاسلام ، إن حرك حمل ، وإن نهش قتل ، عدته عتيده ونعمته شديدة ، يلقي الجيش في النفر القليل العديد بقلب أشد من الحديد ، طالب للثأر لا تغله العساكر ، باسل البأس ، ومقتضب الأنفاس ، لا يعوزه ما طلب ، ولا يفوته من هرب ، واري الزناد ، مضطلع الغماد ، لا تشهره الرغائب ولا تعجزه النوائب ، إن ولى كفى وإن قال وفى ؛ وإن نازل فبطل ، وإن قال فعل ، ظله لوليه ظليل ، وبأسه في الهياج عليه دليل ، يفوق من ساماه ، ويعجز من ناواه ، ويتمب من جاراها وينعش من والاه .

الكامل لابن الأثير ج ٧ ، ١٩٦ ، ١٩٨ .

٨ - رسالة جوابية من اخي المعتز ابي احمد إلى المعتز عن الحرب وسيرها ضد المستعين .

ولى المعتز أخاه أبا أحمد حرب المستعين في بغداد ، وقد سارت الحرب بطيئة ولم تحقق أحلام المعتز بنصر سريع على المستعين وأنصاره فكتب الى أخيه يعجزه ويستبطئه فأجابه أبو أحمد بما يلي :

وللدهر فينا اتساع وضييق	لأمر المنايا علينا طريق
فمنها البكور ومنها الطروق	وأيامنا عبءة للأنام
ويخذل فيها الصديق الصدوق	ومنها هنات تشيب الوليد
تفوق العيون ومتجر عميق	وقتنة دين لها ذروة
وخوف شديد وحصن وثيق	قتال متين وسيف عتيده

وطول صياح لداعي الصلاح السلاح السلاح فما يستفيق
فهذا طريق وهذا جريح وهذا حريق وهذا غريق
وهذا قتيل وهذا ذليل وآخر يشدخه المنجنيق
هناك اغتصاب وثم انتهاب ودور خراب وكانت تروق
إذا ما شرعنا إلى مسلك وجدناه قد سد عنا الطريق
فبالله نبلغ ما نرتجي وبالله ندفع ما لا نطيق^(١)
الكامل لابن الأثير ج ٧ ، ١٥٢ - ١٥٣ .

٩ - رسالة من محمد بن عبد الله بن طاهر قائد جيش المستعين
ومدير اموره إلى المعتز وأنصاره .

أطلق المعتز أتباعه وأنصاره في النواحي فأساءوا السيرة واستحلوا
أشعار أعدائهم وأبشارهم ودماءهم ، فلما بلغ ذلك محمد بن عبد الله
أرسل للمعتز ولحزبه من الأتراك الرسالة التالية :

أما بعد ، فإن زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأي فأقحمكم
جبايل الخطأ ، ولو ملكتم الحق عليكم وحكمتم به فيكم لأوردكم
البصيرة ونفى عنكم غيابة الخيرة . والآن فإن تجنحوا للسلم تحقنوا
دماءكم وترغدوا عيشكم ، ويصفح أمير المؤمنين عن جريرة جارمكم ،
وأخلى لكم ذروة مسبوغ النعمة عليكم ؛ وإن مضيتم على غلوائكم
وسول لكم الأمل أسوأ أعمالكم فأذنوا بحرب من الله ورسوله بعد
نبد المعذرة إليكم وإقامة الحججة عليكم . ولئن شنت الغارات وشب
ضرام الحرب ودارت رحاها على قطيها وحسمت الصوارم أوصال حماها

(١) هذه الأبيات لعلي بن أمية قاهلاني الحرب الأخوية التي دارت بين الامين والمأمون.

واستبحرت العوالي من نهما ، ودعيت نزال ، والتحم الأبطال ، وكلمت الحرب عن أنبيها أشداقها ، وألقت للمتجرد عنها قناعها ، واختلفت أعناق الخيل وزحف أهل النجدة الى أهل البغي ، لتعلمن أي الفريقين أسمح بالموت نفساً وأشد عند اللقاء بطشاً ولات حين معذرة ولا قبول فدية ، وقد أهدر من أنذر ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

١٠ - رسالة جوابية من المعتز والأتراك حزبه إلى محمد بن

عبد الله عن الرسالة السابقة .

إن شخص الباطل تصور لك في صورة الحق ، فتخيل لك البغي رشداً كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . ولو راجعت عزوب عقلك أنار لك برهان البصيرة وحسم عنك مواد الشبهة ، ولكن حصت عن سنة الحقيقة ونكصت على عقيبك لما ملك طباعك من دواعي الخيرة فكمت في الإصغاء لهتافه والتجرد الى وروده كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، ولعمرك يا محمد لقد ورد وعذك لنا ووعيدك إيانا فلم يدننا منك ولم يثننا عنك ، إذ كان فحص اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك وألقاك كالمكتفي بالبرق نهجاً إذا أضاء له مشى فيه ، وإذا أظلم عليه قام ، ولعمرك لأن اشتد في البغي شأوك وتمعنت بصبابه من الأمل ليكون أمرك عليك غمة ولنا تينك يجنود لا قبل لك بها ولنخرجنك منها ذليلاً وأنت من الصاغرين . ولولا انتظارنا كتاب أمير المؤمنين بإعلامنا ما نعمل في شاكلته بلغنا بالسياط النياط وغمدنا السيوف وهي كالة وجعلنا عاليها سافلها وجعلناها مأوى الظلمات والحيات . واليوم ، وقد ناديناك من كئيب وأسئناك إن كنت

حيًا فإن تجب تفلح ، وإن تاب إلا غياً نخزيك به و عما قليل
لتصبحن نادمين .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٠٩ - ٥١٠ .

١١ - رسالة غلمان المعتز إلى ابن طولون بقتل المستعين .

هُزِمَ المستعين و خلع وأخذ الى واسط ووضع في عهدة أحمد بن
طولون . ولقد خاف أنصار المعتز و غلمانه من بقاء المستعين حياً فأرادوا
قتله وأرسلوا الى ابن طولون رسالة يطلبون منه قتله ويقولون :
اقتله ، فإن قتلته وليناك واسطاً .

١٢ - جواب ابن طولون عن تلك الرسالة السابقة .

والله لا رأني الله قتلت خليفة بايعته له أبداً .

المنتظم لابن الجوزي ج ٥ - ٧٢ .

١٣ - كتاب خلع المعتز من الخلافة .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أشهد عليه الشهود المأمون في هذا
الكتاب : شهدوا أن أبا عبد الله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقر
عندهم وأشهدهم على نفسه في صحة من عقله وجواز من أمره طائعاً
غير مكره ، أنه نظر فيما كان تقلده من أمر الخلافة والقيام بأمر
المسلمين فرأى أنه لا يصلح لذلك ولا يكفل له ، وإنه عاجز عن القيام
بما يجب عليه منها ضعيف عن ذلك ، فأخرج نفسه وتبرأ منها و خلعها
من رقبته و خلع نفسه منها ؛ وبرأ كل من كانت له في عنقه بيعة من
جميع أوليائه وسائر الناس بما كان له في رقابهم من البيعة والعهود
والمواثيق والايان بالطلاق والعناق والصدقة والحج وسائر الايمان ،

وحلهم من جميع ذلك وجعلهم في سعة منه في الدنيا والآخرة ،
بعد أن تبين له أن الصلاح له والمسلمين في خروجه من الخلافة
والتبرؤ منها ، وأشهد على نفسه بجميع ما سمى ووصف في هذا الكتاب
جميع الشهود المسمين فيه وجميع من حضر بعد أن قرىء عليه حرفاً
حرفاً فأقر بفهمه ومعرفة جميع ما فيه طائفاً غير مكره ، وذلك يوم
الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين .

ووقع المعتز في ذلك :

أقر أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه وكتب
الشهود شهادتهم : شهد الحسن بن محمد ومحمد بن يحيى وأحمد بن جناب
ويحيى بن زكريا بن أبي يعقوب الأصفهاني وعبد الله بن محمد العامري
وأحمد بن الفضل بن يحيى وحامد بن اسحق وعبد الله بن محمد وإبراهيم
ابن محمد وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين
ومائتين .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٢٧ - ٥٢٨ .

٤ - المهتدي ٢٥٥ - ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ - ٨٧٠ م

١٤ - رسالة المهتدي إلى العامة وانصاره الذين تجمعوا لنصرته
وقد قرئت عليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وصلى الله على محمد النبي وعلى
آله وسلم تسليماً كثيراً . أوردنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم ولياً
وحافظاً . فهتم كتابكم وسرني ما ذكرتم من طاعتكم وما أتم عليه
فأحسن الله جزاءكم وقوى حياطتكم . فأما ما ذكرتم من خلعتكم وحاجتكم

فعزيز عليّ ذلك فيكم ، ولوددت والله أن صلاحكم يهياً بالأكل ولا
أطعم ولدي وأهلي إلا القوت الذي لا شبع دونه ، ولا ألبس أحداً
من ولدي إلا ما ستر العورة ، ولا والله - حاطكم الله - ما صار لي
منذ تولدت أمرم لنفسي وأهلي وولدي ومنتقدي غلماي وحشمي إلا
خمس عشرة ألف دينار ؛ وأنتم تفقون على ما ورد ويرد ، كل ذلك
مصروف إليكم غير مدخر عنكم . وأما ما ذكرتم مما بلغكم وقرأتم
به الرقاع التي ألقيت في المساجد والطرق وما بذلتم من أنفسكم فأنتم
أهل لذلك ؛ وأين تعتذرون مما ذكرتم ونحن وأنتم نفس واحدة ،
فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأمانتكم خيراً . وليس الأمر كما
بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله . وأما ما ذكرتم من
الاقطاعات والمعاون وغيرها فأنا أنظر في ذلك وأصير منه إلى محبتكم
إن شاء الله والسلام عليكم .

أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم حافظاً ، والحمد لله رب العالمين ،
وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً^(١) .

١٥ - كتاب العامة وانصار المهتدي له وهو يتضمن مطالبهم

إن الذي يسألون : أن ترد الأمور إلى أمير المؤمنين في الخاص
والعام ، ولا يعترض عليه معترض ، وأن ترد رسومهم إلى ما كانت عليه
أيام المستعين بالله ، وهو أن يكون على كل تسعة منهم عريف ، وعلى
كل خمسين خليفة ، وعلى كل مائة قائد ، وأن تسقط النساء والزيادات

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل - ٧ : ٢٢١-٢٢٢ هذه الرسالة بشكل موجز
كل الإيجاز .

والمعاون ، ولا يدخل مولى في قبالة ولا غيرها ، وأن يوضع لهم العطاء في كل شهرين على ما لم يزل . وأن تبطل الاقطاعات ، وأن يكون أمير المؤمنين يزيد من يشاء ويرفع من يشاء . وذكروا أنهم صائرون في أثر كتابهم الى باب أمير المؤمنين ومقيمون هناك الى أن تقضى حوائجهم . وانه ان بلغهم أن أحداً اعترض أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بنغا وبايكباك ومفلحاً وياجور وبكالبا وغيرهم (١) .
تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٧٢ - ٥٧٣ .

١٦ - رسالة جوابية من المهتدي لانتصاره والعامه على مطالبهم

السابقة :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم . أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم وعلى أيديكم . فهمت كتابكم وقرأته على رؤسائكم فذكروا مثل الذي ذكرتم وسألوا مثل الذي سألت ، وقد أجبتمكم الى جميع ما سألت بحجة لصالحكم والفتكم واجتماع كلمتكم ، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم وأن تصير دارة عليكم فليست لكم حاجة الى حركة ، فطيبوا نفساً والسلام . أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم وعلى أيديكم .

(١) ورد نص كتاب العامة والانتصار في الكامل لابن الأثير ج ٧ ، ٢٢٢ ، وهو يكاد يتطابق مع نصنا اعلاه باستثناء بعض الخلافات .

١٧ - رسالة ثانية منه لأنصاره من الجند والعامة الذين لم تقنعهم
الرسالة السابقة وإنما أصروا على أن يخرج إليهم توقيعه بالموافقة
على طلباتهم الخمس التي رفعوها له فأجابهم بما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه ؛
فهمت كتابكم ، حاطكم الله . وقد أنفذت اليكم التوقيعات الخمس
على ما سألتم فوكلوا من يتنجزها من الدواوين إن شاء الله . وأما
ما سألتم من تصيير أمركم الى أحد اخوتي ليوصل إليّ اخباركم ويؤدي
إليّ حوائجكم : فوالله إني لأحب أن أتفقد ذلك بنفسي ، وأن أطلع
على كل أمركم وما فيه مصلحتكم ، وأنا مختار لكم الرجل الذي
سألتم من اخوتي أو غيرهم إن شاء الله . فاكثبوا إليّ بحوائجكم وما
تعلمون أن فيه صلاحكم فإني صائر من ذلك الى ما تحبون إن شاء
الله . وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٧٤ - ٥٧٦ .

١٨ - رسالة موسى بن بغا وبقية القوادل الأتراك والعامة أنصار
المهتدي الذين قدموا له ولزملائه مطالبهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم ،
فهمنا كتابكم وإنما أنتم اخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون الى ما
تحبون . وقد امر أمير المؤمنين - أعزه الله - في كل ما سألتم بما
تحبون ، وأنفذ التوقيعات به اليكم ، وأما ما ذكرتم من أمر صالح
مولي أمير المؤمنين وتغيرنا له فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من
ذلك ما تكرهون ، فإن وعدكم أن يعطيكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا

الى أمير المؤمنين رقاعاً نسأله مثل الذي سألتكم . وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض الأمر اليه فنحن سامعون مطيعون لأمر أمير المؤمنين ، والأمور مفوضة الى الله ، وهو مولانا ونحن عبيده وما نعترض عليه في شيء من الأمور أصلاً . وأما ما ذكرتم أنا نريد بأمر المؤمنين سوءاً ، فمن أراد ذلك فجعل الله دائرة السوء عليه وأخزاه في دنياه وآخروه . أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٧٦ - ٥٧٧ .

١٩ - رقاع وجدت في المساجد تحث الناس على الدعاء لأمر المؤمنين المهتدي أن ينصره الله في صراعه ضد الأتراك ، ذلك الصراع الذي نشب بعنف بينه وبينهم وانهم الخليفة بنهايته .

بسم الله الرحمن الرحيم : يا معشر المسلمين : ادعوا الله لخليفتم العدل الرضي المضاوي لعمربن الخطاب أن ينصره على عدوه ويكفيه مؤونة ظالمه ، ويتم النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه . فإن الموالي قد أخذوه بأن يخلع نفسه وهو يعذب منذ أيام . والمدبر لذلك أحمد ابن محمد بن ثوابة والحسن بن مخلد . رحم الله من أخلص النية ودعا وصلى على محمد ﷺ (١) .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٧١ - ٥٧٢ .

(١) يذكر ابن الاثير في السكامل ج ٧ ، ٢٢١ نصاً قريباً من النص أعلاه . أما السيوطي في تاريخ الخلفاء فيذكر نصاً مختصراً كل الاختصار ويشبه المهتدي بعمربن عبد العزيز ص ٣٦٣ .

٢٠ - خطاب المهتدي بالأترك لما شغبوا ضده وحاصروه وهموا
بخلعه بعد أن اتهموه بالمائة عليهم .

بلغ المهتدي أن الأترك قد هموا بخلعه فخرج الى مجلسه متقلدا
سيفاً وقد لبس ثياباً نظافاً وتطيب ثم أمر بإدخالهم عليه فدخلوا
بعد تمنع فقال :

إنه قد بلغني ما أنتم عليه من أمري ، ولست كمن تقدمني مثل
أحمد بن محمد المستعين ولا مثل ابن قبيصة . والله ما خرجت اليكم إلا
وأنا متخبط وقد أوصيت الى أخي بولدي . وهذا سيفي ، والله
لأضربن به ما استمسك قائمه بيدي . والله لئن سقط من شعري شعرة
لهيكن أو ليذهبن بها أكثركم . أما دين أما حياء ، أما رعة ؟ كم
يكون هذا الخلاف على الخلفاء والاقدام والجرأة على الله ا سواء عليكم
من قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه مثل هذا عنكم دعا بأرطال
الشراب فشرها مسروراً وحباً لبواركم . خبروني عنكم : هل تعلمون
أنه وصل إلي من دنياكم هذه شيء ؟ أما أنك تعلم يا بايكباك أن
بعض المتصلين بك أيسر من جماعة اخوتي وولدي ؛ وإن أحببت أن
تعرف ذلك فانظر ، هل ترى في منازلهم فرشاً أو وصائف أو خدماً
أو جوارى ؟ أو لهم ضياع أو غلات ؟ سواء لكم ا ثم تقولون أني
أعلم علم صالح ، وهل صالح إلا رجل من الموالي وكواحد منكم ؟
فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم فيه ؟ فإن آثرتم الصلح كان ذلك
ما أهوى لجمعكم ، وإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه فشانكم
فاطلبوا صالحاً ثم أبلغوا شفاء أنفسكم ؛ وأما أنا فما أعلم علمه .
قالوا : فاحلف لنا على ذلك .

قال : أما اليمين فإني أبذلها لكم . ولكني أؤخرها حتى تكون
بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدلين وأصحاب المراتب غداً إذا
صليت الجمعة (١) .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٧٠ - ٥٧١ .

٥ - المعتمد ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ / ٨٧ - ٨٩٢ م

٢١ - نص الدعاء الذي كان يدعى به للموفق أخى المعتمد وولي
العهد بعد أن يفرغ الخطيب من الدعاء للخليفة المعتمد .

اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد
المسلمين وأخا أمير المؤمنين .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ - ١٢٧

٦ - المعتضد ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢ م

٢٢ - نص الكتاب الذي هياه المعتضد من أجل أن يقرأ على
المنابر ويذكر فيه معاوية رحمه الله بسوء .

م المعتضد بلعن معاوية وأن يأمر عماله بلعنه على المنابر ، فأمر
فاستخرج له صورة الكتاب الذي أعده المأمون من أجل نفس الموضوع
ولم يصدره ، ولكن وزراءه ورجال حاشيته خوفوه عاقبة ذلك

(١) أورد كل من ابن الاثير في السكامل - ٧ ، ٢٢٠ - ٢٢١ ، وابن كثير في البداية
والنهاية - ١١ ، ٢١ - ٢٢ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٣٦٤ نص هذه المحاضرة ، ولكن
نص الطبري أكمل وأكثر تفصيلاً .

ولاسيا وأن العلويين ناثرون في عدد من الأماكن ، فلم يصدر الكتاب .
وهاك نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله العلي العظيم الحليم الحكيم العزيز
الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته
الذي يعلم سوابق الصدور وضمائر القلوب لا يخفى عليه خافية ، ولا
يعزب عنه مثقال ذرة في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى ، قد
أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً وضرب لكل شيء أمداً
وهو العليم الخبير ، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته وخلق عباده
لمعرفته على سابق علمه في طاعة مطيعهم وماضي أمره في عصيان
عاصيهم . فبين لهم ما يأتون وما يتقون ، وسهل لهم سبل النجاة
وحذرهم مسالك الهلكة ، وظاهر عليهم الحجة وقدم اليهم المذرة واختار
لهم دينه الذي ارتضى لهم وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبه
والمتمسكين بعروته أوليائه وأهل طاعته ، والمعاندين عنه والمخالفين له
أعداءه وأهل معصيته ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن
بينة ، وإن الله لسميع عليم . والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله
من جميع بريته واختاره لرسالته وابتعثه بالهدى والدين المرتضى إلى
عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذن له بالنصر
والتمكن ، وأيده بالعز والبرهان المتين ، فاهتدى به من اهتدى واستنقذ
به من استجاب له من العمى ، وأضل من أدبر وتولى حتى أظهر الله
أمره وأعز نصره وقهر من خالفه وأنجز له وعده وختم به رسله
وقبضه مؤدياً لأمره مبلغاً لرسالته ناصحاً لأمته ، مرضياً مهتدياً إلى
أكرم مآب المتقنين وأعلى منازل أنبيائه المرسلين وعباده الفائزين . فصلت
الله عليه أفضل صلاة وأتمها وأجلها وأعظمها وأزكاها وأطهرها ، وعلى

آله الطيبين . والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين من سلفه الراشدين المهتدين وورثة خاتم النبيين وسيد المرسلين والقائمين بالدين والمقومين لعباده المؤمنين والمستحفظين ودائع الحكمة وموارث النبوة ، والمتخلفين في الأمة والمنصورين بالعزة والمنعة والتأييد والغلبة حتى يظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون . وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم وفساد قد لحقهم في معتقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ونطقت بها ألسنتهم على غير معرفة ولا روية ، فلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة . قال الله عز وجل : ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين^(١) . خروجاً عن الجماعة ومسارة إلى الفتنة ، وإيثاراً للفرقة وتشتيماً للكلمة ، وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبتز منه العصمة وأخرجه من الملة وأوجب عليه اللعنة ، وقمعياً لمن صغر الله حقه وأوهن أمره وأضعف ركنه من بني أمية الشجرة الملعونة ، ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة وأسبغ عليهم به النعمة من أهل بيت البركة والرحمة . قال الله عز وجل : يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(٢) .

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ، ورأى في ترك انكاره حرجاً عليه في الدين وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين ، وإمالة لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين ، وإقامة الحجج على الشاكين وبسط اليد على العاندين . وأمير المؤمنين يرجع

(١) سورة القصص : الآية ٥٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧٤ .

اليكم معشر الناس بأن الله عز وجل لما ابتعث محمداً وأمره بأن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربه ، وأذنهم وبشرهم ونصح لهم وأرشدهم ، فكان من استجاب له وصدق قوله واتبع أمره نفر يسير من بني أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربه ، وبين ناصر له وإن لم يتبع دينه اعزازاً له وإشفاقاً عليه لماضي علم الله فيمن اختار منهم ونفذت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافته وأرث نبيه ، فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميته يدفعون من نابذه وينهرون من عاره وعانده ، ويتوثقون له بمن كاذفه وعاضده ، ويبايعون له من سمح بنصرته ، ويتجسسون له أخبار أعدائه ، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين حتى بلغ المدى وحان وقت الاهتداء فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به بأثبت بصيرة وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة وأهل بيت الدين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ومعدن الحكمة وورثة النبوة ووضع الخلافة وأوجب لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة . وكان ممن عانده ونابذه وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الأكبر والسواد الأعظم يتلقونه بالكذب والتثريب ، ويقصدونه بالأذية والتخويف . ويبارزونهم بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ويصدون عنه من قصده ، وينالون بالتعذيب من اتبعه ، وأشدهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة ، وأولهم في كل حرب ومناصبه ، لا يرفع على الإسلام براية الا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كل مواطن الحرب من بدر وأحد والخندق والفتح أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن وعدة مواضع لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم ، فحارب مجاهداً وواقع مكابداً وأقام

منايبدأ حتى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون . فتقول بالاسلام غير منظور عليه ، وأسر الكفر غير مقلع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون ، ويميز له المؤلفات قلوبهم فقبله وولده على علم منه . فمما لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ وأنزل به كتاباً قوله : والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً (١) . ولا اختلاف بين أحد انه أراد بها بني أمية . ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به : لعن الله القائد والراكب والسائق . ومنه ما يرويه الرواة من قوله : يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة ، فسا هناك جنة ولا نار . وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . ومنه ما يروونه من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده : ههنا ذببنا محمداً وأصحابه . ومنها الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجم لها ، فما روي ضاحكاً بعدها ، فأنزل الله : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (١) . فذكروا انه رأى نفرأ من بني أمية ينزون على منبره . ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكيم بن أبي العاصي لحساكيتيه إياه والحقه الله بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتلجلج فقال له : كن كما أنت . فبقي على ذلك سائر عمره ، إلى ما كان مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الاسلام واحتماقه لكل دم حرام سفك فيها أو اريق بعدها .

ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر : ليلة القدر خير من

(١) سورة الاسراء : الآية ٦٠ .

ألف شهر (١) ، عن ملك بني أمية . ومنه أن رسول الله ﷺ دعا معاوية ليكتب بأمره بين يديه ، فدافع بأمره واعتل بطعامه ، فقال النبي : لا أشبع الله بطنه . فبقي لا يشبع ويقول : والله لا أترك الطعام شعباً ولكن إعياء . ومنه ان رسول الله ﷺ قال : يطلع من هذا الفج رجل من أمي يحشر على غير ملتي ، فطلع معاوية . ومنه ان رسول الله ﷺ قال : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه . ومنه الحديث المرفوع المشهور انه قال : ان معاوية في تابوت من نار في اسفل درك منها ينادي : يا حنان يا منان ، الآن وقد عصيتُ قبل وكنتُ من المفسدين .

ومنه انبرأؤه بالحاربة لأفضل المسلمين في الاسلام مكاناً وأقدمهم اليه سبقاً وأحسنهم فيه أثراً وذكراً علي بن أبي طالب ينازعه حقه بباطله ويجاهد أنصاره بضلّاله وغواته ، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه ؛ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

يستهووي أهل الغباوة ويموه على أهل الجهالة بمكره وبغيه اللذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنها فقال لعمار : تقتلك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة ويدعونك الى النار ؛ مؤثراً للعاجلة كافراً بالأجلة خارجاً من ربة الاسلام ، مستحلاً لدم الحرام حتى سقك في فتنته وعلى سبيل ضلّاته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه ، مجاهداً لله مجتهداً في أن يعصي الله فلا يطاع ، وتبطل أحكامه فلا تقام ، ويخالف دينه فلا يدان ، وأن تملو كلمة الضلالة وترتفع

(١) سورة القدر : الآية ٣ .

دعوة الباطل ، وكلمة الله هي العليا ودينه المنصور وحكمه المتبع النافذ وأمره الغالب ، وكيد ما حاده المغلوب الداخض حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما أتبعها ، وتطوق تلك الدماء وما سفك بعدها ، وسن سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها الى يوم القيامة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ومنع الحقوق أهلها ، واغتره الإسلام واستدرجه الإمهال ، والله له بالمرصاد .

ثم بما أوجب الله له به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة مثل عمرو بن الحق وحجر بن عدي ممن قتل أمثالهم في أن يكون له العزة والملك والغلبة ، والله العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً (١) .

ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياداً ابن سمية جراً على الله ، والله يقول :

ادعوم لأبائهم هو أقسط عند الله (٢) . ورسول الله ﷺ : ملعون من ادعى الى غير أبيه وانتمى الى غير مواليه . ويقول : الولد للفراش وللعاهر الحجر . فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ جهاراً وجعل الولد لغير الفراش والعاهر لا يضره عمره ؛ فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي ﷺ وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله ، وأثبت بها قرين قد باعدها

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥ .

الله ، وأباح بها ما قد حظره الله مما لم يدخل على الاسلام خلل مثله ،
ولم ينل الدين تبديول شبهه .

ومنه إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله الى ابنه يريسد المتكبر
الخير صاحب الديوك والفهود والقروود ، وأخذنه البيعة له على خيار
المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبية ، وهو يعلم
سفيهه ويطلع على خبيثه ورهقه ويعاين سكراته وفجوره وكفره ، فلما
تمكن منه ما يمكنه منه ووطأه له وعصى الله ورسوله فيه طلب
بشارت المشركين وطوائلهم هند المسلمين ، فأوقع بأهل الحرة الواقعة
التي لم يكن في الاسلام أشنع منها ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين
فيها ، وشقى بذلك عبّده^(١) نفسه وغليله ، وظن أن قد انتقم من
أولياء الله ، وبلتغ النوى^(٢) لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ومظهوراً
لشركه .

ليت اشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الإسلام
قد قتلنا القرم من ساداتكم	وعدلنا ميل بسدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا : يا يزيد لا تسئل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كانت فعل
ولمت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل

هذا هو المروق من الدين وقول من لا يرجع الى الله ولا الى دينه
ولا الى كتابه ولا الى رسوله ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله .
ثم من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن

(١) العبّده : الغضب .

(٢) النوى هنا : الحاجة والشيء الذي تنويه .

علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، مع موقعه من رسول الله ﷺ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل وشهادة رسول الله ﷺ له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة ؛ اجترأ على الله وكفراً بدينه وعداوة لرسوله ومجاهدة لعترته واستهانة بجرمته ، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار الترك والديلم ، لا يخاف من الله نقمة ولا يرقب منه سطوة ، فبتر الله عمره واجتث أصله وفرعه وسلبه ما تحت يده ، وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته .

هذا الى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل احكامه واتخاذ مال الله دولا بينهم ، وهدم بيته ، واستحلال حرامه ونصيبهم المجانيق عليه ، ورميهم لياه بالنيران ، لا يألون له احراقاً واخراباً ، ولما حرم الله منه استباحة وانتهاكاً ، ولمن لجأ اليه قتلاً وتكليلاً ، ولمن أمنه الله به لإخافة وتثريداً ؛ حتى إذا حقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام ، وملؤا الأرض بالجور والعدوان ، وعموا عباد الله بالظلم والاقتسار ، وحلت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة أتاح لهم من عترة نبيه وأهل وراثته من استخلصهم منهم بخلافته ، مثل ما أتاح الله من اسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين ، فسفك الله بهم دماءهم مرتدين ، كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين ، وقطع الله دابر القوم الظالمين ، والحمد لله رب العالمين .
ومكن الله للمستضعفين ، ورد الله الحق الى أهله المستحقين كما قال لجل شأنه : ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين^(١) .

(١) سورة القصص : الآية هـ .

واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل إنما أمر ليطاع وممثل
ليتمثل، وحكم ليقبل، وألزم الأخذ بسنة نبيه ﷺ ليتبع؛ وان
كثيراً من ضل فالتوى، وانتقل من أهل الجهالة والسفاهة ممن اتخذوا
أحبابهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقد قال الله عز وجل:
فقاتلوا أئمة الكفر (١).

فانتهوا معاشر الناس عما يسخط الله عليكم، وراجعوا ما يرضيه
عنكم، وارضوا من الله بما اختار لكم، والزموا ما أمركم به وجانبوا
ما نهاكم عنه، واتبعوا الصراط المستقيم والحجة البينة والسبيل الواضحة،
وأهل بيت الرحمة الذين هداهم الله بهم بدنياً، واستنقذكم بهم من
الجور والعدوان أخيراً، وأصاركم إلى الخفض والأمن والعز بدولتهم،
وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم، والعنوا من لعنه
الله ورسوله، وفارقوا من لا تتالون القربة من الله إلا بفارقتة:

اللهم العن أبا سفيان بن حرب ومعاوية ابنه ويزيد بن معاوية
ومروان بن الحكم وولده . اللهم العن أئمة الكفر وقادة الضلالة
وأعداء الدين ومجاهدي الرسول ومغيري الأحكام ومبدلي الكتاب
وسفكي الدم الحرام .

اللهم إنا نتبرأ إليك من موالاته أعدائك، ومن الاغماض لأهل
معصيتك كما قلت: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من
حاد الله ورسوله (٢).

يا أيها الناس: اعرفوا الحق تعرفوا أهله، وتأملوا سبل الضلالة

(١) سورة التوبة: الآية ١٢ .

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢ .

تعرفوا سايلها ، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم ، ويلحقهم بالضلال والصلاح
آباؤهم ، فلا يأخذكم في الله لومة لائم ، ولا يميلن بكم عن دين الله
استهواء من يستهويكم وكيد من يكيدكم وطاعة من تخرجكم طاعته
الى معصية ربكم .

أيها الناس : بنا هداكم الله ، ونحن المستحفظون فيكم أمر الله ،
ونحن ورثة رسول الله والقائمون بدين الله ، فقفوا عندما نقفكم عليه ،
وانفذوا لما نأمركم به ، فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمة الهدى على
سبيل الإيمان والتقوى . وأمير المؤمنين يستعصم الله بكم ويسأله توفيقكم
ويرغب اليه في هدايتكم لرشدكم ، وفي حفظ دينه عليكم ، حتى تلقوه
به مستحقين طاعته ، مستحقين (١) لرحمته . والله حسب أمير المؤمنين
فيكم وعليه توكله . وبالله على ما قلده من أموركم استعانته ، ولا حول
لأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله ، والسلام عليكم .
وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة أربع وثمانين
ومائتين (٢) .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨ ، ١٨٣ - ١٨٩ .

(١) مستحقين : حاملين .

(٢) أورد السيوطي في تاريخ الخلفاء ٧-٨ هـ نصاً موجزاً كل الإيجاز لما سبق أن

ذكرنا أعلاه .

٧ - المقتدر ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢ م

٢٣ - منشور أصدره وزيره ابن مقلة باسمه إلى ولاية الولايات وقواد الجيش يخبر فيه بهزيمة الرجالة المصافية وهي فرقة مشاة من فرق الجيش تحكت في بغداد وعالث فيها فساداً فحاربها الجيش حتى أخضعها .

بسم الله الرحمن الرحيم . قد جرى - أعزك الله - من أمر الرجالة المصافية بالحضرة ما قد اتصل بك وعرفت جملته وتفصيله وجهته وسبيله . وقد خار الله عز وجل لسيدنا أمير المؤمنين وللناس بعده بما تهبأ من قعهم وردعهم خير ظاهرة متصلة بالكفاية الشاملة التامة بيمين الله وفضله . ولم ير سيدنا - أيده الله - استصلاح أحد من هذه العصابة إلا السودان ، فهم كانوا اخف جناية وأيسر جريرة ، فرأى - أعلى الله رأيه - لإقرارهم على أرزاقهم القديمة ، وتصفيتهم بالعرض على الخنة لعلمه أن العساكر لا بد لها من رجالة . وأمر - أعلى الله أمره - أن يستخدم بخصرته من تؤمن بوائقه وتحف مؤونته وترضى استقامته . وبالله ثقة أمير المؤمنين وتوفيقه . وقبلك وقبل مثلك رجالة أنت أعلم بمن مرضت طاعته منهم ، ومن يعود إلى صحة وصلاح ، فإن قنع من مرضاه منهم بأصل الجاري عليه ، فتمسك به وأقره على جاريه ، ومن رأيت الاستبدال به فأمره اليك . والله المستعان .
صلة تاريخ الطبري لمريب القرطبي ص ١٠٤ .

٢٤ - رسالة المقتدر إلى مؤنس الخادم والجيش لما ثاروا به وهموا بخضاه وقتله .

... وأما نازوك فلست أدري سبب عتبه واستيحاشه ، فوالله

ما أعنت عليه هارون حين حاربه ، ولا قبضت يده حين طالبه . والله
 يغفر له سوء ظنه . وأما عبد الله بن حمدان فلا أعرف شيئاً أحفظه
 إلا عزله عن الدينور ، وما كنا عرفنا رغبته فيها وإنما أردنا نقله الى
 ما هو أجل منها ، وما لأحد عندي إلا ما أحب لنفسه . فإن أريد
 بي نقض البيعة فإني مستسلم لأمر الله وغير مسلم حقاً خصني الله به ،
 وأفعل كما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا ألزم نفسي حجة
 ولا آتي في سفك الدماء ما نهى الله عنه إلا في المواطن التي حدها
 الله في الكافرين والبهمة من المسلمين . ولست أستنصر إلا بالله لما أوامره
 في الفوز في الآخرة . وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .
 صلة تاريخ الطبري لعريب القرطبي ص ٩٧ - ٩٨ .

٨ - القاهر بالله ٣٢٠ - ٣٢٢ / ٥٣٢٢ - ٩٣٢ - ٩٣٤ م

٢٥ - رسالة ابن مقلة للقاهر من اجل التعمويه عليه .

عزم ابن مقلة ومؤنس الخادم على خلع القاهر وأذاعا أن القرامطة
 دخلوا الكوفة . وكان التدبير أن يأتي علي بن بليق قائد الجيش
 المرسل الى الكوفة لوداع الخليفة ، فإذا حضر أمامه قبض عليه وخلعه
 ونصب غيره مكانه ، ولذلك أرسل ابن مقلة الى الخليفة يقول :
 لاني قد جهزت جيشاً مع علي بن بليق ليسيروا معنا هذا . والعصر
 يحضر الى الخدمة ليأمره مولانا بما يراه .
 ولكن المؤامرة لم تنجح إذ تسرب خبرها الى القاهر فأخذ حذره
 وبطش بالمتآمرين .

الكامل لابن الأثير ج ٨ - ٢٥٣ .

٩ - الراضي بالله ٣٢٢ - ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ - ٩٤١ م

٢٦ - دعاء الخليفة لما خرج فصلى بالناس بناء على طلب جنده حتى يراه الناس معهم ولا يتوهموا وجود خلاف .

... اللهم إن هؤلاء الغلمان بطائفي وظهراتي ، فمن أرادهم بسوء فأرده ، ومن كادهم فكده .

المنتظم لابن الجوزي ج ٦ - ٢٨١ .

٢٧ - رسالة الراضي إلى أخيه الأصغر أبي اسحاق [الذي أصبح فيما بعد خليفة باسم المتقي لله] وقد وقع بينهما خلاف .

بسم الله الرحمن الرحيم . أنا معترف لك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترف لي بالأخوة فضلاً ، والعبد يذنب والمولى يعفو . وقد قال الشاعر :
إذا الذي يفضب من غير شيء اعتب فعتباك حبيب إليّ
أنت ، على أنك لي ظالم أعز خلق الله إليّ
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ - ١٤٤ .

١٠ - المطيع لله ٣٢٤ - ٣٦٣ هـ / ٩٤٥ - ٩٧٤ م

٢٨ - عهد المطيع لله بالتنازل عن الخلافة لولده الطائع لله .

هذا ما أشهد على متضمنه أمير المؤمنين الفضل المطيع لله حين نظر لدينه ورعيته وشغل بالعله الدائمة عن ما كان يراعيه من الأمور الدينية اللازمة ؛ وانقطع إفصاحه عن بعض ما يجب لله عز وجل في ذلك . فرأى اعتزال ما كان اليه من هذا الأمر وتسليمه الى ناهض

به قائم بحقه بن يرى له الرأي عقده له ، وأشهد بذلك طوعاً في يوم
الأربعاء الثالث عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

وكتب فيه القاضي محمد بن صالح

شهد عندي بذلك أحمد بن حامد بن محمد وعمر بن محمد بن أحمد
وظلمة بن محمد بن صفر ، وكتب محمد بن صالح (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ - ٦٦ .

١١ - القادر بالله ٣٨١ - ٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م

٢٩ - رسالة الخليفة الى بهاء الدولة البويهبي لما اصبح خليفة .

خلع بهاء الدولة الخليفة الطائع لله ونصب مكانه القادر بالله ، وكان
القادر ملتجئاً الى البطيحة خوفاً من الطائع . وهناك وافته رسل بهاء
الدولة بالخلافة فكتب اليه من هناك هذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أحمد الإمام القادر بالله أمير
المؤمنين الى بهاء الدولة وضيء الملة أبي نصر بن عضد الدولة وتاج الملة
مولى أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد اليك الله
الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ ،
تسليماً . أما بعد : أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك ، وأحسن امتاع
أمير المؤمنين بك وبالنعمة فيك وعندك ، فإن كتابك الوارد في صحبة
الحسن بن محمد بن نصر - رعاه الله - عرض على أمير المؤمنين تالياً
لما تقدمه ، وشافعاً ما سبقه ومتضمناً مثل ما حواه الكتاب قبله من

(١) أورد ابن تفردي في النجوم الزاهرة ج ٤ - ١٠٥ نصاً لا يختلف كبير اختلاف
عن نصنا أعلاه .

إجماع المسلمين قبلك ، الخاص والعام ، بمشهد منك على خلع العباس المتلقب بالطائع عن الإمامة ونزعه عن منصب الخلافة لبوائقه المستمرة وسوء نيته المدخولة ، ولشهادته على نفسه بنكوله وعجزه وإبرائه الكفاية من بيعته وخروجهم من عهده وذمته ، ومبادرة الكبير والصغير إلى المبايعة لأمر المؤمنين ، واصفاقهم واتفاقهم عليها بانسراح في صدورهم وانفساح عن آمالهم ، واستلباب ذلك بتلطفك من حسن الارتداد للمسلمين وانتظامه بفضيك لله ولأمر المؤمنين حتى ناديت بشعاره في الآفاق ، وأقمت الدعوة له في الأقطار ، ورفعت من شأن الحق ما كان المعاصي خفضه وقمت من عماد الدين ما كان الخلوغ رفضه ، ووقف أمير المؤمنين على ذلك كله وأحاط علمه بجميعه ، ووجدك - أدام الله تأييدك - قد انفردت بهذه المأثرة واستحققت بها من الله تعالى جليل الاثرة ، ومن أمير المؤمنين سني المنزلة وعلي المرتبة ، وكانت هذه المنزلة عليك موقوفة ، كما كانت الظنون اليك مصروفة حتى فزت بها ما يقابلك في الدنيا ذكره وفخره ، وفي الآخرة ثوابه وأجره ، فأحسن الله عن هذه الأفعال مكافأتك ، وأجزل عاجلاً وأجلاً مجازاتك ، وشملك من توفيقه وتسديده ومعونته وتأييده بما يديم نظر أمير المؤمنين بك ، وظفره على يدك ، وجعلك أبدأ مخصوصاً بفضل السابقة في ولائه ، متوحداً بتقدم القدم في اصفائه ، فقد أصبحت وأمسيت سيف أمير المؤمنين لأعدائه ، والحاضي دون غيرك يجميل رأيه ، والمستبد بحماية حوزته ورعاية رعيته ، والسفارة بينه وبين ودائع الله عنده . وقد برزت راية أمير المؤمنين عن الصليق متوجهة نحو سريره الذي حرسته ، ومستقر عزه الذي شيدته ، ودار مملكته التي أنت عمادها ، ورحى دولته التي أنت قطبها ، معتمداً لك ما يمتد في الخالص طاعة ومشايعة ، والمهذب نية وطوية ، من صنوف

الاختصاص الذي لا يضرب معك فيه بسهم دانٍ ولا قاصٍ ، وتوفى على كل سالف ، ويفوت كل انف ويمعجز كل مناورٍ ، ويفهم كل سام ومساوٍ ، ولا يبقى أحد إلا علم أنه منزاح عنك غير متواز لك فاحسب^(١) لمهلك وقصر خطاه عن مجازاتك ، ووقع دون موقعك ، وتزحزح لك عن موضعك . وقد وجد أمير المؤمنين الحسن بن محمد بن نصر . - كآله الله - مصدقاً بفعله وحسبك ، محققاً ثناءك ، مستوجباً لما أهلته ورشحته القيام به من المسير في خدمته والحقوق^(٢) فيما يبيديه له . وعلم أمير المؤمنين أنك لم تتلقه إلا بأوثق خواصك في نفسك وأوفرهم عندك ، فأحد في ذلك اعتمادك ، وأضافه إلى سوائف أمثاله عندك ، فاعلم ذلك - أدام الله تأييدك - واجر على عادتك الحسنة وطريقتك المثلى في النيابة تبقى ، وواصل حضرة أمير المؤمنين بالإنهاء والمطالعة إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . كتب ليلة الأحد لثلاث ليال يقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ١٥٩ - ١٦٠

٣٠ - رسالة القادر إلى الأفاق بتعيين ولده ولياً للعهد

... وإن أمير المؤمنين لما تأمل ما وهبه الله تعالى من سلطته أبي جعفر عبد الله ، وجده شهاباً لا يخبر ، وخبر من مغيبات أحواله ما لم يزل يستوضحه فولاه .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٤٩

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب ما حبيت .

(٢) كذا بالأصل ولعل الصواب والخفوف .

٣١ - نص الدعاء الذي تقرر أن يدعو به الخطباء لولي عهد القادر بعد أبيه .

جعل القادر إبنه أبا الفضل ولياً لمهده ، ولقبه الغالب بالله وذلك سنة ٣٩١ هـ ، وأمر أن يخطب له على نسخة بحضرته هذا نصها وذلك بعد إتمام الخطيب الدعاء للخليفة :

اللهم وبلغه الأمل في ولده أبي الفضل الغالب بالله تعالى ولي عهد في المسلمين . اللهم وال من والاه من العباد ، وعاد من عاداه في الأقطار والبلاد ، وانصر من نصره بالحق والسداد ، واخذل من خذله بالبغي والعناد ، اللهم ثبت دولته وشعاره ، وانبذ إلى من نابذ الحق وأنصاره .

تاريخ الصابئ ص ٣٩٣

٣٢ - رسالة جلال الدولة البويهري إلى القادر بالله لما سعى ولده ولياً للعهد .

سلام على أمير المؤمنين ، أما بعد : أطال الله بقاء سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين ، فإن كتابي صادر إلى الحضرة القاهرة القادرية المحفوفة بالبركات النبوية وما استأمن فيه من أمور الرعايا وحفظ نظام العسكر مستمر ببندول الامكان والاجتهاد ، فما أزال أعمل فكراً في مصالح المسلمين ، وأدأب سعيماً في حراسة شملهم . وعلم سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين محيط بأن الله تعالى جعل لكل شيء أمداً ، وسوى في ثقل الخلق فلم يخل من حتمه نبياً ولا صفيماً . وقد سار مولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين بأحسن السير ، حامياً للخواص والعوام من الغير والاشه (١) تسمية النظر في حاضر يومه لغده ،

(١) كذا بالأصل .

واعداد ما يستظهره من عدده ، حتى لا يسأله الله يوم المعاد عن حثي
أهمل وقد تعين وجوده . وإن أولى ما اعتمده النظر لأمة محمد ومن في
ذمتها ، والنص على ما يعهد الله بسياستها حتى لا تكون مهملة في وقت .
وإن الخنية^(١) العزيزة الجعفرية مستحقة لولاية العهد بعد الأمد الفسيح
الذي أسأل الله أن يطيله وأرغب إلى الموقف القادري أن يشد إزر
الخلافة بامضاء العقد المتين لها وصلة اسمها بالاسم العزيز في إقامة الدعوة
وإنشاء الكتب إلى البلاد بما رأى في ذلك ليكون سيدنا ومولانا أمير
المؤمنين بعد الأمد الفسيح قد سلم الأمة إلى راعٍ ، فإن رأت الحضرة
الشريفة النبوية الانعام بالاجابة إلى المرام أنعمت بذلك . وأصدرت
هذه الخدمة يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة
أحدى وعشرين وأربعمائة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ٤٨ - ٤٩

١٢ - القائم بأمر الله ٤٢٢-٤٦٧ هـ / ١٠٣١-١٠٧٤ م

٣٣ - رسالة الجنود الأتراك له يطالبون بتسليم أحد الأفراد لهم
ليقتصوا منه لأنه قتل أحدهم .

حدث شغب بين الأتراك أثناء مبايعة القائم بالخلافة وطالبوا برسم
البيعة ، وتكلم تركي بما لا يليق بحق الخليفة والخلافة فقتله هاشمي ،
فثار الأتراك وأرسلوا إلى الخليفة يقولون :
إن كان هذا بأمر الخليفة خرجنا من البلد ، وإن لم يكن فيسلم
إلينا القاتل .

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب الحضرة .

٣٤ - توقيع الخليفة جواباً على هذا الطلب .

إنه لم يجر ذلك بإرادتنا ، وإنما فعله رعا في مقابلة قول تجاوز به عدوه ، ونحن نطلب القاتل ونقيم فيه حد الله تعالى .
المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٥٩ .

٣٥ - نص قسم الخليفة القائم بأمر الله بالوفاء لجلال الدولة وذلك إثر توليه الخلافة سنة ٤٢٢ هـ .

والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب المدرك المهلك ، عالم السر والعلانية ، ووحق رسوله محمد ﷺ ، ووحق القرآن العظيم والآيات والذكر الحكيم ، لأقيم لركن الدولة جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة أبي نصر على إخلاص النية والصفاء ، ولألتزم له شروط الموافقة والوفاء ، من غير إخلال بما يصلح حاله ويحفظ عليه مكانه ، ولأكون له على أفضل ما يؤثره من حراسته في نفسه وما يليه ، ولوزير الوزراء أبي القاسم وسائر حاشيته وإقراره على رتبته ، وله على بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذه على ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين .
والله شهيد على ذلك .

وهذه اليمين يميني والنية فيها نية جلال الدولة أبي طاهر .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٦٦ .

٣٦ - رسالة القائم إلى الجند الأتراك الذين ثاروا بوزير السلطان الجوهري وأتموه بعدم إعطائه رواتبهم حتى اضطروا الوزير إلى الهرب واستمر شغب الجند بشكل متزايد حتى أرسل لهم الخليفة يقول :
قد عرفتم طلبنا للوزير وقبضنا على أصحابه ، وهذا غاية الممكن .

ولم يبق إلا الفتنة التي تهلك الناس . فإن كانت مطلوبكم فأمهلونا أياماً
الى أن نتأهب لسفرنا ونخرج الى حيث يعرف فيه حقنا .
فأجابوا بالسمع والطاعة .
المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ١٦٠ .

٣٧ - وصية القائم بأمر الله قبل موته مباشرة سنة ٤٦٧ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . إن أمير المؤمنين بحكم ما وكله الله اليه
من أمور عباده وبلاده ، وأوجبه عليه من صلة طريقه في إحسان الولاية
بقلاده أن ينتهي في مراعاة أحوال المسلمين والنظر في مصالحهم ، وإسباغ
ظل العاطفة على أكابرهم وأصاغرهم الى الحد الذي على شارتهم من
ملابس الحذر ، فلذلك تنصب عزائه الميمونة إحضار وزير دولته الناظر
في خدمته محمد بن محمد بن جهمير وولده ونقيب النقباء طراد بن محمد
وقاضي القضاة محمد بن علي والمعلم بن محمد نقيب الطالبين ومحمد بن
محمد البيضاوي وعبد الله بن عبد السيد السبيعي وعبد الله بن محمد الدامغاني
في ليلة الأحد التاسع من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، فحين
مثلوا بين سنده الشريفة أنعم متبرعاً في إيصاله من رأيه ونفاذ عزائه
بمشافهة سلالته الطاهرة ابي القاسم عميد الله بن محمد أمير المؤمنين
بتوليته العهد وتصويره خليفة بعده في المسلمين ، ووصاه بما يطابق
الشرع في هذه الحال ، ويحل من رضى الله أجل الحال حيث وجده
أهلاً لذلك ورآه واستوثق كل مسمى له في الرشاد وارتضاء ، وألفاه
ناهضاً بأعباء ما ولاه ، ناهجاً للسنن الذي أوجبه جميل خلاله وأوصاه ،
مجتمعة فيه شرائط ما فوضه اليه واستكفاه . والله يد أمير المؤمنين

بالتوفيق في إيجابه وعزائمه ، ويقرن التشديد (١) بفتح أمره وخواتمه
وتحسين الخيرة له ولولي عهده ولكافة المسلمين فيما أذن فيه وقصد به
احكام دعائم الصلاح ومبانيه بمنه .
وهناك سطران ملحقان :

لا يغير للخدم حال ولا يزعجوا في ملك ولا اقطاع .
المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ٢٩٠ - ٢٩١ .

١٣ - الراشد بالله ٥٢٩ - ٥٣٠ / ١١٣٥ - ١١٣٦ م

٣٨ - نص يمينه للسلطان مسعود السلجوقي لما أصبح خليفة .
لإني متى جندت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان
بالسيف فقد خلعت نفسي من الأمر .
الكامل لابن الأثير ج ١١ - ٤٢ .

١٤ - المستنجد بالله ٥٥٥ - ٥٦٦ / ١١٦٠ - ١١٧٠ م

٣٩ - رسالته لوزيره يخبره فيها بوفاة والده المقتفي وتولية هو
منصب الخلافة .

الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . تسليماً
لأمر الله وقضائه ، فصبراً لحكمه النافذ ومصابه في الإمام السعيد الذي
عظم مصابه واعتاض حلو العيش صابه ، وفنت في عضد الاسلام وغدا

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب التشديد .

به الدين واهي النظام . إن الصبر عليه لبعيد والكمد عليه مع الأيام جديد . لقد كان سكينه مغشية المراد ورحمة منتشرة في العباد ، برأهم رؤوفاً ، متحسناً عليهم عطوفاً ، فجدد الله سبحانه لديه من كراماته الراحة وتحياته العادية الرائجة ما يحله بجموحة جنانه وينيله مبتغاه من إحسانه ، ومع ما من الله عليه من استقرار الأمر في نصابه وحفظه على من هو أولى به فليس إلا التسليم إلى المقدر والتفويض إليه سبحانه في جميع الأمور ، فهو يوفي المثوبة والأجر . والسعيد من كان عمله في دنياه لأخراه ، ورجوعه إلى الله سبحانه في بدايته وعقباه . والله تعالى يوفق أمير المؤمنين لما عاد برضاه وصلاح رعاياه ليعود النظام إلى اتساقه ونور الإمامة إلى إشراقه . فانهض أنت إلى الديوان لتنفيذ المهام ، ولتثق بشمول الانعام . ولتأمر الحاضرين بالإتكفاء إلى الخدمات وليتقدم بضرب النوبة في أوقات الصلوات .

المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ ، ١٩٣ - ١٩٤ .

١٥ - الظاهر بالله ٦٢٢ - ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٦ م

٤٠ - رسالته الشفوية التي وجهها لأرباب الدولة وأتبعها بمرسومه إلى جميع موظفي الدولة .

أما الرسالة الشفوية فنصها كما يلي :

أمير المؤمنين يقول : ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم أو نفذ منك ثم لا يبين له أثر ، بل أنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى إمام قوال .

وأما المرسوم الذي عمه على جميع الموظفين فنصه كما يلي :

اعلموا أنه ليس إهمالنا إهمالاً ولا إغضاؤنا إغفالاً ، ولكن لنبلوكم
أيكم أحسن عملاً . وقد عفونا لكم ما سلف من إخراج البلاد وتشريد
الرعايا وتقمييح السمعة وإظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة
ومكيدة ، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاءً واستدراكاً لأغراض
انتهزتم فرصتها مختلسة من برائن ليث باسل ، وأنياب أسد مهيب ،
تتفقون بالفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناءه وثقاته ، فتميلون
رأيه الى هواكم ، وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وأنتم له عاصون ،
ويوافقكم وأنتم له مخالفون . والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنياً
وبفقركم غنى ، وبباطلكم حقاً ، ورزقكم سلطاناً يقيل العثرة ويقبل
المعذرة ، ولا يؤاخذ إلا من أصر ، ولا ينتقم إلا من استمر ، يأمركم
بالعدل وهو يريد منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم . يخاف
الله تعالى فيخوفكم مكرهه ، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته ، فإن
سلكتم مسالك خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه ، وإلا هلكتم ،
والسلام (١) .

الكامل لابن الأثير ج ١٢ ، ٤٥٦ - ٤٥٧ .

(١) ورد نص هذا الرسوم دون الرسالة الشفوية في كل من البداية والنهاية لابن كثير
ج ١٣ - ١١٣ وفي مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل ج ٤ - ١٩٢ مع وجود
خلافاً ثانوية لاتغير الموضوع .

- الوزارة والوزراء -

٤١ - رسالة شفوية من ابن الفرات وزير المقتدر إلى محمد بن داود بن الجراح :

حدثت حركة انقلابية سنة ٢٩٦ هـ ضد المقتدر بالله هدفها خلعه وتنصيب ابن المعتز مكانه، ولكن الحركة لم تنجح واعتقل أقطابها وقتل ابن المعتز. وكان محمد بن داود بن الجراح ممن اشترك في هذه الحركة، واستتر عقيم اخفاؤها. فلما طال عليه الأمد ارسل الى ابن الفرات يسأله التوسط لدى الخليفة للعفو عنه، فأجاب ابن الفرات شفويًا مع ثقة له بما يلي :

ليس جرمك يسيراً والعهد به قريب، والاستتار صناعة فيجب أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتى ينسى قصتك. ثم دعني والتدبير في أمرك، فإني، بإذن الله، أسفر بعد هذه المدة في سلاحك وأخذ لك أمان الخليفة بخطه وأقول له : إنه دخل فيما دخل فيه القواد وكتائبهم، وقد دعت الضرورة الى الصفح عنهم، ولهذا بهم أسوة. وأشير عليه بما يصلح أمرك.

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ - ١٠.

٤٢ - نص خاتمة رسائل علي بن عيسى وزير المقتدر للعمال .

أصبح علي بن عيسى وزيراً للمقتدر سنة ٣٠١ هـ، فـدبر الأمور بشكل جيد، وكان يختم رسائله الى جميع العمال بما يلي :

وهذا عنفوان السنة وأول الافتتاح ووقت جموع الخراج، ولست أعلم ما يجب أن أطالبك به فأذكره وأخاطبك عليه، ولكني آمرك

أن تحمل صدرا من المال يتوفر مقدارها ، وتنفذ الرسائل بذلك مع الجواب عن كتابي هذا عند نظرك فيه ، وتكتب إليّ بشرح الحال في أمور نواحيك وتنفذ موافقة نقف عليها وبها على موقع أثرك فيها ومخائل تدبيرك في توفيرها وتعميرها ؛ وتتوقف عن إمضاء التسييبات وما يجري مجراها الى أن يرد عليك كتيبي وتوقيعاتي في استبار رأيك عما يكون عملك عليه ، وتمكّن في نفسك أنسه لا رخصة عندي ولا هواة في حق من حقوق أمير المؤمنين أغضى عنه ، ولا درهم من ماله أسامح فيه ، ولا تقصير في شيء من أمور العمل اصبر لقريب أو بعيد عليه . ولا تكون بإظهار أثر جميل في ذلك أشد عناية منك بإنصاف الرعية والعدل عليها ورفع صغير المؤمن وكبيرها عنها . فإني أطالبك بذلك كما أطالبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الأموال وحياطتها ، وتابع كتبك بما يكون منك وقتاً وقتاً لأعرفه إن شاء الله .
تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ - ٢٧ .

٤٣ - رسالة علي بن عيسى وزير المقتدر إلى العمال برفع

المظالم والتحقيق فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم . سبيل ما يرفعه اليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمته ويدعي أنه تلف بالآفة من غلته أن تعتمد في كشف حاله على أوثق ثقاتك وأصدق كفاتك حتى يصح لك أمره فيزيل بالظلم فيه (١) ، فترفعه وتضع الانصاف موضعه ، وتحسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسب وتستوفي الخراج

(١) كذا بالأصل ،

بعده من غير محاباة للأقوياء ولا حيف على الضعفاء .
فاعمل فيما رسم لك ما يظهر ويذيع ويشتهر ويشيع ، ويكون
العدل به على الرعية كاملاً ، والانصاف لجميعهم شاملاً إن شاء الله .
تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ - ٢٨ .

٤٤ - رسالة المقتدر إلى جميع عماله بعودة الوزير ابن الفرات
إلى الوزارة للمرة الثانية سنة ٣٠٤ هـ .

والرسالة من إنشاء محمد بن جعفر بن ثوابة الكاتب .
لما لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه ، ولا للملك بدأ منه ، وكان كتاب
الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت ما بين أخطارهم ، مقرين
برياسته ، معترفين بكفائته ، متحاكمين إليه إذا اختلفوا واقفين عند
غايته إذا استبقوا ، مذعنين بأنه الجوّال القلب المحنك المحرب ، العالم
بدرّة المال كيف تحلب ، ووجوه كيف تطلب ، انتضاه من غمده
فعاود ما عرف من حده فنفذ الأعمال كأن لم يقب عنها ، ودبر الأمور
كأن لم يخل منها .
ورأى أمير المؤمنين ألا يدع شيئاً من أسباب التكرم كان قديماً
جعل له إلا وفناه إياه ، ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان آخره عنه
إلا حباه به فخطبه بالتلبية (١) .

معجم الادباء لياقوت الحموي ج ١٨ ، ٩٧ - ٩٨

(١) ورد نص مشابه كل المشابهة ، باستثناء بعض الخلافات البسيطة ، في تجارب الأمم
لابن مسكويه ج ١ - ٤٢ .

٤٥ - رسالة ابن الفرات إلى سليمان بن الحسن بن مخلد

كان بين ابن الفرات وابن مخلد مصافاة ومودة ، فلما صار ابن الفرات وزيراً حسده ابن مخلد على مكانته ، فكتب رقعة ذكر فيها أملاك ابن الفرات وأمواله وأسبابها وأراد إيصالها إلى المقتدر حتى يصادر ابن الفرات وينكبه ، ولكن حدث ان الرقعة وصلت إلى يد الوزير ابن الفرات فغضب على ابن مخلد وصادره واعتقله ، ثم بعد مدة أراد العفو عنه فكتب اليه يقول :

نظرت - أعزك الله - في حقه علي وجرمك إلي ، فرأيت الحق موفياً على الجرم ، وتذكرت من سالف خدمتك ماعطفتني عليك وثنائي اليك ، وأعادني لك إلى أفضل ماعهدت وأجل ماألفت .
وعفا عنه وأطلق له عشرة آلاف درهم .

الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٨ - ١٠

٤٦ - رسالة شفوية من الوزير ابن الفرات إلى الخليفة المقتدر

أحس ابن الفرات تغير الخليفة عليه ، ونجحت المساعي المبذولة لدى الخليفة لإيغار صدره عليه فانكش وانقبض ، فأراد الخليفة تطمينه وتسكينه فأرسل له رسالة شفوية بهذا المعنى حملها له نسيم مولى أمير المؤمنين ، فأجاب ابن الفرات برسالة شفوية حملها نسيم للخليفة - نصها كما يلي :

قل له : انت تعلم ، يا أمير المؤمنين ، إني عادت في استيفاء حقوقك الصغير والكبير ، واستخرجت لك المال من الدين والشريف ، وبلغت غاية ما أمكنني في تأييد دولتك ، ولم أفكر في أحد مع سلامة نيتك وما قربني منك واجتلب لي حسن رأيك ، فلا تقبل في قول

من يريد إبعادي عن خدمتك ، وبغريك بما لا فائدة فيه ويدعوك إلى ماتدم عواقبه . وبعد فطالعي وطالعك واحد وليس يلحقني شيء إلا يلحقك مثله . فلا تلتفت إلى ما يقال ، فقد علمت الخاصة والعمامة إني اطلقت للرجال النافذين إلى طريق مكة ما لم يطلقه أحد تقدمني ، واخترت رؤساء الجند والقواد وشجعان الرجال ، وأزحت العلة في كل ما التمس مني ، فحدث من قضاء الله عز وجل على الحاج ما قد حدث مثله في أيام المكتفي بالله رحمه الله ، فما أنكره على وزيره ولا ألزمه جريوته ولا أفسد عليه رأيه ...

وتكلم بهذا المعنى ماشاكلة .

تجارب الامم لابن مسكويه ج ١ - ١٢٤

٤٧ - رسالة ابن الفرات الشفوية إلى الوزير الخاقاني لما أصبح هذا وزيراً واعتقل ابن الفرات وابنه وبدأ في مناظرتها واستجوابها وتحصيل الاموال منها . ذلك ان الخاقاني قرر استعمال الرفق معه في تحصيل الاموال وأرسل له شخصاً يداريه ويطلب منه الإقرار بالأموال التي عنده فقال للشخص الذي أرسله الخاقاني :

قل للوزير : لست حدثاً غراً فتحتمل علي في المناظرة ، ولست أقول إني لا أقدر على المال ، ولكن إذا وثقت لنفسي بالحياة فديتها بالمال ، وإنما أثق بذلك إذا كتب أمير المؤمنين بخطه لي أماناً وشهد الوزير والقضاة بخطوطهم ، ويكتب لي الوزير - أيسده الله - أماناً بخطه ويسلمني إلى أحد رجلين : إما مؤنس المظفر ، وإن كان عدوي وإما شفيع اللؤلؤي ؛ فإن لم يفعل ذلك فقد وطنت نفسي على التلف .

٤٨ - فأجابه الخاقاني :

إني لو قدرت على التوثق لك لتوثقت ، ولكن إن تكلمت في هذا المعنى عاداني خواص الدولة لأجلك ، ثم لم تنتفع أنت بذلك ، وقد رد الخليفة أمرك إلى هرون بن غريب .

تجارب الامم لابن مسكويه ج ١ - ١٣٠

٤٩ - رسالة ابن مقلة وهو معتقل إلى الوزير ابن الفرات يطلب منه العفو والعمل على إطلاق سراحه .

أمسكت - أطال الله بقاء الوزير - عن الشكوى ، حتى تناهت البلوى ، في النفس والمال والجسم والحال إلى ما فيه شفاء للمنتقم وتقويم للمجتمتع وحتى أفضيت إلى الحيرة والتبدل ، وعيالي إلى الهتكمة والتشرد ، وما أبداه الوزير - أيده الله - في أمري إلا بحق واجب وظن غير كاذب . وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة وصحبة وخدمة ، إن كانت الإساءة أضاعتها ، فرعاية الوزير ، أيده الله تعالى بحفظه ، ولا مفرغ إلا إلى الله بلطفه وكنف الوزير وعطفه ، فإن رأى - أطال الله بقاءه - أن يلحظ عبده بعين رأفته وينعم بإحياء مهجته وتخليصها من العذاب الشديد والجهد الجهد ، ويجعل له من معروفه نصيباً ، ومن البلوى فرجاً قريباً .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٣ ، ٢٦٨ - ٢٦٩

٥٠ - رسالة القاهر بالله إلى ابن مقلة لما استوزره وخلص عليه

وكناه سنة ٣٢١ هـ

يا أبا علي : أدام الله إمتاعي بك . محلك عندي جليل ، ومكانك من قلبي مكان مكين . وأنا حامد لمذهبك مرتض لأفعالك ، ع-ارف

بنصيحختك ، ولم أجد ، مع قصور الأحوال ، مما أضره لك ما يزيد
في محلك وكال سرورك غير تشريفك بالكنيسة . وأنا أسأل الله عوفاً
على ما أحبه لك .

المنتظم لابن الجوزي ج ٦ - ٢٤٩

٥١ - رسالة ابن مقلة الوزير إلى أبي عبد الله البريدي

أرسل ابن مقلة أبا عبد الله الكوفي إلى الأهواز لإقناع المتغلب عليها
أبي عبد الله البريدي بإرسال الأموال والخراج إلى الخليفة الراضي في
بغداد ، ولكن أبا عبد الله الكوفي فعل العكس وحرص البريدي على
عدم إرسال شيء وأطلعه على ضعف الخليفة والوزير ، ووصل الخبر
إلى ابن مقلة بذلك فأرسل إلى البريدي يقول :

الويل للكوفي الغاضّ مني ، أنفـذته ليصلحك لي فأفسدك عليّ
وأطمعك وأصغيت بالشره اليه . والله لأقطعن يديه ورجليه . أما
أنت فأرجو ألا تصر على كفر نعمتي وإحساني اليك ، وأن تنيب
بك الروية إلى رعاية حقوق اصطناعي لك فترضيني من نفسك وتعينني
في مثل هذه الحالة الصعبة ، التي لم يتدفع من جاس مجلسي في دولة من
الدول إلى مثلها ، وأن تخبرني بما أظني بما أظني به فتحفظ به نعمتيك
التي إحداهما في يدي والأخرى في يدك ، إن شاء الله .

تجارب الامم لابن مسكويه ج ١ - ٣٢٩

٥٢ - رسالة المتقي لابن مقلة

أصبح توزون صاحب السلطة في بغداد وسيطر على الخليفة المتقي
الله ، وطمع ابن مقلة في أن يصبح وزيراً فأرسل إلى المتقي يطلب منه

تقليده الوزارة وضمن لقاء ذلك مالا فأرسل اليه المتقي يقول :
إني راغب فيك مائل إليك ، محب لتقليدك ، ولكن ليس يجوز
أن ابتدء بذكرك ، فاصلح أمرك مع الترجمان وقل له يسميك مع
جماعة فإني أختارك من بينهم .
وقد تم الأمر كما رسم المتقي واختير ابن مقلة وزيراً . والترجمان
هو محمد بن ينال .

تجارب الامم لابن مسكويه ج ٢ - ٤٣

٥٣ - مرسوم أصدره القائم بأمر الله بتعيين فخر الدولة بن جهمير
وزيراً سنة ٤٧٢ هـ من إنشاء العلاء بن موصليا

أما بعد : فالحمد لله ذي الالاء الصافية الموارد ، والنعماء الصادقة
الشواهد ، والطول الجامع شمل أسباب المنح الشوارد ، ذي القدرة المصرفة
على حكمها مجاري القدر ، والمشينة الحالية بالنفاذ في حالي الورد
والصدير ، المذل يجميل صنعه أعناق المصاعب ، المديم (١) بكرم لطفه
من امتداد النوائب ، الذي جل عن إدراك صفاته بغيره أو حسد ،
ودل بباهر آياته على كونه الفرد الولي بكل شكر وحمد ، سبحانه
وتعالى عما يصفون .

والحمد لله الذي اختص محمداً ﷺ بالرسالة واجتباها ، وحبها
بالكرامة بما أشرق له مطلع الجلال ، واختاره وبعثه لإظهار كلمة الحق
بعد أن مد الضلال رواقه ، فلم يزل باعزاز الشرع قائماً ، ولساعات
زمانه في طلب رضا الله قاسماً ، لا ينحرف عن مقاصد الصواب ولا

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب : المديل بدلاً من المديم .

يميل ، ولا يخلي مطايا جده في تقوية الدين مما يتابع فيه الرسم والذميل ، إلى أن أزال عن القلوب صدأ الشكوك وجلا ، وأجلى مسعاه عن كل ما أودع نفوس أحلاف الباطل وجلا ، ومضى وقد أضاء للايمان هلالاً أمين سراره ، وانتضى لإبادة الشرك حساماً لا ينبو قط غراره ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتخبين صلاة يتصل الأصيل فيها بالغدو ، وتثرى قيمتها في الأجر وافية العلو والغلو . والحمد لله الذي أصار إلى أمير المؤمنين من إرث النبوة ما هو أحق به وأولى ، وأثار له من مطالع العز ما أسدى به كل نعمة وأولى . وأحله من شرف الإمامة بحيث عنت لطاعته أعناق الرقاب الصعاب ، وأذعنت له القلوب بالإنطواء على الولاء الفسيح الرحاب والشعاب ، وجعل أيامه بالنضارة آهلة المغاني متقابلة أسماؤها في الحسن بالمعاني ، فما يجري فيها إلا ما الصواب في فعله كامن ، والحظ بانتهاج سبله كائن ، إبانة عن اقتران الرشد بعزائه في حالتي العقد والحل ، واقتراب مرام كل ما يحل من الصلاح في الدهر أفضل حل .

ثم إنه يرى من إقرار الحقوق في نصابها . وإمرار حبال التوفيق في جانبها من الممتدة إلى اغتصابها ما يعرب إلى الاهتداء إلى طرق الرشد، والاقتراب من وجد ضالة المراد حين تشد ، ويقصد من تجديد العوارف عند كل عالم بقدرها في الزمان عارف ، ما يحلو جني ثمره في كل أوان ويحدو انتشار خبره على إعانة كل فكر في وصفه عنوان . فيتناقل الرواة ذكر ذلك غوراً ونجداً ، وتلقى المهم العلية إدخار الجمال به أنفع من كل قنية وأجسدى ، استمراراً على شاكلة تحلت بالكرم ، وحلت من الجلال في القل والقمم ، وحلست آثارها في إبلاء نفيس المنح وجزيل القسم .

ولما عدا منصب الوزارة موقوفاً على الذين طألما جزوا بهم مهم نواصي
الخطوب ، وحازوا بذمهم المنال في مقاصد استشهدوا بها على إحراز
كل فضيلة واستدلوا ، وكفوا بكفايتهم أكف الفساد وردوا ، وحازوا
القتال في كل ماسعوا له وجدوا ، وخلا الزمان بمن ينهض بعبد هذا
الأمر الجسيم ، وتصبح أنباؤه فيه ذكية الأرج والنسيم ، لم يبق غيرك
من يستحق التخييم في عراضه ، والتحكيم في اجتناء الفخر منه واستخلاصه
وكان القدر سبق بانفضالك عن الخدمة لا لضعف سريرة ولا لقوة جريرة
ولا لكدر سيرة ، وكيف وأنت المتفرد بالكمال والمتجرد في كل مقام ،
سلم حدثاً تقربك من حادث الكلال ، ولك في الدولة الحقوق التي
أعتدت لك من وقع الاستزادة مجتاً ، والمواقف التي اغتدت من درة
الإحاد بما أئين^(١) الظئر لها وأنتا ، والمقاصد التي أعدمت لك البدل ،
ولا انحرف لك سعي عن مناهج الإصابة ولا عدل ، وتمكنت فيها من
عنان التوفيق بما لا يجارى سيفك فيه قط ، ولا يحسن له حال المسرى
إليه المحط ، والآثار التي أفارت من كوامن الرضا أفضل ما يندخر ويقتنى ،
وأفارت من دلائل الزلفى ما ينتجر به وعد المنى ويقتضى ، لكن كان
ذلك مسطوراً في الكتاب ، ليتبين أنه لا عوض عنك في الإستحقاق
للأمر والإستيجاب ، لم يوجد لهذه الرتبة كفواً سواك ، ولا ينزهها
عن العطل غير رائق جلاله . فرأى أمير المؤمنين تسليم مقاليدها إليك ،
إذ كنت أحق بها وأهلها ، ومن يجمع بعهد الشتات شملها ، فطوقك
من قلائدها ما هو بأعطافك الصق ، وبتمام أوصافك أليق ، لتدرع من
عز الوزارة جلاباباً لا تخلق الأيام له جدوة ، ولا تزال السعود بما يثول
إلى دوام مدته ممتدة ، وترتضع من لبنان خلالها ما يقضي لك بأن تقف

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب أوّن يقال شرب الرجل حتى أوّن أي امتلأ .

نفسها عليك ، وتقف آمال الأمثال دون ما انتهت الغاية فيه إليك ،
وتعتمد فيا عدقه بك منها وناطه ووفاك فيه حقوق النظر واشتراطه ، بحكم
توحدت في إحراز أدواتها التي لا يبلغ أحد لك فيها مدى ، ولم يمد
طامع إلى مساجلتك فيها يداً ، ما يرضي الله تعالى ويرضيه ، ويخص
ذكرك بالطيب ويحيطه فتمفوز فوزاً كبيراً ، وتعيد الساعي في إدراك
شأوك ظالماً حسيراً .

ثم إنه شفع هذه المنحة التي قمصك مجاسد فخرها بالوجوب ، وعوضك
فيها الدهر بجداث البشر عن سابق القطوب ، بإيصالك إلى حضرته
وإدنائك من سدته ومناجاتك بما يتيح لك امتطاء غارب المجد وصهوته ،
والإحتواء على خالص السعد وصفوته ، وحبائك من صنوف التشريفات
التي تروق جلى خلالها ، وتتوق الآمال إلى إدراكها ومنها ، وصفت
الكرامات التي رفت المنى بها بعد مطالها ، ونفت القذى عن مقل
مغضوضة بسوء فيعال الأيام ومقالها ، بما يوطئ عقبك الرجال ، ويضيق
على من يحاول مجاراتك المسرح والجمال ، ولم يقتنع بذلك في حق النعمى
التي أعداك فيها على الغيتر ، وأغداك منها في ظل من الأمن البادي
الأوضح والقرر ، حتى ألحق بسماتك تاج الوزراء تنويهاً بذكرك في
الزمان ، وتبنيها على اختصاصك لديه بوجاهة الرتبة والمنكاث ، فصار
مكروه الأيام في محبوبها سببياً ، وخبت نار كل من سعى في تضليل
النظام وجيفاً وخبياً ، حتى الآملون أن يجعلوا تحت الخلافة زميناً ،
وتصبح رباعه يعد النضارة ديمناً ، ليعقبهم ذاك نيل ما وصلت إليه
الإمضاء (؟) لهذا العزم ، وبالجملة فالسامة واقعة من تتابع هذه
الشكاوي ، وقد كان الأحب أن لا يضمن الكتب النافذة سوى تعهد
الأنباء ، لازال عرفها أرجاً من سائر الأرجاء والنواحي . لكن تأتي

نجاري الأقدار ودواعي الإضطراب إلى ما يرتق ماء الإرادة والإيثار .
والآن فقد بلغ الماء ، وجلب من عدم الصبر الحناء ، ولم يبق غير هزة
دينية منك تكشف بها هذه المعرة ، وتتحف بها أمير المؤمنين بما يتم
لديه أكمل المسرة ، فقم في ذلك مقام مثلك - وإن كان لانظير لك
يوجد - تحظ بما يمضي لك فيه إستحقاق كل الحمد ويوجب ، إن
شاء الله تعالى (١) .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١ ، ٢٣٤ - ٢٣٧

٥٤ - رسالة عميد الملك الكندي الشفوية إلى نظام الملك

كان عميد الملك وزيراً لظفرلبيك وألب أرسلان السلجوقيين في بغداد ،
ثم عزل عميد الملك وحل محله نظام الملك ، وظل يؤكد بعميد الملك
حتى تقرر قتله ، فلما أخذ للقتل قال للجلاد : قل للوزير نظام الملك :
بش ما فعلت ، علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ، ومن
حفر مهواة وقع فيها ، ومن سن سنة سيئة فعله وزرها ووزر من
عمل بها إلى يوم القيامة .

وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٤ - ٢٢٦

٥٥ - رسالة المقتدي بالله إلى وزيره بكف يده بناء على طلب

ملك شاه ونظام الملك

وقعت وحشة بين وزير الخليفة عميد الدولة محمد بن محمد بن جيهن
وبين ملك شاه ونظام الملك فطالبها الخليفة بعزله وأرسل سعد الدولة من

(١) أورد ابن الجوزي في منتظمه ٨٠ - ٢٥٣ بعض فقرات من هذا المرسوم وهي
قصيرة جداً وتختلف في مبناها عما ورد أعلاه كقوله . . . وقف على ما أنهيته وحصولك
واستقرارك بمقر عز خدمتك من الديوان . .

طرفها إلى الخليفة لتحقيق ذلك ، ورغم تمسك الخليفة به إلا أنه اضطر إلى لزوم داره فخرج توقيع الخليفة يقول :

” عرف محمد بن محمد بن جبير ماعليه جلال الدولة ونظام الملك من المطالبة بصرفه سأل الإذن في ملازمة داره إلى أن نكاتها بحقيقة حاله وما هو عليه من الولاء والمخالصة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٣١٨

٥٦ - نص كتاب المقتدي بعزل وزيره محمد بن محمد بن جبير بعد أن أسر ملك شاه ونظام الملك على ذلك

لكل أجل كتاب . انصرف من الديوان إلى دارك ، واخل ماأنت منوط به من نظرك .

المنتظم لابن الجوزي ج ٩ - ٥

٥٧ - تعيين الخليفة المسترشد علي بن طراد نائباً للوزير

ملكك يا نقيب النقباء من شريف الآباء ، وموضعك الحالي بالإختصاص والإختيار ما يقتضيه إخلاصك المحمود إختياره ، الزاكية آثاره ، فوجب التعويل عليك في تنفيذ المهام والرجوع إلى استصوابك في النيابة التي يحسن بها القيام . وجماعة الأولياء والأنباع مأمورون بتابعتك وامتثال ماتصرفهم عليه من الخدم في إبدائك وإعادتك . فاحفظ نظام الدين وتقدم إلى من جرت عادته بملازمة الخدمة وسائر الأعوان ، وتوفر على مراعاة الأحوال بانشرح صدر وفراغ بال ، فإن الإنعام لك شامل ، وبئيل أمالك كافل ، إن شاء الله .

المنتظم لابن الجوزي ج ٩ - ٢٣٤

٥٨ - رسالة الناصر لدين الله إلى ناظر واسط في تقليد ابن
زيادة الوزارة

قد الناصر ابن زيادة الوزارة وكان مقيماً في واسط ، فأرسل له
زببياً مع رسول إلى ناظر واسط ورسالة يقول له فيها :
قد بعثنا خلعة ودواة لابن زيادة ، فتحمل الخلعة على رأسك
والدواة على صدرك وتمشي راجلاً اليه وتلبسه الخلعة وتجهزه اليها وزيراً .
وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ - ٢٩١

٥٩ - رسالة للناصر من مملوكه أمير الحج مظفر الدين سنقر الذي
هرب إلى الشام سنة ٦٠٣ هـ من وزيره نصير الدين
إنني هربت من يد الوزير

٦٠ - رسالة أخرى للناصر من أخص مماليكه جمال الدين قشتمر الذي
هرب من الوزير يقول فيها :

إن الوزير يريد أن لا يبقي في خدمة الخليفة أحداً من مماليكه ،
ولا شك أنه يريد أن يدعي الخلافة .
السكامل لابن الأثير - ١٢ - ٢٧٦

٦١ - رسالة الشريف نصير الدين العلوي للخليفة الناصر لما عزله من
الوزارة سنة ٦٠٤ هـ .

نجحت دسائس اعداء الوزير وأقاله الخليفة ، وكان الوزير ذا مال
وافر فخاف أن يذهب المال وتذهب روحه أيضاً فكتب إلى الناصر :
إنني قدمت إلى هنا وليس لي دينار ولا درهم . وقد حصل لي من
الأموال والأعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسمائة ألف دينار .

وسأل أن يؤخذ الجميع ويفرج عنه ويسكن المشهد أسوة ببعض العلويين .

٦٢ - جواب الناصر للوزير المعزول نصير الدين العلوي :

إننا ما أنعمنا عليك بشيء فنوبنا استعادته منك ولو كان مـلء الأرض ذهباً . غير أن الأعداء قد أكثروا فيك القول فاختر لنفسك مكاناً تنتقل إليه موقراً محترماً .

فاختار أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلا يتمكن منه عدو فتذهب نفسه ، وقد فعل به ذلك^{١١} .

تاريخ ابن الفرات ج ٥ ، ٦٢ - ٦٣ .

— القضاء والقضاة —

٦٣ - مرسوم صادر عن أحمد بن طولون بتقليد أحد القضاة القضاء في ثغر برقة من إنشاء ابن عبيد كان :

إن أحق من آثر الحق وعمل به ، وراقب الله في سر أمره وجهره ، واحترس من الزيغ والزلل في قوله وفعله ، وعمل لمعاده ورجعته ، إلى دار فاقته وفقره ومسكنته ، من جعل بين المسلمين حاكماً ، وفي أمورهم ناظراً ، فأراق الدماء وحققها ، وأحـل الفروج وحرّمها وأعطى الحقوق وأخذها . ومن علم أن الله تبارك وتعالى

(١) اردد ابن الأثير في الكامل ١٢٠ - ٢٧٧ نصاً لا يختلف كبير اختلاف عن نصنا أعلاه .

سأله عن مثقال الذرة من عمله ، وانه إنما يتقلب في قبضته أيام مدته ، ثم يخرج من دنياه كخروجه من بطن أمه ، إما سعيداً بعمله ، أو شقيماً بسعيه .

وإنما لما وقفنا عليه من سيد مذهبك وقويم طريقتك وجميل هديك وحسن سيرتك ورجوانه فيك وقررناه عندك : من سلوك الطريقة المثلى واقتفاء آثار أئمة الهدى والعمل بالحق لا بالهوى ، رأينا تقليدك القضاء بين أهل ثغر برقة ، وأمرناك بتقوى الله الذي لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب ، وبطاعته التي من آثرها سعد ، ومن عمل بها حمد ، ومن لزمها نجا ، ومن فارقه هوى ؛ وأن تواصل الجلوس لمن بحضرتك من الخصوم صابراً بنفسك على تنازعهم في الحقوق وتدافعهم في الأمور ، غير برمٍ بالمراجعات ولا ضجرٍ بالمحاكمات ؛ فإن من حاول إصابة فصل القضاء وموافقة حقيقة الحكم بغير مادة من حلم ولا معونة من صبر ولا سهمة من كظم ، لم يكن خليفاً بالظفر بهما ، ولا حقيقاً بالدرك لهما ، وأن تقسم بين الخصمين إذا تقدم اليك وجلسا بين يديك ، في لحظك ولفظك ، وتوفي كل واحد منها قيسمه من إنصافك وعدلك ، حتى يبأس القوي من ميالك ويأمن الضعيف من حيفك ؛ فإن في إقبالك بنظرك وإصغائك بسمعك إلى أحد الخصمين دون صاحبه ما أضل الآخر عن حجته ، وأدخل الخيرة على فكره ورويته ، وأن تحضر مجلس قضائك من يستظهر برأيه ومن يرجع إلى دين وحجج وتقى فإن أصبت أيديك وإن نسيت ذكرك ، وأن تقتدي في كل ما تعمل فيه رويتك وتمضي عليه حكمك وقضيتك بكتاب الله الذي جعله صراطاً مستقيماً ونوراً مستبيناً ، فشرع فيه أحكامه وبين حلاله وحرامه

وأوضح به مشكلات الأمور فهو شفاء لما في الصدور . وما لم يكن في كتاب الله جل وعز نصه ، فإن فيما يؤثر عن النبي ﷺ حكمه ، وما لم يكن في حديث رسول الله ﷺ إقتفيت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى ، رضي الله عنهم ، الذين لم يألوا الناس اختباراً ، ولا ادخروهم نصيحة واجتهاداً ، عالماً أنك أسعد بالعدل ممن تعدل عليه ، وأحظى بإصابة الحق ممن تصيبه فيه ، لما تتعجله من جميل أحواله وذكوره ، ويُدخِرُ لك من عظيم ثوابه وأجره ، ويصرف عنك من حوب ما تتقلده ووزره ؛ وأن يكون الذين تحكم بشهادتهم من أهل الثقة في أديانهم والمعروفين بالأمانة في معاملاتهم ، والموسومين بالصدق في مقالاتهم ، والمشهورين بالتقدم في عدالاتهم ، فإنك جاعلهم بين الله وبينك في كل كلام تصدره وحكم تبرمه ، وحقيق بأن لا ترضى لنفسك منهم إلا بما يرضي منك وتعلم أن ذلك هو الصدق ، وإنك قد أبلت عذرك في تخييرهم ، فإنه يعلم أن ذلك هو الصدق من نيتك والصحة من يقينك ، تحسن عليه معونتك ، ويحضرك التوفيق في جميع أقضيتك ، وأن يكون من تستعين به على المسألة عن أحوال هؤلاء الشهود ومذاهبهم وما يعرفون به وينسبون إليه في رحالهم ومساكنهم أهل الورع والأمانة ، والصدق والصيانة ، وأن تجد المسألة عنهم في كل مرة ، وتفحص عن خبرهم في كل قضية ، ثم لا يمنعك وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتعديله من استقبال الواجب في مثله واستعمال الحق في أمره ، وأن تشرف على أعوانك وأصحابك ومن تجري أمورك على يديه من خلفائك وأسبابك إشرافاً يمنعهم من الظلم للرعية ، ويقبض أيديهم عن المآكل الردية ، ويدعوهم إلى تقويم أودهم وإصلاح فاسدهم ، ويزيد في بصيرة ذوي الثقة والأمانة منهم ؛ فمن وقفت منه على امتثال

لمذهبك وقبول الأدبك واقتصار فيما يتقلده لك أقررتَه ، أحسنت مكافأته
ومثوبته ، ومن شمت منه حيفاً في حكمه وتعدياً في سيرته وبسطاً
ليده إلى ما لا يجب له تقدمت في صرفه وألزمته في ذلك ما يلزمه .
وأن تختار لكتابتك من تعرف سداد مذهبه واستقلاله بما يتقلده ،
وإيثاراً لبرس^(١) (؟) من صحته ، ومن تقدر عنده تقويماً في نصيحتك
فيا يجري على يديه ، وتوخياً لصدقك فيما يحضره وتغيب عن مشاهدته
فإنك تأمنه من أمر حكمك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين ،
وتفوض إليه من حجج الخصوم المرفوعين إليك ما لا يفوض إلا لذي
العفاف والدين ؛ وأن تتفقد مع ذلك أمره وتتصفح عمله وتشرف على
ما تحت يديه بما يؤديك إلى إحكامه وضبطه ، ويؤمنك من وقوع
خلل فيه ، وأن تختار لحجابتك من لا يتهم الخصوم ولا يختص بعضها
دون بعض بالوصول ، وتوعز إليه في بسط الوجه ولين الكنف وحسن
اللفظ ورفع المثونة وكف الأذى .

فتقلد ما قلدناك من ذلك عاملاً بما يحق عليك الله جل وعز ذكره
ومستعيناً به في أمرك كله ، فإننا قلدناك وحملناك عظيماً وتبرأنا إليك
من وزره وإصره ، واعتمدنا عليك في توخي الحق وإصابته ، وبسط
العدل وإفاضته ، واقبض لأرزاقك وأرزاق كتابك وأعوانك ومن يججبك
ولثمن قرطيسك وسائر مؤنك في كل شهر أربعين ديناراً ، فقد كتبنا
إلى عامل الخراج بإزاحة ذلك أوقات استحقاقك إياه ووجوبه لك ،
وإلى عامل المدينة بالشد على يدك والتقوية لأمرك وضم العدة التي
كانت تضم إلى القضاة من الأولياء إليك ، وهما فاعلان ذلك إن شاء
الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١١ ، ٢٩ - ٣٢ .

(١) كذا بالأصل .

٦٤ - رسالة القاضي أبي خازم إلى المعتضد وجوابها :

كان أبو خازم قاضياً في الشرقية من بغداد ، فارتفع إليه خصمان فاجترأ أحدهما بحضرته بما أوجب تأديبه ، فأمر بتأديبه فمات في الحال فكتب إلى المعتضد يقول :

أعلم أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أن خصمين حضرائي فاجترأ أحدهما بما أوجب عليه معه الأدب عندي فأمرت بتأديبه فأدب فمات فإذا كان المراد به مصلحة المسلمين فمات في الأدب فالدية واجبة في بيت مال المسلمين ، فإن رأى أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أن يأمر بحمل الدية إليّ لأحملها الى ورتته فعل .

٦٥ - جواب المعتضد للقاضي :

إننا قد أمرنا بحمل الدية إليك (١) .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١١ - ٦٤ .

٦٦ - رسالة القاضي أبي خازم إلى الوزير عبد الله بن سليمان

خاطب الوزير القاضي أبا خازم في بيع ضيعة لیتيم تجاور بعض

ضياعه فكتب إليه يقول :

إن رأى الوزير - أعزه الله - أن يجعلني أحد رجلين : إما رجلاً

صين الحکم به ، أو صين الحکم عنه ، والسلام (٢) .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١١ - ٦٢ .

(١) أورد ابن الجوزي في المنتظم ج ٦ - ٥٤ نص رسالة القاضي وجوابها مسع شيء

يسير من الاختلاف عن نصنا .

(٢) أورد ابن الجوزي في المنتظم ج ٦ - ٥٤ نص رسالة القاضي الى الوزير مع شيء

يسير من الاختلاف عن نصنا .

٦٧ - عهد المطيع إلى محمد بن صالح الهاشمي بتعيينه قاضياً

للقضاة :

هذا ما عهد به عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين إلى محمد بن صالح الهاشمي حين دعا إلى ما يتولاه من القضاة في مدينة المنصور والمدينة الشرقية من الجانب الغربي والجانب الشرقي من مدينة السلام ، والكوفة وشقي الفرات وواسط وكرخي وطريقي الفرات ودجلة وطريقي خراسان وقرقيسين وحلوان وديار مضر وديار ربيعة وديار بكر والموصل والحرمين واليمن ودمشق وحمص وجند قنسرين والمعاصم ومصر والاسكندرية وجندي فلسطين والأردن وأعمال ذلك كلها ، وما يجري مع ذلك من الإشراف على ما يختاره لنقابة العباسيين بالكوفة وشقي الفرات وأعمال ذلك وما قلده إياه من قضاء القضاة وتصليح أحوال الحكام واستشراف ما يجري عليه أمر الأحكام من سائر النواحي والأمصار والبلاد والأقطار التي تشتمل عليها المملكة وتنتهي إليها الدعوة وإقرار من يخدمه وطريقته ، واستبدال من يندم سمته وسجيته نظراً منه للكافة ، واحتياطاً للخاصة والعامة ، وحنواً على الملة والذمة ، عن علم أنه المقدم في بيته وشرفه ، المبرز في عفافه وظلّفه ، المزكى في دينه وأمانته ، الموصوف في ورعه ونزاهته ، المشار إليه بالعلم والحجاء المجمع عليه في الحلم والنهي ، البعيد من الإدناس ، اللابس من النقاء أجل لباس ، النقي الجيب المحبور بصفاء الغيب ، العالم بمصالح الدنيا ، العارف بما يفيد سلامة العقبي .

أمره بتقوى الله فإنها الجنة الواقية ، وأن يجعل كتاب الله في كل ما يعمل فيه رويته ويرتب عليه حكمه وقضيته ، إمامه الذي يفرع

اليه ، وعماده الذي يمتد عليه ، وأن يتخذ سنة محمد رسول الله ﷺ
مطلوباً يقصده ومثالاً يتبعه ، وأن يراعي الإجماع ، وأن يقتدي بالأئمة
الراشدين ، وأن يعمل اجتهاده فيما لا يوجد فيه كتاب ولا سنة ولا إجماع
وأن يحضر مجلس قضاائه من يستظهر بعلمه ورأيه ، وأن يسوي بين
الخصمين إذا تقدا اليه في لحظة ولفظه ، ويوفي كلا منها نصيبه من
إنصافه وعدله حتى يأمن الضعيف من حيفه ويأس القوي من ميله ،
وأمره أن يشرف على أعوانه وأصحابه ومن يعتمد عليه من أمنائه
وأسبابه إشرافاً يمنع من التخطي الى السيرة المحظورة ويدفع عن
الإسفاف الى المكاسب المحظورة ...

وذكر من هذا الجنس كلاماً كثيراً^(١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ، ٦٤ ، ٦٥ .

٦٨ - عهد المطيع الى الحسين بن موسى العلوي بالنظر في

المظالم في بغداد وسوادها واعمالها ، انشاء أبي إسحاق الصابي :

هذا ما عهد عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين إلى
الحسين بن موسى العلوي ، حين اجتمع فيه شرف الأعراق والأخلاق ،
وتكامل فيه بين النقائب والضرائب ؛ وعرف أمير المؤمنين فيه فضل
الكفاية والغناء ، ورشاد المقاصد والانحاء ، في سالف ما ولاه إياه من
أعماله الثميلة التي لم يزل فيها محمود المقام ، مستمراً على النظام ، مصيب
النقض والإبرام ، سديد الإسداء والإلهام ، زائداً على المزايد ، راجعاً
على الموازين ، فائتاً للمحاذين ، مبرأً على المبارين ، فقلده النظر في المظالم

(١) ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء نص عهد مشابهاً لنصنا هذا إلى حد كبير

ص ٤٠٣-٤٠٤ .

بمدينة السلام وسوادها وأعمالها ، وما يجري معها ، ثقة بعلمه ودينه ، واعتماداً على بصيرته ويقينه ، وسكوناً إلى أن الأيام قد زادتة تحليماً وتهذيباً ، والسن قد تنهات به تخنيكاً وتجريباً ، وأن صنيعه أمير المؤمنين مستقرة منسه عند أكرم أكفائها وأشرف أوليائها برحمه اللتاء الدانية ، وحرمة الشاخة العالفة ، ومعرفته الثاقبة الداعفة إلى التفويض إليه ، الباعثة على التعويل عليه . وأمير المؤمنين يستمد الله في ذلك أحسن ما عوده من هدافة وتسديد ومعوونة وتأييد ، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله السقي هي اللجنة الحصينة والعصمة المتينة والسبب المتصل يوم انقطاع الأسباب ، والزاد المبلغ إلى دار الثواب ، وأن يستشهرها فيما يسر ويعلمن ، ويعتمدها فيما يظهر ويطن ، ويجهلها إمامه الذي ينحوه ، ورائده الذي يقفوه ، إذ هي شيمة الأبرار والأخيار ، وكان أولى من تعلق بعلائقها وتمسك بوثائقها لمفخرة الكريم ومنصبه الصميم ، واستظلاله مع أمير المؤمنين بدوحة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، التي يكسنتان في فنائها ، ويأويان إلى أفيائها ، وحقيقتي على من كان هذا منزعه وإليها مرجعه أن يكون طيباً زكياً ، طاهراً نقياً ، عفيفاً في قوله وفعله ، نظيفاً في صره وجهره . قال الله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً^(١) .

وأمره بتلاوة القرآن ، وتأمل ما فيه من البرهان ، وأن يجمع له نصباً لناظره ومألفاً لخاطره ، فيأخذ به ويمطي ، ويأتمر له وينتهي فإنه الحجة الواضحة والحجة اللائحة والمعجزة الباهرة والبينة العادلة ، والدليل الذي من

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

اتبعه سلم ونجا ، ومن صدف عنه هلك وهوى . قال الله عز من قائل :
وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد (١) .

وأمره أن يجلس للخصوم جلوساً عاماً ويقبل عليهم إقبالاً تاماً ،
ويتصفح ما يرفع إليه من ظلاماتهم ، وينعم النظر في أسباب محادثاتهم ،
فما كان طريقه المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العدول
رده إلى المتولي للحكم ، وما كان طريقه العصوب المحتاج فيها إلى الكشف
والفحص والإستشفاف والبحث نظر فيه نظر صاحب المظالم ، وانتزع
الحق من غضب عليه ، واستخلصه من امتدت له يد التمدي والتعزز
إليه ، وأعادته إلى مستحقه ، وأقره عند مستوجبه ، غير مراقب
كبيراً بكبره ، ولا خاصاً لخصومه ، ولا شريفاً لشرفه . ولا متسلطناً
لسلطانه ، بل يقدم أمر الله جل ذكره في كل ما يأتي ويذر ، ويتوخى
رضاه فيما يورد ويصدر ، ويكون على الضعيف الحق حديباً وؤوفاً حق
ينتصر وينتصف ، وعلى القوي المبطل شديداً غليظاً حتى ينقاد ويندعن .
قال الله جل وعز : يادأود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين
الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون
عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢) .

وأمره أن يفتح بابه ويسهل حجابه ويدسط وجهه ويلين كنفه ،
ويصبر على الخصوم الناقصين في بيانهم حتى تظهر حججهم ، وينعم النظر
في أقوال أهل اللسن والبيان منهم حتى يعلم مصيبيهم ، فربما استظهر
الغرييض المبطل بفضل بيانه على العاجز الحق لمي لسانه ، وهناك يجب

(١) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

(٢) سورة ص : الآية ٢٦ .

أن يقع التصفح على القولين ، والإستظهار للأمرين : ليؤمن أن يزول الحق عن سننه ، ويزور^١ الحكم عن طريقه . قال الله عز وجل :
يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً يجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (١) .

وأمره بأن لا يرد للقضاة حكماً يعضونه ولا سجلاً ينفذونه ، ولا يعقب ذلك بفسخ ، ولا يطرق عليه النقض ، بل يكون لهم موافقاً مؤازراً ، ولأحكامهم عاضداً ناصرأ ، إذ كان الحق واحداً وإن اختلفت المذاهب إليه ، فإذا وجد القصة قد سيقت والحكومة قد وقعت ، فليس هناك شك يوقف عنده ولا ريب يحتاج إلى الكشف عنه . وإذا وجد الأمر مشتبهاً ، والحق ملتبساً والتقرر مستعملاً والتغلب مستجازاً ، نظر فيه نظر الناصر لحق المحقين ، الداخض لباطل المبطلين ، المقوي لأيدي المستضعفين ، الآخذ على أيدي المعتدين . قال الله عز وجل :
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلوأ أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً (٢) .

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاوره القضاة والفقهاء ومباحثته الربانيين والعلماء ، فإن اشبهه عليه أمر استرشدهم ، وإن عزب عنه صواب استدل عليه بهم ، فإنهم أئمة الأحكام وإليهم مرجع الحكام ، وإذا اقتسدى بهم في المشكلات وعمل بأقوالهم في المعضلات أمين من زلة العائر وغطاة المستأثر ، وكان خليقاً بالأصالة في رأيه والإصابة في

(١) سورة الحجرات : الآية ٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

أبجائه . وقد أمر الله - تقدس اسماءه - بالمشاورة فمعرف الناس فضلها وأسلكتهم سبلها بقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١) .

وأمره أن يكتب لمن نوجب له حق من الحقوق إلى صاحب الكوفة بالشد على يده والتمكن له منه ، وقبض الأيدي عن منازعته وحسم الأطماع في معارضته ، إذ هو مندوب لتنفيذ أحكامه ، وأمور بإمضاء قضاياه . ومتى أخذ أحد من الخصوم إلى مكاذبة في حق في حكم عليه به ، أخذ على يده وكفه عن عدوانه وردّه إلى حكم الله الذي لا يعدل عنه . قال الله عز وجل : ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (٢) .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك ، قد أرشدك وذكرك وهداك وبصرك ، فكن إليه منتبهاً وبسه مقتدياً واستمعن بالله يعنك واستكفه يكفيك . وكتب الناصح أبو طاهر في تاريخ كذا .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٤٣ - ٢٤٧

٦٩ - عهد الطائع لله إلى الحسين بن موسى العلوي في النظر بالأوقاف من كتابة أبي إسحاق الصائبيء

هذا ماعهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى الحسين بن موسى العلوي حين طابت منه العناصر ووصلته بأمر المؤمنين الأواصر ، جمع إلى شرف الأعراق الذي ورثه شرف الخلق الذي اكتسبه ووضعت آثار دينه وأمانته ، وبانت أدلة فضله وكفايته في جميع

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

ما أسنده أمير المؤمنين اليه من الأعمال وحمله إياه من الأثقال . فأضاف إلى ما كان ولاه من ذلك النظر في الوقوف التي كانت يدُ فلان فيها بالحضرة وسوادها ، ثقة بسداده وسكوناً إلى رشاده وعلماً بأنه يعرف حق الصنيعة ويرعى ما يستحفظه من الوديعه ، ويجري في المنهل الذي أحده أمير المؤمنين منه ووكل اليه . والله يد أمير المؤمنين بصواب الرأي فيما نجاه وتوخاه ، ويؤمده في عاقبته الندم فيما قضاه وأمضاه ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله التي هي عماد الدين وشعار المؤمنين ، وأن يعتقدها في سره ونجواه ، ويجعلها الذخيرة لأولاه وأخراه ، ويتجنب الموانع المونية ويتوقى الموارد المردية ، وينغض طرفه عن المطامع المغوية وينذهب بنفسه عن المطارح الخزية ؛ فإنه أحق من فعل ذلك وآثره ، وأولى من اعتمده واستشعره بنسبه الشريف ومفخره المنيف وعاداته المشهورة وشاكلته الماثورة ؛ وتلاوة كتاب الله الذي هو وعتره رسول الله الثقلان الخلفان في الأمة ، وقد جمعه وآخرهما الأنساب وجمعه والثاني عصمة أولى الألباب . وتوجهت حجة الله بما يرجع من هذه الفضائل إليه وأنه غصن من دوحة أمير المؤمنين التي تحداها الله بالإندار قبل الخلائق أجمعين ، إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله : وأنذر عشيرتك الأقربين (١) . وقد حض تبارك وتعالى على التقوى ووعد عباده عليها الزلفى فقال : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (٢) .

وأمره بالاشغال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

مستنفداً طوقه في عمارتها . مستقرغاً وسعه في مصلحتها ، دائباً في استغلالها وتشميرها ، مجتهداً في تدبيرها وتوفيرها ؛ وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذي يخرج منه للنفقة على حفظ أصله واستمرار حلبيه والمثونة الراتبة للقوام عليه والحفظة له ، إلى أربابه الذين يعود ذلك عليهم في وجوهها التي سُبُل لها ووقف عليها ، واضعاً جميع ذلك مواضعه ، موقعاً له مواقعه ، خارجاً إلى الله من الحق فيه ، مؤدياً الأمانة إليه ، وأن يشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم ، ويكتب البراءات عليهم بما يستوفونه من أموالهم ، ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ماينفقه من أموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه منها إلى أهلها ويخرجه منها في حقوقها وأبواب برها ، وسائر سبلها ووجوهها ، سالكاً في ذلك مذهبه المعروف في أداء الأمانة واستعمال الظلف والنزاهة ، معقباً على من كان ناظراً فيها من الخونة الذين لم يرعوا عهداً ولم يتصنوا عن سحت المطاع وظلم المآثم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد مشهور بالرشاد ، معلوم منه نصيحة الأصحاب والضببط للحساب ، وتفويض ديوان الوقوف وتدبيره إليه ، وتوصيته بصيانة مايشتمل عليه من أصول الأعمال وفروعها ، وقليل الحجج وكثيرها ، وأن يحتاط لأربابها في حفظ رسومها ومعاملاتها وحراسة طسوقها ومقاسماتها حتى لا يستمر عليها حيف يبقى أثره ، ولا يتغير فيها رسم يخاف ضرره ، وأن ينصف الأكرة فيها والمزارعين وسائر المخالطين والمعاملين ، ولا يحشمهم حيفاً ولا يسومهم خسفاً ، لا يبغي لهم عن حق ولا يسمح لهم بواجب خلا ماعادت السماح به بزيادة عمارتهم وتأليف نياتهم واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ، فإنه مؤتمن في ذلك كله أمانة ، وعليه أن يؤديها ويخرج عن الحق فيها .

وأمره باختيار خازن حصيف ، قشوم أمين يحزن حجج هذه الوقوف وسجلاتها وسائر دفاتها وحساباتها فإنها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها جهده ، فتمى شك في شرط من الشروط أو حد من الحدود ، أو عارض معارض أو شاغب مشاغب في أيام نظره وأيام من عسى أن تنقل ولاية هذه الوقوف إليه ويناط تدبيرها به ، دافع ما يحدث من ذلك بهذه الحجج التي هي معارف البرهان وقواعد البنيان ، وإليها المرجع في كل بينة تستنصر وتقام ، وشبهة تدحض وتضام . هذا عهد أمير المؤمنين إليك ووثيقته الحاصلة في يديك ، فاتبع آثار وأمره وازدجر عن نواهيه وزواجره ، واستمسك به تنجح وتسلم ، واعمل عليه تفز وتغنم ، واسترشد الله يرشدك ، واستهده يهتدك ، واستمعن به ينصرك ، وفوض إليه يعصمك إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٥٩ - ٢٦٢

٧٠- عهد القادر بالله ورسالته إلى محمد بن عبد الله بن الحسن لما ولاه القضاء والصلابة في بلاد جيلان .

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أحمد الإمام القادر بالله إلى محمد بن عبد الله بن الحسن حين بلا حقائق أخباره واستشعر مواقع آثاره ، وأنهى إلى أمير المؤمنين رسوخه في العلم وسمته بالفهم ، فاستخار الله عز وجل فيما يعتمد عليه وسأله التسديد فيما يفوضه إليه ، فقلده الضلالة والخطابة على المنابر والقضاء والحكم ببلاد جيلان : أسودها وأبيضها ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه توكله وإليه في كل حالة موثله ، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

أمره بخشية الله فإنها مزية العلماء ، ومراقبته فإنها خاصة الأدباء ،

وتقواه ما استطاع فإنها سكة من أطاع وجنة من تجاذبه الأطماع ، وأن يأخذ لأمر الله أهبتة ويعد له عدته ، ولا يترخص فيه فيفرط ، ولا يضيع وظيفة من وظائفه فيتورط ، وأن يستعمل نفسه في المهمل ويؤذنها بقرب الأجل ولا يفرها أنه منظر ، وإن عصى فيغفر ، فقد قال الله تعالى : حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير (١) .

وأمره بقراءة القرآن وتلاوته والحفاظة عليه ودراسته ، وأمره بمداومة الطهر فإنه أمان من الفقر ، ولا يقنع به في الجوارح ، وأن يكون مثله فيما بين الجوانح ، فإن النقاء هناك هو النقاء الذي يتم به البهاء ، وحينئذ تكمل الطهارة وتزول الأدران . وأمره بمراعاة مواقيت الصلاة للجمع فإذا حانت سعى إليها . وإذا وجبت جمع إليها بالأذان الذي يسمع به مؤذنه الملاء ، والإقامة الذي يقوم به فرض الله عز وجل . وأمره بالإحسان في الموعظة مستقصياً للمناصحة ، وأمره بالنداء على المنابر وفي سائر المحافل والمعاقل بالشعار الأعلى والفرض الأوفى من ذكر دولة أمير المؤمنين وحث الأمة على طاعته أجمعين .

قال الله عز وجل : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٢) . وأن يديم التصفح لأحوال البلاد التي ولي فيها ما وليه من قواعد الشريعة ، وليقابل نعمة الله بشكر الصنيعة ، فإن وجد فيها نافراً عن فريضة الدعوة الشريفة القادرية اجتذبه إليها بالموعظة الحسنة والدلالة الصريحة ، فإن استبصر لرشده وراجع المفروض بجهد فقد فاز

(١) سورة غافر : الآية ٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٩ .

وغم ، وإن تشاوس وعند ، استنفر عليه الأمم وقعه بما يوجب الحكمة ، وأمره بصلوات الأعياد والخسوف والإستسقاء ؛ وأمره أن يكون لأمر الله متأهباً ولنزول الموت مترقباً ولطروقه متوقفاً ، وأمره أن لا يخلى عن ما فوضه إليه من ظهير يستنبيه ؛ وأمره أن يتبع شرائع الإسلام وأن يواصل تلاوة القرآن ويستنبط منه ويهتدي به ، فإنه جلاء للبصائر ومنار الحكم ولسان البلاغة ؛ وأمره أن يخلى ذهنه إذا انتدب للنظر ويقضي أمامه كل وطر ، ويأخذ لجوارحه بحفظ بقيتها ، فإن القلب إذا اكتنفته المآرب يعرض له التعب ؛ وأمره بالجلوس للخصوم في مساجد الجوامع ليتساووا في لقائه ، وأن يقسم لحظه ولفظه بين جمهورهم ، وأمره بالنظر في الأمور بالعدل ، وأمره بانتخاب الشهود والفحص عن أحوالهم ، وأمره بالتناهي في تفقد الأيتام ، فإنهم أسراء الإسلام ؛ وأمره بتعهد الوقوف وإجراء أحوالها على ما يوجب التوقيف من أربابها .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحبته المنعم بها عليك وتذكرته المستودعة فوائد توفيقه ، فانصب لمحاورته ، وأصيخ لمخاطبته واغرس مواعظه في قلبك تجن من ثمرها الفوز عند ربك . وكتب علي بن عبد العزيز بن إبراهيم في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة .
المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ، ٢٠٨ - ٢٠٩ .

٧١ - عهد القائم بأمر الله بتمهين أبي عبد الله الحسين بن علي قاضياً للقضاة :

... وإن أمير المؤمنين أعمل فكره وأدام سيره في اختيار من يسند إليه الأحكام ويجعله حجة بينه وبين الله تعالى في هذا المقام ،

وكان الحسين بن علي قاضي القضاة منتهى رأيه ومقر اختياره لما عهد من عفافه واستقامة طريقته .
المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٩٢ .

٧٢ - عهد المقتدي بتعيين ابي منصور محمد بن محمد بن الحسين قاضياً على المظالم سنة ٥٤٧٩ هـ .

... ولما رأى أمير المؤمنين في محمد بن محمد بن الحسين من العفاف والديانة والثقة والصيانة قلده المظالم ، وقد أخذ عليه تقوى الله وطاعته والسعي في كل ما كان يزلفه عنده ويقربه من أمير المؤمنين .
المنتظم لابن الجوزي ج ٩ - ٢٦ .

٧٣ - عهد المسترشد بالله بتقليد قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي القضاة في بغداد وسائر الجهات .

هذا ما عهد عبد الله أبو منصور الفضل الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين إلى قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي : لما تأمل طريقته وشحن عقيدته وأحمد مذهبها وارتضى ضرائبه وتكاثرت دواعيه وحسنت مساعيه ، ووجده عند الإختبار وفي مضمار الإعتبار راجعاً إلى عقل رصين ودين متين وأمانة مشكورة ونزاهة محبورة ، وورع ثمر المشرع ، عارٍ عن دنس المظالم ، وعلم توفر منه قسمه وأصاب فيه سهمه . وحين راعى فيه مورداً شرف النسب إلى شرف العلم المكتسب مع ما سلف لبنته من الحرمان المرعية المتأكدة والقربات المرضية المتمهدة ، والسوابق المحككة المرائر ، الحميدة المبادئ والمصابير ، فقلده قضاء القضاة بمدينة السلام وسائر الأمصار في الآفاق والأقطار ، شرقاً وغرباً

وبعداً وقرباً إنافة بسه إلى ما أصبح له مستحقاً ، واستمر استيجابيه مسترقاً ، وجذباً بضبعه إلى ما يتحقق نهوضه بأعبائه وحسن استقلاله به وغنائه ، واقتفاءً لآثار الأئمة الراشدين في إيداع الودائع عند مستحقها وتفويض الأمور إلى أكفائها وأهلها ، ولا سيما أولياء دولتهم وأغذياء نعمتهم ، الذين كشفت عن سجع خبرتهم التجارب ، ووردوا من الخلال الرشيدة أعذب المشارب ، وانتهجوا الجدد الواضح وتقبلوا الخلق الصالح . والله تعالى يقرن عزائم أمير أو منين بالخيرة في كل ما يرتئيه ، وأمره يؤمه وينتحميه ويصدق مخيلته في كل حال يأتيها ويمضي عزمه فيها ، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه يندب .

أمره بتقوى الله التي لا يسمد أحد إلا بالتمسك بسببها ، ولا يشقى إلا مع إضاعتها ، فإنها الجناب المريع والعقل المنيع والنجاة يوم الفرع الأكبر ، والعدة النافعة في المعاد والحشر ، والعصمة الحامية من نزغات الشيطان ومخايده ، المنقذة من أشراكه وحبائله ، وبها تمحص الأوزار وتنال الأوطار وتدرك المآرب ، وتنجح المطالب . قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن تمقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويفرر لكم ، والله ذو الفضل العظيم (١) .

وأمره باستشعار خشية الله سبحانه في قوله وفعله ، واختلاف أطواره وأحواله ، وتذكر ما هو قادم عليه ووافد إليه : يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازر عن والده شيئاً . فلا يقوده الهوى إلى اتباع شهوة أو إجابة داعي هفوة أو صبوة ، إلا كان الخوف قاده والحذر مانعه ، وأن يجعل التواضع والوقار شيمته والحلم دأبه وخليقته

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٩ .

فليكظم غيظه عند احتدام أواره واضطرام ناره ، مجتنباً عزة الغضب الصائرة إلى ذلة الإعتذار ، ومتوخياً في كل حال المقاصد السليمة الإيراد والإصدار ، وأن يتأمل أحوال غيره تأمل من جعلها لنفسه مثلاً ، واتخذها لنسجه منوالاً ، فما استحسنه منها فبات به وما كرهه فيجتويه ، غير ناه عما هو من أهله ، ولا آمر بما هو بجانب لفعله . قال الله جل جلاله عظمته : أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (١) .

وأمره بتلاوة كتاب الله مواظباً ، والإكثار من قراءته دائماً ، وأن يجعله إماماً يقتضيه ودليلاً يتبعه فيهديه ، ونوراً يستضيء به في الظلمات وهادياً يسترشده عند اعتراض الشبهات ، وموثلاً يستند إليه في سائر أحكامه ، وحصناً يلجأ إليه في نقضه وإبرامه ، عاملاً بأوامره ومزدرجاً بزواجره ومنعماً نظره في محكم آياته وصادق بيناته ، ومعملاً فكره في خوض غماره واستخراج غوامض أسرارهِ فإنه الحق الذي لا ييجور متبعه ، والمتجر الذي لا يبور متبضعه ، والمنار الذي به يهتدى والمنهج الذي بأعلامه يهتدى ، والمصدر الذي تعزى به الأمور في ملبس الإشكال ، وتشرع معه الأحوال المستهمة في ورود الوضوح السلسال ؛ وينبوع الحكمة الذي ضرب الله فيه الأمثال وفرق بين الحرام والحلال ، والهداية والضلال . قال الله سبحانه : ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (٢) .

(١) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٢) سورة النحل : الآية ٨٩ .

وأمره بدراسة السنن النبوية صلوات الله على صاحبها، والإقتداء بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي ندب إليها وحض عليها، وتتبع ما يتداخلها من الأخبار الجريئة والروايات غير الصحيحة، والفحص عن طرقها وأسنادها وتمييز قويمها وميادها، والبحث عن روايتها: منحوزها وثقاتها؛ فما ألفاه بريئاً من الطعن، آمناً من القدح والوهن، عارياً عن ملابس الشك والإرتياب، عاطلاً عن جلي الشبهة والإعتياب اتبعه واقتفاه وتمثله واحتذاه، وكان به حاكماً، ولإدواء الباطل باتباعه حاسماً؛ وما كان مترجحاً بين كفتي الشك واليقين، ولم تبدُ فيه مخايل الحق المبين، جعل الوقف حكماً وردع عن العمل به عزمه، إلى أن يصح الحق فيه فيعتمد ما يوجبُه ويقنضيه: فإنه - عليه السلام - الداعي إلى الهدى والرحمة التي عصم الله بها من دواعي الردى، والهادي الذي لم يفصل بين العمل بفرائض كتابه وسنته في قوله تقديست أسماءه وجلت آلاؤه: ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب^(١).

وأمره بإقامة الصلوات الخمس المفروضة في أوقاتها والمبادرة إليها قبل فواتها والإتيان بشرائطها المحدودة وأركانها.

وأمره بمجالسة العلماء ومباحثة الفقهاء ومناقشة ذوي البصيرة والفهم والفتنة والحزم ومشاورتهم في عوارض الأمور المشككة وسوانح الأحكام المستهمة المعضلة، حتى يُصرَّحَ بحض رأيه وآرائهم عن زبدة الصواب وتنتج أفكارهم باستجمامها نظراً شافياً بالجواب، رافعاً عنه منسدل الحجاب؛ وإن في ذلك ثلجاً للصدور واستظهاراً في الأمور، واحترافاً

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

من دواعي الزلل واستمرار الخلل ، وأمناً من غوائل الانفراد ، وحطاً
للتعويل على الإستبداد ، فلرب ثقة أدت إلى خجل ، وأمن أفضى إلى
وجل ، وما زالت الشورى مقرونة بالإصابة ، بحكمة عرى الحق وأسبابه
حارسة من عواقب الندم ، داعية إلى السلامة من زلة القدم ، وقد
أمر الله نبيه صلى الله وسلم عليه وأزلف محله لديه ، بالإستظهار بالمشاورة
مع عظم خطره وشرف قدره فقال : وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت
فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١)

وأمره أن يختار للحكم الأماكن الفسيحة الأرجاء الواسعة الفضاء ،
وينظر في أمور المسلمين نظراً تفرغ ثغور العدل فيه ، وتلوح خشية الله
من مطاويه ، فيوصل إليه كافة الخصوم ، ويبرز لهم على العموم ، غير
مشدد حجابيه ، ولا مرتج دون المترافعين إليه بابه ، وأن يولي كلاً من
الإقبال عليه وحسن الإصغاء إليه ، ما يكون بينهم فيه مساوياً ، ولهم
في بجمع الموازنة حاذياً ، ولا يعطي من التفاته إلى الشريف لشرفه ،
وذي الشارة الحسنة من أجمل ثوبه ومطرفه ، ما يمنعه من تقمحه
العيون وتترجم في خوله الظنون ، فإن ذلك مطمع لذوي الرواء في
دفع الحق إذا وجب عليه ، والتماس الباطل وإن ضعفت الدواعي إليه ،
مؤييسٌ لذي الخول من الإنتصار لحقه وإن أسفر صبح يقينه ونطقت
السنة أدلته . فالتناس ، وإن تباينوا في الأقدار والقيمة ، وتفاوتوا في
الأرزاق المقسومة ، فالإسلام لهم مجتمع ، والحق أحق أن يتبع ، وهم
عند خالقهم سواء إلا من ميزته التقوى وتمسك بسببها الأقوى .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

قال الله تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم^(١) . وقال تعالى : إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً^(٢) .

وأمره أن يتأمل أحوال المترافعين إليه والخصوم لديه ، ويتطلب ما وقع نزاعهم لأجله في نص الكتاب ، ويعدل إلى السنة عند عدمه من هذا الباب . فإن فقد من هذين الوجهين فليرجع إلى ما اختاره السلف المهتدون وأجمع عليه الفقهاء المجتهدون ؛ فإن لم يُلَفِّ فيه قولاً ولا إجماعاً ، ولا وجد إليه طريقاً مستطاعاً ، أعمل رأيه واجتهاده ، وامتنطى ركاب وسعه وجياده مستظهِراً بمشورة الفقهاء في هذه الحال ومستخلصاً من آرائهم ما يقع عليه الإتفاق إلا من الإعتلال : والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وأمره باستعمال الأناة عند الحكومات واستماع الدعاوي والبيانات ، من غير سرعة تحدث خطأ ، ولا إفراطٍ في التأنى يورث مللاً ؛ فإن الحق بين ذينك على شفا خطر وظهر غرر ، ولا سيما إذا كان أحد الخصمين منطقياً ، ينعق كلامه تنميقاً ، فإنه يجلب ببلاغة نطقه مستمعه ويفطي وجه الباطل بألفاظه الموشعة ، فإذا اتفق لديه ما هذا سبيله ، شحذ له غريب فطنته ، وأرهف غرار فكره وبصيرته ، ومنح كلاً من الإنصات ما يجتلي وجه النصف منيراً ، ويغدو لأشباع الجور مبيراً ، وإن ذو اللسن روعه وأوهه أن الحق معه بما يلفقه من كلام يقصر خصمه عن جوابه ، ويحصر عن جداله وإستيفاء خطابه ، مع عدم البينة

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

المشهوره ، وتعدر الحجّة الموجودة استمداد كلامه واستنطقه واستوضح مغزاه وتحققه من غير إظهار إعجاب بما يذكره ، ولا اغترار بما يطويه وينشره ، ولا إصغاء يبدو أثر الرغائب من فحواه ، ولا اختصاص له بما يمنع صاحبه شرواه (١) ، لئلا يولد ذلك له اشتطاطاً ويحدث له انطلافاً في الخصومة وانبساطاً ، حتى إذا ابتسم الحق وانتصر الصدق وفلج أحدهما بججته وحن بيئته ، أقر الواجب في نصابه ، وأداله من جنود الظلم وأحزابه ، وأمضى الحكم فيه بإعترام صادق ورأيٍ محصّدٍ الوثائق ، غير ملتفت إلى مراجعة الخصوم وقشاجرم وشكواهم وتنافرهم اعتماداً للواجب وانتهاجاً لجدد العدل اللاجب . قال الله تعالى : يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢) .

وأمره إذا انتدب للقضاء أن يفرغ باله ، ويقضي أمامه أوطاره وأشغاله ، ويخلى من أحوال الدنيا سره ، ويشرح لما هو بصدد صدره ، فلا تنزع نفسه إلى تحصيل مأرب ولا تتطلع إلى درك مطلب فإن القلب إذا اكتنفته شجونته وأحاطت به شئونه كان عرضة لتشعب أفكاره وحمله على مركب اضطارره الجاري بضد إشاره واختياره ، حرياً بالتقصير عن الفهم والإفهام ، والضجر عند مشتجر الخصام .

وأمره بالثبوت في الحدود ، والإستظهار عند إقامتها بمن يسكن

(١) شرواه : مثاله .

(٢) سورة ص : الآية ٢٦ .

إلى قوله من الشهود ، والاحتياط من عَجَلٍ . يحيل الحكم عن بيانه ، أو ريث يرجيه عند وضوحه وتبَيّانه ، وأن يتجافى عما لم يصرح له بذكره وشرحه ، ولا يسرعَ إلى تصديق سماعٍ . وإن تشبهه بالناصحين في نصحه ، حتى يستبين له الحق فيمضيه عاملاً بما يوجهه حكم الله فيه ، وأن يدرأ من الحدود ما اعترضت الشبهة دليله ، وكانت شواهد مدخولة ؛ ويقم منها ما قامت شهوده ولم يمكن إنكاره وجوده . قال الله تعالى مكبراً لتجافيا ومعظماً للتجاوز فيها : ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (١) .

وأمره بتصفح أحوال الشهود المعدلين المسموعة أقوالهم في أمور المسلمين وأحوال الدين ، ومواصلة البحث عن طرائقهم واستشفاف خلائقهم ، مستخدماً في ذلك سره وجهره ، وواصلًا بعوان دأبه فيه بكرة ، فمن علمه سليمًا في فعله غير ظنين في أصله متحريًا في كسبه مرضياً في مذهبه ، حافظاً لكتاب الله سبحانه ، متمسكاً من علم الشريعة بما يلوي عن مهاوي الخطأ عنائه ، حالياً بالديانة المنيرة المطالع ، حامياً نفسه عن الإسفاف إلى دنايا المطامع ، حاوياً من الظلف والأماناة ، والقدر والصيانة والاحتراس والتحفظ والتحرز والتميقظ ما تميز به على أشكاله وأترابه وطال مناكب أمثاله وأضرابه ، فقد كملت صفاته واقتضت تقديمه أدواته ، ووجب أن يمضي كونه عدلاً ، ويجعله لقبول الشهادة أهلاً ، ومن رآه عن هذه الخلال مقصراً ، وبيععضها مستظهاً ، وكان موسوماً بديانة مشكورة ونزاهة مأثورة ، رضي بذلك منه قانعاً وحكم بقوله سامعاً ، ومن كان عن هذين الفريقين نائياً ، ولأحوالهم المبين ذكرها نافياً ،

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

ألقى قوله مطرحاً ، ورد شهادته مصرحاً ، فإن هؤلاء الشهود أعوان الحق على انتصاره وحرب الباطل على تمييزه وبقاره ، ومحجة الحاكم إلى قضائه ووزره الذي يستند إليه في سائر أبحاثه ؛ فإذا أعذر في إرتيادهم واستفرغ وسعه في انتقادهم فقد خرج من عهدة الإجتهد واستحق من الله جزاء المجتهدين يوم التناد ، ومتى غرر في ذلك توجهت اللائمة عليه وكان قنناً بنسبة التقصير في الإحتياط إليه . والله يتولى السرائر ويملو خفيات الضمائر . قال سبحانه : ممن ترضون من الشهداء (١) . وقال جل ذكره : ستكتب شهادتهم ويسألون (٢) .

وأمره أن يكلل أمور اليتامى في أملاكهم وأمواهم ومراعاة شئونهم وأحوالهم إلى الثقات الأعداء والكفاة الأتقياء الذين لا يستهويهم دواعي الطمع ولا يوردهم الإسفاف موارد الطبع ، وأن يتبع أمورهم ويتصفحها ويشارفها بنفسه ويستوضحها ، عالماً أنه عما في أيديهم مسئول فإن عذره في إهمال يتخلله غير مقبول ، وهو سبحانه يقول :

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً (٣) .

وأن يوعز إليهم بالإنفاق على أربابها بالمعروف : لينتهجوا فيها جدد القصد المألوف ، حتى إذا بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد وعلم ، وساغ لهم التصرف في نفوسهم ووثق منهم بإستدرار معاشهم دفع إليهم أموالهم محروسة ووفاهم إياها كاملة غير منقوصة ، مستظهِراً بالشهادة عليهم والبرامة منها بتسليمها إليهم إتباعاً لقوله تعالى :

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ١٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٠ .

وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ، ومن كان غنياً فليستغفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيباً (١) .

وأمره بتزويج الأيتام اللواتي فقدن الأولياء واعتدى عليهن صرف الدهر وأساء ، واضربهن طول الإرمال ، وبدت عليهن آثار الخلة في الحال فينكحن أكفاهن من الرجال ، ويتم عقد مهورهن على مهور الأمثال . وأمره بتفويض أمر الوقوف الجارية في نظره إلى من يأمنه ويختاره وتقرن بإعلانه في ارتضائه أسراره ، من أهل التجربة والحياء ذوي الاضطلاع والغناء فإنهم أقل إلى المطامع تشوقاً ، وأبعد في عواقب الأمور نظراً وتلطفاً ، وأن يوسع عليهم في الأرزاق فيوصلها إليهم مهنة عند الرجوب والإستحقاق ، فبذلك يملك المرء نفسه ويستصلحها ، ويتجنب مواقف التهم ويطحها ، وتجب عليه الحجة إن ظم أمانة ، أو قارف خيانة ، مستظهاً بترتيب المشرفين الذين خبر أحوالهم وسبر أفعالهم ، وأن يتقدم إلى المستنابين قبله بالإئفاق عليها حسب الحاجة إلى محمولها حافظاً بما تعمد من ذلك لأصولها وجباية ارتفاعها من مظانها ، والتماس حقوقها في أوانها وصرفها في وجوها التي شرطها واقفوها ، وعين عليها أربابها وأهلها ، غير مخل مع ذلك بالإشراف والتطلع ، ولا مهملاً للفحص والتبليغ ، فمن ألقاه حميد الأثر ورضي العيان والخبر عول عليه وفوض مستنهماً إليه ، ومن وجده قد مد إلى خيانة يده استبدل به وعزله جزاء بما فعله : إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً .

(١) سورة النساء : الآية ٦ .

وأمره أن يستخلف على ما نأى عنه من البلاد من جمع إلى
الوقار الحلم ، وإلى الدراية الفهم ، وإلى التيقظ الإستبصار ، وإلى الورع
الإستظهار ، من لا يضيق بالأمور ذرعاً ولا تحدث له مراجعة الخصوم
ضجراً ولا تبرماً ، ولا يتأدى في أسباب الزله ، ولا يقصر عن الرجوع
إلى الحق إذا اتضح له ، ولا يكتفي بأدنى معدلة عن بلوغ أقصاها ،
ولا تتهافت نفسه على طاعة هواها ، ولا يرجئ الأخذ بالحجة عند
انكشافها ، ولا يعجل بحكم مع اعتراض الشبهة واكتنافها ، ولا يستميله
إغراء ولا يزهيه مدح وإطراء ، وأن يعهد بمثل ما عهد أمير المؤمنين
عليه ، ويعذر في الإجهاد بإيجاب الحججة عليه : ليرأ من تبعه بادرة
عساه يأتيها ، أو مزلة تناديه فيهب ملبياً لداعيتها . قال الله تعالى :
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله
إن الله شديد العقاب (١) .

وأمره أن يمضي ما أمضاه الحكام قبله ، ولا يتعقب أحكامهم بتأويل ،
مجتنباً تتبع عثراتهم والبحث عن هفواتهم ؛ ومهما رفع إليه من ذلك مما
الإجماع عليه موافق ، ولسان الكتاب والسنة به ناطق أمضاه وحكم
به ، وإن كان مبايناً لمذهبه : فإن الحكومات كلها ماضية على اختلاف
جهااتها ، مستمرة على تنافي صفاتها ، عمية عن التأويل والتعليل ،
محروسة من التغيير والتبديل ، ما كان لها مخرج في بعض الأقوال ،
أو وُجيد لها عند الفقهاء احتمال ، إلا أن يكون الإجماع منعقداً على
ضدها ، آخذاً بالغاها وردها ، فيستفرغ في إيضاحها جهده ، وينفق في
تلافها من الإستطاعة وُجده ، حتى يعيدها إلى مقرها من الواجب ،

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

ويمضيها على الحق اللازب . قال الله عز وجل : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (١) .

وأمره أن يتخذ كاتباً بالظلف موسوماً ، وبأدق ما يناط به قنوماً ، خبيراً بما يسطره عالماً بما يذكره عارفاً بالشروط والسجلات وما يتوجه نحوها من التأويلات ويتداخلها من الشبه والتلبيسات ، مطلعاً على أسرارها وعللها وتصاريف حيلها ، متحرزاً في كل حال ، متزهاً عن مذموم الفعل ، متخذاً خشية الله شعاراً ، مسبلاً دون عصيانه من التقى أستاراً ، فإنها نظاماته التي يرجع إليها ويده التي يبطش بها ويعول عليها ، ومق لم يكن له من نفسه وازع ولا من عقله ودينه رادع ، لم يؤمن أن تدب عقاربه ليلاً ، ويسحب على الغوائل والموبقات ذيلاً ، فيعم الضرر بمكانه ويشرع أذاه إلى المسلمين حد سنانه ، وأن يتخير حاجباً طاوياً كسحه دون الأشرار ، جامعاً لأدب الأخيار ، مدرعاً جليباب الحياء ، طلق الوجه عند اللقاء ، سهل الجانب لينه ، مستشعر الخير متيقنه ، غير متجهم للناس ولا معاملهم بغير البشاشة والإيناس ، فإنه الباب إليه والمعتمد في لقائه عليه ، فليمتخبه انتخاب من علم أن حسن الثناء خير زاد وأنفس ذخر وعتاد ؛ ورأى طيب المحمدة أجل كسب مراد وحظ مجسد مستفاد ؛ ومق كان عن هذه الحلال متخلياً وبخلافها متخلياً اعتاض منه بمن هو أسلم غيباً وآمن ريباً وأزقى جيباً وأقل عيباً . قال الله سبحانه : وما كنت متخذ المضلين عضداً (٢) .

وأمره أن يتسلم ديوان القضاء وما فيه من الحجج والسجلات والوثائق والكفالات والحاضر والوكالات بحضور من العدول ليكونوا له

(١) سورة المائدة : الآية ٤٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٥١ .

مشاهدين وعليه شاهدين ؛ وأن يجعل خزانها من يرتضيه باجتماع أدوات الخير فيه ، عاملاً في حفظها بما تقتضيه الأمانة التي أشفقت السموات والأرض والجبال منها وأقرن بالعجز عنها ، متحرياً من أمر يبوء معه بالآثام في دار المقام . قال الله تعالى : إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً^(١) .

وأمره بمراعاة الحسبة فإنها أكبر المصالح وأهمها وأجمعها لنفع الناس وأعمها وأدعاها إلى تحصين أموالهم وانتظام أحوالهم وحسم مواد الفساد وكف يده عن الإمتداد^(٢) ، وأن يتقدم إلى المستناب فيها بداومة الاطلاع على كمية الأسعار والفحص عن مادة الخلوقات في الإنقطاع والاستمرار ، ومواصلة الجلوس في أماكن الأوقات ومظانها ، ليكون تسميرها بمقتضى زيادتها ونقصانها ، غير خارج في ذلك عن حد الاعتدال ولا مائل إلى ما يحجف بالفريقين من إكثار وإقلال . وأن يراعي عيار المكاييل والموازين ، ليميز ذوي الصحة من المطففين ، فيقول لمن حسن اعتباره مَرَحَى ، ويقابل من ساء اختياره بما يجعله لأمثاله رادعاً حتى يزنوا بالقسطاس المستقيم ، ويتجنبوا التطفيف بقلب من إضمار المعاودة سليم . قال الله تعالى : ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين^(٢) .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عند الله تعالى عليك ، وقفك

(١) سورة الأحزاب : الآية ٧٢ .

(٢) سورة المطففين : الآيات ١-٦ .

فيه على منهج الصلاح وأعلقك منه ، إن اتبعته ، بأسباب النجاح ، وأدر به عليك خلاف السعادة إن أمرتته (١) بيد القبول ، وجمع لك مع احتدائه بدائد المأمول ، وعطف عليك متى تمثلته شوارد السول ، وأوجدك ضالة متاعك إن أصغيت إليه سامعاً مطيعاً ، وأعاد ، إن إثمتمت بأوامره شمل أقوالك جميعاً ، وأرادك مرعى النجاة إن نهضت بأعبائه مريباً ، لم يدخرك فيه شقيفاً ولا حرك إرشاداً وتعريفاً ، خلع به ربة الأمانة من عنق اجتهاده وأوضح لك ما يسأل غداً عن فعله واجتهاده .

فبادر إلى العمل به مسرعاً ، وقم بالحدود فيه مضطرباً ، واعلم أن لكل عالم هفوة ، ولكل جواد كبوة ، فاغضض من مطامح الهوى طرفك ، وان عن أضاليل الدنيا الغرارة عطفك ، واخش موقفاً تشخص فيه الأبصار وتعدم الأعوان والأنصار ، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، وتبتقع الوسائل إلا من أطاع الله واتقاه ، ينعم عوفك (٢) ، ويأمن يوم القيامة خوفك ، ومهما عرض لك من شبهة لم تلب مخرجاً منها ولا صدرأ عنها ولا وجدت لستقيها هناء ولدائها شفاءً ، فطالع حضرة أمير المؤمنين بحالها مستعلماً ، وأنها إليه مستفتحاً باستدعاء الجواب عما أصبح لديك مستغلقاً مبهماً ، يمددك منه بما يريك صبح الحق منبلجاً وضيق الشك منفرجاً ، عن علم عنده البحر كالقياس ، إلى أوшал الناس . والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين بالصواب ويمده بالتوفيق في سائر الآراب ويقود لمراده أزمة جوامحها الصعاب ما أنجم سحاب وأنجم رباب بمنه وسعة فضله .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٦٤ - ٢٧٦ .

(١) أمرى الدم : إستخرجه .

(٢) العوف : البال .

٧٤ - منشور أصدره الخليفة الراشد لما أصبح خليفة برد المظالم
التي كانت موجودة زمن المسترشد :

بسم الله الرحمن الرحيم . لما أحل الله [أمير المؤمنين] محل أنبيائه ،
وجعله نائباً عنه في أرضه ، أمراً (١) في سمانه ، وارتضاه خليفة على
عباده وعاملاً بالحق في بلاده ، تقدم بتصفح ما كان يجري على أيدي
النواب في الأيام المسترشدية ، سقاها الله رحمة مستهلة السحاب ، وما عساه
كان يتم من أفعالهم الذميمة فوقف من ذلك على سهم المطالبة بغير
حق ، فاقضى رأيه الشريف التقدم برفع المطالبة عنهم وأبرز كل
ما وجد ، وأوعز برده على أربابه ليحظى الإمام الشهيد بزلفى ثوابه .
وليعلم الخاصة والعامة من رأي أمير المؤمنين إيثاره رضا الله سبحانه .
المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ - ٥١ .

٧٥ - مرسوم أصدره الخليفة العباسي الناصر بتقليد القاضي
محيي الدين أبي عبد الله محمد بن فضالان قضاء القضاة شرقاً وغرباً ،
من إنشاء أستاذ الدار عضد الدين بن الضحاك :

هذا ما عهد عبد الله وخليفته في العالمين المفترض الطاعة على الخلق
أجمعين أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين إلى محمد بن يحيى
ابن فضالان حين سبر خلاله واستقرأها ، واعتبر طرائقه واستبراها ،
فألفاه رشيداً في مذاهبه ، سديداً في أفعاله وضرائبه موسوماً بالرصانة
حالياً بالورع والديانة ، مبرزاً من العلوم في فنونها ، عالماً بمفروض
الشريعة المطهرة ومسنونها ، مدرعاً ملابس العفاف قد أناف على أمثاله

(١) كذا بالأصل .

في بوارع الأوصاف ، فقلده قضاء القضاة في مدينة السلام وجميع البلاد والأعمال والنواحي والأمصار شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ؛ سكوناً إلى ما علم من حاله وإضطلاعاً بالتهضة المنوطة به واستقلاله ، وركوناً إلى قيامه بالواجب فيما أسند إليه ونهوضه بعبء ما عول في حفظ قوانينه عليه ، وإستئانة إلى حلول الإصطناع عنده ، ومصادفته منه مكاناً تبوأه بالإستحقاق وحده ، والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين بزبد التوفيق في جميع الأمور ، ويحسن له الخيرة فيما يؤمه من منازم الدين وصلاح الجمهور ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتموكل وإليه ينيب .

وأمره بتقوى الله تعالى في إعلانسه وإسراره وتقمص شعارها في إظهار أمره وإضماره ، فإنها العروة الوثقى والذخر الأبقى والسعادة التي مادونها فوز ولا فوقها مرقى ، وهي حلية الأبرار وسيا الأخيار والمنهج الواضح والمتجر الرابع والسبيل المؤدي إلى النجاة والخلاص ، يوم لاوزر ولات حين مناص ، وأنفع العمد والذخائر وخير العتاد يوم تنشر الصحف وتبلى السرائر ، يوم تشخص الأبصار وتعدم الأنصار : وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار . ولا ينجو من عذاب الله يومئذ إلا من كان زاده التقوى ، وتمسك منها بالسبب الأقوى . قال الله تعالى : وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولي الألباب (١)

وأمره أن يجعل كتاب الله إماماً يهتدي بمناره ويستصيح ببواصر أنواره ويستضيء في ظلم المشكلات بمنير مصباحه ، ويقف عند حدود

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

محظوره ومباحه ويتخذها مثالا يحتذيه ودليلا يتبع أثره فيهديه ، ويعمل به في قضاياها وأحكامه ، ويقتدي بأوامره في نقضه وإبرامه ، فإنه دليل الهدى ورائده ، وسائق النجاح وقائده ومعدن العالم ومنبئه ، ومنجهم الرشاد ومطلعه ، وأحد الثقلين اللذين خلفها رسول الله ﷺ في الأمة ، والذكر الذي جعله الله تعالى تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة فقال عز من قائل : ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (١) .

وأمره بانتزاع (٢) الآثار النبوية ، صلوات الله على صاحبها وسلامه ، والإهداء بشموسها التي تتجلى بها دُجُئنة كل مشكل وظلامية ، والاقْتداء بسنة الشريعة المتبوعة وتصفح الأخبار المسموعة والعمل منها بما قامت أدلة صحته من جميع جهاته ، واستحكمت الثقة بنقلته عنه - عليه السلام - ورواته ، وسامت أسانيده من قده ورجاله من ظنة وجرح ، فإنها التالية للقرآن المجيد في وجوب العمل بأوامره والإنهاء بروادعه وزواجره ؛ وهو - عليه الصلاة والسلام - الصادق الأمين الذي ماض وما غوى وما ينطق عن الهوى . وقد قرن الله سبحانه طاعته بطاعته ، والعمل بكتابه والأخذ بسنته فقال عز من قائل : وما أناكم الرسول فتخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٣) .

وأمره بمجالسة العلماء ومباحثة الفقهاء ومشاركتهم في الأمور المشكلة وعوارض الحكومات المعضلة ، لتستبين سبيل الصواب ويُعمري

(١) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٢) الانتزاع : التمثل والاستنباط .

(٣) سورة الحشر : الآية ٧ .

الحكم من ملابس الشبه والإرتياب، ويخاص من خطأ الإنفراد وغوائل الإستبداد، فالمشورة باليمن مقرونة، والسلامة في مطاويها مضمونة، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ، مع شرف منزلته وكال عصمته وتأيبده بوحيه وملائكته فقال سبحانه: وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين^(١)

وأمره بفتح بابه ورفع حجابه، وأن يجلس للخصوم جلوساً عاماً، وينظر في أمورهم نظراً حسناً تاماً، مساوياً بينهم في نظره ولظنه وإصغائه ولفظه، محترزاً من ذي اللسن وجرأة جنانه، متأنياً بذني الحصر عند إقامة برهانه، فربما كان أحد الخصمين ألحن بحجته، والآخر ضعيفاً عن مقاومته؛ هذا مقام الفحص والإستفهام والتثبت وإمضاء الأحكام: ليسلم من خديعة محتال وكيد مغتال، مائلاً في جميع ذلك مع الواجب، سالكاً طريق العدل اللاحب، غير فارق في إمضاء الحكم بين القوي والضعيف والمشروف والشريف، والمالك والمملوك والغني والصلعوك. قال الله تعالى: إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى إن تعدلوا^(٢). وقال سبحانه وتعالى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون^(٣).

وأمره أن يتصفح أحوال الشهود المسموعة أقوالهم في الحقوق والحدود، المرجوع إلى أمانتهم المعمول بشهادتهم، الذين بهم تقام الحجج وتدحض، وتبرم الأحكام وتنقض، وتثبت الدعاوي وتبطل، وتمضى القضايا وتسجل، مجتهداً في البحث عن طرائقهم وأحوالهم وانتقاد

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤.

تصاريقهم وأفعالهم ، واستشفاف سجايهم وعرفان مزايهم ، مخصصاً بالتمييز من كان حميد الخصال مرضئى الفعال ، راجعاً إلى ورعٍ ودين ، متمسكاً من الأمانة والنزاهة بالسبب المتين . قال الله تعالى : وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم (١) .

وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم ومراعاة شئونهم وأحوالهم وأن يرتب ، بسبب إتساق مصالحهم ، الثقات الأعفَاء والأمناء الأتقياء بمن ظهرت ديانته وحسنت سريرته واشتهر بالظلف والعفاف ، والتنزه عن الطمع والإسفاف ، ويأمرهم بحفظها من خلل يتخللها ويد خائنة قد دخلها ، وليكن عليهم حديباً ، وفي فرط الخنو أباً ، وخلفاً من آباءهم في الإشفاق عليهم وحسن الإلتفات إليهم : فإنه عنهم مسئول ، والعدر عند الله تعالى في إهمالهم غير مقبول ، وأن يأذن لهم في الإنفاق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير ولا تضيق ولا تبذير ، فإذا بلغ أحدهم النكاح وآنس منه أمارات الرشد والصلاح دفع ماله إليه وأشهد بقبضه عليه ، على الوجه المنصوص غير منقوض ولا منقوص ، ممثلاً أمر الله تعالى في قوله سبحانه : فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً (٢) .

وأمره بتزويج الأيا مى اللواتي لا أولياء لهن من أكفائهن بهور أمثالهن ، وأن يشمل ذوات الغنى والفقير ممنهن بعدله ، ويتحرى لهن المصلحة في عقده وحله .

وأمره أن يستنيب فيما بعد عنه من البلاد ودنا ، وقرب منه ونأى كل ذي علم واستبصار وتيقظ في الحكم وإستظهار ، ونزاهة

(١) سورة الطلاق : الآية ٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦ .

شائعة ، وأرصاف لأدوات الإستحقاق جامعة ، ممن يتحقق نهوضه بذلك واضطلاعه ويأمن استنزاله وإخضاعه ، وأن يعهد إليهم في ذلك بمثل ما عهد إليه ، ولا يألوهم تنبيهها وتذكيراً . وإرشاداً وتبصيراً . قال الله تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان (١) .

وأمره بامضاء ما أمضاه قبله الحكام من القضايا والأحكام ، غير متمتع بأحكامهم بنقض ولا تبديل ولا تغيير ولا تأويل ، إذا كانت جائزة في بعض الأقوال ، بمضاهة على وجه من وجوه الإحتمال ، غير خارقة للإجماع ، عارية من ملابس الإبتداع ، وإن كان ذلك منافياً لمذهبه ، فقد سبق حكم الحاكم به . قال الله تعالى : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٢) .

وأمره أن يتخذ كتاباً قيماً بشروط القضايا والسجلات ، عارفاً بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات ، ويتداخلها من النقص والتليسيات ، متحرزاً في كل حال ، متنزهاً عن ذميمة الفعال ، وأن يتخير حاجباً نقي الحبيب مأمون المشهد والغيب ، مستشعراً للتقوى في السر والنجوى ، سالكاً للطريقة المثلى ، غير متجهم للناس ولا معتمد ما ينافي بسط الوجه لهم والإيناس ، فإنه وُصِّلَتْهُمْ إليه ، ووجهه المشهود قبل الدخول عليه ، فلينتخبه من بين أصحابه ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه .

وأمره بتسلم ديوان القضاء والحكم والإستظهار على ما في خزائنه بالإثبات والحتم والإحتياط على ما به من المال والسجلات والحجج والمهاضر والوكالات والقبوض والوثائق والإثبات والكفالات ، بحضر من العدول

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٥ .

الأمناء الثقات ، وأن يرتب لذلك خازناً يؤدي الأمانة فيه ، ويتوخى ماتوجهه الديانة وتقتضيه .

وأمره بمرعاة الحسبة : فإنها من أكبر المصالح وأهمها وأجمعها لمنافع الخلق وأعمها ، وأدعاها إلى تحصيل أموالهم وانتظام أحوالهم ، وأن يأمر المستناب فيها باعتبار سائر المبيعات فيها : من الأقوات وغيرها في عامة الأقوات ، وتحقيق أسباب الزيادة والنقصان في الأسعار ، والتصدي لذلك على الدوام والاستمرار ، وأن يُجري الأمر فيها بحسب ماتقتضيه الحال الحاضرة والموجبات الشائعة الظاهرة ، واعتبار الموازين والمكاييل وإعادة الزائد والنقص منها إلى التسوية والتعديل . فإن اطلع لأحد من المتعاملين على خيانة في ذلك ، وفعل ذميمة أو تطفيف عدل فيه عن الوزن بالقسطاس المستقيم أناله من التأديب وأسباب التهذيب ما يكون له رادعاً ، ولغيره زاجراً . قال الله تعالى : ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين (١) .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عند الله تعالى عليك ، قد أولاك من صنوف النعم والآلاء وجزيل الكرم والجباء ما يوجب عليك الإعراف بقدره واستيزاع شكره ، ووقف بك على محجة الرشاد وهداك إلى منهج الحق وسنن السداد ، ولم يالك تثقيفاً وتبصيراً وتنبهياً وتذكيراً ، فتأمل ذلك متدبراً ، وقف عند حدود أوامره ونواهيه مستبصراً ، واعمل به في كل ماتأتيه وتذره وتورده وتصدره ، وكن للمخيلة في ارتيادك محققاً ، وللمعتد فيك مصدقاً تفز من خير الدارين بمعلنى القيداح ، وإحماد السرى عند الصباح ، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٨٦ - ٢٩١

(١) سورة المطففين : الآيات ٦-١ .

— الشيعة والعلويون —

٧٦ . رسالة عضد الدولة إلى العزيز بالله الفاطمي مع رسول له هو أبو محمد العماني القاضي وذلك جواباً عن رسالة أرسلها العزيز الفاطمي لعضد الدولة مع رسول من قبله إسمه أبو الوليد عتبة بن الوليد . كان أبو الوليد عتبة بن الوليد ورد علينا وافداً عن تلك الحضرة الشريفة - حرسها الله تعالى - ومنتحلاً رسائل يعتقد بثلمها المودة . ويستصفي بحكمها الثقة ، فأصحننا له وأعدنا أبا الوليد إلى تلك الحضرة المحروسة موصول الجناح برسولنا فلان .
أخبار الدول المنقطعة لجمال الدين علي بن ظافر ص ٣٣ - ٣٤

٧٧ - جواب العزيز بالله لعضد الدولة البويهبي .

من عبد الله ووليه نزار أبي منصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة الإمام نصير ملة الإسلام أبي شجاع بن أبي علي . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله الصلاة على جده محمد رسول العالمين وحجة الله على الخلق أجمعين ، صلاة باقية نامية متصلة دائمة بعترته الهادية وذريته الطيبة الطاهرة . وبعد : فإن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك ، فأدى ماتحملة من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته ، ومحبتك لأبائه الطائعين الهادين المهديين ، فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك ووافق ما كان يتوسمه فيك وأنتك لا تمدل عن الحق . . .

ثم ذكر كلاماً كثيراً إلى أن قال :

وقد علمت ماجرى على ثغور المسلمين من المشركين وخراب الشام
وضعف أهله وغلاء الأسعار ، ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه
إلى الثغور ، وسوف يقدم إلى الحيرة ، وكتابه يقدم عليك من قريب
فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله . . . وكتبه يعقوب بن يوسف بن كلثوم
عند مولانا أمير المؤمنين .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٤ ، ١٢٤ - ١٢٥

٧٨ - مرسوم الطائع لله بتقليد الشريف أبي الحسن محمد بن
الحسين بن موسى العلوي نقابة الطالبين والاشراف على المساجد .
من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين
إلى محمد بن الحسين بن موسى العلوي ، حين وصلته به الأنساب ،
وقرئت له لديه الأسباب ، وظهرت دلائل عقله ولبابته ، ووضحت مخايل
فضله ونجابته ، ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر ابن عضد الدولة
ما مهد عند أمير المؤمنين من المحل المكين ، ووصفه به من الحلم الرزين
وأشار به من رفع المنزلة وتقديم الرتبة والتأهيل لولاية الأعمال وتحمل
الأعباء والأثقال ، وحيث رغبه فيه سابقة الحسين أبيه في الخدمة
والنصيحة والمشايعة الصحيحة والمواقف الحمودة والمقامات المشهودة
التي طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره . وكان محمد متخلقاً بخلائقه
وذاهباً على طرائقه علماً وديانة وورعاً وصيانة وعفة وأمانة وشهامة
وصرامة ، وتفرداً بالخط الجزيل من الفضل الجميل والأدب الجزل والتوجه
في الإيفاء ، والإيفاء في المناقب على لداته وأثرابه ، والإبرار على قرنائه
وأضرابه . فقلده ما كان داخلاً في أعمال أبيه من نقابة نقباء الطالبين

بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار ، شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ، واختصه بذلك جذباً بضمه ، وإنافة بقدره وقضاءً لحق رحمة وترفيهاً لأبيه وإسعافاً له بإيثاره فيه ، إلى ما أمر أمير المؤمنين بإستخلافه عليه من النظر في المظالم وتسيير الحجيج في أوان المواسم . والله يعرف أمير المؤمنين الخيرة فيما أمر ودبر ، وحسن العاقبة فيما قضى وأمضى ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتمقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسيا الصالحين وعصمة عباد الله أجمعين ، وأن يعتقدها سرّاً وجرراً ، ويعتمدها قولاً وفعلاً ، فيأخذ بها ويعطي ، ويريش ويبري ، ويأتي ويذر ، ويورد ويصدر ، فإنها السبب المتين والمقل الحصين والزاد النافع يوم الحساب ، والمسلك المفضي إلى دار الثواب . وقد حضّ الله أوليائه عليها ، وهداهم في محكم كتابه إليها . فقال : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١) . وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (٢) .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظباً ، وتصفحه مداوماً ملازماً والرجوع إلى أحكامه فيما أحل وحرم ، ونقض وأبرم ، وأثاب وعاقب وباعد وقارب ، فقد صحح الله برهانه وحجته وأوضح منهجه ومحجته ، وجعله فجراً في الظلمات طالماً ونوراً في المشكلات ساطعاً ، فمن أخذ به نجا وسلم ، ومن عدل عنه هلك وهوى وندم . قال الله عز وجل : وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٣) .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

وأمره بتزويه نفسه عما تدعو إليه الشهوات وتتطلع إليه النزوات ،
وأن يضبطها ضبط الحكيم ، ويكفها كف الحلیم ، ويجعل عقله سلطاناً
عليها ، وتميزه أمراً ناهياً لها ، فلا يجعل لها عذراً إلى صبوة ولا هفوة ،
ولا يطلق منها عناناً عند ثورة ولا فورة ، فإنها أماراة بالسوء ، منصبّة
إلى الغي ، فالخازم يتمها عند تحرك وطره وأربه ، واهتياج غيظه
وغضبه ، ولا يدع أن يفضها بالشكيم ويعركها عرك الأديم ، ويقودها
إلى مصالحها بالخزائم ، ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم ، كما يعز
بتدليلها وتأديبها ، ويجعل برياضتها وتقويمها ؛ والمفرط في أمره تطمح
به إذا طمحت ، ويجمع معها أنثى جمحت ، ولا يلبث أن تورده حيث
لا صدر ، وتلجئه إلى أن يعتذر ، وتقيمه مقام النادم الواجم ، وتتنكب
به سبيل الرشاد المسالم ، وأحق من تحلى بالحاسن وتصدى لاكتساب
الحامد ، من ضرب بمثل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف ، ومنصبه
المنيف ، واجتمع معه في ذؤابة العترة الطاهرة ، واستظل بأوراق
الدوحة الفاخرة ، فذاك الذي تتضاعف له المآثر إن آثرها ، والمثالب
إن أسف إليها ، ولا سيما من كان مندوباً لسياسة غيره ، مرشحاً للتقليد
على أهله ، إذ ليس يفي بإصلاح من ولي عليه من لا يفي بإصلاح ما بين
جنبيه ، وكان من أعظم الهجنة أن يأمر ولا يأتمر ويزجر ولا يزدجر .
قال الله عز وجل : أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون
الكتاب ، أفلا تعقلون (١) ؟ .

وأمره بتصفح أحوال من ولي عليهم واستقراء مذاهبهم والبحث عن
بواطنهم ودخائلهم ، وأن يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله

(١) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

فيهم منزلته ، ويوفيه حقه ورتبته ، وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أنسابهم وأقدارهم ، وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم ، فإن ذلك يلزمه لشيئين : أحدهما يخصه وهو النسب الذي بينه وبينهم ، والآخر يعمه والمسلمين جميعاً وهو قول الله جل ثناؤه : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى^(١) . فالمودة لهم الإعظام لأكبرهم ، والإشبال على أصغرهم واجب متضاعف الوجوب عليه ، ومتأكد اللزوم له ، وقد كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتسبوا ، أو جدها لم يقرحوا ، مجرين إلى ما يزري بأنسابهم ويفض من أحسابهم ، عذلم ونهبهم ونهائم ووعظهم ، فإن نزعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم والمقصود إليه فيهم ، وإن أصروا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع فإن نفع وإلا تجاوزه الى ما يوجب ويلذع ، من غير تطرق لأعراضهم ولا انتهاك لأحسابهم ، فإن الغرض منه الصيانة لا الإهانة ، والإدالة لا الإذالة ، وإذا وجبت عليهم الحقوق أو تعلقت بهم دواعي الخصوم ، قادم إلى الإغضاء بما يصح منها ويجب ، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتهه ويلتبس ، ومتى لزمته الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها بعد أن تثبت الجرائم وتصح ، وتبين وتتضح ، وتتجرد عن الشك والشبهة ، وتتجلى من الظن والتهمة ، فإن الذي يُستحب في حدود الله أن تدرأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة ، وأن تمضى عليهم مع قيام الدليل والبينة . قال الله عز وجل : ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون^(٢) .

(١) سورة الشورى : الآية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

وأمره بحياطة هذا النسب الأطهر والشرف الأفخر عن أن يدعيه
الأدعياء أو يدخل فيه الدخلاء ، ومن انتمى إليه كاذباً وانتحل به باطلاً ،
ولم يوجد له بيت في الشجرة ولا مصداق عند النسابين المهرة ، أوقع به
من العقوبة ما يستحقه ووسمه بما يُعلم به كذبه وفسقه ، وشهره شهرة
ينكشف بها غشه ولبئسه ، وينزع بها غيره من تسول له مثل ذلك نفسه ،
وأن يحصن الفروج عن مناكحة من ليس لها كفواً ، ولا مشاركها في
شرفها وفخرها ، حتى لا يطمع في المرأة الحسينية النسبية إلا من كان
مثلاً لها مساوياً ونظيراً موازياً . فقد قال الله تعالى : إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً^(١) .

وأمره برعاية متبلي أهله ومتجديهم وصلحائهم ومجاوريهم وأراملهم
وأصاغرهم ، حتى يسد الخلة من أحوالهم ، ويدر الموارد عليهم ، وتتعادل
أقساطهم فيما يصل إليه من وجوه أموالهم ، وأن يزوج الأيامي ويربي
اليتامى ويلزمهم المكاتب ليتلقنوا القرآن ويعرفوا فرائض الإسلام
والإيمان ويتأدبوا بالآداب اللائقة بنوحي الأحساب ، فإن شرف الأعراف
يحتاج إلى شرف الأخلاق ، ولا حمد لمن شرف نسبه وسخف أدبه ،
إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعيه ولا طلب ، ولا إجتهد
ولا دأب ، بل ب صنع من الله عز وجل له ، ومزيد من المنة عليه ،
وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية والإعتداد
بما فيها من المزية ، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب ، والترفع
عن الرذائل والمثالب .

وأمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

المؤمنين بإستخلافه عليه من النظر في المظالم ، والأخذ للمظلوم من الظالم ، وأن يجالس المترافعين إليه جلوساً عاماً ، ويتأمل ظلاماتهم تأملاً تاماً ، فما كان منها متعلقاً بالحاكم رده إليه ، ليحمل الخصوم عليه ، وما كان طريقه طريق الغشم والظلم ، والتغلب والغصب ، قبض عنه اليد المبطلّة وثبت فيه اليد المستحقة ، وتحرى في قضاياه أن تكون موافقة للمعدل وبجانبه للخذل ، فإن غايبي الحاكم وصاحب المظالم واحدة ، وهي إقامة الحق ونصرتة ، وإبانتته وإثارتته ، وإنما يختلف سبيلهما في النظر : إذ الحاكم يعمل على ما ثبت وظهر ، وصاحب المظالم يفحص عما غمض واستتر ، وليس له مع ذلك أن يرد لحاكم حكومة ولا يعل له قضية ولا يتعقب ما ينفذه ويمضيه ، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه ، والله يهديه ويسدده ويوفقه ويرشده .

وأمره أن يسير حجيج بيت الله الى مقصدهم ويحميهم في بدأتهم وعودتهم ، ويرتبههم في مسيرهم ومسلكهم ، ويرعاهم في ليلهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة ، ولا تقصل إليهم مضرة ، وأن يريحهم في المنازل ويوردهم المناهل ، ويتناوب بينهم في النهل والعلل ، ويمكنهم من الإرتواء والإكتفاء ، مجتهداً في الصيانة لهم ، ومعدراً في الذب عنهم ، ومتلوماً على متأخرهم ومتخلفهم ، ومنهضاً لضعيفهم ومهيضهم ، فإنهم حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر الرسول عليه السلام . فقد هجروا الأوطان وفارقوا الأهل والإخوان ، وتجشموا المغارم الثقال وتعسفوا السهول والجبال ، يلبون دعاء الله عز إسمه ، ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه . وحقيق على المسلم المؤمن أن يحرسهم متبرعاً ويحوظهم متطوعاً ، فكيف بمن تولى ذلك وضمنه وتقلده واعتنقه . قال الله : والله

على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً (١) .
وأمره أن يراعي أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها
وأكنافها ، وأن يجيي أموال وقوفها ويستقصي جميع حقوقها ، وأن يلم
شعثها ويسد خللها بما يتحصل من هذه الوجوه قبـله ، حتى لا يتمطل
رسم جرى فيها ، ولا تنقض عادة كانت لها ، وأن يثبت اسم أمير
المؤمنين على ما يعمره منها ويذكر اسمه بعده بأن عمرانها جرى على
يديه ، وصلحها أداءه قول أمير المؤمنين إلى فعله ، فقد فسح له أمير
المؤمنين بذلك تنويهاً بإسمه وإشادةً بذكره ، وأن يولي من قبله من
حسن أمانته وظهرت عفته وصيانتته . فقد قال الله تعالى : إنما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم
يخشَ إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتمدين (٢) .

وأمره أن يستخلف على ما يرى الإستخلاف عليه من هذه الأعمال :
في الأمصار الدانية والبلاد القريبة والبعيدة ، من يثق به من صلحاء
الرجال وذوي الوفاء والاستقلال ، وأن يعهد إليهم مثل الذي عهد إليه ،
ويعتمد عليهم في مثل ما اعتمد عليه ، ويستقري مع ذلك آثارهم
ويتعرف أخبارهم ، فن وجدده محموداً أقره ولم يزله ، ومن وجدده مذموماً
صرفه ولم يمهله ، واعتاض منه من تُرجى الأمانة عنده ، وتكون الثقة
معمودة منه ، وأن يختار لكتابته وحجبه والتصرف فيما قرب منه
وبعد عنه ، من يزينه ولا يشينه ، وينصح له ولا يغشه ويحمله ولا
يجهنه ، من الطبقة المعروفة بالظلف المتصونة عن النطف (٣) ، ويجعل

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٨ .

(٣) النطف : الميب .

لهم من الأرزاق الكافية والأجرة الوافية ما يصدمهم عن المكاسب
الذميمة والمآكل الوخيمة ، فليس تجب عليهم الحجة إلا مع إعطاء
الحاجة . قال الله تعالى : وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه
سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى (١) .

وأمره بأن يكتب لمن يقوم ببينة عنده وتكشف حجته له ، إلى
أصحاب المعاون بالشد على يديه وإيصال حقه إليه وحسم الطمع الكاذب
فيه ، وقبض اليد الظالمة عنه ، إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره
ونهيته ، والوقوف عند رسمه وحده .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك ، قد أنار فيه
سبيلك وأوضح دليلك ، وهداك وأرشدك وجعلك على بينة من أمرك ،
فاعمل به ولا تخالفه ، وانته إليه ولا تتجاوزه ، وإن عرض لك أمر
يعجزك الوفاء به ويشتبه عليك وجه الخروج منه ، أنهيته إلى أمير
المؤمنين مبادراً ، وكنت إلى ما يأمرك به صائراً ، إن شاء الله تعالى .
وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلثائة .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٤٧ - ٢٥٤ .

٧٩ - نص محضر الطعن في نسب العلويين الفاطميين الذي تم

إصداره في بغداد سنة ٥٤٠٢ هـ .

نسخة ما قرىء منها ببغداد وأخذ فيه خطوط الأشراف والقضاة
والفهاء والصالحين والمعلمين والثقات والأمثال مما عندهم من العلم
والمعرفة بنسب الديصانية وهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي
أحزاب الكافرين ونطف الشياطين شهادة متقرب إلى الله جلّت عظمته

(١) سورة النجم : الآيات ٣٩-٤١ .

وتمتعض للدين والإسلام ومعتقد إظهار ما أوجب الله تعالى على العلماء أن يدينوه للناس ولا يكتفون به .

« شهدوا جميعاً أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستيصال ابن معد ابن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله ، فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي ، ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أديعاء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ولا يتعلقون به بسبب وإنه منزه عن باطلهم وإن الذي ادعوه من الإلتساب إليه باطل وزور ، وإنهم لا يعلمون أن أحداً من أهل بيوتات الطالبين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أديعاء . وقد كان هذا الانكار لباطلهم ودعواهم شائعاً بالحرمين وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً إنتشاراً يمنع من أن يتدلس على أحد كذبهم ، أو يذهب وهم إلى تصديقهم ، وإن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق فجار ملحدون زنادقة معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولذهب الثنوية والجوسية معتقدون قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية ، وكتب في ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعمائة (١) . وكتب في المحضر خلق كثير من العلويين منهم الرضي والمرتضى .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ - ٢٥٥ .

(١) ردت مقتطفات كثيرة من هذا المحضر الشهير في كل من مرآة الجنان للياضي ج ٣-٤ ، والمبر للذهبي ج ٧٧-٧٨ ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٤ ، ٢٢٩-٢٣٠ والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج ٧ ، ١٤٢-١٤٣ ولكن نصنا هذا هو أكمل نص وأرفاه .

٨٠ - رسالة القادر بالله إلى جلال الدولة وصاحب الجيش والوزير

وذلك إثر الهجوم العنيف من جمهور المصلين من الشيعة في مسجد براثا مقر الشيعة في بغداد ووكرمهم على خطيب المسجد الذي أرسله القادر لخطبة الجمعة هناك فهاجمه الشيعة وضربوه ومنعوه من إتمام الخطبة . ووصل الخبر إلى القادر فغضب وأرسل الرسالة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم . إذا بلغ الأمر - أطال الله بقاء صاحب الجيش - إلى الجراءة على الدين وسياسة الدولة والمملكة - ثبتها الله - من الرعاع والأوباش فلا صبر دون المبالغة بما توجهه الحمية . وبغير شك إنه قد بلغه ماجرى في يوم الجمعة الماضية من مسجد براثا الذي يجمع الكفرة والزنادقة ومن قد تبرأ الله منه فصار أشبه شيء بمسجد الضرار ، وذلك أن خطيباً كان فيه يجري إلى ما لا يخرج به عن الزندقة والدعوى لعلي بن أبي طالب عليه السلام ما لو كان حياً فسمعه لقتل قائله ، وقد فعل مثل ذلك في الغواة أمثال هؤلاء الغناء الذين يدعون لله ماتكاد السموات يتفطرن منه ، فإنه كان في بعض ما يورده هذا الخطيب - قبعه الله - بعد الصلاة على النبي ﷺ فيقول : وعلى أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مكلم الجمجمة وبحيي الأموات البشري الإلهي ، مكلم فتية أصحاب الكهف ، إلى غير ذلك من الغلو المبتدع الذي تقشعر منه الجلود ويتحرك منه المسلمون وتتنزع قلوبهم ويرون الجهاد فيه كجهاد الثغر . فلما ظهر ذلك قبض على الخطيب وأنفذ ابن تمام ليعتمد إقامة الخطبة القوية ، فأورد الرسم الذي يطرق الاسماع من الخطبة ولم يخرج عن قوله : اللهم صل على محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين

وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، وذكر العباس وعلياً عليهما السلام
ثم قال في التفاتة المعهود عن يمينه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
إمام أئمة الهدى ، وعن يساره اللهم صل على محمد الشفيح المشفع في
الورى . وأقام الدعوتين الجليلتين ونزل ، فوافاه الآجر كالطر فخلع
كتفه وكسر أنفه وأدمى وجهه ، وهو لما به ، وأشيط دمه لولا أن
كان هناك أربعة من الأتراك - أيدهم الله - فنفروا وأجهدوا في أن
حواه لكان قد هلك . وهذه هجعة على دين الله وفتكة في شريعة
رسول الله ﷺ ، وخلاعة ذكر الربوبية . والحاجة صادقة والضرورة
ماسة إلى أن يقصد الإمتعاض البالغ في هذه الحال العظيمة الهائلة التي
ارتكبها الكفرة الفجرة وأقدموا على ما أقدموا عليه وبقي التضافر على
اقتناصهم وأخذ البريء بالسقيم وإباحة الدماء الواجب سفحها . وكسر
الأيدي والأرجل التي يجب إبانيتها عن أجسادها ، والشد على أيدي
أصحاب المعونة فيما يقصدونه من ذلك ، والعمل على ركوب الجم الفغير
وجهور كبراء العسكر - أدام الله عزهم - في يوم الجمعة الآتية
ليكون الخطيب - أيده الله - في صحبتهم ، ويجري الأمر في الخطبة
الإسلامية على تقويمها ورغم من رغم ، ولا يكون ذلك إلا بعد نكاية
تظهر وتعم ، فإن هؤلاء الشيع قد درسوا الإسلام ، وقد بقيت منه
بقية ، وإن لم تدفع هؤلاء الزنادقة المرتدة عن سنن الإسلام وإلا هدم
وذهبت هذه البقية . وله - أدام الله تأييده - سامي رأيه في العرف
على ذلك والجري على العادة في كفاية هذا المهم ، وإجابتي عن هذه
الرقعة بما أنهيه فيقع السكون إليه والإعتماد عليه إن شاء الله . بعد
فقد لحق تماماً الخطيب في نفسه وولده ماستنشر معرفته ، وقد انتهك
مجرمه ويحتاج إلى أن يستدعي صاحب المعونة ليستكشف عن حقيقة
الحال ومن الذي جنى هذه الجناية ، ويتعرف من الملاحين الذين في

المشارع من أي جهة وردوا وإلى أين صدروا ، ويتعرف ذلك من حراس الدروب بعد الارهاب الذي يعمل في مثله ، ويطلع بما ينتهي إليه الاجتهاد إن شاء الله (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ٤٢ - ٤٣

٨١- عهد القادر بالله إلى المرتضى العلوي بتوليته نقابة الأشراف والحج والمظالم سنة ٤٠٧ هـ . جاء فيه :

... هذا ما عهد عبد الله أبو العباس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى علي بن موسى العلوي حين قربته إليه الأنساب الزكية ، وقدمته إليه الأسباب القوية ، واستظل معه بأغصان الدوحة الكريمة ، واختص عنده بوسائل الحرمة الأكيدة فقلد الحج والنقابة ، وأمره بتقوى الله ...

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ - ٢٧٦

٨٢- رسالة القادر بالله إلى والد الشريف الرضي بالله لما بلغته الأبيات التي قالها مدحا في خلفاء الفاطميين .

غضب القادر بالله كل الغضب لما وصلت مسامعه الأبيات الشعرية التي تنسب إلى الشريف الرضي ويذكر فيها إقامته على الذل في العراق وهناك في مصر الخليفة العلوي ، فأرسل إلى والده الشريف أبي أحمد بهذه الرسالة مع القاضي أبي بكر :

قد علمت موضعك منا ومنزلتك عندنا ، وما لانزال من الإعتداد بك والثقة بصدق الموالاتة منك ، وما تقدم لك في الدولة العباسية من خدم سابقة ومواقف محمودة . وليس يجوز أن تكون على خليفة

(١) أورد اليافعي في مرآة الجنان ٣٤-٣٠ بعض فقرات من الكتاب المذكور أعلاه.

نرضاها ويكون ولدك على ما يصادها ، وقد بلغنا انه قال شعراً هو كذا ، فياليت شعرنا على أي مقام ذل أقام ، وما الذي دعاه إلى هذا المقال ، وهو ناظر في النقابة والحج فيما هو أجل الأعمال ، وأقصاها علواً في المنزلة ، وعساه لو كان بمصر لما يخرج من جملة الرعية ، وما رأينا ، على بلوغ الإمتعاض منا مبلغه ، أن نخرج بهذا الولد عن شكواه إليك وإصلاحه على يدك .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ - ٢٨٢

٨٣ - رسالة القائم بأمر الله العباسي إلى المعز بن باديس الذي قطع خطبة الفاطميين وخطب للعباسيين في القيروان وأرسل إلى القائم يعامه بذلك ويطلب التقليد :

من عبد الله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحى ثقة الاسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام ، ناصر دين الله قاهر أعداء الله ومؤيد سنة رسول الله ﷺ ، أبي تميم المعز بن باديس ابن المنصور ولي أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب ، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين .

الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٩ ، ٥٢١ - ٥٢٢

٨٤ - مرسوم الناصر لدين الله العباسي بتقليد محمد بن محمد نقابة الطالبيين في بغداد .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد عبد الله وخليفته الإمام المفترض الطاعة على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين إلى محمد ابن محمد بن المختار حين وجده مرضي الخلائق سوي الطرائق محمود السجايا والشيم ، متمسكاً من الديانة بأمتن سبب وأوثق معتصم ، سالكاً في

الركانة والرصانة لأحب جدد وأقوم لقم ، متحلياً من التقى والورع بأحسن لباس وأبهى مدرع ، قد فات بكفائته الأكفاء ، وبرع واستشرف إلى محامد الخلال ومحاسن الخصال كل مطلع ، فقلده نقابة العترة الكريمة العلوية والأسرة الجليلة الطالبية بمدينة السلام وسائر بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً . مقدراً فيه الإضطلاع بالأعباء والقيام بحسن الإستخدام والإستكفاء ، والنهوض بتأدية حق النعماء . والله تعالى يقرن آراء أمير المؤمنين بالتأييد والتوفيق في كل ما ينتحيه للإسلام والمسلمين من المصالح . ويدي له في كل ما يبتغيه من منازم الدين كل بعيد نازح إنه سميع مجيب ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله تعالى واستشعار مراقبته في سره وعلانيته ، فإنها الفريضة اللازمة والسنة القائمة واللباس الأحسن الأروع والحرز الأحصن الأمنع ، وأفضل ما اعتقده المعتقدون ودعا إليه الصالحون ووزن به المرء مراجع لحظه ومخارج لفظه ومسارح خواطره ومطارج نواظره ، وأوضح سبل الرشاد وميز الزاد ليوم المعاد . قال الله تعالى : وتزودوا فإن خير الزاد التقوى^(١) وقال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون^(٢) . فطوبى لمن سمع قوله فاتبعه وتجلبب لباس مراقبته وادرعه واقتدى بكنائبه فاستخرج كنوز المرشد من عيابه ، واقتنى ذخائر ثوابه فتوقى به ألم عقابه ، أولئك الذين أنعم الله عليهم بالعقائد الصحائح وأثقل موازين توفيقهم الرواجح وهداهم بما كتمب في قلوبهم من الايمان إلى الجدد اللاحب والمنهج الواضح ،

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

فعمل في دنياه لأخراه ، وقوم بالمهدي بالجد في المعاد جدواه (١) .
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

وأمره بأن يتأمل أحوال من فوض أمره من أهل بيته إليه ،
وعول في زعامته من ذوي الرحمة عليه ، ويعتبر طرائقهم ويختبر شيمهم
وخلائقهم ، وينزلهم منازلهم التي يستوجبونها بكرم العناصر ويستحقونها
بتباين المساعي والمآثر . قال الله تعالى : يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أتوا العلم درجات (٢) . فمن كان منهم رشيد المنهج متسكباً عن
الطرق الأعوج ، متحلياً من الدين والعلم بما يناسب نسبه ويلامح محمته
الكريم ومنصبه ، يحق (؟) له من الإكرام ، وخصه من الإنعام والتودد
والإحترام بما يرفع منزلته ويحث على اكتساب فضيلته من تأخر عن
غلوته ، ليشيع فيهم المناقب والفضل ، ويسفروا عن المناظر المهيبة في
النوادي والمحافل ، ويستضيفوا إلى شرف الأبوة فضل النبوة ويتقبلوا
آثار من قال الله عنهم : أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم
والنبوة (٣) . فإنهم أغصان تلك الدوحة الشريفة والشجرة المباركة
المنيفة .

وأمره أن يعاملهم برفق لا يشينه ضعف ، وتهذيب لا يهجنه عنف
من بدت من بادرة أو عثرة نادرة أقالها وألحق جناح المباشرة وأذيالها
وتجد له (٤) من التأنيب بما يجنبه أمثالها . قال الله تعالى : وليعفوا

(١) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

(٢) سورة المجادلة : الآية ١١ .

(٣) سورة الانعام : الآية ٨٩ .

(٤) كذا بالأصل .

وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم (١) . وقال رسول الله ﷺ :
أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم . فليس من كانت بادرة زلتة ومبتكرة
خطيئته كمن كان في الغي منهوكاً ويعبرى الإصرار عليه متمسكاً ،
ومن صادفه جاهلاً بقدره ونابذاً مصلحته وراء ظهره وعرف خلوص
دخلته وسلامة صدره ، إلا أنه عن مصلحة شأنه غافل ، وعن حلي
العلم الذي هو قيمة المرء عار عاطل أيقظه من مجموع الاعتزاز بالأمل
ونبيه على أن النسب لا يغني بغير عمل . والنبي ﷺ أوحى إليه :
وأندر عشيرتك الأقربين . وقال : يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب :
إنني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، إيتوني بأعمالكم ولا تأتوني بأنسابكم ،
إن أكرمكم عند الله أتقاكم . ومن ألفاه منهم ذاهباً في مجاهل الجهال
وسادراً في مهاوي الضلال ، ومشايخاً في احتقاب الأوزار ، وهاتكاً
لأستار التصون والإستتار ، واجهه خالياً بالتقريع والتقييد وزجره
بالإخافة والوعيد ؛ فإن نجح ذلك وأفاد ، ورجع عن جهالته وعاد ،
وإلا قوم من ميده واعوجاجه ، ووقف به على سبيل الحق ومنهاجه .
وإن قرئ أحدهم بجريرة أو رمي بجريرة ، فلا يعجل عليه بالمؤاخذه
ولا يسرع إليه بأجراء المقابلة ، بل يثبت إلى أن يقف بالبحث
والإيضاح على الحق المحض الصراح . قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا
إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على
ما فعلتم نادمين (٢) . فإن اتضح ما أقرف منه وزن بسببه نظر فإن كان
مما أوجب الله تعالى فيه حداً من الحدود أقامه من غير تعد على سلكه
المحدود فيه ونظامه . قال الله سبحانه وتعالى : ثلاث حدود الله فلا

(١) سورة الذور : الآية ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ٦ .

ثُمَّ تَدْرُهَا^(١) . وَقَالَ تَعَالَى : وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢) .
 وَقَالَ سُبْحَانَهُ : وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . وَلَا
 يَجْرِمُنَهُ احْتِقَابُهُ الجَرَائِمَ مِنْ نَظَرِ اعْتِنَائِهِ ، وَلَا إِقَامَةَ حَدِّ اللَّهِ فِيهِ مِنْ
 مَلاحِظَتِهِ وَإِرْعَائِهِ ، فَهَذَا النِّسْبُ الكَرِيمُ ، وَإِنْ تَفَاوُتَتْ أَحْوَاحُهُمْ وَتَبَايَنَتْ
 أَعْمَالُهُمْ خِصَّوْا بِالإِصْطِفَاءِ وَرُسِمُوا بِالإِجْتِبَاءِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا
 الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمَنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَنْهُمْ
 سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ (٣) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَصْرِفَ هِمَّتَهُ إِلَى مَصَالِحِ الْيَتَامَى وَتَخْصِيصِهِمْ مِنَ الإِعْتِنَاءِ
 وَتَحْوِيلِهِمْ مِنَ الإِرْعَاءِ بِمَا يَنْسِبُهُمْ ذَلَّةُ الْيَتَمِ وَفَقْدُ الْآبَاءِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ
 غَنِيًّا فَيُشْمَرُ مَالُهُ وَيَهْتَدُ بِخِلَالِهِ وَيَنْفَقُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ لَا شَطَطَ وَلَا تَبْدِيرَ ،
 وَلَا تَضْيِيقَ وَلَا تَقْتِيرَ ؛ فَإِذَا بَلَغَ الرِّشْدَ وَأَنْسَ مِنْهُ الرِّشْدَ سَلَّمَ مَالَهُ
 مَوْفُورًا إِلَيْهِ وَأَشْهَدَ بِقَبْضِهِ عَلَيْهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى
 إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ، فَإِنْ أَنْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رِشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ . . .
 إِلَى قَوْلِهِ : فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ^(٤) . مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيُثْنِ عَنَانَ العِنَايَةِ إِلَى
 مَا يَمُودُ بِاصْلاَحِ أَمْرِهِ وَلِيَصْرِفَ هِمَّتَهُ إِلَى جَبْرِ كَسْرِهِ إِلَى حَيْثُ اسْتَهْوَأَتْهُ
 وَتَهْتَدُ بِإِنْمَائِهِ ، وَلِيَدْرَ عَلَيْهِ مِنَ الوُقُوفِ بِالْمَعْرُوفِ وَلِيَكُنْ بِهِ عَطُوفًا
 وَلَهُ أَبَا رُوْفًا .

وَأَمْرُهُ بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِ الْيَتَامَى بَعَيْنِ الإِعْتِنَاءِ وَتَزْوِيجِهِمْ مِنَ الأَضْرَابِ
 وَالْأَكْفَاءِ وَتَخْصِيصِهِمْ بِالإِحْصَانِ ، لَا بِالْمَنْعِ وَالنِّسْيَانِ ، فَإِنَّ التَّنَاكُحَ مَدَدَ

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

(٣) سورة فاطر : الآية ٣٢ .

(٤) سورة النساء : الآية ٦ .

الوجود وقوامه وبه يستتب أمره ويتسق نظامه . قال الله تعالى :
وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ (١) . وقال رسول الله ﷺ : تناكحوا تناسلوا
أباه بكم الأمم يوم القيامة . وابتوخ تطهير عقود نكاحهن من أدناس
الإلتباس وينزهها من أدران الأرجاس . قال الله تعالى : إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً (٢) .

وأمره بصون هذا النسب الكريم والبيت الماجد العظيم من تنحل
الأدعياء وانتهاء الزنماء ، فإن صادف من يدعي من ذلك ما لا يقوم
البرهان على صحته وتشهد الاستفاضة والشيوخ بدحض حجته صب عليه
سوط التأديب وردعه بزواجر التهذيب ، فإن كفه الردع وزجره المنع ،
وإلا وسمه بمسيم يعرف به تنحله ويشيع به كذبه وتقوله . قال
رسول الله ﷺ : ملعون ملعون من انتسب إلى غير أبيه وادعى إلى
غير مواليه .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك هداك به إلى طريق
الرشاد وحداك في سبل السداد ، فاهتد بأنواره واتبع لرشيد آفاره
تظفر بمغانم الرشاد وتفز في المبدأ والمعاد . والله ولي التوفيق لأرشد
جده وأقوم طريق . وكتب في سادس عشر ربيع الأول من سنة
ثلاث وستائة . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي المصطفى
وآله وسلامه . رب اختم بخير

صورة العلامة الشريفة

تحت البسلة « الناصر لدين الله » صورة خط الوزير نصير الدين أبي
الحسن ناصر بن مهدي العلوي بين سطوره :

(١) سورة النور : الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

« عرض هذا العهد بتمام العز المقدس وشريف العرض ونخائم الطاعة على أهر الأرض حضرة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، ظاهر الله سلطانه ، وأعلى بإعلاء كلمته كلمة الحق وشأنه ، فشرفه بالتتويج والإمضاء ، وأوضح فيه من المرشد كل حجة بيضاء . والله تعالى يعضد آراء سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بمداد التوفيق والتأييد ، ويوزع الأمة شكر مامد عليهم من ظل إمامته المزيّد بمنه وطوله . الحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله وسلامه . وهو حسبنا ونعم الوكيل . رب اختم بخير » .

الجامع المختصر لابن الساعي ١٩٣ - ١٩٩

— القرامطة —

٨٥ - نص كتاب القرامطة الذي فيه تعاليمهم الأساسية وقد أطلع حمدان قرمط عليه الحسين الأهوازي لما وثق به وذلك في حدود سنة ٢٧٨ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة ، داعية إلى المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل . وذكر أن المسيح تصور له في جسم إنسان وقال له إنك الداعية وإنك الحجّة وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك روح القدس وإنك يحيى بن زكرياء ؛ وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل

غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر
 أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول
 الله أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد
 أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن
 محمداً رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله .
 وأن يقرأ في كل ركعة الإستفتاح وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن
 الحنفية ، والقبلة إلى بيت المقدس ، والحج إلى بيت المقدس ويوم الجمعة
 يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء .

والسورة : الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه . قل
 إن الأهلّة مواقيت للناس ، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور
 والآيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي ؛ اتقون يا أولي
 الأبواب . وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو
 عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في
 جنتي وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلدته
 مهاناً في عذابي ، وأتمت أجلي وأظهرت أمري على السنة رسلي ، وأنا
 الذي لم يعل عليّ جبار إلا وضعته ولا عزيز إلا ذلته ، وليس الذي
 أصر على أمره وداوم على جهالتة وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين وبه
 مؤمنين أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف
 الظالمون يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى الله أعظم (١) .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨ ، ١٦١ - ١٦٢ .

(١) ذكر القرظي في كتابه إتماظ الحنفا ص ١٥٣-١٥٤ نص كتاب حمدن هذا .
 وكذلك فعل ابن الأثير في الكامل ص ٧٠-٤٤٧ ، ولكن نص الطبري أوفى وأكمل
 وأغزر في التفاصيل .

٨٦ - صورة مطلع الخطاب الذي كان يرسله زكرويه القرمطي صاحب الشامة إلى عماله :

من عبد الله المهدي المنصور بالله ، الناصر لدين الله القائم بدين الله الحاكم بحكم الله الداعي لكتاب الله الذاب عن حرم الله ، المختار من ولد رسول الله ﷺ ، أمير المؤمنين وإمام المسلمين ومذل المنافقين وخليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين وقاصم المعتدين ومهلك المفسدين وصراج المستبصرين وضيء المبصرين ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة المرسلين وولد خير الوصيين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين إلى جعفر بن حميد الكردي . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد جدي . أما بعد : ماهو . كيت وكيت ... (١) .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٣ ، ١٠٦ - ١٠٧

٨٧ - خطاب أحمد بن القاسم بمثل زكرويه صاحب الشامة في القرامطة .

انشق القرامطة على أنفسهم إلى فرقتين : فرقة تزعمها الذئب بن القائم وفرقة ظلت على ولائها لزكرويه ؛ واقتتلت الفرقتان ، ثم ارتحلت إحداهن إلى عين التمر ، ووصل الخبر إلى زكرويه فأرسل أحمد بن القاسم الذي تمكن من جمع الفريقين وخاطبهم قائلاً :
أنا رسول وليكم وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وإنكم قد ارتددتم عن الدين .

(١) أعطى المعري في كتابه انماض الخلفاء ص ١٧٤-١٧٥ نصاً لا يختلف عن نصنا أعلاه إلا في بعض التفصيلات البسيطة ،

فاعتذروا إليه وحلفوا له فقال لهم :
 قد جئتمكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، يقول لكم وليكم :
 قد حضر أمركم وقرب ظهوركم . وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون
 ألفاً ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم الذي ذكره الله في
 شأن موسى صلى الله عليه وسلم وعدوه فرعون ، إذ يقول : موعدكم يوم
 الزينة وأن يحشر الناس ضحى فأجمعوا أمركم وسيروا إلى الكوفة فإنه
 لا دافع لكم عنها ومنجز وعدي الذي جاءكم به رسلي .
 اتماظ الخنفا للمقرزي ص ١٧٦ - ١٧٧

٨٨ - نسخة كتاب أرسله إلى القرمطي صاحب الشامة زكرويه
 أحد أتباعه .

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله الإمام المهدي المنصور بالله الناصر
 لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله الداعي إلى كتاب الله الذاب
 عن حرم الله المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين وإمام المسلمين
 ومذل المنافقين خليفة الله على العالمين وحاصد الظالمين وقاصم المعتدين
 ومبيد الملحدين وقاتل القاسطين ومهلك المفسدين ومراج المبصرين وضياء
 المستضيئين ومشتت المخالفين والقيم بسنة سيد المرسلين وولد خير الوصيين ،
 صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيراً . ثم بعد ذلك من
 عامر بن عيسى العنقائي . سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .
 أما بعد : أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام الله عزه وتأييده ونصره
 وسلامته وكرامته ونعمته وسعاده ، وأسبغ نعمه عليه وزاد في إحسانه
 إليه وفضله لديه ، فقد كان وصل كتاب سيدي أمير المؤمنين أطال
 الله بقاءه ، يملأه فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد

من قواده إلى ناحيتنا مجاهدة أعداء الله بني الفصيصة والخائن ابن دحيم وطلبهم حيث كانوا ، والإيقاع بهم وبأسبابهم وضياعهم ؛ ويأمرني ، أدام الله عزه ، عند نظري في كتابه بالنهوض في كل من قدرت عليه من أصحابي وعشائري للقائم ومكانفة الجيش ومعاضدتهم والمسير بسيرهم والعمل بكل ما يؤمنون إليه ويأمرون به وفهمته ، ولم يصل إليّ هذا الكتاب - أعز الله أمير المؤمنين - حتى وافت الجيوش المنصورة فنالت طرفاً من ناحية ابن دحيم وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور ابن أحمد الداعية ليلقوه بمدينة أفامية ، ثم ورد عليّ كتاب مسرور ابن أحمد في درجة الكتاب الذي اقتضت مافيه في صدر كتابي هذا يأمرني فيه بجمع من تهبأ من أصحابي وعشيرتي والنهوض إلى ما قبله ويحذرنى التخلف عنه ، وكان ورود كتابه عليّ وقت صح عندنا نزول المارق سبك عبد مفلح مدينة عرقة في زهاء ألف رجل مابين فارس وراجل ، وقد شارف بلدنا وأطل على ناحيتنا . وقد وجه أحمد بن الوليد عبد أمير المؤمنين ، أطل الله بقائه ، إلى جميع أصحابه ، ووجهت إلى جميع أصحابي فجمعناهم إلينا ، ووجهنا العميون إلى ناحية عرقة لتعرف أخبار هذا الخائن وأين يريد ، فيكون قصدنا ذلك الوجه ، ونرجوا أن يظفر الله به ويمكن منه بمنه وقدرته ، ولولا هذا الحادث ونزول هذا المارق في هذه الناحية وإشرافه على بلدنا لما تأخرت في جماعة أصحابي عن النهوض إلى مدينة أفامية لتكون يدي مع أيدي القواد المقيمين بها لمجاهدة من بتلك الناحية حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . وأعلت سيدي أمير المؤمنين ، أدام الله عزه ، بالنفوذ إلى أفامية كان نفوذي برأيه وامتثلت ما يأمرني به إن شاء الله ، أتم الله على أمير المؤمنين نعمته وأدام عزه وسلامته وهناه كرامته وألبسه عفوه

وعافيته ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار .
تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨ - ٢٢٤

٨٩- رسالة القائد محمد بن سليمان الذي أرسله الخليفة المكشفي لحرب القرامطة إلى الوزير بالنصر على القرامطة .

بسم الله الرحمن الرحيم . قد تقدمت كتبي إلى الوزير - أعزه الله - في خبر القرمطي اللعين وأشياعه بما أرجو أن يكون قد وصل إنا شاء الله . ولما كان يوم الثلاثاء لست ليال خلون من المحرم رحلت عن الموضع المعروف بالقراونة نحو موضع يعرف بالعليانة في جميع المسكر من الأولياء ، وزحفنا بهم على مراتبهم في القلب والمينة والميسرة وغير ذلك ، فلم أبعث أن واقاني الخبر بأن الكافر القرمطي أنفذ النعمان ابن أخي إسماعيل بن النعمان أحد دعاة في ثلاثة آلاف فارس وخلق من الرجالة ، وإنه نزل بموضع يعرف بتمنع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً ، فاجتمع إليه جميع من كان بعمرة النعمان وبناحية الفصيص وسائر النواحي من الفرسان والرجالة ، فأسررت ذلك عن القواد والناس جميعاً ولم أظهره وسألت الدليل الذي كان معي عن هذا الموضع وكم بيننا وبينه فذكر أنه ستة أميال . فتوكلت على الله عز وجل وتقدمت إليه في المسير نحوه فمال بالناس جميعاً وسرنا حتى وافيت الكفرة فوجدتهم على تعبئة ورأينا طلائعهم ، فلما نظروا إلينا مقبلين زحفوا نحونا وسرنا إليهم فافترقوا ستة كراديس ، وجعلوا على ميسرتهم على ما أخبرني من ظفرت به من رؤسائهم مسروراً العليصي وأبا الحمل وغللام هارون العليصي وأبا العذاب ورجاء وصافي وأبا يعلى العلوي في ألف وخمسمائة

فارس ، وكنوا كميناً في أربعمائة فارس خلف مسيرتهم بإزاء ميمنتنا ، وجعلوا في القلب النعمان العليصي وثلاثة آلاف راجل ، وفي ميمنتهم كليبا العليصي والمعروف بالسديد العليصي والحسين بن العليصي وأبا الجراح العليصي وحيد العليصي وجماعة من نظرائهم في ألف وأربعمائة فارس وكنوا مائتي فارس ، فلم يزالوا زفاً إلينا ونحن نسير نحوهم غير متفرقين ، متوكلين على الله عز وجل وقد استحثثت الأولياء والغلمان وسائر الناس وغيرهم ووعدهم ، فلما رأى بعضنا بعضاً حمل الكردوس الذي كان في مسيرتهم ضرباً بالسياط فقصده الحسين بن حمدان وهو في جناح اليمينة ، فاستقبلهم الحسين - بارك الله عليه وأحسن جزاءه - بوجهه وبوضعه من سائر أصحابه برماحهم فكسروها في صدورهم فأنفلوا عنهم ، وعاود القرامطة الحمل عليهم فأخذوا السيوف واعترضوا ضرباً للوجوه فصرع من الكفار الفجرة ستائة فارس في أول وقعة ؛ وأخذ أصحاب الحسين خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضة وولوا مدبرين مفلولين ، واتبعهم الحسين فرجعوا إليه فلم يزالوا حملة وحملة ، وفي كل خلال ذلك يصرع منهم الجماعة بعد الجماعة حتى أفنهم الله عز وجل ، فلم يفلت منهم إلا أقل من مائتي رجل . وحمل الكردوس الذي كان في ميمنتهم على القاسم بن سيار وبن الحادام ومن كان معها من بني شيبان وبني تميم فاستقبلوهم بالرماح حتى كسروها في صدورهم ، واعتنق بعضهم بعضاً ، فقتل من الفجرة جماعة كثيرة ، وحمل عليهم في وقت حملتهم خليفة بن المبارك ولواؤ ، وكنت قد جعلته جناحاً لخليفة في ثلاثمائة فارس وجميع أصحاب خليفة وهم يماركون بني شيبان وبني تميم ، فقتل من الكفرة مقتلة عظيمة واتبعوهم . فأخذ بنو شيبان منهم ثلاثمائة فرس ومائة طوق ، وأخذ أصحاب خليفة مثل ذلك . وزحف النعمان ومن

معه في القلب إلينا فحملت ومن معي ، وكنت بين القلب واليمينه ،
 وحمل خاقان ونصر القشوري ومحمد بن كمشجور ومن كان معهم في
 اليمينه ، ووصيف موشكير ومحمد بن إسحق بن كنداجيق وابنا كيغلغ
 والمبارك القمي وربيعه بن محمد ومهاجر بن طليق والمظفر بن حجاج
 وعبد الله بن حمدان وحي الكبير ووصيف البكتمري وبشر البكتمري
 ومحمد بن قراطغال ، وكان في جناح اليمينه جميع من حمل على من في
 القلب ومن انقطع من كان حمل على الحسين بن حمدان ، فلم يزالوا
 يقتلون الكفار فرسانهم ورجالتهم حتى قتلوا أكثر من خمسة آلاف .
 ولما أن تجاوزت المصاف بنصف ميل خفت أن يكون من الكفار مكيدة
 في الإحتيال على الرجاله والسواد فوقفت إلى أن لحقوني وجمعتهم وجمعت
 الناس إلى وبين يدي "المطرود المبارك مطرد أمير المؤمنين . وقد حملت
 في الوقت الأول وحمل الناس ، ولم يزل عيسى بن النوشيزي ضابطاً للسواد من
 مصاف خلفهم مع فرسانه ورجالته على مارسمته له لم يزل عن موضعه
 إلى أن رجع الناس جميعاً إلى من كل موضع وضربت مضربي في
 الموضع الذي وقفت فيه حتى نزل الناس جميعاً ، ولم أزل واقفاً إلى أن
 صليت المغرب حتى استقر المسكر بأهله . ووجهت في الطلائع ثم نزلت
 وأكثر حمد الله على ما هأنأنا به من النصر ، ولم يبق أحد من قواد
 أمير المؤمنين وغلمانه ولا المعجم وغيرهم غاية في نصر هذه الدولة المباركة في المناصحة
 لها إلا بلقوها ، بارك الله عليهم جميعاً . ولما استراح الناس خرجت والقواد جميعاً
 لنقيم خارج المسكر إلى أن يصبح الناس خوفاً من حيلة تقع ، وأسأل الله تمام
 النعمة وإيزاع الشكر . وأنا - أعز الله سيدنا الوزير - راحل إلى حماة ثم أشخص
 إلى سلمية بمن الله تعالى وعونه . فمن بقي من هؤلاء الكفار مع الكافر
 فهم بسلمية فإنه قد صار إليها منذ ثلاثة أيام ، وأحتاج إلى أن يتقدم

الوزير بالكتاب إلى جميع القواد وسائر بطون العرب من بني شيبان وتغلب وبني تميم يجزيهم جميعاً الخير على ما كان في هذه الرقعة ، فما بقى أحد منهم ، صغير ولا كبير غاية والحمد لله على ما تفضل به . وإياه أسأل تمام النعمة . ولما تقدمت في جمع الرؤوس وجد رأس أبي الحمل ورأس أبي العذاب وأبي البغل ، وقيل ان الثعمان قد قتل . وقد تقدمت في طلبه وأخذ رأسه وحمله مع الرؤوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨ ، ٢٢٦ - ٢٢٨

٩٠ - رسالة قائد المكتفي القاسم بن سيبا بالتغلب على جماعة من القرامطة .

استأمن جماعة من القرامطة إلى القائد القاسم بن سيبا ، ولكنه لاحظ منهم ميلاً للنكث فأوقع بهم وكتب بذلك يقول :
إن الأعراب الذين استأمنوا بمن كان يتبع القرمطي نكثوا وغدروا وعزموا أن يكبسوا الرحبة يوم الفطر عند اشتغال الناس بالصلاة ، فإني أوقمت بهم فقتلت وأسرت .
المنتظم لابن الجوزي ج ٦ - ٤٤

٩١ - رسالة أبي سعيد الجنابي القرمطي الشفوية إلى الخليفة المعتضد .

هزم قرامطة هجر الدين رئيسهم أبو سعيد الجنابي جيشاً للخليفة المعتضد وأسروا شخصاً من خاصته اسمه العباس بن عمرو الغنوي ، وهو قائد الجيش المهزوم ، فأطلقه أبو سعيد وحمله إلى المعتضد رسالة شفوية هذا نصها :

يا هذا : لم تخرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك ،
وتبعث في طليي الجيوش ؟ وأنا رجل مقيم في فلاة لا زرع فيها ولا
زرع ، وقد رهيت لنفسي بخشونة العيش والعز بأطراف هذه الرماح ،
ولا اغتصبتك بلداً ولا أزلت سلطانك عن عمك ، ومع هذا فوالله
لو أنفذت إلي جيشك كله ماجاز تظفر بي لأني رجل نشأت في العسف
فاعتدته أنا ورجالي ولا مشقة علينا فيه ، وأنت تنفذ جيوشك من
الجيوش ، والثلج والريحان فيجيثون من المسافة البعيدة الشاقة وقد قتلهم
السفر قبل قتالنا ، وإنما غرضهم أن يبلغوا غرضاً من موافقتنا ساعة ثم
يهربون ، وإن هم هزموني بمدت عشرين فرسخاً أو ثلاثين وجلت في
الصحراء شهراً أو شهرين ثم كسبتهم على غرة فقتلتهم ، وإن كانوا محترزين
فما يمكنهم أن يطوفوا خلفي في الصحارى ، ولا تحملهم الإقامة في
أماكنهم . فأنت تنفق الأموال وتكلف الرجال الأخطار . وأنا سليم
من ذلك ، وهيبتك تنخرق في الأطراف كلما جرى عليك هذا . فإن
اخترتَ بعدُ محاربتي فاستخرت الله ، وإن أمسكت فذلك إليك (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٥ - ١٣٤

٩٢ - رسالة جوابية لوزير المقتدر علي بن عيسى من أولاد أبي
سعيد الجنابي القرمطي .

أرسل الوزير علي بن عيسى إلى أبي سعيد الجنابي رسالة يعظم
جريته وخروجه على إمام المسلمين ويعظه . ولكن أبا سعيد توفي قبل
استلام الرسالة فاستلمها أولاده وأجابوا الوزير بما يلي :

(١) أورد المقرئ في كتابه إتمام الحفا ص ١٩ نصاً أقل تفصيلاً عن النص المذكور
أعلاه لرسالة أبي سعيد الجنابي للمعتضد .

قالوا بعد حمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ وتعظيم الخليفة
وشكر ما بلغهم عن الوزير من العدل :

إننا لم نخرج من الطاعة ، ولكننا كنا قوماً مستورين فنقم علينا ذلك
فجأرت من الناس لادين لهم فشنعوا علينا وقذفونا بالكبائر ثم خرجوا
إلى سبنا وضرينا ، ثم نادوا : قد أجلناكم ثلاثة أيام فمن أقام بعدها
أحل بنفسه العقوبة ، فخرجنا فوثبوا علينا قبل الأجل و ضربونا وأغرمونا
الأموال ، فسألناهم أن يؤمنونا على أنفسنا فلم يفعلوا ، وأمر بصاحب
البلد بقتلنا فهربنا فأخذوا حرمانا وسلبوهم سلباً قبيحاً ، وانتهبوا منازلنا
فلجأنا إلى البادية ، فخرج ناس إلى المعتضد بالله فشنعوا علينا فصدق
مقاتلهم وبعث إلينا يخاصمنا فدافعنا عن أنفسنا ، فقويت وحشتنا من
الخلق . وأما ما ادعي علينا من ترك الصلاة وغيرها ، فلا يجوز قبول
دعوى إلا ببينة ، وإذا كان السلطان ينسبنا إلى الكفر بالله تعالى فكيف
يسألنا أن ندخل في طاعته؟ (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٦ - ١٢٢

٩٣ - رسالة مؤنس إلى الخليفة المقتدر .

أرسل المقتدر مؤنساً الخادم على رأس جيش لقتال القرامطة وغرم
على الجيش مالا كثيراً ، ولكن مؤنساً تباطأ في القتال فأرسل إليه
المقتدر يستعجله حرهم ويستكثر ما أنفق من مال على الجيش فأجاب مؤنس :
إن في مقامنا - أطال الله بقاء مولانا - نفقة المال ، وفي لقائنا
نفقة الرجال ، ونحن أحرىء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال .

(١) أورده ابن كثير في البداية والنهاية ١١٠-١٢١ نصاً يختلف بعض الاختلاف وأقل
تفصيلاً عن نصنا أعلاه .

٩٤- رسالة مؤنس إلى أبي طاهر القرمطي زعيم القرامطة .

ويلك ! ظننتني كمن لقيمك ، أبرز لك رجالي ! والله مايسرني أن
أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي ، ولكني أطاولك وأمنعك
مأكولاً ومشروباً حتى آخذك أخذاً بيدي إن شاء الله .

اتعاظ الحنفا للمقرزي ص ١٨١ - ١٨٢

٩٥- رسالة معز الدولة البويهبي الشفوية إلى قرامطة هجر .

زحف معز الدولة بجيش إلى البصرة ، فلما صار إلى البرية ورد
عليه رسول القرامطة بكتاب منهم في الإنكار عليه في سلوك البرية
من غير إذنهم ، فقال للرسول :

ومن أنتم حتى تستأذنوا في سلوك البرية ، وكأني أنا أقصد البصرة
إنما قصدي بلدكم وإليكم بعد فتحي إياها ، وستعرفون خبركم (١) .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ - ١١٢

٩٦- رسالة أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني إلى زعيم القرامطة .

كان الأخشيديون يرسلون ٣٠٠ ألف دينار سنوياً للقرامطة ، فلما
دخل المعز لدين الله مصر قطعها عنهم فحرضهم بقايا الأخشيديين على
قصد مصر ، كذلك فعل نفس الشيء أبو تغلب الحمداني وأرسل إلى
زعيم القرامطة الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي رسالة يقول فيها بعد
أن حرضه على قصد مصر .

هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنا مقيم في هذا الموضع

(١) أورد ابن الجوزي في المنتظم ٦-٦-٣٥ نصاً مشابهاً لنصنا هذا مع بعض التفاصيل
اليسيرة .

إلى أن يرد عليّ خبرك ، فإن احتجت إلى مسيري سرت إليك .
اتعاظ الحنفا للمقرزي ص ١٨٧

٩٧ - رسالة أخي أبي طاهر القرمطي للمطيع لله لما أعاد الحجر
الأسود إلى الكوفة .

إنا أخذنا هذا الحجر بأمر وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه ليهتم
حج الناس ومناسكهم .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ - ٢٢٣

— شؤون ادارية —

٩٨ - رسالة محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عماله بتولية أخيه
عبيد الله مكانه وذلك قبيل وفاته زمن المعز سنة ٢٥٣ هـ .

أما بمد : فإن الله عز وجل جعل الموت حتماً مقضياً جارياً على
الباقيين من خلقه حسبما جرى على الماضين ، وحقيق على من أعطى حظاً
من توفيق الله أن يكون على استعداد لخلول ما لا بد منه ولا يحيص
عنه في كل الأحوال . وكتابي هذا وأنا في علة قد اشتد الإشفاق منها
وكاد الأياس يغلب على الرجاء فيها : فإن يتبّل الله ويدفع بقدرته
وكريم عادته ، وإن يحدث بي الحدث الذي هو سبيل الأولين والآخرين
فقد استخلفت عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين أخي الموثوق
ياقتفائه أثري وأخذته بسد ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين إلى أن
يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه فاعلم ذلك وأنتم فيما تتولاه بما يرد به

كتب عبيد الله وأمره ان شاء الله . وكتب يوم الخميس لثلاث عشره
خلت من ذي القعدة سنة ٢٥٣ هـ .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥١٦ - ٥١٧

٩٩ - منشور الرازي بالله ضد الحنابلة وقد أصبحوا قوة وأثروا
الشعب وتعصبوا ضد أصحاب المذاهب الأخرى . وهذه مقتطفات :

... تارة انكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على
مشال رب العالمين ، وهيئتم الرذلة على هيئته ، وتذكرون الكف
والأصابع والرجلين والنعلين المذهبين والشعر المقطط والصعود إلى السماء
والنزول إلى الدنيا . تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً
كبيراً . ثم طعنكم على خيار الأئمة ونسبتكم شيعة آل محمد ﷺ إلى
الكفر والضلال ، ثم استدعواكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة
والمناقب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن ، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة
وتشفيعكم على زوارها بالابتداع وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قسبر
رجل من العوام ليس بنبي شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله ﷺ
وتأمرون بزيارته وتدعون له معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ،
فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات ما أغواه .

وأمر المؤمنين يقسم بالله قسماً جهداً إليه يلزمه الوفاء به : لئن
لم تذهتوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم ليوسعنكم ضرباً وتشريداً
وقتلاً وتبديداً ، وليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم
ومحالكم (١) .

الكامل لابن الأثير ج ٨ ، ٣٠٨ - ٣٠٩

(١) يذكر ابن مسكويه في تجارب الأمم - ١٠ - ٣٢٢ - ٣٢٣ منشوراً للرازي يشبه
إلى حد بعيد منشورنا أعلاه مع وجود بعض الزيادة والخلافات البسيطة . أما أبو الفداء في
المختصر - ٢٠ - ٨٢ - وابن العبري في مختصر الدول ١٦٣ فيكتفيان بمقتطفات صغيرة جداً .

١٠٠ - رسالة المقتدر إلى مؤنس الخادم يرد بها على رسالة أرسلها

إليه مؤنس

يذكر فيها استياء الجيش من تسلط الخدم والحرم والنساء على شؤون الدولة ومنحهم الإقطاعات ومشاركتهم الرأي ويطالب بإبعادهم .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمتعي الله بك ولا أخلاني منك ولا أرافي سوءَ فيك . تأملت الحال التي خرج أولياؤنا وصنائعنا وشيئتنا إليها ، وتمسكوا بهنسا وأقاموا عليها ، فوجدتهم لم يريدوا إلا صيانة نفسي وولدي وإعزاز أمري وملكي ، واجتلاب الخير والمنفعة من كل جهة وتطالها بكل سبيل بارك الله عليهم ، وأحسن إليهم وأعاني على صالح ما أنويه فيهم . وأما أنت يا أبا الحسن المظفر لا خلوت منك فشيخي وكبيري ومن لا أزول ولا أحول عن الميل إليه والتوفر عليه والتحقق به والإيجاب له ، اعترض بيننا هذا الحادث أم لم يعترض ، وانتقض الأمر الذي يجمعنا أم لم ينتقض ، وأرجو ألا تشك في ذلك إذا صدقت نفسك وحاسبتها وأزلت الظنون السيئة عنها أدام الله حراستها ، والقوة بالله . والذي خاض أصحابنا فيه من أمر الخدم والحرم الذين يخرجون من الدار ويباعدون منها وتسقط رسومهم في الخدمة وينعمون منها ويبرأون من نعمهم ويحال بينهم وبينها إلى أن يفرجوا عما في أيديهم من المال والضياع ويردوها إلى حقوقها قول ، إذا تبينوه حق تبينه وتصفحوه كنه تصفحه ، علموا أنه قول جاف والبغي عليّ فيه غير مستتر ولا خاف . وإيثارى موافقتهم واتباعي مسرتهم ما أحببتهم إلى المتيسر في أمر هذه الطبقة خاصة فأتقدم بقبض بعض إقطاعاتهم وحظر تسويغاتهم وبسط إيغارهم وإخراج من يجوز إخراجه من داري ولا أطلق للباقيين الدخول في تدبيري ورأيي ، وأوعز بكاتبة العمال

في استيفاء حق بيت المال في ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال
 أنه قد لابسه الريب والشك ، وأنظر بنفسه في أمر الخاصة والعامه
 وأبلغ في إنصافها والإحسان إليها الغاية ، ولا أعتمد في ذلك على وزير
 ولا سفير البتة ، وأنتصب لإثارة الأموال وجمعها ووضعها في مواضعها
 وأحميها من كل ما يثلمها وينتقصها ، وأشهر في ذلك وأبلغ في مناهضة
 الأعداء قريبا وبعداً ، وهذا إنما قدمت عنه إعتاداً عليكم وتفويضاً اليكم
 وثقة بأنكم شركائي وسهائي ، المخصوصون بخير أيامي وشرها وحلوها
 ومرها ، ولو علمت أنه يحمل ذلك ذنباً لي وجراً يتجنى به علي
 لكننت أول شاخص إلى كل تعب وأول مبادر نحوه من غير إبطاء
 عنه ولا ريث . فأما أنتم فمعظم نعمكم مني وما كنت لأغور عليكم
 في شيء سمحت به لكم ورأيت في وقته وأراه الآن زهيداً في جنب
 استحقاقكم وأنا بتمثيره أولى وبتوفيره أحرى . والله المطلع على جميل
 معتقدي للجماعة فيها والشاهد على محبتي لإبصالحها إلى أقصى أمانها . ونازوك
 فلست أدري من أي شيء عتب ولا لأية حال استوحش واضطرب ،
 لأنني لم ألمه على محاربة هرون بن غريب الخال ولم أمنعه من الإنتصار
 منه والأخذ بشأره عنده ، ولا أمرت بمعاونة هرون عليه ولا قبضت
 يده عما كانت طويلة إليه منبسطة فيه متمكنة منه ، ولا غيرت له
 حالاً ولا حزت له مالاً ولا سمع مني ولا بلغه عني ما يسوء موقعه
 وينفر منه ، والله يففر لنا وله . وعبد الله بن حمدان فالذي أحفظه
 صرفه عن الدينور ، وقد كان تهباً إعادته إليها إن كان راغباً فيها
 فيسمعف بمسئلته ، وأن يستدعي تعويضه من الاعمال ما هو أعظم خطراً
 من الدينور فلا تقصر عن إرادته ، ومسا عندي له ولنازوك والعصاة
 كلها إلا التجاوز والإبقاء والإغضاء . وقبل هذا وبعده فلي في أعناقكم

بيعة قد وكذبوها على أنفسكم دفعة بعد دفعة ، ومن بايعني فلأنا بايع الله ، ومن نكث إنما نكث عهد الله » ولي أيضاً عليكم نعم وأيد وعندكم صنائع وعوارف آمل أن تعترفوا بها وتلتزموها ولا تكفروها وتشكروها ، وإن راجعتم الجليل وتلافيتم هذا الخطب الجليل وفرقتم جموعكم ومزقتموها وعدتم إلى منازلكم واستوطنتموها وأقبلتم على شؤونكم وتشاغلتم بها ، وأجريت في الخدمة على عادتكم فلم تقصروا فيها ، كنتم بمنزلة من لم يبرح من موضعه ولم يأت بما يعود بتشعث محله وموقعه ، وكنت الذي تعرفونه في الثقة بكم والإيثار لكم والسكون إليكم والإشتال عليكم ، لكم بذلك عهد الله إن عهده كان مسؤولاً . وإن أبيتم إلا مكاشفة ومخالفة وإثارة فتنة وتجديد حنة فقد وليتكم ما توليتم وأعمدت سيفي منكم وتبرأت إلى الله أن أمد باعي إلى أحد منكم ، ولجأت في نصري ومعونتي وكفايتي إلى الله عز وجل ولم أخرج من منزلي ولم أسلم الحق الذي جعله الله لي إلا كما خرج عثمان بن عفان من داره وكما سلم حقه لما خذله عامة ثقاته وأنصاره ، وكان ذلك حجة قسماً بين الله عز وجل وبينني ومعذرة وسبباً بإذن الله لما أومله من الفوز في الدنيا والآخرة . والله بصير بالعباد وللظالمين بالمرصاد ، وحسي الله ونعم الوكيل .

تجارب الأسم لابن مسكويه ج ١ ، ١٨٩ - ١٩٢

١٠١ - رسالة الوزير حامد للخليفة المقتدر من أجل الحلاج .

قبض على الحلاج وحوكم وحكم بإعدامه وأرسل الحكم إلى الخليفة للتصديق عليه ، ويبدو أن تصديق الخليفة تأخر فأرسل الوزير إلى الخليفة يستعجله ويقول :

إن ما جرى في المجلس قد شاع وانتشر ، ومقى لم يتبعه قتل
الحلاج إفتتن الناس به ولم يختلف عليه إثنان .
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ - ١٣٩

١٠٢ - رسالة المقتدر إلى الوزير حامد باعدام الحلاج سنة ٥٣٠٩ هـ
إذا كان فتوى القضاة فيه بما عرضت فأحضره مجلس الشرطة
واضربه ألف سوط ، فإن لم يمت فتقدم بقطع يديه ورجليه ثم اضرب
عنقه وانصب رأسه وأحرق جثته .
تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ - ٨١

١٠٣ - رسالة الوزير ابن الفرات إلى أبي زنبور والي مصر من
أجل شخص زور كتاباً على لسان الوزير إلى الوالي بالوصية به
فمشك العامل بالأمر وأرسل يستوضح الوزير فاتاه الجواب الآتي :
هذا كتابي ، ولا أعلم لأي سبب أنكرته ولا لأي سبب استربت
به ، وحرمة صاحبه بي وكيدة وسببه عندي أقوى مما تظن فأجزل
هديته وتابع بره .
المنتظم لابن الجوزي ج ٦ - ١٩١

١٠٤ - رسالة إلى المقتدر بالله من صاحب بريد الديندور يخبر أن
بغلة ولدت فلوة :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الموقظ بعبه قلوب الغافلين ،
والمرشد بآياته أبواب العارفين ، الخالق ما يشاء بلا مثال ذلك الله
البارئ المصور في الأرحام ما يشاء . وإن الموكل بخبر التطواف
بقرماسين رفع يذكر أن بغلة لرجل يعرف بأبي بردة من أصحاب

أحمد بن علي المري وضعت فلاة ويصف اجماع الناس لذلك وتعجبهم
لما عاينوا منه ، فوجهت من أحضرتي البغلة والفلاة فوجدت البغلة
كمتاء خلافة ، والفلاة سوية الخلق تامة الأعضاء ، منسدلة الذنب .
سبحان الملك القدوس لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .
صلة تاريخ الطبري لمريب القرطبي ص ٢٨

١٠٥ - تقليد صادر عن أحد الخلفاء (لعله الطائع لله ؟)
بتقليد حامية الكوفة لأبي طريف بن عليان العقيلي من إنشاء
أبي إسحاق الصابي :

فد رأينا تقليدك - أطال الله بقاءك - الحماية بالكوفة وأعمالها
وما يجري معها ثقة بشهامتك وغنائك ، وسكونا إلى استقلالك
وفوائك ، واعتقاداً لاصطناعك واصطفائك ، وجسن ظن بك في
شكر ما يسدى إليك ، ومقابلته بما يحق عليك من الأثر الجميل فيما
تولاه ، والمقام الحميد فيما تستكفاه ، فتول - أيدك الله - ذلك مقدماً
تقوى الله ومراقبته ومستمدداً توفيقه ومعاونته ، واحرس الرعية في مساكنها ،
والسابلة في مسالكها ، وادفع عن عمك ونواحيه أهل العيث جميعاً ،
واطلبهم طلباً شديداً ، واطرقهم في مكائهم ، وتولج عليهم في مظانهم ،
ونكل بمن تظفر به منهم نكالاً تقيم به حكم الله عليهم وحدوده في
أمثالهم ، وبالغ في ذلك مبالغة تخيف الظنين وتوجسه ، وتؤمن السلم
وتؤنسه ، وراع الأكرة والمزارعين حتى ينبسطوا في معاشهم ، ويتصرفوا
في مصالحهم ، وتتنيسر عواملهم في عمارتهم ومواشيهم في مسارحها ،
ومق طردت لأحد منهم طريدة أو امتدت إليهم يد عاتية ارتجعت
ما أخذ له ورددته بعينه أو قيمة مثله ، وخفف عن وليت عليه

الوطأة و ارفع عنهم المؤونة والسكفة ، وخدمم بالتناصف واقبضهم عن
التظالم ، وامنع قويمهم من تحيف المضعوف ، وشريفهم من استئمامة
المشروف ، وأوثلهم من عدلسك وحسن سيرتك واستقامة طريقتك
مايتصل عليه شكرك وبطيب به ذكرك ، ويقتضي لك دوام الولاية
وتضاعف العناية .

واعلم أنك فيما وليته من هذا الأمر متضمن للمال والدم ، مأخوذ
بكل ما يهيك من ذمة ومحرم ، فليكن اجتهادك في الضبط والحماية ،
واحتراسك من الإهمال والإضاعة بحسب ذلك . واكتب بأخبارك على
سياقتها ، وآثارك لأوقاتها ؛ ليتصل لك الإجماع عليها والمجازاة عنها إن
شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٦٢ - ٢٦٣ .

١٠٦ - كتاب أصدره صمصام الدولة بن عضد الدولة بإذن
الخليفة الطائع ، لمحمد بن عبد الله بن شهرام بإقطاعه إقطاعاً من
بيت المال .

هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليبجار بن عضد
الدولة وتاج الملة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين
لمحمد بن عبد الله بن شهرام .

إنك ذكرت حال ضياعك المعروفة برسدولا والبدرية من طسوج
نهر الملك ، والحظائر والحصة بنهر 'قلاء' من طسوج قطربل وما لحقها من
اختلال الحال ونقصان الارتفاع واندواب^(١) المشارب واستنجام المزارع

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب فيها واندثار ، إذ لامعنى لكلمة اندواب .

وطمع المجاورين وضعف الأكرة والمزارعين وظلم العمال والمتصرفين لتطاول غيباتك عنها ، وانقطاعك بالأسفار المتصلة عن استيفاء حقوقها وإقامة عماراتها والإنفاق على مصالحها ، والإنصاف من المجاورين لها والمعاملين فيها ، ووصفت ما تحتاج إلى تكلفه من الجملة الوافرة لاحتقار أنهارها وإحياء مواتها وامتال متعطلها وإعادة رسومها وإطلاق البذور فيها وإبتناع العوامل لها واختلاف الأكرة لها .

وسألت أن تقاطع عن حق بيت المال فيها وجميع توابعه وسائر لزومه على ثلاثة آلاف درهم في كل سنة معونة لك على عمارتها ، وتمكيناً من إعادتها الى أفضل أحوالها ، وتوسعة عليك في المعيشة منها . فأنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله ، وأفضنا بحضرته فيما أنت عليه من الخلائق الحميدة والطرائق الرشيدة وما لك من الخدمات القديمة والحديثة الموجبة لأن تلحق بنظرائك من الخدم المختصين والخواشي المستخلصين ، بإجابتك الى ما سألت وإسعافك بما التمست ، فمخرج الأمر - لا زال عالياً - بالرجوع في ذلك الى كتاب الدواوين وعمال هذه النواحي ، وتعرف ما عندهم فيه مما يعود بالصلاح ويدعو الى الإحتياط ، فمرّجيع إليهم فيما ذكرته وحكيته فصدقوك في جميعه وشهدوا لك بصحته ، وتردد بينك وبينهم خطاب في الارتفاع الوافر القديم وما توجبه العير' لعدة سنين ، الى أن استقر الأمر على أن توقفت على هذه الضياع المسببة في هذا الكتاب خمسة آلاف درهم ورقاً مرسلأ بغير كسر ولا كفاية ولا حق خزن ولا جهنزة ولا محاسبة ولا غير ذلك من المؤن كلها .

ثم أنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله ، فأمر - زاد الله أمره

علوًّا - بإمضاء ذلك على أن يكون هذا المال ، وهو خمسة آلاف درهم ، مؤدى في الوقت الذي تفتتح فيه المقاطعات : وهو أول يوم من المحرم في كل سنة ، على استقبال السنة الجارية سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة الخراجية ، عن الخراج في الغلات الشتوية والصفية والمهدثة والمبكرة الجارية على المساحة والحاصل من الغلات الجارية على المقاسمة والجوالي والمراعي والأرحاء وسائر أبواب المال ووجوه الجبايات وتقسيمت المصالح والحماية مع ما يلزم ذلك من التوابع كلها : قليلها وكثيرها ، والرسوم الثابتة في الدواوين بأسرها ، وعن كل ما أحدث ومُحدث بعدها على زيادة الارتفاع ونقصانه وقصر جميع حالاته : مقاطعة مقررّة مؤبّدة بمضاهة مخلدة على مرور الليالي والأيام وتعاقب السنين والأعوام ؛ لك ولولدك وعقبك من بعدك ، ومن عسى أن تنتقل منه الضياع إليه بمرث أو بيع أو هبة أو تملك أو مناقلة أو وقف أو إجارة أو مبادرة أو مزارعة أو غير ذلك ولا يُغيّر ولا ينقض ولا يبدل ولا يزال عن سبيله ولا يحال عن جهته ، ولا يعترض عليك ولا على أحد من الناس فيه ولا في شيء منه ولا يتسأل عليك ولا على غيرك فيه ، بزيادة عمارة ولا زكاة ربيع ولا غلو سعر ولا إصلاح شرب ولا إعتمال خراب ولا إحياء مواتٍ ولا بغير ذلك من سائر أسباب وفور الارتفاع ودرور الاستغلال .

وحظر مولانا أمير المؤمنين الطائع لله ، وحظرنا بحظره على كتاب الدواوين : أصولها وأزمّتها وعمال النواحي والمشرّفين عليها ، وجميع المتصرفين على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم ، الإعتراض عليك في هذه المقاطعة أو لإيقاع ثمن أو مساحة على ما كان منها جارياً على الخراج ، أو تقرير أو حزرٍ أو قسمة على ما كان منها جارياً على المقاسمة ، أو

أن تدخلها يـسد مع يدك لناظر أو حاظر أو مستظـهر أو معتبرٍ أو متصفحٍ ، إذ كان ما يظهر منها من الفضل على مرور السنين مسوغاً لك ، لا تُطالب به لا برفق عنه ولا على ما ظهر عليه وعلى شيء منه ، ولا يلتمس منك تجديد كتاب ولا إحضار حجة ولا توقيع به ولا منشور بعد هذا الكتاب ، إذ قد صار ذلك لك وفي يدك بهذه المقاطعة ، وصار ما يجب من الفضل بين ما توجهه المسائح والمقاسمات وسائر وجوه الجبايات ، وبين مال هذه المقاطعة المحدودة المذكورة في هذا الكتاب خارجاً عما عليه العمال ، ويرفعه منهم المؤمنون ويوافق عليه المتضمنون على مرور الأيام والشهور وتعاقب السنين والدهور ، فلا تُقبل في ذلك نصيحة ناصح ولا توفير موفر ولا سعاية ساعٍ ولا قذف قاذفٍ ولا طعن طاعن .

ولا يلزم عن أمضاء هذه المقاطعة مئونة ولا كلفة ولا مصانعة ولا مصالحة ولا ضريبة ولا تقسيط ولا عمل بريد ولا مصلحة من المصالح السلطانية ولا حق حماية ولا خفارة ولا غير ذلك من جميع الأسباب التي يتطرق بها عليك ولا على من بعدك ، لزيادة على مالها المحصور المذكور في هذا الكتاب ، ولا حق خزن ولا جهنزة ولا محاسبة ولا مئونة ولا زيادة ، ومق استخرج منك شيء أو من أحد من أنسبائك ، أو ممن عسى أن تنتقل إليه هذه المقاطعة بشيء زائد عليها على سبيل الظلم والتأول والتعننت لم يكن ذلك فاسخاً لعقدها ولا مزياً لأمرها ولا قادحاً في صحتها ، وكان لك أن تطالب برد المأخوذ زائداً على مالها . وكان على من ينظر في الأمور إنصافك في ذلك ورده عليك ، وكانت المقاطعة المذكورة بمضاهة على تصرف الأحوال كلها .

ثم إنا رأينا بعدما أمضاء أمير المؤمنين وأمضيناه لك من ذلك

وتمامه وإحكامه ووجوبه وثبوته أن سوغناك هذه الخمسة آلاف درهم المؤداة عن هذه المقاطعة على استقبال سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الخراجية تسويماً مؤيداً ماضياً على مر السنين ليكون في ذلك بعض العوض عن باقي أملاكك وضياعك التي قبضت عنك ، وبعض المعونة فيما أنت متصرف عليه من خدمتنا ومتردد فيه من مهيات أمورنا ، وأوجبنا لك في هذا التسويغ جميع الشروط التي تشترط في مثله بما ثبت في هذا الكتاب وما لم يثبت فيه : لينحصم عنك تتبع المتتبعين وتعقب المتعقبين وتأول المتأولين على الوجوه والأسباب .

وأمرنا - متى وقع على مال هذا التسويغ (وهو خمسة آلاف درهم) ارتجاع ، بحدث يحدث عليك ، أو بتعويض شعوض عنه أو بحال من الأحوال التي توجب ارتجاعه - أن يكون أصل المقاطعة بمضيء لك ، ورسمها باقياً عليك وعلى من تنتقل هذه الضياع إليه بعدك على ما خرج به أمر أمير المؤمنين في ذلك من غير نقض ولا تأول فيه ولا تغيير لرسم من رسومه ولا تجاوز لحد من حدوده على كل وجه وسبب .

فليعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين الطائع لله وأمره ، ومن امتثالنا وإمضائنا ، وليعمل فيه جماعة من وقف على هذا الكتاب : من طبقات الكتاب والمهال والمشرفين والمتصرفين في أعمال الخراج والحماية والمصالح وغيرهم ، وليحذروا من مخالفته ، وليمضوا بأمرهم لحمد بن عبد الله بن شهرام ومن بعده جميعه ، وليحموه على ما يوجبه ، وليقرء هذا الكتاب في يده وأيديهم بعده حجة له ولهم ، ولينسخ في جميع الدواوين إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٣ ، ١٣٩ - ١٤٣

١٠٧ - رسالة من الغزالي إلى مؤيد الملك بن نظام الملك يعتبر
فيها عن العودة للتدريس في المدرسة النظامية في بغداد :

تحية لمولانا ملاذ العالمين - متع الله المسلمين بطول بقائه . إن
هذا الضعيف قد دعى من حضيض خرابة طوس إلى ذروة معمورة
دار السلام بغداد - عمرها الله تعالى . وهذا مجلى الكرم والمظمة .
ومن واجب هذا الحق دعوة مولاه للصعود من حضيض الإنسانية إلى
مراتب الملائكة وترغيبه في ذلك . أيها العزيز : الطريق إلى الله من
بغداد ومن طوس واحد ، ولكن ما أعظم التفاوت بين أوج الإنسانية
وحضيض الحيوانية . أما عن صدور أمرم بالتماس حضور هذا الفقير ،
فلا شك أن الوقت وقت فراق ، لا وقت سير إلى العراق أيها
العزيز ! إفترض أن الغزالي وصل إلى بغداد وامتثل أمرم ، لكن
لا تعاود التفكير في أن أتولى التدريس مرة أخرى ، وتصور أن
هذا هو اليوم نفسه وارفح يدك عن هذا البائس ، والسلام والإكرام ،
والله يدعو إلى دار السلام (١) .

مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي ص ١٢٨

(١) يشك المؤلف في صدور هذه الرسالة عن الغزالي مقتبساً آراء وأقوال بويج وغيره
من العلماء . كذلك يورد هو نفسه ص ١٢٩ من نفس الكتاب نصاً آخر للرسالة بالعربية . إذ
أن الرسالة السابقة نصها فارسي ونقلها المؤلف إلى العربية . وهي مختصرة بعض الاختصار ،
وفيها بعض الخلاف وقد نشرت في مقدمة كتاب معيار العلم . « قد دعاني صدر الوزراء من
المرتبة العاليا إلى المرتبة الدنيا ، وأنا أدعوه من المرتبة الدنيا إلى المرتبة العليا السقي هي أعلى
عليين . والطريق إلى الله من بغداد ومن طوس ومن كل المواضع واحد ، ليس بعضها أقرب
من بعض ، أسأل الله أن يوظفه من نومة الغفلة لينظر في يومه لفته قبل أن يخرج الأمر من
يده والسلام » .

لم يذكر محقق كتاب معيار العلم صبري الكوردي الذي أورد هذه الرسالة (طبعة القاهرة،
١٩٢٧ م ص ١٢) المصدر الذي استقى منه هذه الرسالة وهل هو مصدر عربي أم فارسي؟

١٠٨ - رسالة وجهها بأمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله وزيره
قوام الدين يحيى بن زيادة إلى طغرل مقطع البصرة :
عندما فارق الجماعة وترك البصرة نازحاً لأحد الأطراف لأن
الديوان الخلفي طالبه ببعض المال ، فلما اطلع عليها عدل عن الخروج
وعاد إلى الطاعة وصفح عنه الخليفة .

أصدرت هذه الخدمة إلى الجناب الكريم الأميري الأسفسلاري
الأجلي الكبير السيد العمادي الركني الظهيري المحترمي العزيز الجمالي
أمير الجيوش ، أطال الله بقاءه وأدام علوه ونعمته ، وأنا أوقع
الأقوال المتواترة والأموال المتناصرة ، مستغرباً لها متمجباً منها ،
كأنني أسمعها في المنام وتخطبني بها أضغاث أحلام ، فلو لا أن الأيام
صحائف المعجائب ، ولا يأنس بتجدداتها إلا من حنكته التجارب ،
لم أصدق هذه الحركة المباركة التي وقعت منه بسعادته ، فإني لا أراها
إلا عثرة من جواد ، وعورة على كاله ، وإلا فمن أين يدخل الزلل
على ذلك الرأي السديد والعقل الراجح والفكر الصائب ، الذي يعلم
الآراء كيف تسير ، ويعرف النجوم كيف تسير ، ويهدي غيره في
المشكلات إلى صواب التدبير . والفائت لا كلام فيه ، غير أن العقل
يقضي باستدراك الممكن وتلافيه ، بالانحراف عن الهدى إلى الرأي
الصادق ، والرجوع عن تأويل النفس إلى مراجعة الفكر الناضج ،
فالعود إلى الحق أولى من التادي على الباطل . وأحب أن تسمع
ما أقول بأذن واعية وقلب حاضر ، وحوشي أن تستدفعه الكواذب
عن تدبر الحقائق وعرفان النصائح ، فإن من القول ما برهانه لا يحتاج
إلى شاهد من غيره .

قبل كل شيء : ما الذي احوج إلى هذه الحال القبيحة السمعة
وركوب الخطر في هذه الحركة واحتمال هذه المشاق والانزعاج من غير
أن تدعو إليه حاجة ؟ هل هو إلا شيء جرت العادة بمثله ، وبطابئة
ديوانه بما كان يندفع الأمر ببعضه ؟ كما جرت عادة الدواوين وخدام
السلطين . ثم أنه عمد - أدام الله نعمته - بأول خاطره وبأديء
رأيه في هذه العجلة من غير تثبيت ولا روية ، لم لا راجع فكره
الكريم ويقول لنفسه : إلى أين أمضي ؟ ولئن أخدم ؟ وعلى أي باب
أقف ؟ وتحت أي لواء أسير ؟ وبسأي غبار أكتحل ؟ وفضل من
أطلب ؟ وعلى حكم من أنزل ؟ بعد أن ربيت في عرصة الخلافة ودار
النبوة وحضن المملكة ، أنشأني نعيمها صغيراً وقدمني كبيراً ، وكنت
مأموراً فجعلني أميراً ، وطار صيتي في الدنيا ولم أكن شيئاً مذكوراً
فأنا خير من ملك أقصده ، وأمثل من كل من أرجوه وأستنجده .
فأنازل من السماء إلى الحضيض وأهدم ما بنى الإنعام عندي في الزمن
الطويل العريض ؟ هذا هو المكروه الأعظم الذي تعوذ منه رسول الله
ﷺ حين قال : اللهم إني أعوذ بك من الخوَر بعد الكوَر .
ومن يكون حزين خلافة كيف يرضى أن يكون تابع إمارة ؟! ولو
لم يكن ما هجم عليه إلا هذا لكفى ، ثم لم لا يلتفت في هذه
الحال التي هو عليها ، التي صحبتته بوفائها ويسمع خطاياها بلسان حالها
ثم تقول له : يا عماد الدين ، أما هذه خيام الإنعام عليك ؟ أما
هذه الخيل المسومة تحتك ؟ أما هذه ملابس الفاخرة مفاضة عليك ؟
أما هذه مما ليك حافة بك ؟ أليس الاصطناع رفع قدرك إلى المنزلة
التي ثقل عليك بعض الإنحطاط عنها ، ووهب لك الهمة التي أبيت
الضميم بها ؟ فحوشيت أن تكون ممن تواترت عليه النعم فلها ، وتكاثرت

عليه فضعف عن حملها ، فياليت شعري ماذا يكون جوابها ؟ والله
إني أقول له بسمادته ولا أعقب ، ولو أنه قد تحقق - والعياذ بالله -
وقوع كل محذور وحلول كل مكروه ، لم يكن في هذه الحركة معذوراً
فكيف بظنٍ مُرَجَّبٍ وقول مسوف متوهم ، ورأى فطير غير مختمر .
ولقد كان استسلامه لمالك الرق - صلوات الله عليه وسلامه - أحسن
في الدنيا وأحد في العقبى ، واقصاً ذلك من أحواله حيث وقع .
والآن فالوقت ضاق في إصدار هذه المكاتبة - عن استقصاء العقاب
والحفاقة ، وإيراد كل ما تلزم به الحجة ، ولكنني أقول على سبيل الجملة :
لني أخاف على شديد ذلك الرأي إجابة داعي الهوى ، فإن اللجاج
من أوسع مداخل الشيطان على الإنسان ؛ حوشي كما له من هذا
القسم .

والثاني : استشهارة بسمادته من بادرته واستيحاشه من عجلته ،
وهذا أيضاً من أدق مكاييد النفس الأمارة بالسوء ، فإنها تؤمن من
الخوف وتخوف من المأمون وتسحر العقل بالتحير والشك ، فلا تصح
له عزيمة ولا تصفو له فكرة . وهذا النوع إذا عرض في الصدر يجب
دفعه بالنظر إلى الحق وشجاعة القلب ، والاخلاد إلى مناظرة النفس ،
فإن الإنسان ليس بمعصوم ، والزلل في الرأي ليس من أوصاف الجهاد ،
بـل من الأوصاف اللازمة للبشرية ، وليس الكمال لأحد إلا للواحد
الصمد ، فإذا عرض له بسمادته هذا الإستشعار فيدفعه عن نفسه ،
فليس سلطان الوسواس الخناس إلا في صدور الناس ، فلهدا لا ينبغي
لمذنب أن يقنط ، ولا لمسيء أن يستوحش ، ولا مسيئاً إذا أتبع
الذنب بالإستقالة والإستغفار والإعتذار والإقلاع ، وعلى الخصوص إذا
كانت الخيانة عند من لا يتماظمه عفوها ولا يضيق حمله عنها ، فإن

كل كبيرة توجب المحافة ، تفرق في بحر عفو الخلافة ، فيجب أن يقرر بسعادته ذلك في نفسه ، ويُخرج سوء الظن والاستشعار من خياله ؛ فإن مثله من خالص الممالك لا يُسمح به ولا يُشغب عليه عند هفوة باردة .

والثالث الإنقباض والحياء ، فإنه ربما يقول في نفسه : بأي وجه ألقى مولاي ؟ وبأي عين أبصر مواطن الدار العزيزة ؟ رباني وأنشائي وهذا أيضاً لا يصلح خطوره بباله في هذا المقام ، فإنه من ضعف النخيزة والميل مع خوادع الطبع عن نصائح العقل والشرع ؛ فإن الحياء اتباع زلة القدم بالندم والاعتذار ، لا التهورك في اللجاج والإصرار . فقد قال بعض الملوك لخصيص من خواصه عصاه في شيء أمره : بأي عين تلقاني وقد عصيت أمري ؛ فقال : بالعين التي ألقى بها ربي في الصلوات الخمس وهو سبحانه يراني على فواضح المعاصي . وقد أثنى الله سبحانه على من أذنب ثم تاب وشرذ عن طاعته ثم أناب . وبمحمد الله تعالى ما جرى ما يقتضي فرط الاستشعار . هل هو إلا عبد خاف بادرة مولاه ، فتنحى عن مكانه إلى أن يمطف عليه برحمته ؟ وليس هذا ببديع ولا من الصفح ببعيد . على أنه بسعادته لو أنصف من نفسه لما استشعر ، فكم أخرجت الخزانة الشريفة عليه من الأموال حتى نبت عرقه وأورق غصنه وكبر شأنه ، وجميع ضمان البصرة عشر معشار ذلك .

والرابع إصغائه - والعياذ بالله - إلى قول من لا ينصحه ويفويه ولا يرشده ويتقرب إليه بتابعة هواه ، وهذا ما لا يخفى عن لحة النافث ، ولا يحتاج في الإعراض عنه إلى باعث ، فقدماً قيل : صديقك من نهاك وعدوك من أغراك . والله تعالى يوفقه لتحقيقه النظر

في هذه الأقسام الأربعة ، التي أحذّرنا لها ، وأحذره منها ،
وييسره لليسرى .

وبعد ذلك فأنا أنصفه من نفسي وأقول الحق : إن نفساً رباها
خليفة الله في أرضه - صلوات الله عليه وسلامه - بإنعامه ، وأعلى
همتها باختصاصه وشرفها بنسب عبوديته لا تحتل الهوان ولا تقر على
الإبتدال ، فغالِبُ ظني أن نفوره بسعادته إنما هو من ديوان الزمام
المعمور . والآن فأنا وهو بسعادته عبدان ، ولكني أنفرد عنه بالسن
والتجريب ، وطريقي هو بسعادته بعرفها ، وأنفي لا أدخر عن أحد
نصيحاً . فالصواب أن يقبل قولي ويتحقق صحة مقصدي في نصيحته
ومقصده فإني أوجب ذلك له على نفسي ، وأراه من واجبات خدم
مالك الرق - صلوات الله عليه وسلامه - أيضاً .

وقد علم الله تعالى إني قد أوضحت من عذره وأحسنّت المناب عنه
بسعادته ما لو حضره وتولاه بنفسه لما زاد عليه ، ورأيتُ الإنعام
يستغني عن كل شرط ولا يحتاج إليه . وتقررت قاعدته بسعادته أن
لا يكون له مع ديوان الزمام المعمور حديث . ولا مع غيره ممن
لا يعرف حقه من الاحترام واجبه . فإن أمر أن أتولى وساطته فأنا
أعتمد ذلك في مرضيه وتمشية أمره أكثر مما في نفسه ، وإن اختار
بسعادته أن يكون غيري وسيطه وسفيره فيعين من يختاره : ليكون
حديثه معه . وقد أسلفتُ من وظائف إحسان المناب أنفي تنجزت له
بسعادته أماناً متوجاً بالقلم الأشرف المقدس ، على نفسه الكريمة وماله
وأولاده - والأمان المذكور طي كتابي هذا - مقرّوناً بخاتم أمان
ثاني ، فيجب أن يكون هو بسعادته جواب ذلك ، إذ لا يجوز أن
يكون الجواب إلا هو نفسه الكريمة ، فلا يشعر به أحد إلا وهو

مقابل التاج الشريف ، ملقياً نفسه بين يدي مالكها الذي هو أرحم لها وألطف بها وأشفق عليها منها . تالياً ما حكاه القرآن المجيد عن يونس عليه السلام : إذ نادى وهو مكظوم سبحانه إني كنت من الظالمين ، فإنه يرى - بشيئة الله تعالى وتوفيقه - كل ما يجب ، ويأمن كل ما يحذر . وأنا أستمرع وصوله عن استعراض مهاتته ، ولرأيه كرمه ، إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٨ - ٢٦٩ - ٢٧٤

١٠٩ - تقليد أصدره الناصر العباسي للكاظمي محي الدين محمد ابن فضالان بتميينه مدرساً في المدرسة النظامية في بغداد سنة ٦١٤ هـ . أحق من أفيضت عليه مجاسد^(١) النعم ، وجذب بضبعه إلى مقام التنويه وتقدم القدم ، من اسفر في أقضية الفضائل صباحه وانتشر في العالم علمه وازهر مصباحه .

ولما كان الأجل الأوحى العالم محيي الدين حجة الإسلام رئيس الأصحاب مقفي الطريقين مفيد العلوم أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان ، أدام الله رفعتة ، ممن نظم فرائد الحامد عقده التضيد ، وآوى من العلم والعمل إلى ركن شديد ، وثبتت قدمه من الديانة على مستثبت راسخ وقرار مهيد ، رؤي التمويل في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية إليه ، ثقة باضطلاع واستقلاله وتبريزه في حلقات الإستباق على نظرائه وأمثاله ، وتراجع المساجلين له عن فوت غايته وبعد مناله ، وأسنيد إليه - أدام الله رفعتة - النظر في أوقاف المدرسة المذكورة

(١) مجاسد جمع مجسد وهي الثياب التي تلي الجسد، وقد تكون الثياب المصبوغة بالجسد وهو الزعفران .

بأجمعها ، واعتماد ماشرطه الواقف في مصارفها وسبلها ، سكوناً إلى كفايته وركوناً إلى سداده وأمانته .

ورسم له تقديم تقوى الله تعالى التي مازال منتهجاً لطرائقها ، متمسكاً بعصمها ووثائقها ، وأن يشرح صدره المتعلمين ، ولا تأخذه ضجرة من المستفيدين ، ولا تعدو عيناه عن جهلاء الطالبين ، ولا يتبرم بالمبالغة في تفهيم المبتدي ، ولا يفغل عن تذكير المنتهي ، فإنه إذا احتتمل هذه المشقة وأعطى كل تلميذ حقه كان الله تعالى كفيلاً ببعونته بحسب مايعلم من حرصه عليهم وإخلاص نيته ، وليكن بسائر المتفهمة معنياً رفيقاً ، وعليهم حديثاً شفيقاً ، يفرغ لهم من الفقه ماوضح وتسهل ، ويبين لهم ما التبس من غوامضه وأشكال حتى تستنير قلوبهم بأضواء علوم الدين ، وتنطق ألسنتهم فيها باللفظ الفصيح المبين وتظهر آثار بركاته في مراشده وقبين ، ولتتوفر همته في عمارة الوقوف واستنائها ، والتوفر على كل ماعاد بتزايدها وزكائها ، بحيث يتضح مكان نظره فيها ويبلغ الغاية الموفية على من تقدمه ويوفيهها ، ولا يستعين إلا بن يؤدي الأمانة ويوفيهها ، ويقوم بشرائط الإستحفاظ ويكفها . وهو - أدام الله رفعة - يجري من عوائد المدرسين والمتولين قبله على أوفى محمود ، ويسامي به إلى أبعد مرتقى ومقام محمود . وأذرت له في تناول إيجاب التدريس ونظر الوقوف المذكورة ، أسوة من تقدمه في التدريس والنظر في الوقوف ، على ماشرط الواقف في كل ورد وصدر ، واعتماد كل مااحده في ذلك ومثله من غير تجاوز .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٩٢ - ٢٩٣

١١٠ - رسالة شريف مكة قتادة بن إدريس العلوي الجوابية إلى
الناصر لدين الله العباسي عن رسالة أرسلها له الناصر يعقب عليه عدم
تلييته طلب أمير الحاج العراقي أن يحضر عنده . وهي شعر :
ولي كف ضرغام أدل ببطشها وأشري بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها وفي وسطها للمجدبين ربيع
أتركها تحت الرحا ثم أبتغي خلاصاً لها ؟ إني إذا لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة يوضع وأما عندكم فيضيع
مفرج الكروب لابن واصل ج ٤ - ١٢٢

١١١ - مرسوم الناصر العباسي بتنظيم الفتوة سنة ٥٦٠٤ هـ .

حصلت فتنة في بغداد بين الفتيان ، وكان الناصر مهتماً بالفتوة كل
الإهتمام ، ووصل الخبر إليه ففضب وقرر تنظيم الفتوة بشكل لايمود
معا الفتيان للشغب ، فأنشأ محمد بن محمد القمي مرسوماً بذلك وجمع
الفتيان وقرأ عليهم ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من المعلوم الذي لايتارى في صحته ولا
يرتاب في براهينه وأدلته أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله
وجهه - هو أصل الفتوة ومنبعها ومنجم أوصافها الشريفة ومطلبها ،
وعنه تروى محاسنها وآدابها ، ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها ، وإليه
دون غيره تنسب الفتيان ، وعلى منوال مؤاخاته النبوية الشريفة نسج
الرفقاء والإخوان ؛ وإن كان - عليه السلام - مع كمال فتوته ووفور
رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ويستوفىها من أصناف
الحسبات^(١) على قبائين جناباتها ومللها ونحلها ومذاهبها ، غير مقصر عما

(١) يقول الأب أنستاس كرملي أن الحسبات جمع حسبة وهي الطبقة المحسوبة

من الناس .

أمر به الشرع المطهر وقرره ، ولا مراقب فيما رثيه من الحدود وقرره
إمتثالاً لأمر الله تعالى في إقامة حدوده وحفظاً لمناسم الشرع وتقويم
عموده ؛ فإنه ، عليه السلام ، فعل ذلك برأى من السلف الصالح
ومسمع ومشهد من أخيار الصحابة وجمع ، فلم يسمع أن أحداً من الأمة
لامه ولا طعن عليه طاعن في حديثه أقامه . وحقيق بن أورثه الله
مقامه وناط به شرائع الإسلام وأحكامه وانتمى إليه عليه السلام في
فتوته واقنقى شريف شيمه وكريم سجيته أن يقتدي به عليه السلام
في أفعاله ، ويحتذي في ما استرعاه الله تعالى واضح مثاله ، غير ملوم
في ماياتيه من ذلك ولا معارض فتوة ولا شرعاً فيما يورده ويصدره .

وقد رسم - أعلى الله المراسم العلية المقدسة النبوية الإمامية وزادها
نفاذاً معضوداً بالصواب ، وتأيداً ممتد الأطناب محكم الأسباب على كل
من تشرف بالفتوة برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة المعظمة المجددة المكرمة
الطاهرة الزكية النبوية الامامية الناصرة لدين الله تعالى شرف الله مقامها
وخلد أيامها وأعلى كلمتها ونصر رايتها - أنه من قتل له رفيق نفساً
نهى الله تعالى عن قتلها وحرمة ، وسفك دمها حقنه الشرع المطهر
وعصمه ، وصار بذلك بما قال الله تعالى في حقه حيث ارتكب هذا
المجرم واحتقب عظيم هذا اللأثم : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه
جهنم خالداً فيها... (١) الآية ، أن ينزل عنه في الحال في جمع الفتيان
عند تحققه لذلك ومعرفته ويبادر إلى تغيير رفقته مخرجاً له بذلك عن
دائرة الفتوة التي كان متمسماً بها ، مسقطاً لها من عداد الرفاقة التي لم
يقم بواجبها : ذلك لهم خزفي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

عظيم . وإن كل فتى يحوي قاتلاً ويخفيه ويساعده على أمره ويؤويه ينزل كبيره عنه ويغير رفاقته ويتبرأ منه ، وإن من حوى ذا عيب فقد عاب وغوى ، ومن آوى طريد الشرع فقد ضل وهوى . والنبي عليه السلام يقول : من آوى محدثاً فعلبه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . ولا حدث أكبر من قتل النفس عدواناً وظلماً ، ولا ذنب أعظم منه وزراً وإثماً ؛ فإن الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتوته ووجب أن يؤخذ منه القصاص عملاً بقوله : وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص^(١) . وإن من قتل غير فتى عوناً من الأعوان أو متعلقاً بديوان في بلد سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين فقد عيب هذا القاتل في حرم صاحب الحزب بالقتل ، فكأنما عيب على كبيره فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح ووجب أخذ القصاص منه عند كل فتى راجح . وليعلم الرفقة الميمونة ذلك وليعملوا بموجبه وليجروا الأمر في أمثال ذلك على مقتضى الأمور به ، وليقفوا عند المحدود في هذا المرسوم المطاع وليقابلوه بالانقياد والإتباع - إن شاء الله تعالى - وكتب في تاسع صفر سنة أربع وستائة .

وسلم إلى كل واحد من رؤساء الأحزاب منشور بهذا المثال فيه شهادة ثلاثين من العـدول ، ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما هذا صورته :

قابل العبد ماتضمنه هذا المرسوم المطاع ، وقابله بما يجب عليه من

(١) سورة المائدة : الآية ٤٥ .

الإقياد والاتباع والامتثال ، وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعاً .
وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلاً . وقد ألزمت نفسي إجراء
الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الأشرف ، فحق جرى ما ينافي الأمور
به المحدود فيه كان الدرك لازماً لي ، والمؤاخذة مستحقة على ما يراه
صاحب الحزب - ثبت الله دولته وأعلى كلمته . وكتب فلان بن فلان
في تاريخه .

الجامع المختصر لابن الساعي ص ٢٢٣ - ٢٢٦

شؤون الخراج والضرائب والمال

١١٢ - مرسوم المعتضد إلى جميع ولاية وعمال مملكته بتأخير
افتتاح الخراج وجعله يفتتح في حزيران من كل عام .

لاحظ المعتضد أن افتتاح الخراج في النوروز الفارسي أدى إلى
افتتاحه في الربيع نظراً لقصر السنة الفارسية عن الشمسية ، فأمر
بافتتاح الخراج بالحادي عشر من حزيران بالرومي من كل سنة ، ويسمى
هذا بالنوروز المعتضدي . وإليك صورة المرسوم :

أما بعد : فإن الله لما خول أمير المؤمنين للمحل الذي أحله به
من أمور عباده وبلاده ، ورأى أن من حق الله عليه أن لا يكلفها
إلا ما به العدل والإنصاف لها والسيرة القاصدة ، وأن يتولى لها
صلاح أمورها ويستقرى السير والمعاملات التي كانت تعامل بها ويقر منها
ما أوجب الحق إقراره ، ويزيل ما أوجب إزالته غير مستكثر لها
كثير ما يسقطه العدل ولا يستقل لها قليل ما يلزمه إياها الجور .

وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون لحق الله فيها قاضياً ولنصيبها من العدل موازياً . وبالله يستعين أمير المؤمنين على حفظ ما استعاه منها وحياطة ما قلده من أمورها وهو خير موفق ومعين، وإن أبا القاسم عبيد الله رفع إلى أمير المؤمنين ، فيما أمر أمير المؤمنين به من رد التوروز الذي يفتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتصل بهما ويحري مجراهما من الوقت الذي صار فيه من الزمان إلى الوقت الذي كان عليه متقدماً مع ما أمر به في مستقبل السنين من الكبس حتى يصير العدل عاماً في الزمان كله ، باقياً على غابر الدهر ومر الأيام ، مؤامرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها إليك في آخر كتابه مع ما وقع به فيها لتمثيله ، فافعل ذلك إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة من ذي الحجة سنة إحدى وثمانين ومائتين .

— نسخة المؤامرة —

أنهيت إلى أمير المؤمنين أن مما أنعم الله به على رعيته ورزقها إياه من رأفته وحسن نظره وإقامته عليها من عدله وانصافه ورفعها عنها في خلافته من الظلم الشامل ما كان الأقصى والأدنى والصغير والكبير والمسلم والذمي فيه سواء ، ما حررته من نقل كتب الخراج عن السنة السني كانت تنسب إليها من سني الهجرة إلى السنة التي فيها تدرك الغلات ويستخرج المال ، وإن ذلك ما كان بعض أهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على أهلهم ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة واعيانهم بذكر سنة من السنتين ينسب الخراج لإحدهما

وتدرك الغلات ويقع الإستخراج في الأخرى منها في حساب شهور
الفرس التي عليها يجري العمل في الخراج بالسواد وما يليه والأهواز
وفارس والجبل وما يتصل به من جميع نواحي المشرق وما يضاف
إليه ، إذ كان عمل الشام والجزيرة والموصل جرى على حساب شهور
الروم الموافقة للأزمنة ، فليست تختلف أوقاتها مع الكبيسة المستعملة
فيها ، والعمل في خراج مصر وما والاها على شهور القبط الموافقة
لشهور الروم ، وكانت من شهور فارس قد خالفت موافقها من الزمان
بما ترك من الكبس منذ أزال الله ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم ،
فصار النوروز الذي كان الخراج يفتتح فيه بالعراق والمشرق قد تقدم
من ترك الكبس شهرين وصارا بينه وبين إدراك الغلة ، فأمر أمير
المؤمنين بما جبل الله عليه رأيه في التوصل إلى كل ما عاد بصلاح رعيته
وحسماً للأسباب المؤدية إلى اعيائها بتأخير النوروز الذي يقع في شهور
سنة اثنتين وثمانين ومائتين من سني الهجرة عن الوقت الذي يتفق فيه
أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لإحدى عشرة نخلو من صفر مثل عدد
أيام الشهرين من شهور الفرس التي ترك كبسها وهي ستون يوماً حتى
يكون نوروز السنة واقعاً يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة نخلو من شهر
ربيع الآخر سنة اثنين وثمانين ومائتين ، وهو الحادي عشر من
حزيران ، وهو يتصل بها ويجري مجراها وينسب ويضاف إليها وبسائر
أعمالهم وبما يعمل أصحاب الحساب من التقويمات وجميع الأعمال وما
يعده الفرس من شهورهم إلى شهوره الكبيسة الأول والآخر ، ثم
يكبس بعد ذلك في كل أربع سنين من سني الفرس ولا يقع تفاوت
بينه وبينها على مرور الأيام . وليكن أبدأ واقعاً في حزيران وغير
خراج غنه ، وان يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين تنسب إلى

الخراج بالعراق وفي المشرق والمغرب وسائر النواحي والآفاق إذ كان مقدار سني أيام الهجرة والسنة الجامعة للأزمة التي تتكامل فيها الغلات وأن يخرج التوقيع بذلك لتنشأ الكتب به من ديوان الرسائل إلى ولاية المعاون والأحكام وتقرأ على المنابر ويحمل أصحاب المعاون الرعية عليه ، وتأخذها بامثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الحكام في ديوان حكمهم لتمثيل الضمان والمقاطعين ذلك على حسبه . واستطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك فرأي أمير المؤمنين في ذلك موفق إن شاء الله تعالى . وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك إن شاء الله تعالى وكتب في شهر ذي الحجة لسنة إحدى وثمانين ومائتين (١) .

الخطط المقريني ج ٢ ، ٢١ - ٢٢

١١٣ - وثيقة سجلها أحد كتّاب الدواوين وفيها بيان لواردات الدولة العباسية ونفقاتها طول مدة خلافة المقتدر أي أنها سجل رسمي لموازنة الدولة العباسية خلال تلك الفترة :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الذي كان في بيت مال الخاصة لما تقلد المقتدر الخلافة أربعة عشر ألف ألف دينار . واقتتح أبو الحسن ابن الفرات أعمال فارس وكرمان سنة مائتين وتسع وتسعين فارتفع من مال الخراج والضياح العامة والمعروف بالامراء في كل سنة : ثلاثة وعشرون ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم . منها من مال فارس : ثمانية عشر ألف ألف درهم .

(١) أورد القاقشندي في صبح الأعشى - ١٣ ، ٦٣ - ٦٥ نص مرسوم المعتضد المذكور أعلاه .

ومن مال كرمان خمسة آلاف ألف درهم يكون ذلك في مدة إحدى وعشرين سنة آخرها سنة ثلاثمائة وعشرين الخراجية بعد وضع ثمانمائة ألف درهم كانت تنكسر من مال البقايا أربعمائة ألف ألف درهم وثلاثة وثمانين ألف ألف درهم . وإذا وضع من ذلك ما كان يحمله من يتغلب على فارس وكرمان إلى بيت مال العامة بالخرقة وهو نحو أربعة آلاف ألف في السنة ومبلغه في هذه السنين : ثلاثة وثمانين ألف ألف درهم كان الباقي بعد ذلك أربعمائة ألف ألف درهم قيمتها ثمانية وعشرون ألف ألف دينار .

ومن أموال مصر والشام في هذه السنين زيادة على ما كان يحمل منها في أيام المعتضد ثلاثة آلاف ألف وستائة ألف دينار ، وأخذ المقتدر من أموال علي بن محمد بن الفرات في مصادرتة ومصادرات كتابه وأسبابه أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار ، منها في الدفعة الأولى : ألفي ألف وثلاثمائة ألف دينار ، وفي الدفعة الثانية ألف ألف ومائة ألف دينار ، وفي الثالثة ، مع ما أخذ من زوجة المحسن دولة تسعمائة ألف دينار . وما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الإقطاع والإيقار في مدة سبع عشرة سنة ، مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر للحاشية حساباً في السنة : مائتي وخمسين ألف دينار ، أربعة آلاف ألف ومائتي وخمسون ألف دينار .

وما صح بما أخذ لأبي عبد الله الجصاص الجوهري دون ما كان يذكره وهو يتكثر به من العين : ألفي ألف دينار . وما حصل من ضياع العباس بن الحسن بعد قتله في مدة أربع وعشرين سنة حساباً في السنة : مائة وعشرين ألف دينار : ألفي ألف وثلاثمائة ألف دينار .

وما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه ومسع ما يرتفع من ضياعه إلى أن ردت على ولده ألفي ألف ومائتي ألف دينار .

وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن علي الماردائين في أيام وزارة أبي علي الخاقاني ووزارات ابن الفرات الثالث وأيام أبي القاسم الخاقاني وأبي العباس الخصبي وأبي الحسن علي بن عيسى الثانية وأبي علي ابن مقلة : ألف وثلاثمائة ألف دينار .

وما أخذ من أموال علي بن عيسى وابن الحواري وسائر الكتاب ووجوه العمال المصدرين ألفي ألف دينار .

وما أخذ من تركة الراسي : خمسمائة ألف دينار .

وما أخذ من تركة إبراهيم السلمي : ثلاثمائة ألف دينار .

وما حصل من ثمن البيع في أيام الوزراء وازداده الفضل بن جعفر ثلاثة آلاف ألف دينار .

وما حصل من أم-وال أم موسى وأخيها وأختها وأسبابها ألفي ألف دينار .

فصار الجميع من العين : ثمانية وستين ألف وأربعمائة وثلاثين ألف دينار . وضع من ذلك لارتفاع ماخرج عن المبيع من سنة ٣١٧ إلى آخر سنة ٣٢٠ حساباً في السنة على التقريب تسعمائة ألف دينار ، ثلاثة آلاف ألف وستائة ألف دينار .

الباقى بعد ذلك مما حصل في خزانة المقتدر زائداً على ما كان يحمل إلى بيت مال الخاصة في أيام المعتضد والمكثفي من أموال الضياع والخراج بالسواد والامواز والمشرق والمغرب أربعة وستين ألف وثمانمائة وثلاثين ألف دينار . وقد كان كل واحد من المعتضد والمكثفي يستفضل في كل سنة من سني خلافته من أموال النواحي بعد الذي يصرف في

اعطيات الرجال والعلمان والخدم والحشم وجميع النفقات الحادثة ما كان يحصله في بيت مال الخاصة : ألف الف دينار .

وكان سبيل المقتدر أن استفضل مثلها فيكبرن مبلغه في خمس وعشرين سنة خمسة وعشرين ألف دينار فيكون جملة ما يجب ان يحضر في بيت مال الخاصة للمقتدر بالله في هذه السنين إلى آخر سنة عشرين : تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانائة ألف وثلاثين ألف دينار ، خرج من ذلك ما لا يجري مجرى التبذير وهو ما أطلق في البيعة ثلاث دفعات ، وما أنفق على فتح فارس وكرمان : بضعة عشرة ألف ألف دينار وبقي بعد ذلك ما بذر وأتلف نيف وسبعون ألف ألف دينار .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ ، ٢٣٨ - ٢٤١

١١٤ - كتاب عن المقتدر بأسقاط الموارث من إصدار ابن الفوات الوزير .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن أمير المؤمنين المقتدر بالله يؤثر في الأمور كلها ما يقربه من الله عز وجل واجتلب له جزيل مشويته وواسع رحمته وحسنته العائدة على كافة رعيته ، كما جعل في طبعه وأولج في بيته من التعطف عليها وإيصال المنافع إليها وإبطال رسوم الجور التي كانت تعامل بها ، جارياً على أحكام الكتاب والسنة عاملاً بالأثار عن الأفاضل من الأئمة . وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين وإليه يفوض وبه يستعين . وأنهى إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أبو حسن علي بن محمد الوزير ما يلحق كثيراً من الناس من التحامل في موارثهم وما يتناول على سبيل الظلم من أموالهم ، وإنه قد كان شكى إلى المعتضد بالله مثل ذلك فكتب إلى القاضيين يوسف بن يعقوب وعبد الحميد

يسألها عن العمل في المواريث فكتبنا إليه أن عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ومن اتبعهم من الأئمة وعلماء هذه الأمة رحمهم الله رأوا أن يرد على أصحاب السهام من القرابة ما يفضل عن السهام المفروضة لهم في كتاب الله عز وجل من المواريث إن لم يكن للمتوفى عصبية يرثون ما بقي ، ممثلين في ذلك كتاب الله عز وجل « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ومحتملين على سنة رسول الله في توريث من لا فرض له في كتاب الله من الخال وابن الأخت والجدة . وإن تقليد العمال أمر المواريث دون القضاة شيء لم يكن إلا في خلافة المعتمد على الله فإنه خلط في ذلك ، فأمر المعتمد بإبطال ما كان الأمر جرى عليه أيام المعتمد في المواريث وترك العمل فيها بما روي عن زيد بن ثابت بأثر يرد على ذوي الأرحام ما أوجب الله رده وأولو العلم من الأئمة . فأمر أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يجري الأمر على ذلك ويعمل به . وكتب يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٣١١ هـ .

صلة تاريخ الطبري لمريب القرطبي ٨٠ - ٨١

١١٥ - رسالة أحد عمال الخراج في بادروبا إلى الوزير علي بن عيسى الجراح يستأذنه في ضرب من استحق عليه الخراج ولم يدفعه ، وذلك بعد أن اعتقل عدداً من أمثال هؤلاء وأرسل إلى الوزير يقول : إن هؤلاء قوم يدلون بالجلد وعليهم أموال وقد ألتوا وصبروا على الحبس والقيد ، ومتى لم تطلق اليد في تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسى بهم أهل السواد فبطل الارتفاع والوزير أعلى عيناً وما يراه .

١١٦ - جواب الوزير علي بن عيسى على الرسالة سالفة الذكر

الخراج - عافاك الله - دين ، وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعد^١
ذلك إلى غيره ، والسلام .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ - ٣١

١١٧ - منشور المطيع لله في تحويل السنة الخراجية من إنشاء

أبي إسحاق الصابي .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين لا زال مجتهداً في مصالح المسلمين وابعثنا
لهم على مرشد الدنيا والدين ومهيباً لهم أحسن الإختيار فيما يوردون
ويصدرون ، وأصوب الرأي فيما يرمون وينقضون ، فلا يلوح له خيلة
داخلة على أمورهم إلا سدها وتلافها ، ولا حال عائدة بحظ عليهم إلا
اعتمدها وأتاها ولا سنة عادلة إلا أخذهم بإقامة رسمها وإمضاء حكمها
والإقتداء بالسلف الصالح في العمل بها والإتباع لها . وإذا عرض من
ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها وتجهله العامة بقصور أفهامها ، وكانت
أوامره فيه خارجة إليك وإلى أمثالك (١) من أعيان رجاله وأمائل
عماله الذين يكتفون بالإشارة ويحتزون بيسير الإبانة والعبارة ، لم يدع
أن يبلغ من تخليص اللفظ وإيضاح المعنى إلى الحد الذي يلحق المتأخر
بالمقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولا سيما إذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات
الرعية ، ومن لا يعرف إلا الظواهر الجليلة دون البواطن الخفية ولا
يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة إلى الرسوم المتغيرة ليكون
القول بالمشروح لمن برز في المعرفة مذكراً ، ولن تأخر فيها مبصراً ،

(١) الخطاب هنا موجه من الخليفة إلى وزيره .

ولأنه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين في صدورها ،
ولا أن يقتصر على اللعنة الدالة في مخاطبة جمهورها حتى إذا استمرت
الأقدام بطوائف الناس في فهم ما أمروا به وفيه ما دعوا إليه
وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا إستراة المستريين
اطمأنت قلوبهم وانشرحت صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستمر
الاتفاق بهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهج ومحروسون
من حزاز الزينج والإعوجاج ، فكان الإنقياد منهم وهم دارون عالمون
لا مقلدون مسامون وطائمون مختارون لا مكرهون ولا مجبرون . وأمير
المؤمنين يستمد الله تعالى في جميع أغراضه ومراميه ومطالبه ومغازيه
مادة من صنعه يقف بها على سند الصلاح ويفتح له أبواب النجاح وينهضه
لما أهله لخدمة من الأعباء التي لا يدعى الاستقلال بها إلا بتوفيقه ومعونته ،
ولا يتوجه فيها إلا بدلالته وهدايته ، وحسب أمير المؤمنين الله
ونعم الوكيل .

يرى ان أولى الأقوال ان يكون سداداً . وأحرى الأفعال أن
يكون رشاداً ما وجد له في السابق من حكم الله أصول وقواعد ، وفي
النص من كتابه آيات وشواهد ، وكان منصباً بالأمة إلى قوام من دين
أودنيا ووفاق في آخرة أو أولى . فذلك هو البناء الذي يثبت ويعلو ،
والغرس الذي ينبت ويزكو ، والسعي الذي تنجح مبادئه وهوايديه
وتبهج عواقبه وتواليه وتستنير سبله لسالكها وتورد لهم موارد السعود في
مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين . وقد
جعل الله عز وجل لمعباده من هذه الأفلاك الدائرة فيما تتقلب عليه من
اتصال وافتراق . ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق ومنافع تظهر في
كرور الشهور والأعوام ومرور الليالي والأيام وتفاوت الضياء والظلام

واعتماد المسالك والأوطان وتغاير الفصول والأزمان ، ونشوء النبات والحيوان بما ليس في نظام ذلك خلل ولا في صنعه زلل ، بل هو منوط بعبءه ببعض ومحوط من كل ثلثة ونقض . قال الله تعالى : وهو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق (١) . وقال جل من قائل : ألم ترَ أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى ، وأن الله بما تعملون خبير (٢) . وقال تعالى : والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٣) . وقال عزت قدرته : والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٤) ففصل الله تعالى به—هذه الآيات بين الشمس والقمر وأنبأنا في الباهر من حكمه والمعجز من كلامه أن لكل منها طريقاً سخر فيها وطبيعة جبل عليها ، وأن تلك المباشرة والمخالفة في المسير يؤديان إلى موافقة وملازمة في التدبير ، فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربما بالتقريب المعول عليه وهي المدة التي تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ، ونقصت الهلالية فصارت ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً وهي المدة التي يجامع القمر فيها الشمس اثني عشرة مرة ، واحتيج إذا انساق هذا الفضل إلى استعمال النقل الذي يطابق إحدى السنتين الأخرى إذا افترقتا ويداني بينهما إذا تفاوتتا ، وما زالت الأمم السالفة تكبس زيادات السنين على افتنان من طرقها ومذاهبها . وفي كتاب

(١) سورة بونس : الآية ٥ .

(٢) سورة لقمان : الآية ٢٩ .

(٣) سورة ياسين : الآية ٣٨ .

(٤) سورة ياسين : الآية ٣٩ .

الله عز وجل شهادة بذلك إذ يقول في قصة أهل الكهف : ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً^(١) . فكانت هذه الزيادة بأن الفضل من السنين المذكورة على تقريب التقريب . فأما الفرس فلأنهم أجزوا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهراً وأيامها ثلاثمائة وستون يوماً ولقبوا الشهور بإثني عشر لقباً وسماوا أيام الشهر منها بثلاثين إسماً ، وأفردوا الخمسة الأيام الزائدة وسماها المسترقة وكبسوا الربيع في كل مائة وعشرين سنة شهراً ، فلما انقضى ملكهم بطل في كبس هذا الربيع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سنته وانفرج ما بينه وبين حقيقة وقته انفراجاً هو زائد لا يقف ، ودائر لا ينقطع ، حتى أن موضوعهم في النوروز أن يدخل في مدخل الصيف وسينتهي إلى أن يقع في مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك ، وموضوعهم في المهرجان أن يقع في مدخل الشتاء وينتهي إلى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوزه . وأما الروم فكانوا أتقن منهم حكمة وأبعد نظراً في العاقبة لأنهم رتبوا شهور السنة على أرساد شهورها وأنواء عرفوها ، وقضوا الخمسة الأيام على الشهور وساقوها على الدهور وكبسوا الربيع كل أربع سنين يوماً ورسما أن يكون إلى شباط مضافاً فقرّبوا ما بعده غيرهم وسهلوا على الناس أن يقتفوا أثرهم . لاجرم أن المعتضد بالله رحمه الله ، على أصولهم بنى لمثلهم احتذى في تصديره نوروزه الحادي عشر من حزيران حتى سلم بما لحق النواريز في سالف الأزمان وتلافوا الأمر في عجز سني الهلال عن سني الشمس بأن جبروها بالكبس ، فكلما اجتمع في فصول سني الشمس وما بقي تمام شهر جعلوا السنة هلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالاً ، وربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين ، وربما تم في سنتين بحسب

(١) سورة الكهف : الآية ٢٥ .

لهما وجه الهلال فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين أبداً لا يتباعد ما بينهما . وأما العرب فإن الله تعالى فضلها على الأمم الماضية وورثها ثمرات مشاقها المتعبة وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة أهل ملتها وجزية أهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الأهلة لإرادة منه أن تكون مناهجها واضحة وأعلامها لائحة فيتكافأ في معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منها والعام ، والناقص الفقه والتام ، والأنثى والذكر ، والصغير والكبير والأكبر فصاروا حينئذ يحسبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الأرض الموسوعة ، ويحبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات والأرجاء والمقاطعات والمستغلات وسائر ما يجري على المشاهرات ؛ وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لقيح جداً وازداد بعداً ، إذ كانت الجبائية الخراجية في السنة التي ينتهي إليها تنسب إلى الشمسية وإلى ما قبلها ، فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلقى ويتجاوز إلى ما بعدها ويتخطى ، ولم يجوز لهم أن يعتدوا لخالفهم في كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر ، لأنهم لو فعلوا ذلك لزعزحت الأشهر الحرم عن مواقيتها وارتجت المناسك عن حقائنها ، ونقصت الجبائية في سني الأهلة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها ، فانتظروا بذلك الفصل إلى أن تتم السنة ، وواجب الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثاً وثلاثين سنة هلالية ، فنقلوا المتقدمة إلى المتأخرة نقلاً لا يتجاوز الشمسية ، وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة في دينهم . وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة الهلالية جمعاً بينهما ولزوماً لتلك السنة فيها . فاعمل بما ورد به أمر أمير المؤمنين عليك وتضمنه كتابه هذا إليك ومر الكتاب قبلك أن يحتدوا

رسمه فيما يكتبون به إلى عمال نواحيك ويخلدونه في الدواوين من ذكورهم ورفوعهم ، ويعدون من خروج الأموال وينظمونه في الدواوين والأعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسابات ويوعزون بكتبه من الروزنامات والبراءات ، وليكن المنسوب من ذلك إلى سنة خمسين وتلاثمائة التي وقع النقل إليها ، وأقم في نفوس من بحضورتك من أصناف الجند والرعية وأهل الملة والذمة إن هذا النقل لا يغير لهم رسماً ولا يلحق بهم ثلماً ولا يعود على قابضي العطاء بنقصان ما استحقوا قبضه ، ولا على مؤدي حق بيت المال بإغضاء عما وجب أداءه ، فإن قرائح أكثرهم فقيرة إلى إفهام أمير المؤمنين الذي آثر أن تراح فيه العملة ويسد به سهم الخلة ، إذ كان هذا الشأن لا يتجدد إلا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج إلى تعريف الناس . وأجب بما يكون منك جواباً يحسن وقعه إن شاء الله تعالى (١) .

الخطط للمقرزي ج ٢ ، ٢٨ - ٣١

— الثورات والثوار —

١١٨ - رسالة من علي بن الحسين والي فارس من قبل المعتز بالله إلى يعقوب الصفار لما زحف نحو فارس يريد احتلالها .
إن كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك ، وإن كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين لتسليم العمل لأنصرف .

(١) أورد القلقشندي في صبح الأعشى ١٣٠ ، ٦٥-٧٠ نصاً مشابهاً لنصنا ولكن نص المقرزي أكمل .

فأجابته الصفار بجواب لم يقنع به علي بن الحسين وترددت الرسل
بين الطرفين وأخيراً أرسل يعقوب الصفار إلى علي بن الحسين
الكتاب التالي :

١١٩ - فهمت كتابك وذكرك أن ورودي هذا البلد العظيم
خطأ بغير إذن أمير المؤمنين ، فأني لست بمن تطمع نفسه في محاولة
ظلم ولا بمن يمكنه ذلك ، وقد أسقطت عنك مؤونة الاهتمام في
هذا الباب :

فإن البلد لأمير المؤمنين ونحن عبده نتصرف بأمره في أرضه
وسلطانه وفي طاعة الله وطاعته ، وقد استمعت من رسلك ورجعت
إليه في جواب ما عملته وأدائه ما يورده عليك مما رجوت لنا ولك
فيه صلاحاً ، فإن استعملته ففيه السلامة إن شاء الله تعالى ، وإن أبيت
فإن قدر الله تعالى نافذ لا محيص عنه ونحن نعتصم بالله من الهلكة
ونموذ به من دواعي البغي ومصارع الخذلان ، ونزغب إليه في السلامة
في ديننا ودينانا بلطفه . مد الله في عمرك . وكتب يوم الاثنين ليلة
خلت من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائتين .
وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ، ٤٤٩ - ٤٥١

١٢٠ - مقتطفات من منشور أذاعه المعتمد بالنصر على
يعقوب الصفار .

نشبت معركة كبرى بين جيش المعتمد وبين يعقوب الصفار هُزِمَ
على أثرها الصفار وولى مجروحاً مهزوماً وتخلص من أمره محمد بن
طاهر ، وأصدر المعتمد منشوراً قرىء على الناس ، وفيها يلي بعض
ما جاء فيه :

ولم يزل الملعون المارق المسمى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة حتى أحدث الأحداث المنكرة من مصيره إلى صاحب خراسان وغلبته إياه عليها ، وتقلده الصلاة والأحداث فيها ومصيره إلى فارس مرة بعد مرة واستيلائه على أموالها ، وإقباله إلى باب أمير المؤمنين مظهراً المسألة في أمور أجابه أمير المؤمنين فيها ما لم يكن يستحقه إستصلاحاً له ودفعاً بالتي هي أحسن ، فولاه خراسان والري وفارس وقزوين وزنجان والشرطة بمدينة السلام ، وأمر بتكنيته في كتبه وأقطعه الضياع النفيسة ، فما زاده ذلك إلا طغياناً وبغياً ، فأمره بالرجوع فأبى ، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط ، وأظهر يعقوب أعلاماً على بعضها الصليبان ، فقدم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين في القلب ومعه أبو عمران موسى بن بغا في الميمنة ، في الجناح اليميني إبراهيم بن سينا وفي الميسرة أبو هاشم مسرور الباطني ، وفي جناح الميسرة الديرازي ؛ فتسرع وأشباعه في المحاربة فحاربه حتى أثنى بالجراح وحقى انتزع أبو عبد الله محمد بن طاهر سالماً من بين أيديهم وولوا منهزمين مجروحين مسلوبين ، وسلم الملعون كل ما حواه ملكه . كتاباً مؤرخاً بيوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من رجب (١) .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨ - ٢٣

(١) ذكر ابن الجوزي في المنتظم ٥ - ٣٣ نصاً أقل تفصيلاً من نصنا هذا .

١٢١ - نص مقدمة الخطبة التي كان يخطب بها صاحب الزنج
لما أعلن ثورته زمن المهدي .
ثار صاحب الزنج وكان يرى رأي الخوارج وكان يقول في أول
كل خطبة من خطبه ما يلي :
الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، لا حكم إلا الله .
مروج الذهب للمسعودي ج ٤ - ١٩٥ .

١٢٢ - رسالة صاحب الزنج إلى أحد قواده علي بن أبان في
التحالف مع شخص اسمه محمد بن عبيد الله .

أوقع أحمد قواد صاحب الزنج واسمه علي بن أبان بأحد قواد
الأكراد واسمه محمد بن عبيد الله وأسرته حتى اضطره لفدي نفسه بالمال
وبعد فترة طلب علي بن أبان من صاحب الزنج أن يسمح له بالتحالف
مع محمد بن عبيد الله للقضاء على فئة كردية مارقة تهدد الطرفين ،
فكتب إليه صاحب الزنج بما يلي :

وجه الخليل بن أبان وبهبوذ بن عبد الوهاب وأقم أنت ، ولا تنفذ
جيشك حتى تتوثق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون في يدك منه
تأمن بها من غدرة ، فقد وترته وهو غير مأمون على الطلب بشأره .

١٢٣ - رسالة أخرى من صاحب الزنج لعلي بن أبان عن
نفس الموضوع .

كاتب علي بن أبان محمد بن عبيد الله وتحالف معه ولكنه لم يأخذ
رهائن منه وهاجم مع حليفه الأكراد ، ولكن محمد بن عبيد الله تخلى

عنه في الحرب وهُزم علي بن أبان وكتب إلى صاحب الزنج يخبره
بما تم فأرسل إليه يعنفه ويقول :
قد كنت تقدمت إليك ألا تركن إلى محمد بن عبيد الله وأن
تجعل الوثيقة بينك وبينه الرهائن فتركت أمري واتبعت هواك فذاك
الذي أرداك وأردى جيشك .

١٢٤ - رسالة تهديد من صاحب الزنج إلى محمد بن عبيد الله
بعد الذي حدث .

لأنه لم يخف علي تدبيرك على جيش علي بن أبان وإن تعمد الجزاء
على ما كان منك .
تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨ - ٥٢

١٢٥ - رسالة جوابية من هارون الشاري الخارجي إلى نصر
القشوري قائد جيش الخليفة المعتضد .

ثار هارون الشاري في شمال الموصل فأرسل له المعتضد جيشاً بقيادة
نصر القشوري واقتتل الطرفان ولم تكن المعارك حاسمة ، وصدف أن
قتل جند الخليفة شخصاً من أعيان أصحاب هارون اسمه جعفر فحظ
ذلك على هارون الشاري فأمر أتباعه بالعيث فساداً في الأقليم . فأرسل
نصر إلى هارون رسالة يتهدده بقرب وصول الخليفة إليه بنفسه
فأجابه بقوله :

أما ما ذكرت بمن أراد قصدي ورجع عني ، فإنهم لما رأوا جدنا
واجتهادنا كانوا بإذن الله فراشاً متتابعاً وقصباً أجوف ، ومن صبر لنا
منهم ما زاد على الإستتار بالحيطان ونحن على فرسخ منهم . وما غرك

إلا ما أصبت به صاحبنا فظننت أن دمه مطلول ، أو أن وتره متروك لك ؛ كلا إن الله تعالى من ورائك وآخذ بناصيتك ومعين على إدراك الحق منك ؛ ولم تعيرنا بغيرك وتدع أن يكون مكان ذلك إبداء صفحتك وإظهار عداوتك ؟ وإنا وإياك كما قيل :

فلا توعدوننا باللقاء وبرزوا إلينا سواداً نلقه بسواد
ولعمر الله ما ندعو إلى البراز ثقة بأنفسنا ولا عن ظن أن الحول
والقوة لنا ، ولكن ثقة بربنا واعتماداً على جميل عوائده عندنا .

وأما ما ذكرت من أمر سلطانك ، فإن سلطانك لا يزال منا قريباً وبجاننا علماً ، فلا قدم أجلاً ولا أخره ، ولا بسط رزقاً ولا قبضه ، قد بعثنا على مقابلتك ، وستعلم عن قريب إن شاء الله تعالى .
وقد اطلع المعتضد على هذه الرسالة وحارب هاروناً الشاري وهزمه ثم قتل فيها بعد .

الكامل لابن الأثير ج ٧ ، ٤٧٠ - ٤٧١

١٢٦ - رسالة من المعتضد إلى نجاح الخادم أحد قواد جيشه يخبره بظفروه في إحدى المعارك ضد الأعراب والأكراد .

بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي هذا وقت العتمة ليلة الجمعة ، وقد نصر الله وله الحمد على الأكراد والأعراب وأظفرونا بعالم منهم وبعميالاتهم ولقد رأيتنا ونحن نسوق البقر والغنم كما كنا نسوقها عاماً أولاً ، ولم تزل الأسنة والسيوف تأخذهم ، وحال بيننا وبينهم الليل . وأوقدت النيران على رؤوس الجبال ، ومن غد يومنا فيقع الإستقصاء ، وعسكري يتبعني إلى الكرخ . وكان وقاعنا بهم وقتلنا إياهم خمسين ميلاً فلم يبق منهم مخبر والحمد لله كثيراً ، فقد وجب الشكر لله علينا والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم كثيراً .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨ ، ١٦٨ - ١٦٩

١٢٧ - رسالة المقتدر إلى أحمد بن نصر القشوري يأمره
باعتقال الأخوة البريديين الثلاثة في الأهواز سنة ٣١٨ هـ .

ولي أحمد بن نصر أعمال الماوان في الأهواز وكان بينه وبين
المقتدر وحشة يجب أن يزيلها . وكان المقتدر يستوحش من البريديين
الأخوة الثلاثة في الأهواز وهم أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين
فأراد اعتقالهم فأرسل المقتدر سراً إلى أحمد بن نصر رسالة يقول
له فيها :

يا أحمد : قد عرفت ذنبك الذي جنيته وحرمت به نفسك رأبي ،
وقد تبسر لك تلافيه بامتنال أمري فيما أضمنه توقيمي هذا : اقبض
على البريديين الثلاثة وحصلهم في دارك ، وإياك أن تفرج عنهم إلا
بتوقيع يرد عليك بخط كهذا الخط الذي في هذا التوقيع ، وثق مني
بالعود لك إذا فعلت ذلك إلى ما يرفع منك ويصلح حالك
ويعيد منزلتك .

وقد تم الأمر كما رسم المقتدر واعتقل الثلاثة وأرسلوا إليه .
تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ ، ٢٠٥ - ٢٠٦

١٢٨ - رسالة إلى ياقوت أحمد قواد الراضي بالله من البريدي
المستبد بالأهواز .

كان ياقوت من أصحاب القوة في الدولة وأحسن إلى البريدي وسامه
الأهواز فاستبد بها ، وقد صدف أن بعض جنود ياقوت شغب ضده
فأرسلهم إلى البريدي الذي استأجرهم حتى انضموا إليه وبقي ياقوت في
شردمة قليلة ثم اضطر أن يلجأ إلى عسكر مكرم ، وأراد البريدي أن
يتخلص منه نهائياً فأرسل إليه يقول :

إن العسكر الذين شغبوا قد اجتهدت في إصلاحهم وعجزت عن ذلك ولست آمنهم أن يقصدوك ، وبين عسكر مكرم والأهواز ثمانية فراسخ . والرأي أن تتأخر إلى تستر لتبعد عنهم ، وهي حصينة .

١٢٩ - رسالة ثانية من البريدي إلى ياقوت .

استقر ياقوت في تستر ولكن البريدي خاف من جنسه المقيمين معه أن يشغبوا ضده فأرسل إليه يقول :

إن كتاب الخليفة ورد عليّ يأمرني أن لا أتركك تقيم بهذه البلاد ، وما يمكنني مخالفة السلطان ، وقد أمرني أن أخبرك إما أن تقضي إلى حضرته في خمسة عشر غلاماً ، وإما إلى بلاد الجبل ليوليك بعض الأعمال ، فإن خرجت طائماً وإلا أخرجتك قسراً .

الكامل لابن الأثير ج ٨ ، ٣١٨ - ٣١٩

١٣٠ - رسالة ابن رائق الذي أصبح أمير الأمراء في بغداد زمن الراضي بالله إلى البريدي الذي استبد بالأهواز ومنع الأموال عن ابن رائق فقرر قصده ، ولكنه أرسل له هذه الرسالة قبل الزحف عليه يتهده ويقول :

وإنه إن حمل الواجب عليه وسلم الجنود الذين أفسدهم أقره على عمله ، وإن أبي قويل بما يستحقه .

الكامل لابن الأثير ج ٨ - ٣٣٠

١٣١ - رسالة ثانية من ابن رائق إلى البريدي .

أفسد البريدي أهل البصرة ضد ابن رائق وخوفهم من هجوم أبي طاهر القرمطي عليهم وأن ابن رائق لن يدافع عنهم فغضب ابن رائق وأرسل للبريدي رسالة يقول فيها :

إن الذي أنكرته قبولك الحجرية ، فإما أن تردم وإما أن تطردهم
وإن استأذنوك في ناحية يقصدونها فاضم إليهم من رأيت من قوادك
وأنفذهم إلى الجبل . وهذا العسكر الذي أنفذته إلى حصن مهدي ،
فأنا أعلم أنه لما اتصل ورود الهجري إلى الكوفة استظهرت بإنفاذه
ليعين من فيها عليه إن احتيج إلي ذلك ، وقد استغنى الآن عنهم ، وفي
مقامهم بالحصن مع الإستغناء عنهم تسليط الظنون السيئة عليك وإيجاد
أعدائك سبيلا إلى التضريب بيني وبينك .

وبلغني أنك قد كنت أنفذت أبا جعفر محمداً غلامك إلى السوسي
وأمرته أن يقصد الطيب ويقيم بها إشفاقاً من أن يلحقني وهن من
القرامطة ، فإن احتيج إليه لحماية واسط كان قريباً ، وإني لما وافيت
كاتبتة بالإنصراف فماد إلى الأهواز . وهذا مشكور فاعمل في أمر إقبال
ومن أنفذته إلى حصن مهدي كهذا العمل ثم إنا لك على الوفاء .

١٣٢ - أجابه البريدي بقوله :

إن جيشه القديم متشبثون بالحجرية لأنهم أقاربهم وبين القوم وصل
ورحم وبلدية ولا يمكن إخراجهم جملة واحدة ، ولكنه على الأيام
يفرق شملهم ، وإن الأخبار تواترت بأن القرمطي لما انصرف عن
الكوفة قصد البصرة واستجار به أهلها ، فأنفذ هذا العسكر إشفاقاً
عليها وإنهم قد حصلوا بها .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ ، ٣٦٨ - ٣٦٩

١٣٣ - رسالة البريدي الشفوية للخليفة المتقي .

احتل البريدي بغداد وهرب الديلم وطالب البريدي المتقي لله
بالأموال ومقدارها ٥٠٠ ألف دينار ، فأرسل له المتقي بعضاً ومطله

بالبعض ، فأرسل البريدي للخليفة مع القاضي أحمد الخرقى .

انصحه وقل له : أما سمعت خبر المعز بالله والمهتدي بالله والمتوكل على الله ؟ والله لئن خليتك والأولياء لتطلبن نفسك فلا تجدها وأنت أبصر . إنما الديلم وافوا لأجل المال الذي أخذته لا إلى بقداد ، وعندهم أنهم أحق به منك ولا يعرفون البيعة ولا من لك في رقابهم .
فلما أبلغه الرسالة أرسل له المال .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ - ١٦

١٣٤ - رسالة المتقي لله الى توزون .

نفر المتقي من توزون المتغلب عليه وانضم إلى آل حمدان في الموصل ، وتجارب توزون مع آل حمدان فهزمهم وهربوا وهرب الخليفة إلى الموصل ومنها إلى نصيبين . ومن هناك أرسل الخليفة إلى توزون يقول في رسالة حملها له أبو زكريا السوسي .

إني استوحشت منك لأجل البريديين بقبح ما يفعلونه دفعة بعد دفعة ، وأبلغت أنكما اجتمعتما وصرتما يداً واحدة فخرجت من الحضرة . والآن قد مضى ما مضى فإن آثرت رضائي فصالح ناصر الدولة وارجع إلى الحضرة فإني إذا رأيتك مطيعاً لي عدت واستقامت لك الأمور بي وبرضائي وكان الله عونك .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ - ٤٩

١٣٥ - رسالة الطائع لله إلى صمصام الدولة لما قضى على فتنة

وثورة كردويه . من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى صمصام

الدولة وشمس الملة أبي كاليبجار بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ . أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن أمير المؤمنين ، وإن كان بؤك المنزلة العليا وأتالك من إثرته الغاية القصوى ، وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القدر والحل ، والموضع الأرفع الأجل ، فإنه يوجب لك عنده بذلك أثراً يكون لك في الخدمة ، ومقام حمد تقومه في حماية البيضة ، إنعاماً يظاهاه وإكراماً يتابعه ويواتره . والله يؤيدك من توفيقه وتسديده ويمدك بمعونته وتأييده ، ويخير لأمر المؤمنين فيما رأيه مستمر عليه من مزيدك وتمكينك والإبقاء بك وتكظيمك ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وقد عرفت - أدام الله عزك - ما كان من أمر كردويه كافر نعمة أمير المؤمنين ونعمتك وجاهد صنيمته وصنيعتك ، في الوثبة التي وثبها والكبيرة التي ارتكبتها ، وتقريره أن ينتهز الفرصة التي لم يمكنه الله منها بل كان من وراء ذلك دفعه وردة عنها ، ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله نارها وقنعه عارها وشنارها ، حتى انهزم الأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة على أقبح أحوال الذلة والقلة ، بعد القتل الذريع والاثخان الوجيع . فالحمد لله على هذه النعمة التي جل موقعها وبان على الخاصة والعامة أثرها ، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً ، والمسلمين عموماً نشرها والحديث بها ، وهو المسئول لإقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المجيد الكريم ، بخلع تامة ودابتين ومركبين ذهباً من مراكبه ، وسيف

وطوق وسوار مرصع ، فتلق ذلك بالشكر عليه ، والاعتداد بنعمته
فيه ؛ والبس خلع أمير المؤمنين وتكرمه ، وسر من بابه على حملاته ،
وأظهر ماحباك به لأهل حضرته ، ليعز الله بذلك وليه ووليك ، ويذل
عدوه وعدوك إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

١٣٦ - رسالة الطائع لله إلى الثوار الثائرين في صحار وسواها
وجبال عمان وأعمالها يدعوهم إلى الاجتماع والطاعة ونبذ الفرقة من
إنشاء أبي إسحاق الصائبي .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين ، للذي حمله الله من أعباء الامامة ،
وأمله له من شرف الخلافة واستودعه من الأمانة في حياطة المسلمين
والاجتهاد لهم في مصالح الدنيا والدين ، يرى أن يراعي من بعد منهم
ونأى ، كما يراعي من قرب ودنا ، وأن يلاحظ جماعتهم بالعين الكالية ،
ويطلبهم بالعين الوافية ، ويتصفح ظواهر أمورهم وبواطن دواخلهم ،
فيحمد من سلك نهج السلامة ، ويرشد من عدل عن الاستقامة ،
وينظم شمل الجماعة على الإلفة التي أمر الله بها ، وحض عليها ، ويزيلهم
عن الفرقة الذي ذمها ونهى عنها ، إذ يقول جل من قائل : وأطيعوا
الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واعتصموا بحبل الله
جميعاً ولا تفرقوا^(١) . فلا يزال أمير المؤمنين يعرفهم ما افترض الله
عليهم من طاعة الأئمة وأولي الأمر الذين لا عصمة لمخالفهم ولا ذمة
لمعاندتهم ، ولا عذر لمسلم ولا معاهد نأى بجانبه ، وضل بوجهه عن
سبيلهم ، إذا كان الإمام حجة الله على خلقه وخليفته في أرضه ، وكانت
الطاعة واجبة له ولبن قلبه أزمة أموره واستنابه في حمل الأعباء عنه ،

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

فمن آنس منه الهداية أحده ، ومن أنكر منه الغواية أرشده بالوعظ ما اكتفى به ، أو بالبسط إن أحوج إليه . وإن أمير المؤمنين يسأل الله أن يوفقه للرأي السديد ويمده بالصنع والتأييد ويتولاه بالمعونة على كل مالم الشعث وسد الخلل وقوم الأود وعدل الميل ، وأحسن العائدة على المسلمين جميعاً في شرق الأرض ومغربها وسهلها وحزنها ؛ إنه بذلك جدير وعليه تقدير وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وقد علمتم أن أمير المؤمنين أحسن إلى الرعية بما كان فوضه إلى عضد الدولة وتاج الملة - رحمة الله عليه - من سياستهم بادياً ، ثم أحسن باستخلاف عديله وسليبه صمصام الدولة وشمس الملة ثانياً : إذ كان خيرة أمير المؤمنين وصفوته وحسامه ومجته ، والمورد والمصدر عنه بالعهدين المستمرين : من أمير المؤمنين بالنص عليه ومن الوالد رحمه الله بالوصية إليه . وإن هذه العقود المؤكدة والعهود المشددة موجبة على الكفاية طاعة من حصلت له ، أو استقرت بوثاقها في يده ، إذ لا يصح من حاكم حكم ولا من عاقد عقد ولا من والٍ إقامة حد ، ولا من مسلم تأدية فرض حتى يكون ذلك مبنياً على هذا الأصل ، ومداراً على هذا القطب . وإن كان خارج عنها وراض بخلافها خرج عن دينه ، أثم بربه ، برىء من عصمته . وأنتم من بين الرعية فقد خصصتم سالفاً بحسن النظر بكم ، وعرفت الطاعة الحسنة منكم ، فتقابلت النعمة والشكر تقابلاً طاب به الذكر وانتظم به الأمر . ثم حدثت الهفوة المعترضة قبيل ، فكان أمير المؤمنين موجباً للمعاقبسة الموجبة على الجاهل الموضع في الفتنة ، والمعاقبة الممضتة على الحكيم منكم للقاعد عن النصر ، إلى أن وردت كتب استناد هرمن بن الحسن ،

حاجب صمصام الدولة ، باستمراركم على كلمة سواء في نصره الأولياء
والحماسة دونهم ، ومدافعة الأعداء والمراماة لهم ، فوقع ذلك من أمير
المؤمنين أحسن موافقه . ونزل لديه الطف منازل ، وأوجب لكم به
رضاه المقترن برضا الله سبحانه ، الموجب للقربة والزلفى عنده . وأمير
المؤمنين يأمركم بالدوام على ما أنتم ، والثبات على ما استأنفتم ، والمبادرة
إلى كل ما يأمركم به فلان الوالي عليكم من صمصام الدولة بالاستخلاف
والتفويض ، ومن أمير المؤمنين بالإمضاء لما أمضاه ، والرضا بما يرضاه
فاعلموا ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره ، وانتهوا فيه إلى حـده
ورسمه ، وكونوا لفلان الوالي خير رعية. يكن لكم خير راعٍ ، فقد
أمر فيكم بحسن السيرة وإجمال المعاملة وتخفيف الرطاة ورفع المثونة ؛
وجعل إليه عقاب السيء وثواب المحسن ومسالمة المسالم ومحاربة المحارب
وأمان المستأمن وإقالة المستقيل وحمل الجماعة على سواء السبيل إن
شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ ، ٤١٣ - ٤١٤

١٣٧ - منشور بالأمان أصدره صمصام الدولة زمن الطائع لله
لجماعة من عرب المنتفق تكلم في أمرهم محمد بن المسيب من إنشاء
أبي إسحاق الصابي .

هذا كتاب منشور من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليبج-ار بن
عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ابن ركن الدولة أبي علي مولى أمير
المؤمنين لجماعة من عرب المنتفق الراغبين في الطاعة والداخلين فيها مع
أولياء الدولة :

إن محمد بن المسيب سأل في أمركم وذكر رغبتكم في الخدمة والإنجاز

إلى الجملة ، والتمس أمانكم على نفوسكم وأموالكم وعشيرتكم ، على أن تلتزموا الإستقامة وتسلكوا سبيل السلامة ولا تخيفوا سبيلاً ولا تسعوا في الأرض فساداً ، ولا تخالفوا للسلطان وولاية أعماله أمراً ، ولا تؤوا له عدواً ولا تعادوا له ولياً ، ولا تجيروا أحداً خروج عن طاعته ، ولا تؤذوا أحداً طلبه ولا تخونوه في سر ولا جهر ولا قول ولا عمل ، فرأينا قبول ذلك منكم ، وإجابة محمد إلى ما رغب فيه عنكم وتضمنته العهدة فيما عقد من هذا الأمان لكم على شرائطه المأخوذة عليكم : في الكف على الرعية والسابلة وأهل السواد والحاضرة ، وترك التعرض للمال والدم ، أو الانتهاك للذمة أو محرم ، أو الارتكاب لمنكر أو مأثم .

فكونوا على هذه الحدود قائمين ، وللصحة والاستقامة معتقدين ، ولأحداثكم ضابطين ، وعلى أيدي سفهائكم آخذين ، وأنتم مع ذلك آمنون بأمان الله جل جلاله وأمان رسوله ﷺ وأمان مولانا أمير المؤمنين وأماننا : على نفوسكم وأموالكم وأحوالكم ، وكل داخل في هذا الأمان وشرائطه معكم من أهلكم وعشيرتكم وأتباعكم ومن ضمنه حوزتكم . ومن قرأ هذا الكتاب من عمال الخراج والمعاون والمتصرفين في الحارة والسيارة وغيرهم من جميع الأسباب فليعمل بمتضمنه وليحمل جماعة هؤلاء القوم على موجبيه إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٣ - ٣٣٨

١٣٨ - رسالة قريش إلى البساسيري حول الخليفة القائم بأمر الله وعلاقتها به وبالمستنصر الفاطمي .

ثار البساسيري بالعراق ودعا للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في مصر ، ولجأ القائم بأمر الله العباسي إلى أحد زعماء القبائل العربية الذي حماه

وتحالف البساسيري مع زعيم بدوي آخر اسمه قريش . وتوقع الثائران
المعونة من مصر وخليفتها ولكن لم يصلها شيء ، ووصلت الأخبار تقول
إن طغرلبيك السلجوقي قادم لمحاربتها وإعادة القائم إلى الخلافة فأرسل
قريش إلى البساسيري يحذره من اقتراب طغرلبيك ويقول له :

قد دعوت إلى سلطان على ستائة فرسخ فخدمناه وفعلنا ما لم يكن
يظنه ، ومضى لنا ستة أشهر منذ فتحنا العراق ما عرفنا منه خبراً ولا
كتب إلينا حرفاً ولا فكر فينا ، وقد عادت رسلنا بعد سنة وكسر
صغراً من شكر وكتاب فضلاً عن مال ورجال ، ومتى تجدد خطب
فما يشقى به غيري وغيرك . والصواب المهادنة والمسألة ورد الخليفة
إلى أمره والدخول تحت طاعته وأن يستكتب أمنه .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٢٠٤

١٣٩ - رسالة القائم بأمر الله إلى السلطان مسعود بن محمود الفزنوي
في النصر على البساسيري وقتله وذلك بعد أن حضر طغرلبيك السلجوقي
بجيشه إلى العراق وقتل البساسيري وأعاد القائم إلى الخلافة . والكتاب
من إنشاء أبي سعيد الغلاء بن موصلايا .

أما بعد : فالحمد لله منير الحق ومبديه ، ومبير الباطل ومرديه ،
الكافل بإعزاز حربه وإذلال حربه ، المؤيد في نصرته دينه خصم
الدهر بعد إجماله وجذبه ، الناظم شمل الشرع بعد شتاته وتفركه ،
الحاسم داعي الفساد بعد استيلائه وتطرقه ، ذي المشيئة النافذة الماضية
والعزة الكاملة الوافرة والعظمة الظاهرة البادية والبراهين الرائعة الراقدة
والدلائل الشاهدة بوحدايته الناطقة ، حمداً لا انتهاء لأمده ، ولا إحصاء
لعدده . والحمد لله الذي اختص محمداً ﷺ برسالته وحباه ، وأولاده من
كرامته ما حاز له به الفضل وحواه ، وبعثه على حين فترة من الرسل وخلاء

من واضح السهل ، فجاهد بين أطاعه من عصاه ، وبلغ في الإرشاد أقصى غايته ومداه ، ولم يزل مبدياً أعلام الإعجاز ، وملحقاً الهوادي بالأعجاز ، إلى أن دخل الناس في الدين أفواجاً ، وسلكوا في نصرتهم جديداً واضحاً ومنهاجاً ، وغدت أنوار الشرع ضاحكة المباسم ، وآثار الشرك واهية الدعائم ، ومناهل الهدى عذبة صافية . فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتخبين وخلفائه الأئمة الراشدين وسلم تسليماً . والحمد لله الذي أصر إلى أمير المؤمنين من تراث النبوة ما استوجبه واستحقه ، وأثار لديه من طلائع الجلال ما تملك به الفخر واسترقه ، ومنحه من حسن التمكين والإظفار وإجراء الأفضية على مراده والأقدار ، ما رد صرف الدهر عن حوزته مفلول الحد ، ومد باع مجده إلى أقصى الغاية والحد ، وحمى سرب إمامته من دواعي الخوف والحذر ، ووقى مشرب خلافته من عوادي الرنق والكدر ، وجعل معالم العدل في أيامه مشرقة الأوضاع والحجول ، مفترقة النواجد من الكمال الضافي الأهداب والذبول ، مؤذنة باستقرار إمداد السعادة واستمرار الأحوال على أفضل الرسم والعادة . وهو يستدعيه من لطيف الصنع وجميله ، ووافي الطول وجزيله ، ما يزيد آراءه سداداً ورشاداً وأرومة عزه اتساعاً وامتداداً ، ومجاري الأمور لديه اتساقاً على المراد واطراداً ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب . ومعلوم ما اعتمده شاهنشاه المعظم بعد مسيره إلى العراق في الجيوش التي يضيق بها الفضاء ويجري على مرادها القضاء ، قاصداً تلبية الدعوة وخاضداً شوكة كل من سد عن الدين أسباب المضرة والمعرة (١) ،

(١) كذا بالأصل والمعنى غير مفهوم ولعل الصواب : وخاضداً شوكة كل من شد عن الدين (وجلب له) أسباب المضرة والمعرة .

وممتهداً ما حى حوزة أمير المؤمنين من الشوائب المعترضة ، وحوى أقسام الفخار في اتباع شروط الخدمة الملتزمة المفترضة ، من المبادرة للكم اللعين البساسيري ولفيفه المخاذيل ، مدرعاً من الاعتضاد بالله تعالى أقوى الجنن وأسبغ السراويل ، ليظهر الأرض من دنس كفرهم ، ويوفر الجند في قصم حدم وحسم كيدهم ، فأطل على بلاد الشام متطلباً من ألباء حذره إلى الإمعان في الحرب ، وقطع كل آخية وسبب ، ومعتزماً الإتمام إلى مصر لانتزاعها وبقيّة الأعمال ، من أيدي أحلاف الغواية والضلال ، وقرّب الأمر فيما حاوله من ذلك ورامه إعتداه فيه صنوف التجدد وأقسامه ، فاعترضه من عصيان إبراهيم إينال وعقوفه وخروجه عن زمرة أبناء الطاعة ومروقه ، بإفساد اللعين إياه وإحالاته بمكره عن مناهج هداة ، ما أحوجه إلى ترك ما هو بصده واللاحاق بأثره ، حذاراً من استفحال خطبه ، وبداراً إلى فل حده وغربه . فعاد ذلك بتجمع الأعداء واحتشادهم ، وسلوكهم المحبجة التي خصوا فيها بعدم توفيقهم ورشادهم ، وإقدامهم على فضل الإمامة المكرمة بالمحاربة ، وإطراحهم في منابذتها حكم الاحتشام والمراقبة ، ووقوع التظافر على الجاهرة بخلافها ، والتظاهر بشمار أشياع الغواية وأحلافها : جرأة على الله تعالى واستنزالاً لعقابه ، وإطراحاً لما توجبه الجناية العظمى من توقع العذاب وارتقابه ، وادراعاً للملابس الخزي في الدنيا والآخرة ، وإتباعاً لداعي الضلالة المغوية في البدء والخاتمة . فاقترضى حكم الإستظهار الإنتقال من دار الخلافة بمدينة السلام إلى حديثة عانة ، لما هي عليه من امتناع الجانب وشدة الحصانة . إلى أن أسفر خطب شاهنشاه ركن الدين - أمتع الله به - عن إدراك المطالب وتيسر المصاعب ، فعاد بنصرة الدولة العباسية الإمامية القائمية ، مستنفداً في

ذلك أقسام الوسع والاجتهاد ، ومستنجداً بمعونة الله تعالى على إبادة الكفر بصنوف القراع والجهاد . ولم يزل ساعياً في إزالة العار وانتزاع المغتصب وارتجاع المستعار إلى أن صدق الله تعالى الأمل وحققه ، وأصفى منهل العز من كل ما شابه ورتقه ، وأطلع شمس الحق بعد غروبها ، ومنَّ بخض شوكه الباطل وقل غروبها .

وعاد أمير المؤمنين إلى دار ملكه ومقر مجده في يوم كذا ضافية على راياته جلابيب النصر والظفر ، جارية على إرادته تصاريق القضاء والقدر ، بيمن نقيبة شاهنشاه الذي أدى في الطاعة الفرض الواجب ، وتمسك من المشايمة بأفضل ما تضم عليه الرواجب ، وغسدا للدولة عضداً ووفياً على الأمثال ، في دفعه عن الإسلام وذبه ، ومتقماً للجلاد بحسن إخلاصه في حالتي بعده وقربه . وما زالت ثقة أمير المؤمنين مستحكة بالله تعالى عندما ألم به من تلك الحال ، ودم من الخطب المحتف به سطوة الإشتداد والاستفحال ، في لإجرائه على ما ألفه من النصر والإعزاز وإظهار آلائه في تأييده والإعجاز ، إذ لم يكن ما عراه استعادة للحق المسلم إليه ، والموهبة التي ضفت جلابيبها عليه ، بل جعل الله ذلك إلى امتحان صبره سبيلاً ، وعلى وفور أجره دليلاً ، وبإبادة كل ناعق في الفتنة كفيلاً ، لتزداد أنوار علاه نضارة وحسناً ، وأعلام جلاله سعادة ويمناً ، ورباع عزه سكوناً وأمناً ، لطفاً منه جلت آلاؤه في ذلك ومنناً ، وتلا هذه النعمة التي جددت عهد الشرع وأقية النضارة ، وأزالت عن الدين مفاسده العارضة ومضاره ، ما سهل الله ومنها ، وأجزل به صنيعه الجزيل وأسناه ، من ظفر السرايا التي توردها لاصطلام اللعناء واجتياحهم وحسم فسادهم وهدم عراسهم ، وإخاد ما أضرموه من نار الشرك وشبهه ، وإبطال ما أحدثوه من رسم الجور

وسنوه ، وأفضى الحال إلى النصر على الأعداء من كل جانب ، وقهر كل منصرف عن الرشاد ومجانف ، وحلول التأيد على الرايات المنصورة ، العباسية التي لم تزال مكنوفة على صرف الدهر أشباعها وأنصارها ، وإجلاء الحرب عن قتل اللعين البساسيري وأخذ رأسه ، وتكذيب ظنه في احترازه من طوارق الغير واحتراسه ، وإراحة الأرض وأهلها من دنسه وعدوانه ، وكون من ضامته من طبقات العرب والأكراد والأتراك البغداديين والعوام بين قتيل مرمل^(١) بدمه ، وأسير تلقى المنون بغصّة أسفه وزدمه ؛ وصريع في بقية من ذمائه^(٢) ، وهارب والطلب واقع من ورائه . فأنجز الله وعده في هذا المارق والعبد الآبق ، الذي غره إهمال الله تعالى إياه فنسي عواقب الإهمال في الغواية ، والإهمال في الطغيان إلى أقصى الحد والغاية ، وحمل رأسه إلى البساب العزيز فتقدم بالتطواف به في جانبي مدينة السلام وشهره ، إيانة عن حاله وإيضاحاً لجلية أمره ، وكفّي ما يوجب إقدامه على العظام التي علم الله تعالى سوء مصيرها ومآلها ، وجرم الرشد من التمسك والتشبث بأذيالها . وتلك عاقبة من بغى واعتدى ، وأتزر بالقدر والردى ، وأمعن في الضلة واعتدى . والجد واقع من بعد في المسير للإحتواء على بلاد المخالفين الدانية والقاصية ، والأخذ مع مشيئة الله تعالى بنواصي كل فئة طاغية عاصية .

فالحمد لله على هذه النعمة التي بشرت الإسلام بيجر كسره ، وأنقذت الهدى من ضيق الكفر وأسرره ، وأبدت نجوم العدل بعد أن أفلت وغارت ، وأردت شيعة الباطل بعد أن اعتدت على الحق وأغارت ، وهو

(١) المرمل : الملتخ .

(٢) الذمام : بقية النفس .

المسئول صلتها بأمداد لها تقضي إذ ذاك سائر الأغراض وبلوغها ، وثقفي
بكمال رائق اللآء وسبوغها .

إقتضى مكانك - أمتع الله بك - من رأي أمير المؤمنين ، الذي
وطأ لك معاهد العز وهضابه وكمل لديك دواعي الفخر وأسبابه ، ونحلك
من إيجابه الذي وصلت به الى ذروة العلاء ، وصلت على الأمثال
والنظراء ، إشعارك بما جده الله تعالى من هذه النعمة التي غدت السعود
بها حجة المناهل ، سامية المراتب والمنازل ، لتأخذ من حظك بها ،
والشكر لله تعالى على ما تفضل به فيها بالقسم الأوفى ، كفاء ما يوجبه
ولاؤك الذي امتطيت به كاهل المجد ، واصطفيت به كامل السعد ،
وكونك لدولة أمير المؤمنين شهاها المشرق في الحنادس ، وصفيها الرافل
من إخلاص مشايعتها في أفخر الحلل والملابس ، والله تعالى لا يخليك من
كل ماتستدر به أخلاف معاليك ، ولا يعدم أمير المؤمنين منك الولي
الحمد السيرة ، الرشيد العقيدة والسريرة ، الشديد الشاكلة والوتيرة .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك ، أجزاك فيها على ما عودك من
التجمل والإكرام ، وحباك فيها بما هو مبشر لك بالسعادة الوافية
الأصناف والأقسام ، فتلقها بالجدل والاستبشار ، واصل شكر الله
تعالى على ما تضمنته من حسن مجاري الأفضية والأقدار ، وطالع حضرة
أمير المؤمنين بأبنائك وتابع إنهاء ما يتشوف نحوه من تلقائك إن
شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ ، ٤٠٤ - ٤٠٩

- أهل الذمة ومعاملتهم -

١٤٠ - مرسوم المعتذر بالله بعدم استخدام أهل الذمة في الدواوين وغيرها سنة ٢٩٥ هـ .

عوائد الله عند أمير المؤمنين توفى على غاية رضاه ونهاية أمانيه ، وليس أحد يظهر عصيانه إلا جعله الله عظة للأنام وبادره بماجل الإصطلام . والله عزيز ذو انتقام ، فمن نكث وطغى وبقى وخالف أمير المؤمنين وخالف محمداً ﷺ ، وسمى في إفساد دولة أمير المؤمنين ، عاجله أمير المؤمنين بسطوته وطهر من رجسه دولته ، والعاقة للمتقين . وقد أمر أمير المؤمنين بترك الاستعانة بأحد من أهل الذمة فليحذر العمال تجاوز أمر أمير المؤمنين ونواهيه .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٣ - ٣٦٩

١٤١ - مرسوم بتوقيع الخليفة العباسي القاسم بأمر الله أصدره سنة ٤٢٩ هـ بإلزام أهل الذمة الغيار ، وقرىء أمام القضاة والشهود والجالليق ورأس جالوت اليهود ، وكان فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله تعالى بعزته التي لا تحاول وقدرته التي لا تطاول اختار الإسلام ديناً وارتضاه وشرفه وأعلاه . وبعث به محمداً واجتباؤه وأذل من ناواه فقال تعالى : وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا (١) . وقال : ليظهره على الدين كله (٢) . وأمير المؤمنين يرى أن من أقرب الوسائل إلى الله به بقاء ما كان حافظاً للشرع ومجدداً لمعامله . وقد كان الخلفاء

(١) سورة التوبة : الآية ٤١ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٨ .

الراشدون فرضوا على أهل الذمة المعاهدين حدوداً معقودة على الاستشعار والإحبات والاستكانة والتفرد عن المسلمين إعظاماً للإسلام وأهله . ولما تطرق على هذه السنة إغفال واستمر فيها الإهمال اطرحت هذه الطائفة دواعي الاحتراس وتشبهت بالمسلمين في زيهم ، فرأى أمير المؤمنين الإيعاز إلى جميع أهل الذمة بتغيير اللباس الظاهر بما يعرفون به عند المشاهدة . فليعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين .
المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ٩٦ - ٩٧

١٤٢ - كتاب القائم بأمر الله بتقليد عيد يشوع الفطرك جائلياً
من إنشاء العلاء بن موصلايا .

هذا كتاب أمر بكتبه عبد الله أبو جعفر عبد الله الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين لعبد يشوع الجائلي الفطرك .

أما بعد : فالحمد لله الواحد بغير ثانٍ القديم لآعن وجود زمان الذي قهرت صنيعه الأوهام عن إدراكه وحارت ، وضلت صنيعه الأفهام عن بلوغ مدى صفاته وحالت ، المتزّه عن الولد والصالحة ، العاجزة عن إحاطة العلم به دلائل العقول الصافية الصائبة ، ذي المشيئة الحالية بالمضاء ، والقدرة الجارية عليها تصاريف القدر والقضاء ، والعظمة الغنية عن العون والظهير المتعالي بها عن الكفاء والنظير ، والعزة المكتفية عن العضد والنصير : ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .
والحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً فارتضاه ، وشام (١) به غضب الحق على الباطل وانتضاه ، وأرسل محمداً - ﷺ - منقذاً من إشراك

(١) شام السيف : سله من غمده .

الفضلة وكاشفاً عن الإيمان ماغمره من الإشراك وأظله ، وبعثه ماحياً أثر الكفر من القلوب والأسماع ، وناحياً في اتباع أوامره ماجسداً في البدار إليه والإسراع ، وأدى ماحمله أحسن الأداء ، وداوى بمعجزة النبوة من النفوس معضل الداء ، ولم يزل لأعلام الهدى مبنياً ولحبائل الغي حاسماً مبنياً ، إلى أن خلص الحق وصفا ، وغدا الدين من أصداده منتصفاً ، واتضح للجائر سنن الرشد ، وانقاد الأبي بالدين والأشد ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتخبين وخلفائه الأئمة الراشدين وسلم تسليماً .

والحمد لله الذي استخلص أمير المؤمنين من أزكى الدرحة والأرومة . وأحلّه من عز الإمامة ذروة للمجد غير مرومة ، وأصار إليه من تراث النبوة مساحواة الإستحقاق والوجوب ، وأصاب به مرامي الصلاح ماحميت شموسه من الأفول والوجوب . وأولاه من شرف الخلافة ما استقدم به الفخر فلبس ، واستخدم معه الدهر فما تأبى ، ومنح أيامه من ظهور العدل فيها وانتشاره ، ولقاح حوامل الإنصاف فيها ووضع عشاره ما فضل به العصور الخالية . وظلت السير متضمنة من ذكرها ما كانت من مثله عارية خالية . وهو يستديه - سبحانه - المعونة على ما يقرب لديه ويزلف عنده ، ويستمدده التوفيق الذي يغدو لعزائه الميمونة أوفى العضد والعدة . وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وأمر المؤمنين ، مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص رعاياه بالمواهب التي يمد عليهم رواقها ، ويردبها إلى أغصان صلاحهم أوراقها ، ويلقي على أجيادهم عقودها ، ويقي رياح ائتلافهم ركودها ، يرى ان يولي أولى الإستقامة من أهل ذمته ضروب الرأفة وصنوفها ، وأقسام

العاطفة الدافعة عنهم حوادث الغير وصروفها ، يقتضى عهودهم القوية القوى ، وأذمتهم التي يلزم أن يحافظ عليها أهل العدل والتقوى ، ويقتدمهم من الضرر الغامر والإجماع المضاهي الآنف منه الغابر ، بما يقبض يده الضيم وكفه ، وأن يجوبهم من الحيطة بما يحرس رسومهم المستمرة من أسباب الاختلال ، ويجريهم فيها على ماسنه السلف معهم من مألوف السجايا والحلال .

ولما أنتهى إلى أمير المؤمنين تمييزك عن نظرائك ، وتحليك من السداد بما يستوجب معه أمثالك المبالغة في وصيتك وإطرائك ، وتخصصك بالإنهاء التي فئت فيها شأو أقرانك ، وأفدت بها ما قصر معه مساجلك من أبناء جنسك أن يعدلك في ميزانك ، وما عليه أهل نحلته من حاجتهم إلى جائلي كافل لأموهم ، كافٍ في سياسة جمهورهم ، مستقل بما يلزمه القيام به ، غير مقل بما يتعين مثله في أدوات منصبه . وإن كلا من يرجع إليه منهم لما تصفح أحوال متقدمي دينهم واستشف ، وأعمل الفكر في اختيار الأرجح منهم والأشف ، وانفقوا من بعد على إجمالة الرأي الذي أفاضوا بينهم قداحه ، وراضوا به زند الإجتهد إلى أن أورى حين راموا اقتداحه ، فلم يصادفوا من هو بالرياسة عليهم أحق وأحرى ، وللشروط الموجبة التقديم فيهم أجمع وأحوى ، وعن أموال وقوفهم أعف وأورع ، ومن نفسه لداعي التحري فيها أطوع وأتبع ، منك ، اختاروك لهم راعياً ، ولما شد نظامهم ملاحظاً مراعيماً ، وسألوا إمضاء نصهم عليك والإذن فيه ، وإجراء الأمر فيما يخصك أسدً مجاريه ، وترتيبك فيما أهلت له وحملت ثقله ، واختصاصك على من تقدمك من الأضراب بزيد من الإرعاء والإيجاب ، وحملك وأهل نحلته على الشروط المعتادة والرسوم السني لإمضاء الشريعة

الإسلامية لها أوفى شهادة - رأى أمير المؤمنين الإجابة إلى ما وجهت إليه فيه الرغبة ، واستخارة الله تعالى في كل عزم يطلق شباهه وينضي غربه ، مقتدياً فيما أسداه إليك وأسناه من أنعمه لديك بأفعال الأئمة الماضين والخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين مع أمثالك من الجئالة الذين سبقوا وفي مقامك اتسقوا ، وأوعز بترتيبك جائليقاً لنسطور النصرارى بمدينة السلام وسائر البلاد والأصقاع ، وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طراً ، ولكل من تحويه ديار الإسلام من هاتين الطائفتين ممن بها يستقر وإليها يطرأ ، وجعل أمرك فيهم ممتثلاً ، وموضعك من الرئاسة عليهم متاثلاً ، وأن تنفرد بالتقدم على هذه الطوائف أجمع ليكون قولك فيما يميزه الشرع فيهم يقبل ، وإليك في أحوالهم يُرجع وأن تتميز بأهبة الزعامة في مجامع النصرارى ومصلياتهم عامة ، من غير أن يشركك فيها أو يشاكلك في النسبة الدالة عليها مطران أو أسقف للروم أو اليعاقبة ، لتغدو شواهد ولايتك بالأوامر الأمامية بادية للسامع والناظر ، وآثار قصورهم عن هذه الرتبة التي لم يبلغوها كافة للمجادل منهم والمناظر ، ومنعوا بأسرهم عن مساواتك في كل أمر هو من شروط الزعامة ورسومها ، والتزيي بما هو من علاماتها ورسومها ، إذ لا سبيل لأحدهم أن يمد في مباراتك بعه ، ولا أن يخرج عن الموجب عليه من الطاعة لك والتباعدة . وحملك في ذلك على ما يدل عليه المنشور المنشأ لمن تقدمك ، الممضى لك ولكل من يأتي بعدك ، المجدد بما حواه ذكر ما نطقت به المناشير المقررة في أيام الخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، لمن تقدمك في مقامك ، وأحرز سبق مفزك ومرامك : من كون المنصوب في الجئالة إليه الزعامة على ما تضمنه ديار الإسلام من هذه الفرق جمعاً ، المنصوص عليه في التقدم الذي

ليس لغيره من رياضه مرعى . وتقدم أمير المؤمنين بجياطتك وأهل
مخلك في نفوسكم وأموالكم وبيعتكم ودياركم ومقار صلواتكم وحراسة
أموالكم ، واعتادكم باقسام الكلاءة على أجل الرسم معكم ، وأن تمحوا
من نقض سنة رضية قررت لكم ، ودحض وتيرة حميدة استعملت في
فرضكم ، وأن تقبض الجزية من رجالكم ذوي القدرة على أدائها بحسب
ما جرت به عادتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم دفعة واحدة في
السنة ، وتجروا في ذلك على السجية التي تناقلها الرواة وتداولتها الألسنة
من غير تشنية ولا تكرير ولا ترنيق لمنهل المعدلة عندهم ولا تكدير ،
وأن تحسبى بالشد دائماً وتقوية يدك على من نصبته في أمورهم ناظراً
ولشملهم ناظماً ، ويفسح لك في فصل ما يشجر بينهم على سبيل
الوساطة ، لتقصد في ذلك ما يحسم دواعي الخلف ويطوي بساطه ،
وأن تمضي تثقيفك لهم وأمرك عليهم أسوة ما جرت عليه الأمر مع
من كان قبلك يليهم ، لتحسن معهم السيرة العادلة عليهم بحفظ السوام،
المطابقة للشروط السائفة في دين الإسلام .

وأمر بإنشاء هذا الكتاب ، مشتملاً على ما خصك به ، وأمضى أن
تعامل بوجبه ، فقابل نعمة أمير المؤمنين عندك بما يستوجبه من شكر
تبلغ فيه المدى الأقصى ، وبشر لا يوجد التصفح له عندك قصوراً ولا
نقصاً . وواظب على الاعتراف بما أوليته من كل ماجلك وصدق ظنك
وأملك ، واستزد الإنعام بطاعة تطوى عليها الجوانح وأدعية أيامه
تُنسب الغادي منها بالرائح . وتجنب التقصير فيما به عُدق ، وإليك
وكل وعليك، عُلّق . واحتفظ بهذا الكتاب جنة تمنع عنك ريب الدهر
وغيره، وحجة تحمل فيها على ما يحمي مامُنِحته من كل ماشئته وغيره .
وليعمل بهذا المثال كافة المطارنة والأساقفة والقسيسين والنصارى أجمعين ،

وليعتمدوا من التباعة لك ما يستحقه تقديمك على الجماعة ، وليثقوا بما
يفعروهم من العاطفة الحامية سربهم من التفريق والإضاعة إن شاء الله تعالى .
وكتب في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وأربعمائة .
صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٩٤ - ٢٩٩

١٤٣ - توقيع المقتدي بالله بإلزام اليهود عدم تغيير ملابسهم وعدم
تظاهرهم بمركوبهم ، وذلك أثر فعلهم ذلك سنة ٤٧٨ هـ .

قد رفع إلى مجلس العرض الأشرف حال بني اليهود وتظاهرهم بما
حظر على أهل الذمة المظاهرة به ، فمق تعدوا شرطاً بما أخذ فيهم
نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة ، قال الله تعالى : فليحذر الذين
يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٩ - ١٤

١٤٤ - رسالة الوزير ابن مهدي إلى الخليفة الناصر لدين الله العباسي
من أجل ابن ساوة النصراني :

كان للناصر خادماً اسمه إيتامش أقطعه دجيل ، وكان هناك نصراني
من جهة الوزير ابن مهدي يؤذي الناس وخاصة المسلمين ، فسقى إيتامش
سماً فمات . فأمر الخليفة بتسليم ابن ساوة إلى ممالك إيتامش . فكتب
الوزير للخليفة يقول :

إن النصراني بذلوا في ابن ساوة مائة ألف دينار على أن لا يقتل .

(١) سررة النور : الآية ٦٣ .

١٤٥ - جواب الخليفة الناصر للوزير :

إن الأسود أسود الغاب همها يوم الكريمة في المسلوب لا السلب
شذرات الذهب لابن العماد ج ٥ - ٩

١٤٦ - رسالة الخليفة الناصر لنائب الوزارة ابن البخاري بشأن

استخدام أهل الذمة في أعمال الدواوين .

منع الناصر استخدام أهل الذمة في أعمال الدواوين ، وكان لابن
الأشقر كاتب ديوان العرض ولد وقد أسلم بين يدي ابن البخاري ،
فأرسل ابن البخاري نائب الوزارة يعلم الخليفة بذلك فأجابه الخليفة :
إنما منمنا من استخدام الكفار لأجل كفرهم ، فمن أسلم يعاد إلى
خدمته ، وهذا يخلع عليه ويستخدم في ديوان العرض عوضاً عن أبيه .
ويقال لكل من صرفنا من خدمتنا إن أحب الدخول في الإسلام
فيعاد إلى خدمته ويشرف ، ومن لم يفعل لا يمكن من خدمة تتعلق
بنا ، والسلام .

مضمار الحقائق لمحمد بن تقي الدين الأيوبي ص ٧٤

١٤٧ - مرسوم أصدره الناصر لدين الله بتولية ابن هبة رئاسة

اليهود سنة ٦٠٥ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الواجب شكره الغالب أمره ،
العلي شأنه ، القوي سلطانه ، السابغة نعمته ، البالغة حكمته ، المتفرد
بالجلال والاقتمدار ، المصرف على مشيئته مجاري الأفضية والأقدار ، الدال
على وحدانيته ببديع فطرته ، المانع بعجائب صنعته من أن يتقرر في
الأوهام كنه معرفته ، الهادي إلى سبيل الرشاد من يشاء من خلقه ،
الهامي سبحانه فضله على كل مقر برؤيته عارف بحقه ، الذي اصطفى

محمداً صلى الله عليه وآله من أكرم أرومة وأعلى محتد وجرثومة ، وأشرف
 العرب منصباً وأعزها قبيلًا وأوضحها في المكارم سبيلاً ، أرسله إلى
 الأحمر والأسود نبياً ، واختاره من أصناف الأمم عربياً ، وأيده
 بالحكم أمياً ، وجعله منصوراً بلائكته محمياً ، وابتعثه بالبرهان الساطع
 والدليل القاطع ، ونسخ بشريعته المطهرة الملل السالفة والشرائع ، فلم
 يزل ، صلى الله عليه وسلم وآله بأمر الله صادعاً ، ولأنف الباطل
 قارعاً ، ولما أنزل الله مبلغاً ، وجهده في نصح الأمة مستفرغاً .
 فصلى الله عليه وعلى آله وعلى سلالة عمه ووارثه وصنو أبيه العباس الذي
 طهره الله من الأدناس وفرض مودتهم وطاعتهم على جميع الناس الخلفاء
 الراشدين وأئمة الحق المجتهدين ، صلاة لا انقشاع لغمامها ، ولا انقطاع
 لتواصل دوامها . والمحمد لله الذي أصر إلى خليفته في أرضه ونائبه
 في خلقه الإمام المفترض الطاعة على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير
 المؤمنين ووارث الأنبياء والمرسلين حجة الله على الخلق أجمعين ، من
 موارد أنبيائه ومآثر خلفائه في أرضه وأمنائه ما هو أحق بحيازة
 مجده وارتدائه علائه ، وأخذ ميثاق طاعته على الأمم في الأزل ،
 وألزم الأواخر منهم ما ألزم الأول . وفرض على خلقه الإقتداء به
 والإنتماء ، وجاز له وراثته الخليفة عن الخليفة والإمام عن الإمام ،
 زاده الله شرفاً إلى شرفه ، وأدام على العالمين ما منحهم به من شمول
 عدله وحصانة كنفه . فالمسلم والذمي والمعاهد في ظل أيادي الشريفة
 وادعون ، وفي رياض الأمانة راتعون ، وبما يكلامهم من عين راقته
 يقضى حاجعون ، لا يكدر لهم شرب ولا يذعر لهم سرب ، وحكم
 عدله يوجب النظر العام في مناسظم أمرهم وجوامع مصالحهم ورعاية
 جمهورهم ، لما وكله الله تعالى إليه من سياسة عبادته ، وناطه بتشريف
 آرائه واجتهاده .

ولما ضرع دانيال بن العازر بن هبة الله في ترتيبه رأس مشية اليهود عوضاً عن العازر بن هلال بن فهد الدراج على قاعدته وجري عاداته ، وانتهى ما يتحلى به عند أهل نخلته ويتصف به واستحقاقه ، ولما ضرع فيه بحسن طريقتهم وسلامة مذهبه رسم - أعلى الله تعالى المراسم الشريفة المقدسة المعظمة الممجدة المكرمة النبوية الإمامية الطاهرة الزاكية الناصرة لدين الله زادها الله جلالاً تمتد الرواق ونفاذاً في الأقطار والآفاق - ترتيبه رأس مشية اليهود على عادة الدراج المشار إليه حيث كان ابن الدستور رأس مشية أيضاً ، وأن يكون له النظر في ما كان للدراج النظر فيه والأولوية عليه من جميع الأماكن التي جرت عاداته بتوليها والتصرف فيها ، وأن يتميز عن نظرائه وأشكاله باللبسة التي عهدت لأمثاله . وسبيل طوائف اليهود وحكامهم بمدينة السلام وأكناف العراق الانتهاء في ذلك إلى المأمورية والرجوع إلى قوله في توسط أمورهم والعمل بموجبه ، وأن يخرجوا إليه من الرسوم التي جرت عادة من تقدمه بها بالأماكن التي كان يتصرف فيها من غير معارضة له في ذلك ، مع قيامه في ما يأتيه ويذره بشرائط الذمة والتزامه ومحافظته بالإمتثال وبواجب الإعتصام والإجلال إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة . وكتب في تاسع ذي القعدة من سنة خمس وسبعمائة ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الذي ختم النبيين وهو سيد المرسلين المصطفى على سائر الخلق أجمعين صلاة دائمة إلى يوم الدين .

الجامع المختصر لابن الساعي ٢٦٦ - ٢٦٩

— السياسة الخارجية —

١٤٨ - رسالة المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر لما وجه وصيفاً في جيش لصد غزو الروم ولفزوم في ديارهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد ، فإن الله ، وله الحمد على الآثمة والشكر على جميل بلائهم ، اختار الإسلام وفضله وأتمه وأكمله وجعله وسيلة إلى رضاه ومثوبته ، وسبيلاً نهجاً إلى رحمته وسبباً إلى مذخور كرامته فقهر له من خالفه وأذل له من عند عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، وخصه بأتم الشرائع وأكملها ، وأفضل الأحكام وأعدلها ، وبمعث به خيرته من خلقه وصفوته من عباده محمداً ﷺ ، وجعل الجهاد أعظم فرائضه منزلة عنده وأعلاها رتبة لديه وانجحها وسيلة لديه ، لأن الله عز وجل أعز دينه وأذل عتاة الشرك . قال الله تعالى آمراً بالجهاد ومفترضاً له : إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١) ، وليست تقضي بالجهاد في سبيل الله حال لا يكابد في الله نصيباً ولا أذى ولا ينفق نفقة ولا يقارع عدواً ولا يقطع بلداً ولا يطمأ أرضاً إلا وله بذلك أمر مكتوب وثواب جزيل وأجر مأمول . قال الله عز وجل :

(١) سورة التوبة : الآية ٤١ .

ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يعيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن مما كانوا يعملون (١) ، ثم أثنى الله عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده وما وعدهم من جزائه ومثوبته وما لهم من الزلفى عنده فقال : لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضلل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكثيراً وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً (٢) . فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وجعل جنته ثناً لهم ورضوانه جزاء لهم على بذلها وعداً منه حقاً لا ريب فيه وحكماً عدلاً لا تبدل له . قال الله عز وجل : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي يبيعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم (٣) ، وحكم الله عز وجل لأحياء المجاهدين بنصره والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة والزلفى لديه والحظ الجزيل من ثوابه فقال : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلقهم إلا

(١) سورة التوبة : الآيتان ١٢١ و ١٢٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ٩٥ ،

(٣) سورة التوبة ، الآية ١١٢ .

خوف عليهم ولا هم يحزنون (١) ، وليس من شيء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ويسعون به في حط أوزارهم وفسكالك رقابهم ، ويستوجبون به الثواب من ربهم إلا والجهاد عنده أعظم منه منزلة وأعلى لديه رتبة وأولى بالفوز في العاجلة والآجلة ، لأن أهله بذلوا لله أنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا ، وسمحوا بها دون من وراءهم من إخوانهم وحريم المسلمين وبيضتهم ووقفوا بجهادهم العدو .

وقد رأى أمير المؤمنين ، لما يحبه من التقرب إلى الله بجهاد عدوه وقضاء حقه فيما استحفظه من دينه والتاس الزلفى لديه في إعزاز أوليائه وإحلال البأس والنقمة بين حاد عن دينه وكذب رسله وفارق طاعته أن يُنْهَضَ وصيفاً مولى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة الروم غازياً لما عرف الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ومحمود تعبثته وخلوص نيته في كل ما قر به من الله ومن خايفته ، وقد رأى أمير المؤمنين . والله ولي معونته وتوفيقه ، أن يكون موافاة وصيف فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكريته ثغر ملطية لاثنتي عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وذلك من شهور العجم للنصف من حزيران ، ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تموز . فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عمك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا ومرهم بقراءته على من قبلهم من المسلمين ، وترغيبهم في الجهاد وحشهم عليه واستنفارهم إليه وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله ليحصل ذوو النيات والحسبة والرغبة في الجهاد على حسب ذلك في النهوض إلى

(١) سورة آل عمران : الآية ١٧٠ .

عدوهم والخفوف إلى معارضة اخوانهم والذيادة عن دينهم والرهي من وراء حوزتهم بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين ملطية في الوقت الذي حده أمير المؤمنين لهم ان شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب أحمد بن الخصب لسبع ليال خلون من المحرم سنة ثمان وأربعين ومائتين .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٤٠٦ - ٤٠٨

١٤٩ - رسالة إلى المعتضد من عامل نخرطرسوس يخبره بانجاز عملية الفداء بين المسلمين والروم سنة ٢٨٣ هـ وكان المتولي لهذا العمل من المسلمين أحمد بن طغان .

بسم الله الرحمن الرحيم . أعلمك ان أحمد بن طغان نادى في الناس يحضرون الفداء يوم الخميس لأربع خلون من شعبان سنة ٢٨٣ هـ . وإنه قد خرج إلى اللامس ، وهو معسكر المسلمين ، يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان وأمر الناس بالخروج معه في هذا اليوم ، فصلى الجمعة وركب من مسجد الجامع ومعه راغب ومواليه وخرج معه وجوه البلد والموالي والقواد والمطوعة بأحسن زي ، فلم يزل الناس خارجين إلى اللامس إلى يوم الاثنين لثمان خلون من شعبان . فجرى الفداء بين الطرفين إثني عشر يوماً . وكانت جملة من فودي به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس ؛ وأطلق المسلمون يوم الثلاثاء لسبع بقين من شعبان سيمون رسول ملك الروم ، وأطلق الروم يحيى ابن عهد الباقي رسول المسلمين المتوجه إلى الفداء وانصرف الأمير ومن معه .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨ - ١٧٦

١٥٠ - رسالة ملك الروم إلى ملك الصقالبة :

هاجم الصقالبة القسطنطينية وحاصروها وضيقوا الخناق عليها فأرسل ملك الروم إلى ملك الصقالبة يقول :
إن ديننا ودينكم واحد فعلام تقتل الرجال بيننا ؟

١٥١ - جواب ملك الصقالبة :

إن هذا ملك آبائي ولست منصرفاً عنك إلا بغلبة أحدنا للآخر .
تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨ - ١٧٥

١٥٢ - رسالة عامل الثغر إلى الوزير علي بن عيسى بشأن معاملة

الروم أسرى المسلمين لديهم .

إن أسارى المسلمين في بلد الروم كانوا على رفق وصيانة إلى أن ولي آنفاً ملك الروم حدثان منهم فمسفأ الأسرى وأجاعهم وأعريهم وعاقبهم وطالبهم بالتنصر ، وإنهم في عذاب شديد ولا حيلة لي في هذا ؛ والخليفة لا يساعدني فكنت أنفق الأموال وأجهز الجيوش إلى القسطنطينية .

المنتظم لابن الجوزي ج ٦ - ٣٢٥

١٥٣ - رسالة بطريك انطاكية وجاثليق القدس إلى ملكي الروم :

طلب الوزير علي بن عيسى من بطريك انطاكية وجاثليق القدس أن يطلبوا من ملكي الروم أن يحسنا معاملة أسرى المسلمين لديها ، فكتبا إليها يقولان :

إنكما قد خرجتما بما فعلتما عن ملة عيسى عليه السلام ، وليس لكما الإضرار بالأسارى فإنه يخالف دينكما وما يأمركما به المسيح ، فإمسا زلتما عن هذا الفعل وإلا حرمتكما ولعناتكما على هذين الكرسيين .

المنتظم لابن الجوزي ج ٦ - ٣٥٣

١٥٤ - رسالة من ملوك الروم إلى الرازي بالله سنة ٣٣٦ هـ في طلب الهدنة . وكانت الكتابة الرومية بالذهب والترجمة العربية بالفضة . وكان عنوان الكتاب : من رومانس وقسطنطين واسطفانس عظماء ملوك الروم إلى الشريف البهي ضابط سلطان المسمين .

باسم الاب والابن والروح القدس الإله الواحد . الحمد لله ذي الفضل العظيم الرؤوف بعباده الجامع للمفترقات والمؤلف للأمم المختلفة في العدارة حتى يصيروا واحداً [ولما بلغنا مارزقته أيها الأخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الأدب واجتماع الفضائل أكثر ممن تقدمك من الخلفاء حمدنا الله تعالى إذ جعل في كل أمة من يمثّل أمره . وقد وجهنا شيئاً من الألفاظ وهي أقداح وجرار من فضة وذهب ، وجواهر وقضبان فضة وسقور وثياب سقلاطون ونسيج ومناديل وأشياء كثيرة فاخرة]^(١) .

١٥٥ - جواب الرازي بالله على الرسالة السابقة :

من عبد الله أبي العباس الإمام الرازي بالله أمير المؤمنين إلى رومانس وقسطنطين واسطفانس رؤساء الروم . سلام على من اتبع الهدى وتمسك بالعروة الوثقى وسلك سبل النجاة والزلفى ... ثم أجابهم لما طلبوا .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٣ ، ٢٦٢ - ٢٦٣

١٥٦ - رسالة جوابية من الأخشيدي إلى ملك الروم أرمانوس الذي كان أرسل له كتاباً يذكر فيه أنه ليس من عاداته أن يرسل إلا الخليفة . والكتاب من إنشاء إبراهيم بن عبد الله النجيري . أما بعد : فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا وإسحاق رسوليك

(١) مابين الحاصرين من المنتظم لابن الجوزي ٦٥ - ٢٩٣ .

فوجدناه مفتتحاً بذكر فضيلة الرحمة ، وما نبني عنا إليك وصح من شيمنا فيها لديك ، وما نحن عليه من المهدلة وحسن السيرة في رعايانا ، وما وصلتَ به هذا القول من ذكر الفداء والتوصل إلى تخليص الأسرى ، إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهمناه .

فأما ما أطنبت فيه من فضيلة الرحمة ، فمن سديد القول الذي يليق بذوي الفضل والنبيل ؛ ونحن بحمد الله ونعمه علينا عارفون ، وإليه راغبون وعليه باعثون ، وفيه بتوفيق الله إيانا مجتهدون وبسه متواصلون وعاملون ، وإياه نسأل التوفيق لمرشد الأمور وجوامع الصالح بنه وقدرته .

وأما مانسبته إليّ أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فإننا نرغب إلى الله جل وعلا الذي تفرد بكمال هذه الفضيلة ووهبها لأوليائه ثم أتاهم عليها ، أن يوفقنا لها ويحملنا من أهلها ، وييسرنا للاجتهاد فيها والاعتصام من زيغ الهوى عنها ، وعيرَةِ القسوة بها ، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك موقوفاً على طاعته وموجبات مرضاته حتى نكون أهلاً لما وصفتنا به وأحق حقاً بما دعوتنا إليه ممن يستحق الزلفى من الله تعالى ، فإننا فقراء إلى رحمته ، وحق لمن أنزله الله بحيث أنزلنا وحمله من جسيم الأمر ما حملنا ، وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بوالاة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أن يبتهل إلى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده ، ومن لم يحمل الله له نوراً فما له من نور .

وأما ما وصفته عن ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المكتوبة لما يقتضيه عظم ملككم ، وإنه الملك القديم الموهوب من الله ، الباقي على الدهر ، وإنك إنما خصصتنا بالمكتوبة لما تحققت من حالنا

عندك ، فإن ذلك لو كان حقاً ، وكانت منزلتنا كما ذكرته تقصر عن منزلة من تكاتبه ، وكان لك في ترك مكاتبتنا غنم ورشد ، لكان من الأمر البين ان أحظى وأرشد وأولى بمن حل محلك أن يعمل بما فيه صلاح رعيته ، ولا يراه وصية ولا نقيصة ولا عيباً ، ولا يقع في معاناة صغيرة من الأمور تعقبها كبيرة . فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار ويخوض الغبار ، ويعرض مهجته فيما ينفع رعيته ، والذي تجشمته من مكاتبتنا ، إن كان كما وصفته ، فهو أمر سهل يسير لأمر عظيم خطير ، وجل نفعه وصلاحه وعائده تخصم ، لأن مذهبنا انتظار إحدى الحسينين ، فمن كان منا في أيديكم فهو على بينة من ربه وعزيمة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو لسبيله ، وإن في الأسرى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا وخيرها الحسن منقلبه وحميد عاقبته ، ويعلم ان الله تعالى قد أعاده من أن يفتنه ، ولم يعذه من أن يبتليه . هذا إلى أوامر الإنجيل الذي هو إمامكم وما توجه به عليكم عزائم سياستكم ، والتوصل إلى استنقاذ اسرائلكم ، ولولا ان إيضاح القول في الصواب أولى بنا من المساحة في الجواب لأضربنا عن ذلك صفحاً ، إذ رأينا أن نفس السبب الذي من أجله سما إلى مكاتبته الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أو عدا عنهم إلى من حل محلنا في دولتهم ، بل إلى من لزل عن مرتبتنا ، هو أنه لم يثق من منعه ورد ملتسه ممن جاوره ، فرأى أن يقصد به الخلفاء الذين الشرف كله في إجابتهم ، ولا عار على أحد ، وإن جل قدره ، في ردمه ، ومن وثق بنفسه ممن جاوره وجد قصده أهون السبيلين عليه وأدناها إلى إرادته ، حسب ما تقدم لها من تقدم ، وكذلك كاتب من حل محلك من قصر عن محلنا ولم يقرب من منزلتنا ، فما لکننا عدة ، كان يتقلد في سالف الدهر كل مملكة منها ملك عظيم الشأن .

فمنها ملك مصر الذي أظنى فرعون على خطر أمره حتى ادعى الألوهية . واقتخر على نبي الله موسى بذلك .

ومنها ممالك اليمن التي كانت للتبابعة والإقبال العباهلة ملوك حمير على عظم شأنهم وكثرة عددهم .

ومنها أجناد الشام التي منها :

جند حمص وكانت دارهم ودار هرقل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها . ومنها :

جند دمشق على جلالاته في القديم والحديث ، واختصار الملوك المتقدمين له . ومنها :

جند الأردن على جلالة قدره وإنه دار المسيح صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والحواريين . ومنها :

جند فلسطين وهي الأرض المقدسة وبها المسجد الأقصى وكرسي النصرانية ومعتقد غيرها ، ومحج النصارى واليهود طراً ، ومقر داود وسليمان ومسجدهما ، وبها مسجد إبراهيم وقبره وقبر إسحاق ويعقوب ويوسف وإخوته وأزواجهم عليهم السلام ، وبها مولد المسيح وأمه وقبرها .

هذا إلى ما انتقله أمر مكة المكرمة المحفوفة بالآيات الباهرة والدلالات الظاهرة ، فإننا لو لم نتقلد غيرها لسكانت بشرفها وعظم قدرها ، وما حوت من الفضل توفي على كل ملكة : لأنها محج آدم ومحج إبراهيم وإرثه ومهاجره ومحج سائر الأنبياء وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام ، وداره وقبره ومنبت ولده ، ومحج العرب على مر الحقب ومحل أشرافها وذوي أخطارها على عظم شأنهم وفخامة أمرهم ، وهذا البيت العتيق المحرم المحجوج إليه من كل فج عميق الذي يعترف بفضله وقدمه أهل

الشرف ، من مضى ومن خلف ، وهو البيت المعمور وله الفضل المشهور .
ومنها مدينة الرسول ﷺ المقدسة بتربيته ، وإنها مهبط الوحي
وبيضة هذا الدين المستقيم الذي امتد ظله على البر والبحر والسهل والوعر
والشرق والغرب وصحارى العرب على بعد أطرافها وتنازع أقطارها
وكثرة سكانها في حاضرتها وباديتها ، وعظمتها في وفودها وشذتها وصدق
بأسها ونجديتها وكبر أحلامها وبعد مرامها ، وانعقاد النصر من عند
الله براياتها ، وإن الله تعالى أباد خضراء كسرى ، وشرذ قيصر عن
داره وحل عزه ومجده بطائفة منها . هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا
وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسي من أعظم كراسيكم . بيت المقدس
وانطاكية والاسكندرية ، مع ما إلينا من البحر وجزائره واستظهارنا
بأتم العتاد . وإذا وفيت النظر حقه علمت ان الله تعالى قد اصطفانا
يجل الممالك التي ينتفع الأنام بها ، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف
كله دنيا وآخرة ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك فوق
كل منزلة ، والحمد لله ولي كل نعمه .

وسياستنا لهذه الممالك قريها وبعيها ، على عظمتها وسعها ،
بفضل الله علينا وإحسانه إلينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا كما كتبت إلينا
وصح عندك من حسن السيرة ، وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات
من الأولياء والرعية ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ويوسعها الأمن
والدعة في المعيشة ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرأ على نعمه التي تفوت عندنا عدد
العادين وإحصاء المجتهدين ونشر الناشرين وقول القائلين وشكر الشاكرين .
ونسأله أن يجعلنا ممن تحدث بنعمته عليه شكراً لها ، ونشراً لما منحه

الله منها ومن رضى اجتهاده في شكرها ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وكان سعيه مشكوراً إنه حميد مجيد .

وما كنت أحب أن أباهيك بشيء من الدنيا ، ولا أتجاوز الإستيفاء لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذي كرمه وظهره ، لكنك سلكت مسلكاً لم يحسن أن نعدل عنه ، وقلت قولاً لم يسعنا التقصير في جوابه .

ومع هذا فإننا لم نقصد فيما وصفناه من أمرنا مكاثرتك ، ولا اعتمادنا تعيين فضل لنا نعوذ به ، إذ نحن نشكرم ، ونرى أن نكرمك عند محلك ومنزلتك وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك في الخير ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن في يدك من أسرى المسلمين ، وعطفك عليهم ، وتجاوزك في الإحسان إليهم جميع من تقدمك من سلفك ، ومن كان محموداً في أمره رغباً في محبته ، لأن الخير أهل أن يجب حيث كان . فإن كنت تؤهل لمكاتبتك ومماثلتك من اتسعت مملكته وعظمت دولته وحسنت سيرته ، فهذه بمالك عظمة واسعة جمة وهي أجل الممالك التي ينتفع بها الأنام وسر الأرض المخصوصة بالشرف ، فإن الله قد جمع لنا الشرف كله ، والولاء الذي جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - مخصوصين بذلك إلى ما لنا بقدينا وحديثنا وموقفنا ، والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنا ذلك بمنه وإحسانه ، ومنه نرجو حسن السعي فيما يرضيه بلطفه ، ولم ينطو عنك أمرنا فيما اعتمادناه .

وإن كنت تجري في المكاتبة على رسم من تقدمك فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل

محلنا ولا أغنى غناؤنا ولا ساس في الأمور سياستنا، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ما قلنا ، ولا فوض إليه ما فوض إلينا ، وقد كوتب أبو الجيش خماروية بن أحمد بن طولون . وآخر من كوتب تكين مولى أمير المؤمنين ، ولم يكن يتقلد سوى مصر وأعمالها .

ونحن نحمد الله كثيراً أولاً وآخرأ على نعمه التي يفوت عندنا عددها عد العادين ونشر الناشرين ، ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة ، ولكن قصدنا بما عددناه من ذلك حالاتٍ : أولها التحدث بنعمة الله علينا ، ثم الجواب بما تضمنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكاتبة ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك .

وعندنا قوة تامة على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى ، وشكراً وافٍ لما توليهم وتتمواخاه من مسرتهم إن شاء الله تعالى وبه الثقة . وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة والتوفيق للسداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يحبه ويرضاه ويثيب عليه ويرفع في الدنيا والآخرة أهله بمنه ورحمته .

وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر لأنه موهوب لكم من الله خاصة ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، وإن الملك كله لله يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء وينزل من يشاء بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير . وإن الله عز وجل نسخ مملك الملوك وجبرية الجبارين بنبوة محمد ﷺ ، وشفع نبوته بالإمامة وحازها إلى العترة الطاهرة من العنصر الذي منه أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - والشجرة التي منها غصنه

وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر ، ويلقيها ماض إلى
غابر ، حتى نجز أمر الله ووعدده ، ويهر نصره وكلمته وأظهر حجته
واضاء عمود الدين بالأئمة المهديين وقطع دابر الكافرين ليحقق الحق ويبطل
الباطل ولو كره المشركون حتى يرث الله الأرض ومن عليها وإليه
يرجعون .

وإن أحق مثلك أن يكون من عند الله وأولاه وأخلقه أن
يكنفه بحراسته وحياطته ، ويحفه بمره وأيده ، ويجله بهاء السكينة في
بهجة الكرامة ويحمه بالبقاء والنجاة ما لاح فجر وكر دهر ، مثلك
إمامة عادلة خلفت نبوة فجرت على رسمها وسننها ، وارتسمت أمرها
وأقامت شرائعها ودعت إلى سبلها ، مستنصرة بأيدها متنجزة لوعدها ،
وإن يوماً واحداً من إمامة عادلة خير عند الله من عمر الدنيا
تلكاً وجبرية .

ونحن نسأل الله تعالى أن يسديم نعمه علينا وإحسانه إلينا بشرف
الولاية ، ثم بحسن العاقبة بما وفرّ علينا فخره وعلاه ومجسده وإحسانه
إن شاء الله وبه الثقة وهو حسبنا ونعم الوكيل .
وأما الفداء ورأيك في تخليص الأسرى ، فإننا وإن كنا واثقين
لمن في أيديكم بإحدى الحسينيين وعلى بينة لهم من أمرهم ، وثبات من
حسن العاقبة وحسن المثوبة ، عالمين بالهم ، فإن فيهم من يؤثر مكانه
من ضحك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا ولذتها ، سكوناً إلى
ما يتحققه من حسن المنقلب وجزيل الثواب ، ويعلم أن الله قد
أعاده من أن يفتنه ، ولم يعذه من أن يبتليه ، وقد تبينا مع ذلك
في هذا الباب ما شرعه لنا الأئمة الماضون والسلف الصالحون فوجدنا

ذلك موافقاً لما التمسته وغير خارج عما أحييته ، فسررنا بما تيسر منه ، وبعثنا الكتب والرسل إلى عمالنا وسائر أعمالنا وعزمنا عليهم في جمع كل من قبلهم واتباعهم بما وفر الإيمان في إنفاذهم وبدلنا في ذلك كل ممكن ؛ وأخرنا إجابتك عن كتابك ليتقدم فعلنا قولنا وانجازنا وعدنا ، ويوشك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن المواقع منك إن شاء الله .

وأما ما ابتدأتنا به من المواصلة واستشعرته لنا من المودة والمحبة ، فإن عندنا من مقابلة ذلك ما توجيه السياسة التي تجتمعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلفنا على تباين النحل ، فإن ذلك من الأسباب التي تخصنا وإياك ، ورأينا في تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رسلك وبسطهم ، والإستماع منهم والإصغاء إليهم والإقبال عليهم ، وتلقينا انبساطك إلينا وإلطفك إيانا بالقبول الذي يحق علينا ، ليقع ذلك موقعه ، وزدنا في توكيد ما اعتمده ما حملناه رسلك في هذا الوقت على استقلالنا إياه من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بمدله وحكمته أودع كل قرية صنفاً ، ليتشوف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سبباً لعمارة الدنيا ومعايش أهلها ، ونحن نفرذك بما سلناه إلى رسولك لتقف عليه إن شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذنا لهم في البيع وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه لأننا وجدنا جميعه بما لا يحظره علينا دين ولا سياسة وعنسدنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك والحرص على عمارة ما بدأنا به ورعايته ، ورب ما غرسته ، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك والله يعين على ما نتويه من جميل ونعتقد من خير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتداءً يجميل لزمه الجري عليه والزيادة ، ولا سيما إذا كان من أهله وخليقاً به ، وقد ابتدأتنا بالمؤانسة والمباينة ، وأنت حقيق بعمارة ما بيننا ، وباعتادنا بجوانحك وعوارضك قبلنا ، فابشر بتيسير ذلك إن شاء الله .

والحمد لله أحق ما ابتدئ به وختمت بذكره . وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة وعلى آله وسلم تسليماً .
صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧ ، ١٠ - ١٨

١٥٧ - رسالة ابن طولون إلى عامله على الثغور بعدم منح الهدنة للروم .

تولى ابن طولون أمرة الثغور فوضع عاملاً عليها من قبله ، وحارب هذا العامل الروم وانتصر عليهم ، فطلب ملك الروم الهدنة ، فأرسل العامل إلى ابن طولون يستأذنه في ذلك فرفض ابن طولون وأجابته : إنما حملهم على ذلك تخريبكم لقلاعهم وحصونهم فيكون في الصلح راحة لهم . فحاش الله منه .

كتاب العبر لابن خلدون ج ٤ ، ٦٤٢ - ٦٤٣

١٥٨ - رسالة نقفور فوكاس ملك الروم الجوابية لأهل طرطوس والمصيصة .

حارب نقفور أهل الثغور حتى ضعفوا كل الضعف ولم ينجدهم أحد ، فأرسلوا إليه يمرضون عليه أتاة يؤدونها له : وقد أوشك أن يقبل ذلك لولا أنه عرف شدة ضعفهم فرفض وقال لرسولهم : مثلكم مثل الحية في الشتاء إذا لحقها البرد ذبلت وضعفت حتى يقدر من رآها انها قد ماتت ، فإن أخذها إنسان وأحسن إليها وأدفاها

انتعشت ولدغته ، وأنتم إنما بجهتم بالطاعة لما ضعفتم ، وإن تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم .

ثم قال للرسول : امض إليهم وعرفهم أن ليس عندي إلا السيف .
تجارب الامم لابن مسكويه ج ٢ - ٢١٠

١٥٩ - رسالة نقفور فوكاس إلى أهل المصيصة وذلك بعد أن حاصرها كل الحصار وضايقتها كل المضايقة ثم انصرف عنها بعد أن أرسل إلى أهلها يقول :

إني منصرف عنكم لا لمجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوقة ، وأنا عائد إليكم بعد هذا الوقت ، فمن أراد منكم الانتقال إلى بلد آخر قبل رجوعي فلينتقل ، ومن وجدته بعد عودتي قتلته (١) .
تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ - ٢٠٣

١٦٠ - رسالة لؤلؤ غلام أبي الفضائل الحمداني إلى ملك الروم باسيل .

كان بين الحمدانيين في حلب وباسيل ملك الروم معاهدة ، وحدث أن أرسل العزيز الفاطمي جيشاً بقيادة منجوتكين فحاصر حلب وفيها أبو الفضائل الحمداني وغلماه المستبد به لؤلؤ ، فلما ضاق الحال بها أرسل لؤلؤ إلى باسيل ملك الروم يستنجده ويقول :
مق أخذت حلب فتحت إنطاكية بعدها وأتعبك التلافي ، وإذا سرت بنفسك حفظت البلدين جميعاً وسائر الأعمال .

١٦١ - رسالة لؤلؤ إلى منجوتكين لما اقترب جيش باسيل منه :
كان هم لؤلؤ إبعاد الفاطميين لا دمارهم ، ولذلك لما اقترب جيش

(١) أورد ابن الاثير في الكامل نصاً أقل تفصيلاً من نصنا أعلاه ج ٨ - ٥٥٣ .

باسيل منهم ارسل إلى منجوتكين يقول :
إن عصمة الإسلام الجامعة لنا تدعوني إلى إنذاركم والنصح لکم ،
وقد أظلمكم بسيل في جيوش الروم فخذوا الحذر لأنفسكم .
ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج ٣ ، ٢٢٠ - ٢٢١

١٦٢ - رسالة شفوية من رسول عضد الدولة إلى ملك الروم .

أرسل عضد الدولة ان شهرام رسولاً إلى ملك الروم من أجل
الوصول إلى عقد اتفاق هدنة ، ولكنه لم ينجح وصادف صعوبات كثيرة
لتعدد الأحزاب حول الملك وتضارب آرائها ومصالحها . فقرر ابن
شهرام استعمال ذكائه وأرسل مع شخص من حاشية الملك استأله إليه
هذه الرسالة الشفوية وطلب تبليغها للملك :

أريد أن تحمل عني رسالة إلى ملك الروم فقد طال مقامي وتعرفني
آخر ما عنده ، فإن فعل ما أريده وإلا فلا وجه لمقامي .
انه يجب عليك أولاً أن تحفظ أيها الملك نفسك ثم ملكك ثم
أصحابك ، ولا تثق بمن صلاحه في فسادك فإن معارضة أبي تغلب
عليك تم في بلد الروم ماجرى . وكيف تكون الحال مع عضد الدولة
إن عاون عليك أيها الملك ؟ ولماذا أرى أصحابك لا يريدون تمام الهدنة
بينك وبين أوجد الدنيا وملك الإسلام . والإنسان لا يخفى عليه إلا
ما لم يجربه . وأنت فقد جربت سبع سنين عند عصيان من عصى
عليك للملك ، وملكك لا يبقى نفسك الروم (١) ، فما يبالون هذا إن
لم يتحرك هو بنفسه . وقد نصحت لما رأيت من ميل صاحبي إليك
وإثارة لك ، فتأمل خطابي واعمل بمد ذلك برأيك .

(١) هكذا بالأصل والمعنى مضطرب غير مفهوم .

١٦٣ - جواب ملك الروم لابن شهرام .

الأمر كما ذكرت ، ولكن ليس يمكن مخالفة الجماعة ويروني بصورة من قد خانهم وأهلكهم ، ولكن سأتمم الأمر وأفعل كل ما يمكن فعله .
ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج ٣ ، ٢٤ - ٣٥

١٦٤ - رسالة ملك الروم إلى أهل بيروت .

احتل المعز الفاطمي قسماً من سورية ومن جملتها بيروت ووضع عليها والياً من قبله هو نصير الخادم . وقد استغل ملك الروم الفوضى التي انتشرت في سورية والصراع بين الأتراك والقرامطة والفاطميين فزحف على سورية حتى وصل إلى بيروت وحاصرها ، ومن ثم أرسل إلى أهلها يقول :

إني لا أريد خراب بلدكم وإنما أريد أن تسلموا إليّ هذا الخادم ومن معه وأجعل عندكم من قبلي من يدفع عن بلدكم .
وقد أجابوه إلى طلبه .

اتماظ الحنفا للمقريزي ص ٢٢٢

١٦٥ - رسالة الطانع لله إلى ركن الدولة البويهبي يخبره فيها بانتصار المسلمين على الروم وأسر الدمستق مليح في إحدى المعارك سنة ٨٣٦٢ وهي من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

أما بعد : فالحمد لله ذي المنة والطول والقدرة والحول والغلبة والصول ، المنفرد بكبريائه ، المنعم على أوليائه ، المنتقم من أعدائه ، رافع الحق ومعلية وقامع الباطل ومرديه ، ومعز الدين ومديله ، ومنزل الكفر ومذيله ، المنزل رحمته على من جاهد في طاعته ، المحل سطوته بن جاهر بمعصيته ، المتكفل بتأييد حزبه حتى يظفر ، وخذلان حربه

حتى يدحر ، الذي لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب . ولا يعييه
المعضل ولا يعجزه المشكل ، ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الأثقال ،
الواحد الذي لا شريك له ، الفرد الذي لا قرين له ، الغني المقتدر إليه ،
القوي المعتمد عليه ، بالغ أمره بلا مؤازر وممضي حكمه بلا مظاهر ، ذلكم الله
ربكم فادعوه مخلصين له الدين . والحمد لله الذي اختار لنا الإسلام ديناً وآثره
وأظهره على الدين كله ونصره وشرعه شرعاً لا ينسخ وعقده عقداً
لا يفسخ وجعله حقاً لا يدحض ، وأمره إمراراً لا ينقض ، وقضى
له بعز المرافقين وذل المنافقين وظهور المعاضدين وثبور المعاندين ،
واصطفى محمداً ﷺ من أكرم المناسب ، واجتباها من أشرف المخاتد
والمناصب ، واستخلصه من أسرة هاشم ، وفضله على جميع بني آدم ،
وأيده بالملائكة المقربين وبعثه رسولاً إلى العالمين ، فأدى أمانة ربه
مخلصاً فصدع برسالته مبلغاً مخلصاً ، واستنقذ هذه الأمة من الفواية ،
وعرفها طرق الهداية وسلك بها سواء المحجة ودعاها إلى الحق بأوضح
حجة ، وعدل بها عن عبادة الأوثان إلى طاعة الرحمن ، وعن طريق
الشیطان إلى أرشاد الأديان ، فأصبح الناس على التعاطف والائتلاف
عاكفين ، وعن التهارج والاختلاف عازفين ، إخواناً في ذات الله
متوازرين ، وأقراناً في السعي لرضاه متضافرين ، يرمون أعدائهم عن
يد وساعد ، ويرصدون لهم أرصاد رجل واحد ، نعمة من الله أسبغها
عليهم ، وموهبة أزها إليهم ، إذ يقول جل جلاله وعظمت كبرياؤه :
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (١) .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

والحمد لله الذي برأ أمير المؤمنين من شجرة النبوة الطيب ودرأه
من عنصرها الخالص المهذب ، وحباه بفضيلة الإمامة ورداه رداء
الكرامة ، وبوأه منازل أسلافه الطيبين وحاز له مواريثهم أجمعين ،
وأهدى لعظيم ما استرعاه ، وأعاناه على الإستقلال بما استكفاه ، وافترض
طاعته على عباده وخلقه ، وأنهضه فيهم بتأدية واجبه وحقه ، واختصه
بأمد في الخلافة أطاله ، ومدى فاته به نظراءه وأشكاله ، وحبب إليه
جواد العدل المنجية وجنبه عوادي الجور المردية ، فالدماء بسيادته
ساكنة ، والرعية برعايته آمنة ، والفتوح في أيامه متصلة متقاطرة ،
والغنائم على المسلمين ببركته داوة متواترة . وقد كنفه الله منذ منحه
فضيلة هذه الآلاء ، وحمله أوق هذه الأعباء منك - كلاك الله - ومن
ذوبك وولدك وولد أخيك بركن لدولته (١) لا يتزعزع ولا يتضمضع ،
وعضد (٢) لا يفت فيه ولا توطأ نواحيه ، وعز (٣) لا يضام ولا يرام ،
ومؤيد (٤) لا يعجز ولا ينكل ، وعمدة (٥) لا يضعف ولا يرام ولا
يفشل . فرايات أمير المؤمنين أين توجهتم بها منصوره ، وجيوشه أنى
صرفتموها ظافرة موفورة ، وعوائد الله عليه بكم وعلى أيديكم جارية
وفوائده إليه ببركتكم وينسكم متوافية . وأنت - حفظ الله النعمة فيك -
سنخ (٦) تلك الأرومة وعظيمها وعميد تلك الجرثومة وزعيمها . وقد
أنبئت خطيبتها وقوم أغصانها تخريمك ، وتشعبت شعبها من أصولك

(١) يقصد بركن دولته ركن الدولة البويهي .

(٢) يقصد بالعضد عضد الدولة البويهي بن ركن الدولة .

(٣) يقصد بالمز عز الدولة بن معز الدولة البويهي .

(٤) يقصد مؤيد الدولة أخا عضد الدولة .

(٥) يقصد عمدة الدولة أخا عز الدولة .

(٦) السنخ الأصل والأرومة أصل الشجرة ويقصد أنه هو أصل بني بويه .

واحتذت فروعها على تمثيلك ، وناب عز الدولة أبو منصور ، مولى
 أمير المؤمنين - أمتع الله به عينك وعين شيخه معز الدولة أبي الحسين
 تولاه الله بأوسع الرحمة وحرس الله فيك النعمة - أتم نيابة وأوفأها ،
 وخدم أمير المؤمنين أوفى خدمة وأشفاها ، لا يذخره نصحاً ولا يألوه
 جهداً في ضبط الثغور وسدها ، ورم الأمور وشدها ، وترتيب الأحراس
 بمراكزها وتسريب البعوث في مقاصدها ومجاهدة الكفار ومناضلة الأعداء
 ومدافعتها ، وإصلاح البلاد وعمارتها ورعاية الرعية وسياستها ، يسافر
 رأيهُ وهو دانٍ لم يبرح ، ويسير تديبره وهو ثاورٍ لم ينزح ، يتناول
 المعالي بصالب رأيهِ ، ويفترع الهضاب ببعيد همه ، ويصيب الأغراض
 بصائب سهمه ، ويطبق المفاصل بصواب عزمه . والله يتمتع أمير المؤمنين
 بك وبه . ويدافع له عنك وعنه ، فقد أرقدتما طرفه بتيقظكما وأرغدتما
 عيشه بحفظكما ، ووصلتما أيام دعتهُ بدأبكما ، وأطلتما زمان راحته
 بنصبكما ، ولا يخليه فيكما وفي أهليكما من نعمة يعتدها الأولى من نعمة
 عليه ، ومنحة يعتدها العظيم من منحة لديه بلطفه وعطفه وجوده ومجده .

وقد عرفت - أحسن الله الولاية فيك - ما كان من عظيم الروم
 لما تطاول بواسط مقامُ عز الدولة أبي منصور مولى أمير المؤمنين
 - رعاه الله - وثقته بعمد المسافة على أبي تغلب فضل الله ابن ناصر
 الدولة عامل أمير المؤمنين ، في الإستصراخ والإستنجاد ، وطول الشقة
 في الإستنفار والإستمداد ، وانتهازه هذه الفرصة واهتباله هذه الغرة
 ومسيره في العدد الجهم من الكفار وتناهيه في الإحتشاد والإستكثار ،
 وتوغله في دار الإسلام إلى نصيبين ، وإيقاعه ونكايته بمن بها من المسلمين
 والمهاجرين ، ووردت في أثر ذلك كتب أبي تغلب إلى أمير المؤمنين
 وإلى عز الدولة مولاه - حفظه الله وتولاه - بشكوى ما نزل به وحل

بساحته والتاس مدد يزيد في عهده ومنته ، فأهم أمير المؤمنين ماورد
منه طويلاً وأقلقه شديداً ، وبعثه على استقدام عز الدولة - كلاًه الله -
والجيوش التي برسمه - نصره الله ، فثنى عنانه إليها مسرعاً مبادراً ،
ولبى دعوته مجيباً مثابراً ، وعاد إلى مكانه من الخدمة ومقره من الحضرة
وامتثل أمر أمير المؤمنين في إيجاد أبي تغلب يجمع كثيف من الرجال
الذين يصلحون للقاء الروم ، وبالأبطال المختارة من طوائف الأعراب
والأكراد ، فتوافت هذه الجموع إليه وتكاثرت لديه ، واتفق والمجردون
من الحضرة على استنفاد الوسع والنصرة ، وتوكلوا جميعاً على رب العالمين ،
واستنجدوا بشعار أمير المؤمنين ، وأثروا في الطغاة الكفرة والبنفاة
الفجيرة أثراً بعد أثر ، وظفروا بهم ظفراً بعد ظفر ، إلى أن ختم الله
بورود الكتب مقتصاً فيها حال غزاة بعض أصحابنا بنواحي موش
وطرون^(١) ، وأنهم وردوا منها بلاداً قد اغتر أهلها بوعورة مسالكها
وخشونة مناهجها ، وظنوا أن الأمد في بلوغها بعيد ، والوصول إليها
شاق وشديد ، فأدال الله منهم وجعل الدائرة عليهم ، فملكوا قسراً
وقهراً ، وبولغ فيهم قتلاً وأسراً ، وامتألت أيدي المسلمين من السبي
والرحال والدواب والبنغال والأموال والأثقال والغنائم والأنفال ،
وانصرفوا غانقين سالمين ، والحمد لله حمد الشاكرين ، وإن عسكرياً لأعداء
الله خرج مع عدة من عظمائهم المعروفين بالزراورة إلى حصن للمسلمين
ببدليس وسميرام كان قد شحن بن يحميه ، ورتب فيه من الرجال من
يكفيه ، فلما نازلوه واستحكم طمعهم قياً حاولوه ، نهد لهم جميع أولئك
الرجال ، واستعانوا بالله ذي الجلال فرزقهم النصر عليهم وقتلوا عدداً
يفوت الإحصاء منهم ، والله الطول ومنه العون .

(١) من بلاد أرمينيا .

وتواترت بعد ذلك على أبي تغلب والمنفذين إليه أخبار عسكر بطن
هنزيط ونواحيه ومعبر الفرات وما يليه ، وذكر كثرة عُدده وعُدده
وعظم حشده ومدده ، فأنفذ أخاه هبة الله بن ناصر الدولة في معظم
الرجال الذين أمدده بهم عز الدولة - رعاه الله - إذ كانوا أقرى تلك
الطوائف المجتمعة لديه وأولاها بعائدة النصر والظفر عليه ، وفيمن
انضوى إليهم من قبائل الأعراب وصناديدها وفتاك الأكراد وصعاليكها ،
وساروا بصدور منشرحة وآمال منفسحة ، ووردوا ظاهر آمد يوم
الثلاثاء لثلاث ليال بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثائة ،
فعرفوا صحة خبر الدمستق لعنه الله وحصوله على أفواه الدروب في
خمسین ألف رجل ، منهم عشرون ألفاً من المدججة وذوي المراتب
المقدمة ، وتلوم (١) أصحابنا بها يريجون ، والكفرة على مسافة يوم منهم
مقيمون ، مرة تقدم بهم الأجال ، ومرة تهجم بهم الأوجال ، ثم
تداني الفریقان والتقت حلقتا البطان (٢) في يوم الجمعة الذي ختم الله
به شهر الصيام وحتم فيه الظهور للإسلام ، فثبت الطغاة اغتراراً بوفور
عددهم ومحاماة عن صاحبهم وعظيم كفرهم ، وأخذ الأولياء منهم بالخنق
وصدقوهم القتال في المعترك الضيق . فلما استعرت للملحمة وعلت الغميمة^ف
ودارت رحي الحرب واستحرج الطعن والضرب واشتجرت سمر الرماح
وتصافحت بيض الصفايح ، تداعى الأولياء بشعار أمير المؤمنين المنصور
وتنادى الكفار بالويل والثبور ، فنكصوا على أقدامهم مجسدين في
الهزيمة ، واعتدوا الحشاشات لو سلمت لهم من أعظم الغنيمة ، واستلحمتهم

(١) تلوم : تأخر .

(٢) البطان : الحزام الذي يوضع تحت بطن البعير . وهذا مثل يقال للأمر إذا اشتد
التقت حلقتا البطان .

السيوف واحتكمت فيهم الختوف ، وأخذ المسلمون منهم الثار وعجل الله بأرواحهم إلى النار ، وأمر بعد قتل ألوف منهم في المعركة الدمستق رئيس عساكرهم وقائدها ومدبر حروبهم ومرتبها ، وما أخذ المسلمون قبله دمستقاً ، وحصل معه المعروف بابن البلنطس وهو طريده (١) في الرئاسة ورسيه في السياسة ، وجماعة من البطارقة والزراورة والأراخنة والطراخنة ؛ قد أذهم الله بوثائق الأمر وأذاقهم وبال الكفر ، وأفاء على أوليائه الصالحين من الخيل والسواد والأسلحة والأسلاب ما ازدادت به قوتهم واشتدت معه شوكتهم .

وانبسط أهل الثغور في جميع غلاتهم مستبشرين وانتشروا في مسالكهم ومعايشهم آمنين مطمئنين ، ونفذ كتاب أمير المؤمنين إلى أبي تغلب بن ناضر الدولة وكتاب عز الدولة أبي منصور - تولاه الله - إليه وإلى من كان أنجده بهم ، بالإجماع على ما عملوه سالفاً ، والإرشاد إلى ما يعملونه آنفاً ، وأن يتناهاوا في التوثق من عدو الله الدمستق ومن قرينه ابن البلنطس والوجوه المأخوذين معها المأسورين بأسرهما ، وانقاذ رؤوس من قتل من الأكابر دون من يفوت الإحصاء من الأصاغر ، ففعلوا ذلك وورد مدينة السلام من هذه الرؤوس العدد الكثير الذي امتلأت به العيون قررة والصدور شفاء ومسرة . فالحمد لله الذي أنجز وعده وأعز جنده وجعل رايات أمير المؤمنين منصوره وعداته مقهورة ، وهو المسؤول إتمام ما أسدى من عارفة ومنة ، وإسباغ ما أولى من موهبة ونعمة .

أعلمك أمير المؤمنين بذلك لتأخذ - حفظك الله - بحظك الوافر منه

(١) طريده : الشخص الثاني والذي يليه مباشرة في الرتبة .

وتضرب بسهمك الفائز فيه ، إذ كان نتيجة تدبير عز الدولة - أمتع
الله ببقائه - الذي فضله منسوب إليك وجمال اثره عائد عليك ، ولتتقدم
باشاعته وإذاعته والتحدث به وإفاضته والكتاب بشرحه إلى الأعمال
التي قليك والأطراف المتصلة بنواحيك ، فيشترك الخاص والعام في
الجدل به ويستوي القاصي والداني في الابتهاج له إن شاء الله (١) .

مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي لعمر كمال توفيق

٢٠٣ - ٢١٠

١٦٦ - رسالة الامبراطور البيزنطي ترميسكس إلى أشوط الثالث

ملك أرمينيا عن فتوحاته وغزواته في بلاد الإسلام .

يا أشوط ، يا شاهنشاه أرمينية الكبرى ، يا بني الروحي ، انصت
إلي وتعلم الأعاجيب التي أتاها الرب لصالحنا ، وانتصاراتنا التي تنم
عن إعجاز والتي تدل على أنه يستحيل سبر غور العناية واننا نريد ،
يا صاحب للجد يا أشوط يا بني ، أن نطلعك على الدلائل الساطعة على
الفضل الذي أضافه الرب إلى نعمه هذا العام ، على يدي جلالتنا ،
وأن نبصرك بها . فأنت بوصفك مسيحياً وصديقاً وفيماً لجلالتنا سوف
تسمع بذلك وتلهج بعظمة مولانا المسيح السامية . وهكذا ستعرف أن
الرب لا يكف عن حماية المسيحيين ، وهو الذي أتاح لجلالتنا أن نخضع
كل بلاد الشرق الفارسي (٢) . وستعرف كذلك كيف استولينا على

(١) يذكر المؤلف أنه أخذ نص هذه الرسالة من كتاب المختار من رسائل الصاي
لشكيب ارسلان ، ١٨٩٨ م . ١٣٤٣-٥١ . ولم يقع بيد المؤلف الكتاب المذكور حق
يرجع إليه ، ولذلك اكتفينا بما أورده المؤلف هنا .
(٢) يبدو أن الامبراطور بشير هنا الى حملاته على شمالي العراق .

نصبيين مدينة المسلمين وعلى مخلفات القديس جاك (١) ، وكيف أخذنا منهم الأسرى . وكانت حملتنا تهدف أيضاً إلى الإقتصاص من كبرياء أمير المؤمنين وزهوه ، وهو مولى الأفريقيين المعروفين بالعرب المغاربة (٢) الذي تصدى لنا بقوات هائلة عرضت جيشنا في البداية للخطر ، ولكننا هزمتها بعد ذلك بفضل القوة وعون الرب ، فانسحبت في خسزي ، شأنها شأن أعدائنا الآخرين ، وعندئذ جعلنا من أنفسنا سادة على بلادهم ، وحكنا بقطع رقاب عدة أقاليم ، وبعد ذلك تعجلنا الإنسحاب وعدنا إلى قواعدنا الشتوية .

ولقد جهزنا جميع فرساننا في شهر إبريل وبدأنا حملتنا فدخلنا فينيقيا وفلسطين لمطاردة الأفريقيين الملاعين الذين كانوا أسرعوا إلى بلاد الشام ، وغادرنا انطاكية بكل جيشنا ، وفي تقدمنا المباشر اجتزنا تلك البلاد التي كانت من أملاكنا من قبل ، فأخضعناها من جديد لسلطاننا بأن فرضنا عليها جزية كبيرة واستولينا فيها على الأسرى ، وحين أدركنا مدينة حمص أقبل إلينا سكان المنطقة - وهم الذين كانوا يدفعون لنا الجزية - واستقبلونا بترحاب ، وانتقلنا بعد ذلك إلى بعلبك التي يطلق عليها أيضاً هليو بوليس ، أي مدينة الشمس : لأنها مدينة شهيرة عظيمة بمونة تمويهاً كاملاً كما أنها كبيرة ومرتفعة ، وحين خرج الأهالي علينا بشكل عدائي شتتهم قواتنا وأطاحت برؤوسهم بالسيوف ، وبعد عدة أيام بدأنا الحصار فأسرنا عدداً كبيراً من الشبان والفتيات ،

(١) هو القديس يوحنا النصيبى .

(٢) المقصود بامير المؤمنين هنا الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي احتل مصر وزحفت جيوشه إلى سورية واصطدمت بالبيزنطيين . كما وأن الأفارقة والعرب والمغاربة المذكورين هنا هم الفاطميون .

واستولت قواتنا على كثير من الذهب والفضة ، وكذلك على عدد ضخم من الماشية .

وواصلنا سيرنا متجين نحو مدينة دمشق بغية محاصرتها ، إلا أن حاكمها ، وكان شيخاً على قدر كبير من الحكمة (١) ، بعث إلى جلالتنا برسول يحملين بالهدايا الثمينة ، ومكلفين بأن يتوسلوا إلينا ألا نحيلهم إلى رقيقتي وألا نخرب بلدنم مثلما فعلنا ببعلبك وأهلها . ولقد قدموا إلينا هدايا فخرمة وعدداً من الخيول الثمينة والبغال الجميلة المزودة بسروج رائعة مزينة بالذهب والفضة ، وقد وزعنا على جنودنا الخراج الذي تلقيناه من العرب وكان مقداره يبلغ أربعين ألفاً من التاهيجانات (٢) ، وقدم الأهالي إلينا وثيقة يتعهدون فيها بأن يظلوا دوماً وجيلاً بعد جيل على طاعتنا ، ولقد نصبنا لحكم دمشق رجلاً جليلاً من بغداد يسمى التركي (٣) ؛ وقد أتى بصحبة خمسمائة فارس ليقدم لنا الولاء (٤) . وكان اعتنق الدين المسيحي ، وقبل ذلك كان اعترف بسيادتنا . ولقد أدى جميع هؤلاء اليمين قاطعين على أنفسهم العهد بأن يدفعوا خراجاً دائماً ، وصاحوا هاتفين : المجد لجلالتكم . كما انهم تعهدوا في الوقت ذاته بمحاربة أعدائنا ، وبمقتضى هذه الشروط ارتضينا أن ندعهم وشأنهم . واتجهنا بعد ذلك إلى بحيرة طبرية ، هناك حيث أتى مولانا المسيح بمجزته - بسمكتين وخمسة أرغفة من الخبز - واعتزمتنا محاصرة المدينة

-
- (١) يقصد أفتكين التركي الذي كان حاكم دمشق لما وصلها الامبراطور ترميسكيس .
(٢) التاهيجان Tahegan عملة بيزنطية تعادل تقريباً الدينار عند المسلمين . وأصل الكلمة فارسي هو دهكاني . وهناك نوعان من التاهيجان : الاول ذهبي والثاني فضي .
(٣) يقصد بالتركي أفتكين .
(٤) الولاء هنا Hommage هو الولاء الإقطاعي الذي كان أساسياً في هلاقة التابع بالمتبوع في القرون الوسطى .

طبرية . إلا أن الأهالي أتوا ليعلموا لنا خضوعهم وليحملوا إلينا ، مثل سكان دمشق ، كثيراً من الهدايا ومقداراً من المال يبلغ ثلاثين ألفاً من التاهيجانات ، فضلاً عن أشياء أخرى ؛ وطلبوا أن ننصب عليهم قائداً من لدينا ، وقدموا وثيقة تعهدوا فيها بأن يظلوا مخلصين لنا ، وأن يداوموا على دفع الجزية ، عندئذ تركناهم أحراراً من نير الإستعباد وامتنعنا عن تخريب مدينتهم وديارهم ، لقد جنبناهم مغبة النهب لأن بلدنا كان موطن الحواريين المقدسين . وحدث نفس الشيء في الناصرة حيث كانت أم الرب القديسة مريم العذراء سمعت النبأ السعيد من فم الملاك . ولما كنا ذهبنا إلى جبل الطور فقد صعدنا إلى المسكن الذي تجلى فيه إلهنا المسيح ، وحين توقفنا أتى إلينا من الرملة والقدس أناس يلتمسون رعاية جلالتنا ويتضرعون إلينا أن نرحمهم . لقد طلبوا إلينا أن ننصب عليهم حاكماً واعترفوا بتبعيةهم لنا وارتضوا الخضوع لسيادتنا فمنحناهم ما كانوا يتمنون .

كانت رغبتنا أن نحرر ضريح المسيح المقدس من نير المسلمين ، وقد عينا حكاماً عسكريين على جميع الثيمات - الاجناد - التي أخضعناها والتي صارت تدفع لنا الجزية : في بيسان التي تسمى كذلك ديكابوليس ، وفي طبرية (١) وفي عكا التي يطلق عليها أيضاً بطلمية ، وتعهد الأهالي كتابة أن يدفعوا لنا كل عام جزية دائمة ، وبأن يعيشوا تحت أمرتنا . وبعد ذلك انتقلنا إلى قيسارية الواقعة على شاطئ البحر المحيط ، والتي خضعت لنا . ولو أن هؤلاء الأفريقيين الملاحين الذين كانوا استقروا هناك لم يلوذوا بحصون الساحل لكننا ذهبنا بمعونة الرب إلى مدينة أورشليم المقدسة وصلينا في هذه الأماكن المقدسة . ولما كان أهل سواحل

(١) ورد اسمها في أصل الخطاب Génésareth وهي إحدى الأسماء القديمة لطبرية .

البحر لاذوا بالفرار ، فقد أخضعنا الجزء العلوي من البلاد للسيطرة الرومانية (١) ، وأقمنا عليها قائداً ، وكنا نستميل الأهالي إلينا . أما هؤلاء الذين ظهر عصيانهم فقد أجبروا على الإذعان وصرنا في الطريق المحاذية للبحر والتي تؤدي مباشرة إلى بيروت هذه المدينة العظيمة ذات الشهرة الذائعة التي تحميها أسوار قوية والتي يطلق عليها الآن اسم بيروت . وبعد صراع بالغ العنف استطعنا أن نسيطر عليها ، لقد أسرنا ألفاً من الأفريقيين ، وكذلك نصيري - نصر - الخادم (٢) ، قائد أمير المؤمنين ، وقادة آخرين من أعلى الرتب ، وعهدنا بهذه المدينة إلى حاكم اخترناه . ثم عقدنا العزم على السير إلى صيدا ، وما أن علم سكانها بنيتنا حق أوفدوا إلينا شيوخهم الذين أقبلوا متوسلين لجلالتنا وملتجئين أن يصيروا رعايانا وعبيدنا الخاضعين على الدوام ؛ وإزاء هذه التأكيدات ارتضينا الإستجابة لرجائهم وتحقيق رغباتهم ، وحثمنا عليهم دفع جزية وأقمنا عليهم حكماً ، ثم واصلنا سيرنا متجهين إلى بيبلاوس - جبيل - هذا الحصن القديم الرهيب الذي هاجمناه وأخضعنا حاميته . وهكذا تلعبنا جميع المدن الواقعة على الساحل ونهبناها وأحلنا أهلها عبيداً . وكان علينا أن نجتاز طرقاً ضيقة لم يحدث أبداً أن عبرتها خيول ، طرقاً رهيبة وشاقة جداً . ولقد صادفنا مدناً أهلة بالسكان ومزدحمة وحصوناً تحميها أسوار قوية وحاميات من العرب فحاصرناها جميعاً وجعلنا عاليها سافلها ، كما اقتدنا من أسرناه من سكانها ، وقبل

(١) صفة الرومانية المذكورة هنا مرادف لكلمة بيزنطة ، وذلك أن أباطرة بيزنطة قد احتفظوا بلقب أباطرة الرومان وكان يطلق على رعاياهم اسم الرومان واعتبروا أنفسهم ورثاء روما الحقيقيين وامتداداً لها .

(٢) نصر الخادم هو أحد خصيان وقواد الخليفة الفاطمي .

أن نصل إلى طرابلس أرسلنا فرسان الثيات - الأجناد - والحاميات إلى ممر كارير Karéres^(١) ، إذ كان نمني إلى علمنا أن الافريقيين الملاعين عسكروا فيه ، وأمرنا قواتنا أن تختبئ وأعدنا كميناً مهلكاً ونفذت أوامرنا وظهر الفان من الافريقيين انقضوا على جنودنا الذين قتلوا منهم عدداً كبيراً وأسروا كثيرين أتوا بهم أمام جلاتنا .

ولقد قلبنا إقليم طرابلس كله رأساً على عقب ، مخربين فيه تخريباً كاملاً الكروم وأشجار الزيتون والحداثق ، وأينا مررنا كنا نشيع الدمار والحزن . وتجاسر الافريقيون المعسكرون هناك فاتجهوا نحونا ولكننا انقضضنا عليهم وأبدناهم عن آخرهم وبسطنا سلطاننا على المدينة الكبرى Djouel التي تسمى كذلك جبلة ، وعلى بلنياس وصهيون وبرزويه الشهيرة . ولم يبق حتى الرملة وقيسارية ماء أو يابس لم يخضع لنا بجول الرب الذي لم يولد ، فاتسعت فتوحاتنا حتى مدينة بابلون الكبرى - القاهرة -^(٢) ، وفرضنا القوانين على الأهالي وأحلناهم إلى عبيد لنا ، وذلك لأننا جلنا في البلاد خلال خمسة أشهر بقوات عديدة ، مدمرين المدن ومخربين الولايات دون أن يجرؤ أمير المؤمنين على الخروج من بابلون لمقابلتنا أو على الأقل إرسال عدد من الفرسان إلى قواته ، ولولا الحر اللافح والطرققات القفر في الأماكن التي تجاور هذه المدينة ، كما تعرف يا صاحب المجد ، لاستطاع جلاتنا أن يصل إلى هناك ، ذلك

(١) يبدو أن هذا الممر هو أحد الممرات الموجودة في جبال لبنان قرب طرابلس ولفظ Kareres بالأرمنية يعني وجه الصخر .

(٢) درج كثير من مؤرخي الحوليات الاوربيين في القرون الوسطى على استعمال اسم بابلون عند التحدث عن كل من القاهرة وبغداد، والظاهر من سياق هذا الخطاب ان الامبراطور يعني القاهرة .

لأننا طاردنا هذا الأمير حتى مصر وهزمناه هزيمة كاملة بفضل الرب الذي ندين له بتاجنا^(١) . والآن صارت كل فينيقيا وفلسطين وسورية متحررة من نير المسلمين وخاضعة للرومان^(٢) . فضلا عن ذلك فإن جبل لبنان الكبير اعترف بقوانيننا ، وإن جميع العرب الذين كانوا يقيمون به وقعوا أسرى في أيدينا بأعداد كبيرة للغاية ، فوزعناهم على فرساننا ، وحكمنا الشام حكماً يتميز بالرفق والإنسانية والرعاية ، وأخذنا منها قرابة عشرين ألف شخص أسكناهم جبلة^(٣) . ولسوف تعرف أن الرب منح المسيحيين انتصارات لم يحصل أحد على مثلها في أي يوم من الأيام . وقد عثرنا في جبلة على النملين المقدسين الذين سار إليها المسيح حينما ظهر على الأرض ، كما وجدنا أيقونة الخالص - المسيح - تلك الأيقونة التي طعنها اليهود فسال منها في التو دم وماء ، ولكننا لم نلاحظ في هذه الأيقونة طعنة الحربة ، ووجدنا كذلك في هذه المدينة شعر القديس يوحنا المعمدان الرسول ، وهو شيء نفيس ، وبعد أن جمعنا هذه الخلفات حملناها معنا لنحتفظ بها في مدينتنا - القسطنطينية - التي يكلاها الرب برعايته .

(١) الملاحظ هنا أن الامبراطور يمنح إلى الخيال والمبالغة في تصوير انتصارات وهمية على الفاطميين .

(٢) أي خاضعة للبيزنطيين أو الروم .

(٣) انفراد هذا الخطاب بذكر إسكان الامبراطور عشرين ألف شخص من أهالي الشام في جبلة . ولم يوضح الخطاب ما اذا كان هؤلاء مسيحيين أم مسلمين أم مواليين للامبراطور ، كذلك لم يوضح السبب في إسكانهم جبلة بالذات . ومن الممكن أنه أراد أن يعمور بهم منطقة جبلة التي أصبحت تحت السيادة البيزنطية ، أو أنه أراد ان يتخذ من جبلة مركزاً أمامياً ليوصل حملاته ضد طرابلس . ويجب ان نذكر ان جبلة اقرب ما يكون الى جزيرة قبرص التي كان البيزنطيون احتلوها منذ فترة وجيزة .

وفي شهر سبتمبر قدنا جيشنا الذي حفظته العناية الإلهية إلى انطاكية . وإذا كنا قد أطلعناك يا صاحب الحمد على جميع هذه الحقائق ، فلنشير سردها فيك الاعجاب ، ولكي تحمد بدورك عظيم فضل الرب وحتى تلم بالأعمال العظيمة التي تم إنجازها في هذا الزمن ، وما أكثر عددها . ان الصليب المقدس قد بسط سلطانه على نطاق واسع في جميع البقاع وفي كل اتجاه ، وأصبح الناس يسبحون باسم الرب في جميع هذه البلاد . ولقد قامت امبراطوريتي في كل مكان متألقة جليلة . ولذا فإن ألسنتنا لا تكف عن التسبيح بحمد الرب الذي منحنا مثل هذه الانتصارات الرائعة . حمداً أزلياً للسيد رب اسرائيل (١) .
مقدمات العدوان الصليبي لعمر كمال توفيق ١٧٩ - ١٨٦

١٦٧ - بيان أصدرته البندقيّة بشأن فرض قيود على التجارة بينها وبين المسلمين بناءً على طلب تزييسكيس .

أدرك الامبراطور البيزنطي تزييسكيس خطورة التجارة بين البندقية وبلاد الإسلام ، حيث كان البنادقة يدون المسلمين بأنواع من السلاح وكذلك بالأخشاب التي استعملوها من أجل بناء أساطيلهم وفي هذا دعم لقوتهم في وجه الامبراطورية البيزنطية ، ولذلك استعمل الامبراطور ما له من سلطة ونفوذ على البندقية وارسل مبعوثيه حتى تتمكن من جعل البندقية تصدر هذا البيان الذي تتمهد بموجبه الا تصدر للمسلمين أسلحة ولا أخشاباً كبيرة .

(١) ذكر المؤلف أنه ترجم نص هذه الرسالة عن الفرنسية من موسوعة مؤرخي الحروب الصليبية ، Recueil des historiens des Croisades. Documents armeniens I, PP 13-20 .

ريالتو . البندقية ، يوليو ، ٩٧١ م

باسم الرب ومخلصنا يسوع المسيح . في اثناء العهد الامبراطوري
للعاهل يوحنا الامبراطور العظيم ، في شهر يوليو من السنة الثانية من
حكمه الامبراطوري الموافق للتوقيت الرابع عشر ، ريالتو (١)

حيث أنه جاء في فترة من التوقيت السالف الذكر ، مبعوثون
امبراطوريون من قبل يوحنا الاول وباسيل الثامن ، وهم أقدس الاباطرة
للإستقصاء عن الأخشاب والأسلحة التي كانت تحملها سفننا إلى بلاد
المسلمين ، وللتهديد بشكل مفرغ ، بناء على أمر أجد الأباطرة بأنه في
حالة قيام البنادقة بتقديم المساعدة للبرابرة بإمدادهم بالأخشاب ، الأمر
الذي يعتبر موجهاً ضد صالح الامبراطورية وضد الشعب المسيحي فإنهم
سوف يقومون بأشغال النيران في كافة السفن بما عليها من رجال وشحنات .
وعلى ذلك ففي يوم ما ، عندما كان اللورد بيترو كانديان الرابع ،
مولانا أفخم الأذواج مجتمعاً مع ابنه فتيتالي اقدس البطاركة ، وكذلك
مع مارينو أفخم اسقف لكنيسة فيتالي وأساقفة آخرين من بلاده ، وكذلك
عندما كان جزء كبير من الشعب والعناصر العليا والمتوسطة والدنيا قائماً
في حضرته ، عقد المجتمعون مجلساً ليقرروا كيف وبأية طريقة يستطيعون
تهديئة غضب الامبراطور ، وكيف يكفون عن القيام بهذا العمل
الشرير وارثكاب تلك المعصية .

(١) استعمل المؤلف هنا كلمة توقيت لترجمة كلمة Indiction . وهذه الكلمة لا يوجد
مقابلها في اللغة العربية . وهي عبارة عن فترة زمنية مدتها خمس عشرة سنة . والمعروف أن
الامبراطور قسطنطين الكبير أول من استعملها من أجل تنظيمات مالية ، ثم تبنت الكلمة
واستعملتها من اجل نفس الشيء الكنيسة اللاتينية .

ولأننا نعرف بكل تأكيد أنها معصية كبرى أن نقدم لشعب وثنى مثل تلك المساعدة التي يستطيع بها التغلب على المسيحيين وإلحاق الضرر بهم ، فبناء على ذلك وبإلهام من العناية الإلهية ، تشاورنا سوياً ووصلنا إلى قرار نتعهد بقتضاه نحن وورثتنا ، لك يا لورد بيترو يا مولانا يا اسمى دوج ولخلفائك ، إنه من الآن فصاعداً لن يحسر أحد أن يحمل إلى بلاد المسلمين أسلحة لبيعها أو تقديمها كهدايا ، كما لن ينقل أحد أخشاب لبناء السفن بما قد يضير مصالح الشعب المسيحي ، كما لن يحمل أحد الدروع أو التروس أو السيوف أو الرماح أو أي أسلحة قد يحارب بها المسلمون المسيحيين ، ولا يجوز للمرء أن ينقل من السلاح إلا ما يدافع به عن نفسه ضد الأعداء ، ولا يجوز بأية حال أن يباع مثل هذا السلاح أو يعطى للبرابرة .

وبشان الأخشاب فنحن نوافق على عدم نقل أشجار الدرداء أو القيقب أو ألواح من الخشب السميك أو المجاذيف والسواري ، أو أي أخشاب أخرى قد تتسبب في إلحاق الأذى بالمسيحيين ، ولكن يمكن أن تحمل فقط قرم خشبية مشدبة من الدرداء لا يزيد طولها عن خمسة أقدام ولا عرضها عن البلطة ، وكذلك الأواني والطاسات والأقداح، وألواح من الخشب طولها خمسة أو ستة أقدام . ولا يجوز لنا أن نشحن على المراكب، من أي ميناء بعد أن تبصر من ميناء البندقية أخشاب يمكن بيعها في أي مناسبة للبرابرة ويستطيعون استعمالها في بناء السفن . وإذا حاولنا في أي وقت أن نحدث بالعهد الحالي ، واجترأنا على أن ننقل إلى بلاد المسلمين أسلحة وأخشاب غير مانص عليه سابقاً فإن من يقوم بذلك ويكتشف أمره ، عليه أن يدفع لك يا لورد بيترو يا دوج يا مولانا أو لخلفائك من بعدك ، غرامة قدرها مائة جنياً من

الذهب الخالص ، وإذا لم يكن يمتلك هذه الجنيهات ، فلتقع على رأسه العقوبة الكبرى وليبق سجل هذا العهد نافذ المفعول بشكل تام إلى الأبد .

وليكن من المعلوم الآن ، ان قبل وصول رسل الأمبراطورية المقدسة إلينا ، كانت ثلاث سفن على وشك الإبحار ، إثنان منها إلى المهديّة ، والثالثة إلى طرابلس ، وبناء على ذلك ونظراً لفقرجاها منحناهم تصريحاً يحمل قـرم خشبية وسواري وأواني وأطباق وسلع صغيرة أخرى . إلا أننا لم نسمح لهم بشحن الأخشاب المحظورة السالفة الذكر ، وفي المستقبل ليكن من المنوع على أي شخص أن يحمل إلى بلاد المسلمين أي أخشاب خلاف تلك التي نص عليها في سجل العهد ، وإذا اجترأ أحد على أن يأتي بغير ذلك حائثاً به فليتحمل العقوبة السالفة الذكر (١) .

١٦٨ - نص الاتفاق الذي تم بين صمصام الدولة ووردس سقلاروس ملك "روم زمن الطائع لله إنشاء أبي إسحاق الصابي :

نشب صراع مرير على العرش في بيزنطة بين سكليروس ومنافس له وهُزم سكليروس ولجأ إلى بلاد المسلمين وهو الذي يسميه المسلمون السقلاروس . وهذه رسالة من صمصام الدولة موجهة للسقلاروس تعين الشروط الواجب عليه تنفيذها إذا أطلق سراحه وسعود ورجع إلى بلاده وتمكن من الصعود إلى عرشه .

(١) ذكر المؤلف أنه نقل الوثيقة السابقة وترجمها إلى العربية عن الكتاب التالي :
Lopez Raymond. Medieval Trade in the Mediterranean World. N. Y. 1955.
. pp. 331-335

هذا كتاب من ضمائم الدولة وشمس الملة أبي كاليبجار بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع بن هكن الدولة أبي علي ، مولى أمير المؤمنين كتبه لوردس بن بينير المعروف بسقلاروس ملك الروم .

إنك سألت بسفارة أخينا وعدتنا وصاحب جيشنا (أبي حرب ربار بن شيراكويه) تأمل حالك في تطاول حبسك ، واعتياقك عن مراجعة بلدك ، وبذلت - متى أفرج عنك وخلي طريقك وأذن لك في الخروج إلى وطنك والعود إلى مقر سلطانك - أن تكون لولينا ولياً ولعدونا عدواً ولسامنا سمساً ولطربنا حرباً : من جميع الناس كلهم على اختلاف أحوالهم وأديانهم وأجناسهم وأجبالهم ومقارهم وأوطانهم فلا تصالح لنا ضداً مبانياً ولا تواطيء علينا عدواً مخالفاً ، وأن تكف عن تطرق الثغور والأعمال التي في أيدينا وأيدي الداخلين في طاعتنا ، فلا تجهز إليها جيشاً ولا تحاول لها غزواً ، ولا تبدأ أهلها بمنازعة ولا تشرع لهم في مقارعة ، ولا تتناولهم بمكيدة ظاهرة ولا باطنة ، ولا تقابلهم بأذية جلية ولا خفية ، ولا تطلق لأحد ممن ينسوب عنك في قيادة جيوشك ومن ينسب إلى جملتك ويتصرف على إرادتك الإجتراء على شيء من ذلك على الوجوه والأسباب كلها ، وأن يفرج عن جميع المسلمين وأهل ذمتهم الحاصلين في محابس الروم ، من أحاطت بعنقه ربة الأسر واشتملت عليه قبضة الحصر والقصر في قديم الأيام وحديثها ، وبعيد الأوقات وقربها ، المقيمين على أديانهم والمختارين العود إلى أوطانهم وتنهضهم بما ينهض به أمثالهم ، وتمكنهم من البروز والمسير بنفوسهم وحرمةهم وأولادهم وعيالاتهم وأتباعهم وأصناف أموالهم موفورين مضمونين مبدركين محروسين غير ممنوعين ولا معوقين ولا مطالبين بثبونة ولا كلفة صغيرة ولا كبيرة .

وأن تسلم تنمة سبعة من الحصون وهي : حصن أرحكاه المعروف
بحصن المهندس، وحصن السناسنة وحصن حويب وحصن أطل وحصن أنديب
وحصن حالي وحصن تل حرم برساتيقها ومزارعها إلى من نكاتبك
بتسليمها إليه ، مع من بها من طبقات أهلها أجمعين المختارين لسكنائها
والإستقرار فيها ، بجرمهم وأولادهم وأسبابهم ومواشيهم وأصناف
أموالهم وغللتهم وأزوادهم وسلاحهم وآلاتهم ليكون جميعها حاصلًا في
أيدينا وأيدي المسلمين على غابر الأيام والسنين ، من غير أن تلتمس
عنها أو عن شيء عنها مالا ولا بدلا ولا عوضا من الأعواض كلها .

وعلى أنك تمضي ما عقده على نفسك من ذلك كله بابا بابا ،
وتقي به أولا أولا منذ وقت وصولك إلى أوائل أعمالك وإلى غاية
استيلائك عليها ونفاذ أمرك فيها ، ولا ترجع عن ذلك ولا عن بعضه
ولا تؤخر شيئا منه عن الوقت الذي تقدر فيه عليه ، ولا ترخص
لنفسك في تجاوز له ولا عدول عنه ، ومضى سمعت طائفة من الطوائف
التي تنسب إلى الروم والأرمن وغيرهم في أمر يخالف شرائط هذا
الكتاب ، كان عليك منعهم من ذلك إن كانوا من أهل الطاعة والقبول
منك ، أو مجاهدتهم وممانعتهم إن كانوا من أهل العنود عنك ، والخلاف
عليهم حتى تصرفهم عما يرومونه وتحول بينهم وبين ما يحاولونه بشيئة
الله وإذنه وتوفيقه وعونه .

واشترطت علينا بعد الذي شرطته لنا من ذلك التخليفة عن طريقك
وطريق من تضمنته جملتك واشتملت عليه رفقته : من طبقات
الأصحاب والأتباع في جميع أعمالنا حتى تنفذ عنها إلى ما وراها ،
غير مموق ولا معتقل ولا مؤذي ولا معارض ولا مطالب بؤنسة ولا

كلفة ، ولا ممنوع من ابتياع زاد ولا آلة ، ولا نؤثر عليك أحداً نوارك في أعمالك ونازعك سلطان بلادك ودافعك عنه وناصرك العداوة فيه من ينتسب إلى الروم والأرمن والحزبية وسائر الأمم المضادة لك ، ولا نوقع معه صلحاً عليك ولا موافقة على ما يعود بئلك أو قدح في أمرك ولا نقبل سؤال سائل ولا بذل باذل ولا رسالة مراسل فيما خالف شرائط هذا الكتاب ، أو عاد بإعلاله أو إعلال وثيقة من وثائقه .

ومتى وفد إلينا رسول من جهة أحد من أضدادك ، راجباً إلينا في شيء يخالف ما انعقد بيننا وبينك ، امتنعنا من إجابته إلى ملتصقه ورددناه خائباً خالياً من طلبته . وإذا سلمت الحصون المقدم ذكرها إلى من نكاتبك بالتسليم إليه ، كان لك علينا أن نقرر من فيها وفي رسايتها على نعمهم ومنازلهم وضياعهم وأملاكهم ، وأن لا نزيلهم عنها ولا عن شيء منها ، ولا نحول بينهم وبين ما تحويه أيديهم من جميع أموالهم ، وأن نجريهم في المعاملات والجبايات على رسومهم الجارية الماضية التي عوملوا عليها على مر السنين ، وإلى الوقت الذي يقع فيه التسليم من غير فسخ ولا تغيير ولا نقص ولا تبديل .

فأنهينا إلى مولانا أمير المؤمنين الطائع لله ما سألت والتمست وضمنت وشرطت من ذلك كله ، واستأذناه في قبوله منك وإيقاع المعاهدة عليه معك ، فأذن - أدام الله تمكينه - لنا فيه ، وأمرنا بأن نحكمه ونمضيه لما فيه من انتظام الأمور وحياطة الثغور وصلاح المسلمين والتنقيس عن المأسورين .

فأمضيناه على شرائطه وتراضينا جميعاً به وعاقدناك عليه وحلفت لنا باليمين المؤكدة التي يحلف أهل شريعتك بها ، ويتخرجون من الحنث فيها على الوفاء به ، وأشهدنا على نفوسنا وأشهدت على نفسك

الله جل ثناؤه وملائكته المقربين وأنبياءه المرسلين وأخانا وعدتنا أبا حرب
ربار بن شيراكويه مولى أمير المؤمنين ومن حضر المجلس الذي جرى
فيه ذلك باستقرار جميعه بيننا وبينك ولزومه لنا ولك .

ثم حضر بعد تمام هذه الموافقة واستمرارها وثبوتها واستقرارها
قسطنطين بن بينير أخو وردس بن بينير ، وأرمانوس بن وردس بن بينير
فوقما على هذا الكتاب وأحاطا به علماً واستوعباه معرفة وشهدا على
وردس بن بينير ملك الروم بإقراره به والتزامه إياه . ثم تبرع كل
واحد منها بأن أوجب على نفسه التمسك به والمقام عليه متى قام
وردس بن بينير بما هو مرسوم به من ملك الروم ، وجعل جميع
الشرائط الثابتة في هذا الكتاب المعقود بعضها ببعض أمانة في ذمته
وطوقاً في عنقه ، وعهداً يسأل عنه وحقاً يطالب في الدنيا والآخرة
به ، وصار هذا العقد جامعاً لهم ولنا ولأولادنا وأولادهم وعقبنا وعقبهم
ما عشنا وعاشوا يلزمنا وإياهم الوفاء بما فيه علينا وعليهم ولنا ولهم ،
على مرور الليالي والأيام واختلاف الأدوار والأعوام .

أمضى وأنفذ ذلك كله صمصام الدولة وشمس الملة أبو كاليبجار ذلك
كله على شرائطه وحدوده والتزمه وردس بن بينير المعروف بسقلاروس
ملك الروم وأخوه قسطنطين وابنه أرمانوس بن وردس بن بينير ،
وضمنوا الوفاء به وأشهدوا ، كل واحد منهم ، على نفوسهم بالرضا به ،
طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، لا علة بهم من مرض ولا غيره ،
بعد أن قرأ عليهم وفسره لهم وخاطبهم باللغة الرومية من وثق به
وفهموا عنه وفقهوا معنى لفظه وأحاطوا علماً ومعرفة به ، بعد أن
ملكوا نفوسهم وتصرفوا على اختيارهم وتمكنوا من إشارهم ، ورأوا

أن في ذلك حفظاً لهم وصلاًحاً لشأنهم وذلك في شعبان سنة ست وسبعين وثلاثمائة .

وقد كتب هذا الكتاب على ثلاث نسخ متساويات : خلدت اثنتان منها بدواوين مدينة السلام وسامت الثالثة إلى وردس بن نيبير ملك الروم وأخيه وابنه المذكورين معه فيه .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٤ ، ٢٠ - ٢٤

١٦٩ - رسالة القائد أبي الفوارس ختور التركي المعزى إلى وردس المعروف بستقلاروس من انشاء أبي هلال الصابي زمن بهاء الدولة البويهية والخليفة الطائع لله في بغداد :

كتابي إلى ملك الروم الفاضل الجليل النبيل الخطير - أدام الله كفايته وسلامته ونعمته وسعادته وعافيته وحراسته - من الحضرة الجليلة بمدينة السلام لثان ليال خلون من ذي الحجة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وهو اليوم التاسع من آذار ، عن شمول السلامة وعموم الاستقامة وصلاح حالي في ظل الدولة المنصورة . والحمد لله رب العالمين وحده لاشريك له ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً .

ووصل كتاب مولانا ملك الروم الفاضل الجليل الصادر عن المعسكر بمرج لإرضة بتاريخ التاسع من حزيران وفهمته وجبل عندي موقعه وعظم في نفسي خطره ، وحمدتُ الله على ماشهد به من انتظام احواله واطراد اموره ، وسألته ان يتمم النعمة عليه ، ويزيد منها لديه ويوصل إحسانه اليه ، ويطيل مدته في أتم رشد وهداية وأرفع قدم ومنزلة وأعلى خطر ورتبة بمنه وطوله وجوده ومجده .

فأما ما ذكره سيدنا الملك الجليل من مقامه على العهد وافتقاره الى

الميل والود ، فذاك يوجب فضله البارح وكرمه الشائع وخلال الخيرالتي أهله الله لها، وخصه الله بها . وبالله أحلف أنني ما خلوت منذ افترقنا من مطالعة أخباره وتتبع آثاره واستعلام مجاري شئونه ، والسرور بكل ما تم له ووصل اليه حتى كأنني حاضر له ، وضارب بأوفر سهم فيه ، بل مخصوص بجميعه ، والله يجريه على أحسن ما أولاه وعوده ، ولا يخليه من الصنع الجميل فيما أعطاه وقلده برحمته .

وكنت قبل ذلك عند ورود رسولي في الدفعة الاولى على غاية الغم وشغل القلب بسبب الغدر الذي لحقه من عدوه الذي أظفره الله به ، وانتهت ذلك في وقته إلى الملك السعيد الماضي شرف الدولة وزين الملة رضي الله عنه ، فاشتغل قلبه - رحمه الله - به ، وعمل على إنفاذ العساكر لنصرته ، ثم أتى من قضاء الله ما قد عرفه .

ولما انتصب في المملكة مولانا السيد بهاء الدولة وضياء الملة - أطال الله بقاءه - شرحت له ما جرى قديماً على سياقته ، ومهدت الحال عنده ، ووجدته - ادام الله سلطانه - معتقداً لسيدنا ملك الروم الجليل - ادام الله عزه - أفضل اعتقاد ، وسر بما انتهت اليه أموره ، وتنجزت الكتب إلى موصلها الرسول ، حفظه الله ، وسمعت منه ما كان تحمله عن سيدنا ملك الروم - ادام الله تأييده - وأخرجت معه صاحبي أبا القاسم الحسين بن القاسم ، وحملتها جميعاً ما ينهياها اليه في سائر الامور التي يرى عرضها ويحتاج إلى معرفتها .

وأنا أسأل سيدنا الملك الجليل - ادام الله بركته - تعجيل رده اليّ فإنه ثقتي ومن أسكن اليه في أموري وان يتفضل ويكلفني حوائجه ومهاته وامره ونهيه لأقوم في ذلك بالحق الواجب له ، فإن رأى

سيدنا ملك الروم الفاضل الجليل الخطير النبيل ، أن يعتمدني من ذلك بما يتضاعف عليه شكري ، وتجل النعمة فيه عندي ، ويشاكل الحال بينه وبينني فعل إن شاء الله تعالى .

صبح الاعشى للقلقشندي ح ٧٠ ، ١١٣ - ١١٥

١٧٠ - رسالة ألب أرسلان الساجوقي للامبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينيس قبل معركة ملاذكرد الشهيرة

التقى ألب أرسلان ، وهو في قلة من عسكره ، بجيش ضخم للروم يقوده ملك الروم . فأحب ألب أرسلان ان يتصالح مع ملك الروم أو أن يعقد معه هدنة ولا سيما ان ملك الروم كان ارسل الى الخليفة قبيل ذلك يقترح هذه الهدنة . فكتب ألب أرسلان إلى ملك الروم يقول :

إن كنت ترغب في الهدنة اتمناها ، وان كنت تزهد فيها وكلنا الامر إلى الله عز وجل (١) .

زبدة الحلب لابن العديم ج ٢ - ٢٧

١٧١ - جواب امبراطور الروم على الرسالة السابقة :

إني قد أنفقت الأموال الكثيرة وجمعت العساكر الكثيرة للوصول إلى مثل هذه الحالة . فاذا ظفرت بها فكيف اتركها ؟ هيات ! لاهدنة الا بالرى ، ولا رجوع إلا بعد أن أقبل ببلاد الإسلام مثل ما فعل ببلاد الروم (٢) .

المنتظم لان الجوزي ج ٨ - ٢٦١

(١) أورد ابن الجوزي في المنتظم ح ٨ - ٢٦١ نصاً أكثر اختصاراً من نصنا هذا .

(٢) أورد ابن العديم في زبدة الحلب ح ٢٧ - ٢٧ نصاً أكثر اختصاراً من نصنا هذا .

١٧٢ - خطاب ألب أرسلان لجنوده لما تحقق من نشوب القتال بينه وبين ملك الروم وذلك يوم الجمعة قبيل صلاة الجمعة مباشرة .

جمع عسكره وقال لهم :

نحن مع القوم تحت الناقص وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يدعى فيها لنا وللمسلمين على المنابر ، فإما أن أبلغ الغرض ، وإما أن أمضي شهيداً إلى الجنة . فمن أحب ان يتبعني منكم فليتبعني ، ومن أحب ان ينصرف فليمض مصاحباً عني . فما هاهنا سلطان يأمر ولا عسكر يؤمر فإنما أنا اليوم واحد منكم وغايز معكم ، فمن يتبعني ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة والغنيمة ، ومن مضى حقت عليه النار والفضيحة .

١٧٣ - جواب عسكر ألب أرسلان له لما انتهى من كلامه .

أيها السلطان ، نحن عبيدك ومهما فعلته تبعناك فيه وأعناك عليه فافعل ما تريد .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ٢٦٢

١٧٤ - رسالة زنكي عماد الدين إلى ملك الروم .

هاجم ملك الروم سنة ٥٣٢ هـ بلاد الشام بجيش كثيف وأعانه الفرنج ووصلوا إلى شيرز وهناك حاصروها ، فاستنجد صاحبها بزنكي فأنجده بجيش قدم هو بنفسه على رأسه . ولما سمع ملك الروم بمجيئه ترك شيرز وتحصن بجبل قريب منها ، فأرسل إليه زنكي يقول :

إنكم تحصنتم بهذه الجبال فأخرجوا عنها إلى الصحراء حتى نلتقي ،

فإن ظفرتم أخذتم الشيرز وغيرها ، وإن ظفرت بكم أرحمت المسلمين
من شركم (١) .
التاريخ الباهر لابن الأثير ص ٥٥



(١) ورد نص مشابه كل المشابهة مع بعض الخلافات البسيطة في كتاب الكواكب الدرية

القسم الثالث

— وثائق الدول المتغلبة —

— الطولونيون —

١٧٥ — رسالة قبيحة أم المعتز بالله إلى أحمد بن طولون تطلب منه قتل المستعين وتقلده واسطاً لقاء ذلك .

خلع المستعين ووضع في عهدة أحمد بن طولون فأحسن إليه ، وخافت أم المعتز من بقاء المستعين حياً فأرسلت إلى أحمد بن طولون تقول :

إذا قرأت كتابي فجنني برأس المستعين وقد قلدتك واسطاً (١) .
سيرة أحمد بن طولون للباوي ص ٤٠

١٧٦ — ولي ابن طولون ولاية مصر فأرسل إليه المعتمد يستحثه في جمع الأموال وإرسالها إليه فأرسل إليه يقول :

لست أطيق ذلك والخراج في يد غيري .
فأرسل إليه المعتمد يوليه الخراج والولاية والثغور الشامية .
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٣ - ٧

(١) ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٣٦-٦ أن الأتراك الذين وضعوا المستعين في عهدة أحمد بن طولون خافوا وكتبوا اليه يقولون : اقتل المستعين ونوليك واسطاً . ولكنه رفض وكتب اليهم يقول : لا رأيي الله قتلت خليفة بايتم له أبداً .

١٧٧ - رسالة طيغور يمثل ابن طولون لدى البلاط العباسي بحق شخص من الموالي يطعن بابن طولون أمام الموفق كلما ذكر أمامه :
إن رجلاً من الموالي قد أشجاني وضيع علي وشغل قلبي ، بما لا يجري ذكرك أيها الأمير بحضرته في مجلس الموفق أو غيره إلا بسط لسانه فيك وحرص عليك .
سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ١٠٧

١٧٨ - ولي أحمد بن طولون ولاية مصر نيابة عن باكباك ، وكان عامل خراجها ابن المدبر ، ولقد خاف ابن المدبر من أحمد فأهدى إليه هدية جليلة يوم وصوله ، ولكن أحمد رفضها ، وكان ابن المدبر يمشي وحوله مائة غلام يمشون بين يديه فيجعل ذلك له هيبة عظيمة وقد قدم بهذه الصورة للسلام على ابن طولون وقد أراد ابن طولون أن يجرمه من ذلك فكتب إليه بعد فترة وجيزة .
قد كنت - أعزك الله - أهديت لنا هدية وقع الإستغناء عنها ، فلم نجز تفنم مالك ، كثرة الله ، فرددناها توفيراً عليك . وأحب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتم بين يديك ؛ فأنا إليهم أحوج منك .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٤٩

١٧٩ - رسالة ماجور إلى المعتمد يحرصه على ابن طولون :
قوي ابن طولون وكثر جيشه حتى خاف منه ماجور أحد كبار القواد الأتراك لدى المعتمد فأرسل للخليفة يقول :
أما بعد : فإنه قد اجتمع لأحمد بن طولون أكثر مما كان يجتمع

لأحمد بن عيسى بن شيخ^(١) ، والخوف منه أكثر إذ كان فيه من الفضل ما ليس في أحمد بن شيخ .

١٨٠ - رسالة المعتمد إلى أحمد بن طولون يعزله عن مصر ويستدعيه إليه :

نجحت الدسائس لدى الخليفة ضد ابن طولون فقرر عزله عن مصر ولكن بطريقة حسنة فأرسل إليه يقول :
أما بعد : فإننا رأينا أن نرد إليك أمر دارنا بالحضرة وتديبر ملكتنا ، فإذا قرأت كتابنا هذا فاستخلف على قصرك من أحببت ، والبلد لك وباسمك واشخص إلينا لما ندبناك إليه ورأيناك أهلاً له والسلام .

سيره أحمد بن طولون للباوي ص ٥٦ - ٥٧

١٨١ - رسالة أحمد بن طولون إلى الموفق أخي المعتمد المسيطر على الخليفة والدولة :

سيطر الموفق على أخيه وعلى الدولة واحتاج إلى المال فأرسل إلى ابن طولون يطلب منه مالا فأرسل إليه مبلغاً استقله الموفق وأرسل إليه يطلب المزيد ويقول إن الحساب يوجب أضعافه فأجابته ابـن طولون بما يلي :

وصل كتاب الأمير - أيده الله - وفهمته ، وكان - أسعده الله - حقيقاً بحسن التخيير له في اختياره مثلي وتصويره عمدته التي يعتمد

(١) أحمد بن عيسى بن شيخ تاجر خرج في الشام وقوي شأنه واستولى على بعضها زمن المهدي حتى تمكن ماجور من القضاء عليه .

عليها وسيفه الذي يصول به وسنانه الذي يتقي الأعداء بجمده ، لاني
 دأبت في ذلك وجعلته وكدي ، فاحتملت الكلف العظام والمؤن
 الثقال ، باجتلاب كل موصوف بشجاعة واستدعاء كل منعوت بفناء
 وكفاية ، بالتوسعة عليهم وتواصل الصلات والمعاون لهم ، صيانة لهذه
 الدولة ، وذباً عنها وحسماً لأطباع الشائنين لها والمنحرفين عنها ، وكان
 من هذا سبيله في الموالاتة ومحل في المناصحة حرياً أن يعرف له حقه ،
 ويوفر من الإعظام قدره ، ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته ،
 فعمملت بضد ذلك من المطالبة بحمل المال مرة ، والجفاء في المخاطبة
 أخرى ، بغير حال توجب ذلك ، ثم أكلف على الطاعة جملاً
 وألزم للمناصحة ثمناً ، وعهدي بمن استدعى ما استدعاه الأمير من
 طاعته يُستدعى ذلك بالبدل والإعطاء والإرغاب ، والإرضاء والإكرام
 لا أن يكلف ويحمل من أطاعه مؤونة وثقلاً ، على أني لا أعرف
 السبب الذي ينتج الوحشة ، ويوقعها بيني وبين الأمير - أيده الله -
 ولا ثم معاملة توقع مشاجرة أو تحدث منافرة ، لأن العمل الذي أنا
 بسبيله لغيره ، والمسكاتبة في أموره إلى سواء ، وتقليدي ليس من
 قبله ولا ولايته ، فإنه والأمير جعفر المفوض - أيدهما الله - قد
 اقتسما الأعمال ، وصار لكل واحد منها قسم قد انفرد به دون
 صاحبه ، وأخذت عليه البيعة فيه ، أن من نقض عهده أو خفر ذمته
 ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه فالأمة بريئة من بيعته ، وفي حل
 وسعة من خلعه ، والذي عاملني به الأمير من محاولة صرني مرة ،
 وإسقاط رسمي أخرى ، وما يأتيه ويسومنيه ناقض لشرطه مفسد
 لمهده ، وقد التمس أوليائي وأكثروا عليّ الطلب في إسقاط اسمه وإزالة
 رسمه ، فآثرت الإبقاء وإن لم يؤثره ، واستعملت الأناة إذ لم تستعمل

معي ، ورأيت الاحتمال والكظم أشبه بنذوي المعرفة والفهم وأدنى إلى الظفر والنصر ، فصبرت نفسي على أحر من الجمر وأمر من الصبر وما لا يتسع له الصدر . والأمير - أيده الله - أولى من أعانني على ما أوتره من لزوم عهده ، وأتوخاه من تأكيد عقده ، بحسن العشرة والانصاف ، وكف الأذى والمضرة ولا يضطرنني إلى ما لا يعلم الله عز وجل كرهني له ، وإلى أن أجعل ما قد أعدده لحياطة الدولة من الجيوش المتكاثفة والمساكر المتضاعفة ، التي قد ضرت رجالها من الحروب وجرت عليهم محن الخطوب مصروفاً إلى نقضها ، فعندنا وفي حيننا من يرى أنه أحق بهذا الأمر من الأمير ، ولو آمنوني على أنفسهم . فضلاً عن أن يرجعوا مني إلى ميل لهم ، أو قيام بنصرتهم لاشتدت شوكتهم ولصعب على السلطان معاركهم ، والأمير يعلم ان بإزائه منهم واحداً قد أبر^(١) عليه وفض كل جيش أنقض إليه ، على انه لا ناصر له إلا لفيف البصرة وأوباش عامتها ، فكيف بمن يجد ركناً منيعاً وناصراً مطيعاً . وما مثل الأمير في أصالة رأيه قصد المائة ألف عنان عدة له فجعلها عدة عليه بغير ما سبب أوجب ذلك . فإن يكن من الأمير إعتاب أو رجوع إلى ما هو أشبه به وأولى ، وإلا رجوت من الله عز وجل كفاية أمره وحسم مادة شره ، وإجرامنا في الحياطة على أجل عاداته عندنا ، والسلام .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٨٢ - ٨٥

(١) يقصد ابن طولون هنا صاحب الزنج الذي ثار ضد الدولة في جنوبي العراق وراحت البصرة ونواحيها وكلف الدولة الأموال والدماء الغزيرة حق ، تمكن الموفق بعد صراع مرير طويل من القضاء عليه .

١٨٢ - رسالة ابن طولون للخليفة المعتمد يدعوهُ للقدوم عنده
في مصر ويَعده المساعدة ضد أخيه الموفق الذي حَجَرَ عليه :

قد منعني الطعام والشراب والنوم خوفاً على أمير المؤمنين من مكروه
يلحقه ، مع ماله في عنقي من الأيمان المؤكدة ، وقد اجتمع عندي
مائة ألف عنان أنجاد . وأنا أرى لسيدي أمير المؤمنين الإنجذاب إلى
مصر ، فإن أمره يرجع بعد الإمتحان إلى نهاية العز ، ولا يتهبأ لأخيه
فيه شيء مما يخافه عليه منه في كل لحظة ، فإن رأى أمير المؤمنين - أيده
الله - ذلك صواباً قدمه إن شاء الله وأظهر الخروج لهذه القصة .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٨١

١٨٣ - رسالة طيفور ممثل ابن طولون وجاسوسه لدى الحضرة
بمنع المعتمد من السفر إلى مصر .

أحس الموفق بحركة أخيه المعتمد إلى مصر للحاق بابن طولون
تلبية لدعوته فمنعه من السفر واعتقل من رافقه من القواد وحجر عليه
وذلك سنة ٥٢٦٩ هـ ، فأرسل طيفور الرسالة التالية إلى ابن طولون :
قد كنت على المسير إليك مع أمير المؤمنين المعتمد حتى جرى
ما أوجب تأخره فتأخرت بتأخره ، وأرجو أن تكون الخيرة للأمير
- أيده الله - في ذلك إن شاء الله ، وذلك انه لما قرأ كتابك
ووقف على مادعوقه إليه من المسير إلى ناحيتك ، سره ذلك وشكره
لك وأظهر الخروج إلى الزهمة وأخرج معه أخاه أبا عيسى وإبراهيم بن
مدبر وأحمد بن خاقان وخطارمش وتينك ، وسار على كتيبة يرشد
مصر ، فبلغ أخاه أبا أحمد الموفق خبره فكتب إلى إسحاق بن
كنداج الخزري يعرفه أن أخاه قد خرج قاصداً إلى أحمد بن طولون

ومق تم هذا الأمر استولى أحمد بن طولون على أمره فلم يكن لكم
ولا لأحد منكم مقدار ، ولم يلتق اثنان في عسكر الموالي ، إن صح
ذهابه وتم إلى أحمد بن طولون يتجنب عن وجه العدو ويتمكن من
الدخول إلى السلطان ، فيكون ذلك سبباً لزوال دولة بني العباس^(١) .
سيرة أحمد بن طولون للبلوى ص ٢٩٠

١٨٤ — مرسوم أصدره أحمد بن طولون بخلع الموفق من ولاية
العهد وذلك بعد أن حال المرفق بين أخيه المعتمد وبين اللحاق بأبن
طولون ، وقد صدر في دمشق وقرىء من على منبر جامعها .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أجمع عليه القضاة والأولياء ووجوه
أهل الأمصار حين أحضرم أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين مجلسه
بمسكركه في مدينة دمشق سنة تسع وستين ومائتين وسألهم عما يوجب
ما أقدم عليه الناكث أبو أحمد في أمير المؤمنين المعتمد على الله ، من
إيقاع الحيل على فض جيوشه ، وتشريد حماته ، بحملهم على السيف
مرة وقتلهم بالسلم أخرى ، ثم تخطف على ذلك إلى إخافة سربه وحمله
على الاثثار له في كثير مما يؤثره ، مما يضع به من منزلته وينقص
من محله . فلما كثر هذا عليه وخافه على نفسه أجمع على النفوذ إلى
أحمد بن طولون للإعتصام به إذ هو ثقته وعمدته ، وبمن خلص له على
التجربة ، بتوقفه عن مكاره الخلفاء قبله . وإن أبا أحمد لما رأى ذلك
خاف أن يظل مأموراً بعد أن كان آمراً وكتب إلى إسحاق بن كنداج
في قصده وردده ، فشخص إليه في جمع كفيف حتى وافاه بين الموصل
والحدیثة فردده ، وأمير المؤمنين يناشده الله ويذكره به ويخوفه مروقه

(١) هكذا الجملة في الأصل وكلها مضطربة غير مفهومة المعنى .

عن الدين ونقضه ما أكدته عليه البيعة ، وإنما أقدم عليه وقد فارق الطاعة وبرىء من الذمة ووجب جهاده على الأمة فلم يصنع إلى ذلك ولا أكثر به ، لما جعل له على ما يأتيه من أمره من الخطام ، فشرهت نفسه إليه ، وإلى ما استباحه من مال من أقام على الطاعة ووفى بالعهد والذمة ، حتى أدخله سر من رأى مأسوراً وسلمه إلى صاعد بن مخلد فحبسه ووكل به ، ومُنِع من جميع أهله وولده وشمله فأصبح مقبوض اليد بعيد الناصر ، يخاف على نفسه آناء ليله ونهاره ، عرضة لسوء القول وقبيح الفعل . فالأمة في حرج من القعود عن نصرته ، والأولياء في حنث من نقض بيعته ، والسنن دائرة والأحكام ضائعة ، والحق منتبذ والعدل شارد ، وغير الله عز وجل ينتظر ، فرأى كل من حضر خلعه بمسا كان أمير المؤمنين رتبته له من ولاية عهده والتبري منه والجهاد له ، إذ كان منع حقوقاً ثلاثة : أولها حق الإمامة والثاني حق الأخوة ، والثالث حق النعمة عليه .

وأوقع من حضر من الحكام شهادته عليه وفتياه ، فكتب بذلك عشر نسخ نسقاً واحداً لا يفاير بعضها بعضاً ، وفيها خطوط القضاة بما نسخته :

يقول عبيد الله بن محمد العمري القاضي بجندي قنسرين والمواصم والثغور الشامية وجندي حمص وانطاكية : قد قرىء عليّ هذا الكتاب وهو قولي والحق عندي والذي أفئيت به لما صح عندي من غدر الناكث المعروف بأبي أحمد وتعديه وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين - أيده الله - وأنه قد استوجب بما كان منه مما سمي ووصف في هذا الكتاب - إسقاط اسمه وخلعه وترك الدعاء له ، وأنه غير

مستحق لإمامة المسلمين ولا مأمون عليهم ولا موثوق به في ذلك .
وأشهدت عليّ وعلى فتياي من أثبت شهادته في هذا الكتاب . وكتب
عبيد الله بن محمد القاضي بخطه في يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت
من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين .

وكتب عبد الحميد يقول :

يقول عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي بدمشق والأردن وفلسطين
قد قرىء عليّ هذا الكتاب وهو قولي والحق عندي ، وهو الذي
أفتيت به . وقد صح عندي غدر الناكث المعروف بأبي أحمد وتمديه
وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين - أيده الله - وأنه قد استوجب
بما كان منه إسقاط اسمه وخلعه . وكتب بخطه . وكذلك فعل بقية
الشهود حرفاً بحرف .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٩٥ - ٢٩٧

١٨٥ - نسخة كتاب أصدره الموفق بلعن ابن طولون على المنابر
جواباً على عمل أحمد بن طولون وخلعه الموفق سالف الذكر :

إن الله عز وجل قرن بطاعته طاعة رسوله ﷺ وطاعة أولي
الأمر ، انتجعهم لإعزاز دينه وإقامة معامه ، فقال عز من قائل :
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (١) .
فإن عدو الله المبين لجماعة المسلمين المعروف بأحمد بن طولون ، أظهر
ما كان منه من معصية وشقاق ، فسيما بين أقاصي المغرب إلى أكناف
العراق ، ومرق من الدين وخالف أمير المؤمنين وأخرب فقور المسلمين

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

وقاتل فيها المجاهدين بأهل الفسق الملعدين واستباح حريمهم وسفك
دماءهم ، فلما تبين أمير المؤمنين أمره وعرف كفره تبرأ منه إلى الله
عز وجل ، ولعنه لعناً ظاهراً ، وأمر بلعنه ليلحقه ذلك من خواص
الأولياء وعوام الرعية . اللهم فالعنه لعناً يفل حده ويقبل جنده
ويتمس جده واجعله مثلاً للغابرين ، إنك لا تصلح عمل المفسدين
يا رب العالمين .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٩٩

١٨٦ - رسالة أحمد بن طولون إلى يازمان حاكم طرسوس لما
عصى عليه وعجز عن فتح البلد عنوة بعد حصارها واضطراره
للانسحاب :

أما والله أيها الناقص الأنذل ، لولا إرادة إيقائي على ثغور
المسلمين ، وكراهي أن أفتح عليها للعدو معرة تكون سبباً لهلاكها
لمعت إن مثلك لا يقاوم غلاماً من غلماني ولا يعشره ، فلما انتصرت
بما فتمحت ففرقت به ما لا يمكن دفعه إلا بما فيه هلاك الثغر انصرفت
كافأ يدي ، محافظاً لله عز وجل ولجماعة ساكني الثغر ، لا محافظاً لك
ولا عجزاً عن حملتك الضعيفة ، والسلام .

سيرة احمد بن طولون للبلوي ص ٣١١ - ٣١٢

١٨٧ - رسالة شغوية من أحمد بن طولون للقاضي بكار وذلك
قبيل وفاته :

اعتقل ابن طولون القاضي بكار لأنه رفض الموافقة على خلع الموفق ،
ولما مرض ابن طولون مرض الموت أراد أن يصلح أحواله مع القاضي

بكار ، فأرسل يقول له مع غلامه نسيم :
إنك تعلم ميلي إليك قديماً وإكرامي لك مبتدئاً ، وإنه لم يفسد
محللك عندي إلا أمر الخلع ، وإن شهادتك كانت مباينة لشهادة غيرك
مخالفة لها ، وقد شاع في عسكري أنك نعمت هذا الخلع علي ،
ووالله ما انحرفت عن النكاث لإساءة كانت منه إليّ اعتدتها له ، ولا
أردت بخلمه إلا الله عز وجل ، لأنه أمر الخليفة ومنعه ما يجري
له . والصواب أن تحضر مجلسي في جمع من أوليائي وأولياء أمير
المؤمنين فتبرأ من النكاث براءة تدل على صدق نيتك لأمر المؤمنين
وترجع إلى عملك وترجع لك إلى ما كنا عليه من الاكرام والموالاتة
والحال التي كانت بيننا ، وإن امتنعت من هذا فلا لوم علينا فيما
أتينا من أمرك بما لم نؤثره ولا نختاره ، والله ، فيك .

١٨٨ - جواب القاضي بكار الشفوي لابن طولون على رسالته

السابقة وقد حملته الغلام نسيم :

قل له : يعز عليّ أن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من
ميلك إلى ما لا بد لك منه . وقد أعنتني وآذيتني ، لأنك تكلفني
الشهادة بالبلاغات التي لا يعدها الحسام . فخفف الله في أمري فأبني شيخ فان
وأنت عليل مدنف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل قريب .
وقد والله نصحت لك والسلام .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٣٣١ - ٣٣٢

١٨٩ - رسالة شفوية من أحمد بن طولون لابنه العباس لما ثار
ضده وهرب منه ولجأ إلى برقة ؛
أرسل له أبوه وفداً برئاسة زياد المعدني وطلب من رئيس الوفد
أن يبلغه ما يلي :

يا أقرب الناس إلي ، وأبرهم لدي ، وأعزهم علي ، عسبن غير
إساءة كانت مني إليك ، ولا خطيئة ركبتهما فيك ، ولم ترع حسن
تربيته لك وعظم إشتاقي عليك ، وإني رشحتك لمنزلي وقدردت بك
حياة ذكري وصيانة شملي ، فأرضيت عدوي واسخطت وليي . أيا
سبحان الله ؟ أما تخاف العقوبة في العقوق وقاضيا الله جل اسمه فيك ،
وثمره الجازاة على الإساءة ، صرفها الله بكرمه عنك ؟ فإن رجعت
إلي فكأنك لم تذنّب ، وان تمادى بك الإغترار شخصت إليك بنفسي
ولم أكن بأول من خسر سعيه وأخلف تقديره .

١٩٠ - رسالة خطية من ابن طولون لابنه العباس في برقة
مختلفات :

... وراجع بك إلى الحال التي يحصل لك عاجلها ، ويتوفر عليك
ثواب أجلها ، ولا حرمك ثواب بري وطاعتي ، وصرف عنك وزر
عقوقي ومعصيتي ...
ثم قال له فيه :

أحين فقات النعمة فيك أعين الأعداء ، وبلغت الغاية القصوى من
سرور الأولياء ، وبلغت السن التي يكون فيها انتفاع الوالد بولده ،
واستحكمت ثقتي بك وحسن ظني بالأيام فيسلك ، واستكفيت علي
كفايتك وعنايتك عني ، أتيت ما لا يحسن بك ولا يجمل بملك ، أستكفي

الله جل اسمه مؤونة من حملك على ذلك وغلبك على رأيك ، فقد سعى في دينك بما ظلمه ، وعيشك بما كدره ودنياك بما نقصها ، وآخرتك بما أفسدها ، ومروءتك بما أزرى بها ، ونعم الله عز وجل عليك بما يدعو إلى تبديلها ، وما أنا بآيس من أن يثيبه على عظيم ماركبه منك ، وجليل ماجناه عليك في تضيمك حقي وما ألبسك من ثوب معصيتي وعرضك إليه من سخط الله جل ثناؤه وغضبه في إسخاطي ومخالفتي ، فإنك إذا ميزته وتبينته لم تجده إلا أحد رجلين : إما رجل أطعنا الله عز وجل فيه فلزمنا أخذ جناية جناها منه ، أو رجل طمع في مالك فاغتم شغل قلبك فقال : أفوز بحظ من دنياه في هذا الرهح الساطع ، فإن أحسست في أمره نقصاً لجأت به إلى حيث لا يعرف خبيري ولا يدري أين أمري . فيز من شئت من خلصائك ونصحاءك فقد ترى أمرك ، فإنك لا تجده يخرج من هذين القسمين ، والله المستعان .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٥٠ - ٢٥٢

١٩١ - رسالة العباس الجوابية لأبيه أحمد من إنشاء جعفر بن حدار :

إلى الأمير أبي العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين من عبد الله مولى الله المتمسك بمناجي طاعة الله ، المنعرف عن زينب ظلم المعصية إلى وضوح سر البصيرة ، القابل من الله موعظته ، والمامل بما أمر به ، إذ يقول جل ثناؤه : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واقبع هواه (١) .

سلام على الأمير ، وعلى من استرجع وادكر ، وفكر وازدجر فأنا أحمد إلى الأمير الله الذي لا إله إلا هو ، العاطف بي إلى أرفع

(١) سورة الكهف : الآية ٢٨ .

سنن الهداية ، العادل بي عن ظلم سنن الجهالة ، وأسأله صلاة قامة يخص بها وليه وخيرته من صفوته ورسوله ﷺ .

أما بعد : وفق الله الأمير لحال رشده وجنبه مقابح أمره ، وسخر له الخلق عن غامض ذكره . فإن كتاب الأمير ورد على الحائذ منه عن سبيل العظة والتذكير إلى سبيل التهديد والتحذير ، فبعثه وقرَّب وأنس وهدد ، وجمع وفرع ، يبذل من نفسه باليسير فيها ، ويدعو إلى الصلة ويحدث غيرها ، ويعرض من ماله الأنفس ، ويصير من خطابه الأثر ، ويعدد من واجب حقه ولازم مفترضه ، ما اعترف به مصداقاً لمن اعترف بالطاعة محققاً ، وأذعن به لمن أذعن وحاد عن الشك ، ووقفت منه على ما أطمحت حاطماً وحواف عاماً ومهمه (١) ، فإن استخذأت لاتباع موافقتك وتظامنت درعاً عبر محاورتك (٢) ، فلقد اضطررتني الطاعة وأنجدتني الحاجة إلى إقامة عذر يتضح لك من استجلاب مرضاتك ما تجاوزت عما يدهمني ، فهبت في جواب الأمير مقام الأمير : إن فهت ضاع دمي وإن سكمت فمثل النار في كبدي

والله أستمع على بلوغ طاعته ، وإليه الرغبة جل اسمه في استصلاحك وتحصينك من زيغ شيطانك . وأما ما قرعت بذكره ووبخت موضعه في غير كتاب صدر منك في غير جواب ورد ، من انحرافي عن سبيل طاعتك ، وجنفي عن موالاتك والتأسي ابتزاز ملكك ، فوالذي اضطررتني إلى مجادلة من أوجب الله عز وجل علي حقه فإن حججته أوحشته ، وإن قصرت عن الحجة نقصت عنده ، ما حلت عن تخايل ظنك ، ولا

(١) كذا بالأصل والجملة غير مفهومة .

(٢) كذا بالأصل والجملة غير واضحة ولعلها : وتظامنت مذعناً عبر محاورتك ؟

كنت منذ نشأت إلا تحت طاعتك ، لكنه اكتنفي أمران واجبان ،
مقرون حقها بحق الله جل اسمه وحق رسوله ﷺ ، وسمعت الله
جل اسمه وعلا يقول : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوها
بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء
إلى أمر الله (١) .

فكان أكبر ما عندي في تأدية حقك القعود عن نصره من لزمي
مشايئته ووجبت علي معاونته ، وقبلت من الله عز وعلا أدبه في
حسن هجرتك . يقول الله عز وجل : وإن جاهداك على أن تشرك
بي ما ليس لك به علم فلا تطعها ، وصاحبها في الدنيا معروفا (٢) .
فلو ذهبت إلى ذكر ما أتى الله به عز وجل في كتابه المنزل على نبيه
ﷺ اطال به كتابي ، وقامت به عليك حجتي .

والآن فقد خليت عما قلدي أمير المؤمنين ، وما قبلت له تكريمته
وإنعامه من جميع أعمال حضرته ، خوفاً من أن أقوم فيها بالحق
فاسخطك ، وانكفأت إلى هذه الناحية هرباً من موجدتك وطلباً للقيام
بحقك ، أيها الأمير ، ولا أبين بقيامي فيما جعل إلي ما يخلفك فيه
النقيضة ، إذ كان حبل أمير المؤمنين قد اضطرب في يدك فوهت
قواه وانحل مبرمه . وتداكت (٣) عساكره في ذلك ، كما تذاك الإبل
اللوامح على الحياض الطوافح . وسبيل من اتبع رضاك ، أيها الأمير ،
وتوقف عما تكره التصرف فيه ، أن تعرف له ذلك ولا تجازي عليه
بخلاف ما يستوجب .

(١) سورة الحجرات : الآية ٩ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٥ .

(٣) تذاك القوم على الماء ازدحموا عليه .

وأما تخويقك أيها الأمير إياي بخيلك ورجلك وعددك وعتادك ،
فلو نظرت بعين النصفة ونطقت بلسان المعدلة لانفرج عن لبك رين
الشبهة ، وانفتح من سمعك ما استند سمعه بالشهوة ، فسمعت بعد وقر
وعرفت بعد نكر ، إني لو آثرت ما إليه قصدت من مقاومتك
لدفعتك عن محل عزك وما انخرفت عن دار ذلك ولأقت بها مظهراً
للحق داعياً إلى طاعة الله عز وجل ، وفي جواري من يجيب صريح
الحق إذا استصرخته ، ثم لو كشف لك عن قناعه وحسر عن ذراعه
لتطامنت لوطأته الليوث العيذاب . ولتضعضت لروعته الصم الصلاب ،
فلو لزمت ما بدر إليه ظنك لغورت مشاربك ولدثرت مسالكك
ولا تستصعب على الراكب مركبه ، ولحيل بينهم وبين ما يشتهون ،
ولكني آثرت الله عز وجل وما لديه ، فالقيت أزمة أمرك سخياً بها
وسوغتكم مطرحاً لها زاهداً فيها ، وانقطعت إلى ناحيتي هذه لقلة
قدرها وبعد محلها ، لأخفي شخصي بها ، لا لما شرحت القول فيه وأطلت
الخطب به . والله جل وعز يجزي الشاكرين .

وأما عرضك أمانك قبل المجاذب الحبل فإن الله تبارك وتعالى
يقول : ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن
الظالمين (١) . ويقول جل اسمه : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو
إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح
منه (٢) . ولقد مدح خليفه عليه السلام في قطعه رحمه فيما حصر دينه فقال :

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٥ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم (١) .

يقول البلوي مؤلف كتاب سيرة أحمد بن طولون : والكتاب طويل وإنما اختصرنا منه هذا القول .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٥٦ - ٢٦٠

١٩٢ - رسالة ابن طولون لابنه العباس لما هُزم أمام أهل برقة الذين حاربوه واضطروه للهرب فأتى إلى الاسكندرية واعتصم بها ، وهناك أرسل له والده هذه الرسالة موجهاً منذراً .

من أحمد بن طولون - مولى أمير المؤمنين إلى الظالم لنفسه العاصي لربه الملم بذنبه ، المفسد لكسبه ، العادي لظوره ، الجاهل بقدره ، الناكس على عقبه ، المركوس في فتنته ، المبخوس من حظ دنياه وآخرتاه .

سلام على كل منيب مستجيب ، تائب عن قريب قبل الأخذ بالكظم وحلول الفتور والندم . وأحمد الله الذي لا إله إلا هو حمد معترف له بالبلاء الجميل والطول الجليل ، وأسأله مسألة مخلص في رجائه ، مجتهد في دعائه أن يصلي على محمد المصطفى وأمينه المرتضى ورسوله المجتبي صلى الله عليه وسلم .

أما بعد : فإن مثلك مثل البقرة تثير المدينة بقرنيها ، والنحلة يكون حنقها يجناحها ، وستعلم - هيلتك الهوايل ، أها الجاهل الأحمق الذي ثنى على الغي عطفه ، واغتر بفجاج المواكب

(١) سورة التوبة : الآية ١١٤ .

خلفه - أي موردة هلكة بإذن الله توردت ، إذ على الله عز وجل
تمردت وشردت ، فإنه تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابه مثلاً :
قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم
الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وإنا كنا نقربك إلينا وننسبك إلى بنوتنا طمعاً في إنابتك وتأميلاً
لفيئتك ، فلما طال في الغي انهماك وفي غمرة الجهل ارتباكك ، ولم
نر الموعدة تلين كبعدك ، ولا التذكير يقيم أودك ، لم تكن لهذه
النسبة ، ولا لإضافتك إلينا موضعاً محلاً ، بل ولا نكني بأبي العباس
إلا تكراها ، وطمعاً بأن يهب الله منك خلفاً نقلده اسمك ونكني به
دوذك ، ونعدك كنت نسياً منسياً ولم تك شيئاً مقضياً ، فانظر ، ولا
نظر بك ، إلى عار نسبه تقلدت ، وسخط من قبلنا تعرضت ، واعلم
أن البلاء بإذن الله قد أظلك ، والمكروه إن شاء الله قد أحاط بك ،
والعساكر بحمد الله قد أبتك كالسيل في الليل ، تؤذذك بحرب وبويل ،
فإنا نقسم ، ونرجو أن لا نجور ونظلم ، أن لا نشي عنك عناناً ،
ولا نؤثر على شأنك شأننا ، ولا تتوقل ذروة جبل ولا تلج بطن واد
إلا جعلناك بحول الله وقوته فيها ، وطلبناك حيث أمت منها ، منفقين
فيك كل مال خطير ، ومستصغرين بسبيلك كل خطب جليل ، حتى
تستمر من طعم العيش ما استحللت ، وتستدفع من البلايا ما
استدعيت ، حين لا دافع بحول الله عنك ، ولا مزحج لنا عن
ساحتك وتعرف من قدر الرخاء ما جهلت ، وتود إنك هبلت ولم تكن
بالمعصية عجلت ، ولا رأى من أضلك من غواتك قبلت ، فحينئذ
يتفرى لك الليل عن صبحه ، ويسفر لك الحق عن محضه ، فتنتظر

بميينين لا غشاوة عليها ، وتسمع بأذنين لا وقر فيها ، وتعلم أنك كنت متمسكاً بجبال غرور ، متادياً في مقابح أمور ، من عقوق لا ينسام طالبه ، وبغي لا ينجو هاربه ، وغدر لا ينتعش صريعه ، وكفران لا يودى قتيله ، وتقف على سوء رويتك وعظم جريرتك في تركك قبول الأمان إذ هو لك مبدول وأنت عليه محمول ، وإذ السيف عنك مغمود وباب التوبة إليك مفتوح ، وتتلطف ، والتهلل غير نافعا ، إلا أن تكون أجبت إليه مسرعاً ، وانقدت إليه متنصحاً .

وإن مما زاد في ذنوبك عندي ما ورد به كتابك علي بعد نفوذني على الفسباط من التموهيات والأعالي ، والعدايات والأباطيل ، من مصيرك بزعمك إلى إصلاح ما ذكرت أنه قد فسد علي ، حتى حلت إلى الاسكندرية فأقمت بها طوال هذه المدة ، واستظهاراً عليك بالحجة وقطعاً لمن عسى أن يتعلق به معذرة علم بأن الإجابة غير صادة ، ولا أنه خالجي شك ولا عارضني ريب في أنك إنما أردت النزوح والإحتيال للهرب ، والنزوع إلى بعض المواضع التي لعل قصدك إياها يوديك ، ولعل قصدك إليها يكفينك ، ويبلغ إلي أكثر من الإرادة فيك ، لأنك إن شاء الله ، لا تقصد موضعاً إلا تلوتك ، ولا تأتي به إلا قفوتك ، ولا تلوذ بعصمة تظن أنها تنجيك إلا استعنت بالله عز وجل في جد حبلها وفصم عروتها ، فإن أحداً لا يؤوي مثلك ولا ينصره إلا لأحد أمرين من دين أو دنيا . فأما الدين فإنك خارج من جملته لمقامك على العقوق ومخالفة ربك وإسقاطه . وأما الدنيا فما أراه بقي معك من الحطام الذي سرقته وحملت نفسك على الإيثار به ، ما يتبها لك مكافئتنا بمثله . مع ما وهب الله لنا من جزييل النعمة التي نستودعه تبارك وتعالى إياها ،

ونرغب إليه في إنقاذها ، إلى ما أنت مقيم عليه من النفي الذي هو صارعك ، والعقوق الذي هو طالبك .

وأما ما منيتناه من مصيرك إلينا في حشودك وجموعك ومن دخل في طاعتك لإصلاح عملنا ومكافحة أعدائنا بأمر أظهروا فيه الشجاعة بنا فما كان إلا بسبيلك ، فأصلح ، أيها العبي الأخرق ، أمر نفسك قبل إصلاحك عملنا ، واحزم في أمرك قبل استعمالك الحزم لنا . فما أحوجتنا الله ، وله الحمد ، إلى نصرتك ومؤازرتك ، ولا اضطررنا إلى التكثر بك على شقاقك وممصيتك . وما كنت متخذ المضلين عضداً .

وليت شعري على من تهول بالجنود وتمخرق بذكر الجيوش ، ومن هؤلاء المسخرون لك ، الباذلون دماءهم وأموالهم وأديانهم دونك ؟ دون رزق ترزقهم إياه ولا عطاء تدره عليهم . فقد علمت ، إن كان لك تمييز أو عندك تحصيل ، كيف كانت حالك في الواقعة التي كانت بناحية أطرابلس ، وكيف خذلك أولياؤك والمرتزة معك حتى هزمت ، فكيف تغتر بن معك من الجنود التي لا إسم لهم معك ولا رزق يجري لهم على يسدك ؟ فإن كان يدعومهم إلى نصرتك هيبتك والمدارة لك والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكثير والعطاء الجزيل عندنا ما لا يجودونه عندك ، ولأنهم لأحرى بذلك والميل إلينا دونك ، ولو كانوا جميعاً معك ومقيمين على نصرتك لرجونا أن يكن الله منك ومنهم ، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم ، ويجرينا من عاداته في النصر والإعزاز الأمر على ما لم يزل يتفضل علينا بأمثاله ويتطول بأشباهه ، فما دعاني إلى الإرجاء لك والتسهيل من خناقك والإطالة من عنانك طول هذه المدة إلا أمران : أغلبها كان عليّ احتقار أمرك واستصغاره وقلة الإحتفال والإكتراب به ،

ولاني اقتصرت من عقوبتك على ما خلقت به بنفسك من الأباقي إلى أقاصي بلاد المغرب شريداً عن منزلك وبلدك ، فريداً من أهلك وولدك . والآخر أني علمت أن الوحشة دعوتك إلى الانحياز إلى حيث انحزت إليه ، فأردت التسكين من نفاك ، والطمأنينة من جأشك ، وعملت على أنك تحن إلينا حنين الولد ، وتتوق إلى قربنا توقان ذي الرحم والنسب ، فإن في رفقنا بك ما يعطفك علينا ، وفي تأخينا إياك ما يردك علينا ، ولم يسمع منا سامع في خلاء ولا ملاء انتقاصاً بك ولا غضاً منك ، ولا قدحاً فيك ، رقة عليك واستتماماً لليد عندك ، وتأميلاً لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك ، والموفق بذلك لرشدك وحظك ، فأما الآن مع اضطرارك إياي إلى ما اضطررتني إليه من الإزعاج نحوك ، وحبسك رسلي الناقلين بمهد كثير إلى ما قبلك ، واستعمالك المواربة والخداع فيما يجري عليه تدبيرك ، فما أنت بموضع للصيانة ، ولا أهل للإبقاء والحفاظة ، بل اللعنة عليك حالة ، والذمة منك برية ، والله طالبك ومؤاخذك بما استعملت من العقوق والقطيعة والإضاعة لرحم الأبوة ، فعليك من ولد عاق شاق لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، ولا قبل الله لك صرفاً ولا عدلاً ، ولا ترك منقلباً ترجع إليه ، وخذلك خذلان من لا يؤبه له ، وأثكلك ولا أمهلك ، ولا حاطك ولا حفظك . فوالله لأستعملن لعنك في دبر كل صلاة ، والدعاء عليك في آفاه الليل والنهار ، والغدو والآصال ، ولأكتبن إلى مصر وأجناد الشامات والثغور وقنسرين والعواصم والجزيرة والحجاز ومكة والمدينة كتباً تقرأ على منابرها فيك باللعن لك والبراءة منك ، والدلالة على عقوقك وقطيعتك ، يتناقلها آخر عن أول ، ويتأثرها غابر عن ماضٍ ، وتخلد في بطون الصحائف وتحملها الركبان . ويتحدث

بها في الآفاق ، وتلحق بك وبأعقابك عساراً ما طرد الليل والنهار
واختلف الظلام والأنوار . فحينئذ تعلم أيها المخالف أمر أبيه ، القاطع
رحمه المعاصي ربه ، أي جناية على نفسك جنيت ، وأي كبيرة اقترفت
واجتنبت ، وتتمى لو كانت فيك مُسْككة أو فيك فضل إنسانية ،
أنك لم تكن ولدت ، ولا في الخلق عرفت ، إلا أن تراجع من طاعتنا
والإصرار إلى ما قبلنا خاضعاً ذليلاً كما يلزمك ، فتقيم الاستغفار مقام
اللجنة ، والرقعة مقام الغلظة . والسلام على من سمع الموعظة فوعاها
وذكر الله فاتقاه ، إن شاء الله تعالى (١) .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧ ، ٥ - ١٠

١٩٣ - رسالة طبارجي قائد الجيش الذي أرسله ابن طولون
لمحاربة ابنه العباس لأحمد بن طولون .

أرسل ابن طولون قائده طبارجي في جيش لمحاربة ابنه العباس ،
وقد حاربه وفض جمعه وهرب العباس وأرسل من يتبعه وكتب إلى
ابن طولون ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي هذا وقت غروب الشمس من
يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة وقد وضعت الحرب أوزارها
وأظفر الله جل اسمه عبد الأمير وجميع أوليائه وأيدهم ونصرهم وأحسن
معونتهم ، ودمر على الملعون العاق الشاق الغادر العباس وضرب وجهه
وقتل أكثر الفجرة الذين كانوا معه وأمكن من خلق كثير منهم .
والحمد لله الذي أجرى الأمير - أيده الله - على عوائده عنده ، وجعل

(١) ذكر البلوي في كتابه سيرة أحمد بن طولون ص ٢٦٠-٢٦٤ نص هذه الرسالة
ولكن نص القلقشندي أكمل وأوضح .

أولياءه المنصورين وحزبه الغالبيين ، وأعداءه ومن عدل عن أمره
المقهورين حمداً يكون قضاء لحقه وكفء لإحسانه وامتراةً للزيد من
فضله ، تبارك اسمه وجل ثناؤه .

وكنت عند نزولنا المنزل المعروف بنذي حي قد أكملت أمر
المقدمة والساقاة واليمينه والميسرة ، وسرنا على تعبئة حتى وافينا المنزل
المعروف بدينار الذي كتبت كتابي منه ، وكان اللعين قد وافى هذا
المنزل من أول النهار مستعداً يجموعه وحشوده . فلما توافت الفئتان
تسرع إلينا مدلاً بنفسه ، متادياً في غيه ، فحملت يمينته على ميسرتنا ،
فأعان الله ، جل اسمه وله الحمد ، الأولياء على قلهما ، وحملت
ميسرتنا على يمينته ، وحملت أنا في أثرها من القلب ، محتسبين واثقين
بنصر الله عز وجل ، متوكلين عليه ، فولى القوم منزمين ، قد ضرب
الله وجوههم ومنح أكتافهم وقذف الرعب في قلوبهم ، واتبعتهم الأولياء
يقتلون فيهم ويأسرون منهم ، وقبل ذلك ما استأمن إلينا جماعة من
مشهورهم . كتابي يرد على الأمير ، أيده الله ، باسمائهم ، ولم يصب
احداً من الأولياء بحمد الله شيء يكرهه ، ومضى اللعين على وجهه
في نفي يسير من غلمانة ، فأتبعته بصيراً واتبع وكتجوراً ، وهم مدركون
بمشيئة الله دعوته . وفي غد نكتب إلى الأمير ، أيده الله ، بشرح
القصة ، وبأدرت بكتابي بهذه الجملة ليمتعجل الله عز وجل إليه السرور
بما من الله جل اسمه ، ويمجده على ما أولى من أنعامه .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٦٥ - ٢٦٦

١٩٤ - مقتطفات من رسالة أحمد بن طولون إلى غلامه لؤلؤ لما تركه واستأمن للموفق وانضم إليه .

وفقك الله لطاعته ، وراجع بك إلى ما هو أعود عليك ديناً ودينياً برحمته . إنه ليس شيء يبلغه والد شفيق ومستصلح رفيق ، من مواصلة وعظ وتبنيه على حظ ، أو دلالة على رشد وحض على سلوك قصد ، إلا وقد بلغنا أقصى نهايته معك ، وأبعد غايته فيك ، ضناً بك وشحاً عليك وتأميلاً لمراجعتك ، وما تركنا شيئاً ظنناه يؤنس وحشتك ويرفع محلك ويتجاوز به حق حرمتك الا وقد آتينا منه ، على ما نرجو أن يكون لرؤعتك مسكناً ولنفسك مؤنساً ومطيباً ، ولك من كل خوف موقياً .

وليس يمنعنا ذلك من تكرير القول عليك ، رجاء أن تصادف مواظنا لإياك إصغاءً إليها ، وإصاخة لها ، لينفعك الله عز وجل بها نفعاً كبيراً ، ويصرف بها عنك شيئاً كثيراً ، وقد تبينت بما كان من مفارقتك لنا ما قارفته من معصية الله جل اسمه فينا ، وتعرضك لما تمرضته من سخطه بانحرافك عن طاعتنا ، واختيارك لنفسك ما كنت عنه غنياً ، وعليه ثقة أميناً . فانظر هل نلت بذلك فيما بلغت عاجل دنيا ؟ أو آجل صلاح وجزيل أجر ؟ بل لقد سميت في فسادها ، ثم تأمل الحال التي أنت عليها ، والحال التي انتقلت عنها ، في أيها كنت أرخى بالأ وآمن سرباً واروح بدنناً وقلباً ، لتعلم أنك لم توفق في ذلك ولم تسدد في اختيارك ، لأن الله عز وجل وكلك إلى نفسك فاستغرك الشيطان وأضلك .

لقد تبين لك غرور ما آتيته ، بتبديد شملك بعد اجتماعه ، وانصداع شعبك بعد التثامه ، واتضح لك ما كنت أحذرك وقوعه ،

من قلة رضا جماعة الأولياء والموالي بك ، واستنكافهم من رياستك ،
إذ زالت عنك شمسنا ، فحرمت هيبتك التي ألبسك الله عز وجل بنا ،
من تنكرهم لك وانصرفهم عنك ، وما تنتظر الشريعة الباقية معك
إلا إمكان الفرصة بمثل ذلك ، محاماة منهم على اديانهم ووفاءً بأيمانهم ،
فكيف بك إذا صرت إلى العراق بحال مع من لا يدفع عنك عدواً ،
ولا يصرف عنك سوءاً ، وقد فارقت العش الذي فيه درجت ،
وموطنك الذي فيه خرجت ، ومولاك الذي في حجره ربيت ، وفي
نعمته غذيت ، وصرت إلى من لا يرعى فيك إلاً ولا ذمة ، ولا يوجب
لك حقاً ولا حرمة ، بل يملك مغنماً وفيناً مقتسماً ، يدنيك ويئنيك ،
لا حرصاً عليك بل ليحتوي على ما معك ويستصيفك .

وقد كتبت إلى أمير المؤمنين وإلى من لعلك تقصده ، أعلمهم أن
المال الذي اختزلته من أعمالنا ، هو مما أمرتك بحمله إلى باب السلطان ،
أعزه الله ، ومبلغه ألف ألف دينار ، فأبي حجة أبلغ لهم من كتابنا
اليهم إن المال لهم ومحمول اليهم ، فهل تكون بعد استنظاف ما معك
إلا بين أمرين ! إما أن يردوك إلينا متقربين بك إلينا ، أو نبذل لهم
في ردك إلينا مالاً يرونك عوضاً عنه ، فيكون مصيرك إلينا على جهة
القهر والأسر ما الموت أيسر منه . أفهذه المنزلة خير لك ، أو
مراجعتك الواجب عليك ؟ وإنابتك إلى ما هو أولى بك ؟ مما تختاره
ويرجع إلى محصول ، ويؤول إلى معقول ، فيكون مصيرك إلينا بوجه
مسفر غير كاسف وقلب مطمئن غير خائف .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٧٧ - ٢٧٩

١٩٥ - رسالة أبي الجيش خمارويه إلى ابن أبي الساج .

نشبت حرب بين خمارويه وابن أبي الساج ثم تصالحا وأعطى خمارويه لابن أبي الساج مبلغ ثلاثين ألف دينار ، وأرسل ابن أبي الساج ابنه إلى خمارويه رهينة على وفائه بالاتفاق . ولكن ابن أبي الساج غدر وعاد للحرب ضد خمارويه فحاربه خمارويه وانتصر عليه ثم أرسل إليه يقول :

كان يجب ، يا قليل المروءة والأمانة ، ان نصنع برهناك ما أوجبه غدرك .
معاذ الله أن تزر وازرة وزر أخرى .

زبدة الحلب لأبن العديم ج ١ - ٨٣

١٩٦ - رسالة محمد بن سليمان إلى هارون بن خمارويه

ضعف الطولونيون كل الضعف فأرسل الخليفة المكتفي قائده محمد بن سليمان بجيش لاسترداد مصر ولما شارف حدودها أرسل محمد بن سليمان قائد الجيش إلى هارون بن خمارويه آخر الطولونيين رسالة يقول فيها :
إن الخليفة قد ولاني مصر ورسم ان تسير بأهلك وحشمك إلى بابي
إن كنت مطيعاً .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٣ - ١١١

— الحمدانيون —

١٩٧ - رسالة ناصر الدولة الحمداني إلى كاتبه ووزيره أبي عمر المسيحي لما أساء السيرة وأخذ أموال بعض الوقوف ظلماً ، فأرسل إليه يتهدده ويقول :

قد اتصل طمعك فيّ وانبساطك عليّ وأنا محتمل وأنت مغتر ،
وبلغني إدخالك يدك في وقف فلان ، ووالله لئن لم تخلصها وتقصّر عن
فعلك المذموم لأقطعن يدك ورجليك .
فهرب الوزير إلى بغداد .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ - ٣٩

١٩٨ - رسالة سيف الدولة الحمداني إلى أخيه ناصر الدولة وقد
وقع بينهما جفوة .

لست أجفوا وإن جفوت ولا أترك حقاً عليّ في كل حال
إنما أنت والد والأب الجا في يجازى بالصبر والاحتمال

١٩٩ - رسالة ثانية منه إلى أخيه ناصر الدولة وقد حصل بينهما
سوء تفاهم .

رضيت لك العلبا وإن كنت أهلها وقلت لهم وهل بيني وبين أخي فرق
ولم يكن لي عنها نكول وإنما تجافيت عن حقي ليبقى لك الحق
ولا بد لي من أن أكون مصلياً إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

شذرات الذهب لابن العباد ج ٣ - ٢٠

٢٠٠ رسالة قرغويه إلى سعد الدولة بن سيف الدولة .

أراد قرغويه غلام سعد الدولة أن يستبد بحكم حلب ويطرد سعد الدولة منها ، وتواترت الأنباء أن الروم يعدون العدة لحصار حلب ، فأشار قرغويه على سعد الدولة أن يخرج من حلب وأن لا يتحاصر بها فيخرج منها إلى بالس ، وهناك وصلته رسالة من غلامه قرغويه يقول فيها :

امض إلى والدتك فإن أهل حلب لا يريدونك ولا يتركونك
تعود إليهم .

زبدة الحلب لابن المديم ج ١ - ١٦٠

٢٠١ - رسالة أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني إلى عز الدولة

البويهي بختيار :

أخرج عضد الدولة عز الدولة من بغداد وطرده من ملكه ، فلجأ إلى حمدان بن ناصر الدولة فزين له أخذ الموصل من أخيه أبي تغلب ، وبلغ ذلك أبا تغلب فأرسل إلى عز الدولة يقول :

لئن أرسلت إليّ أخي حمدان بن ناصر الدولة ، أغنيتك بنفسي وجيشي حتى آخذ لك ملك بغداد من عضد الدولة وأردك إليها (١) .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ - ٢٩٠

(١) يذكر أبو الفداء في المختصر ج ٢ - ١١٩ قصة تختلف بعض الإختلاف ونصاً مختلفاً كذلك عما أوردها أعلاه .

— الأخشيديون —

٢٠٢ - رسالة ابن رائق للأخشيد :

وقعت معركة بين ابن رائق والأخشيد فقتل في المعركة أبو نصر بن طنج أخو الأخشيد ، فحزن ابن رائق لمصرعه وكفنه ووضعه في تابوت وأنفذه إلى أخيه الأخشيد مع ابنه مزاحم ورسالة يقول له فيها :

ما أردت قتل أخيك . وهذا ولدي قد أنفذته إليك لتقيده به .
فخلع الأخشيد عليه رده .

زبدة الحلب لابن المديم ج ١ - ١٠١

٢٠٣ - رسالة الأخشيد إلى عبده كافور :

تقابل الأخشيد مع الخليفة المتقي على شاطئ الفرات ، وهناك أظهر احتراماً زائداً للخليفة وأفاض الخلع على حاشيته ، ويبدو أن الخليفة كناه ، والخليفة لا يكني أحداً ، فسر بذلك وأرسل إلى عبده كافور بذلك ويقول :

... ومما يجب أن تقف عليه - أطال الله بقاءك - اني لقيت أمير المؤمنين بشاطئ الفرات فأكرمني وحباني وقسال : كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله .

زبدة الحلب لابن المديم ج ١ - ١٠٨

— البويهيون —

آ - علاقتهم بالخلفاء :

٢٠٤ - محاورة بين معز الدولة البويهي وبعض أنصاره حول
الخلافة العباسية :

لما ملك معز الدولة بغداد أراد إزالة الخلافة العباسية والمبايعة
لبعض العلويين بالخلافة لأنه كان شيعياً مغالياً في التشيع ، فكل
أصحابه أشار عليه بذلك وأيده ما عدا بعض خواصه فإنه قال له :
ليس هذا برأي ، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك
أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله قتلوه مستحلين دمه ،
ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك
صححة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعالوه .
فأعرض عن ذلك .

الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٨ - ٤٥٢

٢٠٥ - نص الكتابة التي أمر بكتابتها ونقشها في مساجد بغداد
معز الدولة البويهي سنة ٣٥١ هـ :

كان معز الدولة شيعياً مغالياً فأمر سنة ٣٥١ هـ أن يكتب على
جدران مساجد بغداد ما يلي :
لعمرك الله معاوية ابن أبي سفيان ، ولعمرك من غضب فاطمة ، رضي
الله عنها ، فدكاً ، ومن منع من أن يدفن الحسن عند قبر جده ،
عليه السلام ، ومن نفى أبا ذر الغفاري ، ومن أخرج العباس من
الشورى .

الكامل لابن الأثير ج ٨ ، ٤٥٢ - ٤٥٣

٢٠٦ - رسالة الطائع لله إلى بختيار عز الدولة لما أرسل إليه يطلب منه المال لينفقه في الجهاد في سبيل الله وفي صد الروم :

هاجم الروم الحدود الشمالية الشرقية واحتلوا نصيبين ووصلت أنباء ذلك إلى بغداد فثار العامة وضاقت على بختيار من أجل الجهاد ، فقرر الجهاد وجعله وسيلة لجمع المال وضاق به الحال حتى أرسل إلى الخليفة يطالبه بمال من أجل الجهاد وأنه يحتاجه من أجل الغزو ، وأن ذلك واجب الإمام ، فأجابته :

الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وإليّ تدبير الأموال والرجال وأما الآن وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفاي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه ، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم ، فإن أحببتم أن اعتزلت اعتزلت عن هذا المقدار، وتركتكم والأمر كله (١) .

ولكن ذلك لم يقنع بختيار وظل يلح ويهدد حتى حصل من الخليفة على أربعمائة ألف درهم أنفقها كلها في ملذاته .
تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ - ٣٠٧

٢٠٧ - عهد الطائع إلى فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه سنة ٣٦٦ هـ من إنشاء أبي إسحاق الصابي :

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل ٨٥-٦١٩ نصاً مختصراً للكتاب المذكور أعلاه ، وكذلك فعل ابن كثير في البداية والنهاية ١١٥-٢٧٢ ، ولكن النص المذكور أعلاه أوسع وأدق وأكمل .

فخر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين حين عرف غناؤه وبلاءه . واستصح دينه ويقينه ورعى قديمه وحديثه ، واستنجب عوده ونجاره ، وأثنى عز الدولة أبو منصور بسن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين - أيده الله - عليه ، وأشار بالمزيد في الصنعة إليه ، وأعلم أمير المؤمنين اقتداؤه به في كل مذهب ذهب فيه من الخدمة ، وغرض رمي إليه من النصيحة ، دخولا في زمرة الأولياء المنصورة ، وخروجاً عن جماعة الأعداء المدحورة ، وتصرفاً على موجبات البيعة التي هي بعز الدولة أبي منصور منوطة ، وعلى سائر من يتلوه ويتبعه مأخوذة مشروطة ، فقلده الصلاة وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والأعشار والضياح والجهنذة والصدقات والجوالي وسائر وجوه الجبايات والعرض والمطاء والنفقة في الأولياء والمظالم وأسواق الرقيق والعيار في دور الضرب والطرز والحسبة بكورهمذان واسترأباذ والدينور وقرقيسين والإيفارين ، وأعمال أذربيجان وأرمان والسحانين وموقان ، واثقا منه باستبقاء النعمة واستدامتها ، والاستزادة بالشكر منها ، والتجنب لمطها ووجودها ، والتنكب لإيحاشها وتنفيذها ، والتعمد لما مكن له الخطوة والزلفى ، وحرس عليه الأثرة والقربى بما يظهره ويضمه من الوفاء الصحيح والولاء الصريح والغيب الأمين والصدر السليم ، والمقاطعة لكل من قاطع العصبة وفارق الجماعة ، والمواصلة لكل من حمى البيضة وأخلص النية ، والكون تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ، ومع عز الدولة أبي منصور وفي حوزته . والله جل اسمه يعرف أمير المؤمنين حسن العقبي فيما أبرم ونقض ، وسداد الرأي فيما رفع وخفض ، ويجعل عزائمهم مقرونة بالسلامة ، محجوبة عن موارد الندامة ، وحسب أمير المؤمنين الله ، ونعم الوكيل .

أمره يتقوى الله التي هي العصمة المتينة والجنة الحصينة والطور
 الأرفع والمعاذ الأمتنع والجانب الأعز والملجأ الأحرز ، وأن يستشعرها
 سرّاً وجهرّاً ، ويستعملها قولاً وفعلًا ، ويتخذها رداءً دافعاً لنوائب
 القدر ، وكهفًا حامياً من حوادث الغير ، فإنها أوجب الوسائل وأقرب
 الذرائع وأعوذها على العبد بصالحه ، وأدعائها إلى سبل مناجحته ،
 وأولائها بالاستمرار على هدايته والنجاة من غوايته ، والسلامة في دنياه
 حين توبتق موبقاتها وتردي مردياتها ، وفي آخرته حين تروع رائعاتها
 وتخيف مخيفاتها ، وأن يتأدب بآداب الله في التواضع والإخبات ،
 والسكينة والوقار ، وصدق اللهجة إذا نطق ، وغض الطرف إذا
 رمق ، وكظم الغيظ إذا أحفظ ، وضبط اللسان إذا أغضب ، وكف
 اليد عن الذآثم وصون النفس عن المحارم ، وأن يذكر الموت الذي هو
 نازل به ، والموقف الذي هو صائر إليه ، ويعلم أنه مسؤول عما
 اكتسب ، مجزي بما ترمك واحتقب ، ويتزود من هذا المر لذاك
 المقر ، ويستكثر من أعمال الخير لتنفعه ، ومن مساعي الخير لتنقذه ،
 ويأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها ، ويزدجر عن السيئات قبل أن
 يزجر عنها ، ويبتدئ بإصلاح نفسه قبل إصلاح رعيته ، فلا يبعثهم
 على ما يأتي ضده ، ولا ينههم عما يقترف مثله ، ويجعل ربه رقيباً
 عليه في خلواته ، ومروءته مانعة له من شهواته ، فإن أحق من غلب
 سلطان الشهوة ، وأولى من صرح أهداء الحمية من ملك أزمة الأمور
 واقتدر على سياسة الجمهور ، وكان مطاعاً فيما يرى ، متبعاً فيما يشاء ،
 يلي على الناس ولا يلون عليه ، ويقتص منهم ولا يقتصوف منه ، فإذا
 أطلع الله منه على نقاء جيبه وطهارة ذنبه وصحة سريرته واستقامة
 سيرته أعانه على حفظ ما استحفظه وأنهضه بثقل ما حمّله ، وجعل له

مخلصاً من الشبهة ومخرجاً من الحيرة . فقد قال الله تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب (١) .

وقال عز من قائل : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (٢) . وقال : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (٣) إلى آي كثيرة حفضنا بها على أكرم الخلق وأسلم الطرق . فالسعيد من نصبها إزاء نظره ، والشقي من نبذها وراء ظهره ، وأشقى منه من بعث عليها وهو صادف عنها ، وأهاب بها وهو بعيد عنها ، وله والأمثاله يقول الله تعالى : أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٤) .

وأمره أن يتخذ كتاب الله إماماً متبماً وطريقاً موقفاً ، ويكثر من تلاوته إذا خلا بفكره ، ويملاً بتأمله أرجاء صدره ، فيذهب معه فيما أباح وحظر ، ويقنّدي به إذا نهى وأمر ، ويستبين ببيانه إذا استغلقت دونه المعضلات ، ويستضيء بمصابيحه إذا غم عليه في المشكلات ، فإنه عروة الإسلام الوثقي ومحجته الوسطى ودليله المقنع وبرهانه المرشد ، والكاشف لظلم الخطوب والشافي من مرض القلوب ، والهادي لمن ضل ، والمتلافي لمن زل ، فمن لهج به فقد فاز وسلم ، ومن لهى عنه فقد خاب وندم . قال الله تعالى : وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٥) .

(١) سورة الطلاق : الآية ٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٢٠ .

(٣) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

وأمره أن يحافظ على الصلوات ويدخل فيها في حقائق الأوقات ، قائماً على حدودها ، متمبماً لرسومها ، جامعاً فيها بين نيته ولفظه ، متوقياً لمطامح سهوه ولحظه ، منقطعاً إليها عن كل قاطع لها ، مشغولاً بها عن كل شاغل عنها ، متمببناً في ركوعها وسجودها ، مستوفياً عدد مفروضها ومسنونها ، موفراً عليها ذهنه ، صارفاً إليها همه ، عالماً أنه واقف بين يدي خالقه ورازقه وبحببه وبميتته ومعاقبه ، لا تستتر دونه خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فإذا قضاها على هذه السبيل منذ تكبيرة الإحرام إلى خاتمة التسليم ، اتبعتها بدعاء يرتفع بارتفاعها ، ويستمع باستماعها ، ولا يتعمد في مسائل الأبرار وרגائب الأخيار ، من استصفاح واستغفار واستقالة واسترحام ، واستدعاء لصالح الدين والدنيا ، وعوائد الآخرة والأولى . فقد قال تعالى : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً (١) ، وقال تعالى : وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (٢) .

وأمره بالسعي في أيام الجمعة إلى المساجد الجامعة ، وفي الأعياد إلى المصليات الضاحية ، بعد التقدم في فرشها وكسوتها ، وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها ، واستسقاء الناس إليها وحضهم عليها ؛ آخذين الأهبة منتظفين في البزة ، مؤدين لفرائض الطهارة ، بالغين في ذلك أقصى الإستطاعة ، معتقدين خشية الله وخيفته ، مدرعين تقواه ومراقبته ، مكثرين من دعائه - عز وجل - وسؤاله ، مصلين على محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، بقلوب على اليقين موقوفة ، وهمم إلى

(١) سورة النساء : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .

الدين مصروفة ، وألسن بالتسبيح والتقديس فصيحة ، وآمال في المغفرة والرحمة فسيحة ، فإن هذه المصليات والمتمعدات بيوت الله التي فضلها ومناسكها التي شرفها ، وفيها يتلى القرآن ومنها ترتفع الأعمال ، وبها يلوذ اللائذون ويعوذ العائذون ويتمتع المتعبدون ويتمتع المتعبدون ، وحقيق على المسلمين أجمعين ، من والٍ ومولى عليه أن يصونها ويعمرها ، ويواصلها ولا يهجروها ؛ وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمر المؤمنين ثم لنفسه على الرسم الجاري فيها . قال الله تعالى في هذه الصلاة : يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ^(١) وقال في عمارة المساجد ؛ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ^(٢) .

وأمره أن يراعي أحوال من يلبه ، من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ويطلق لهم الأرزاق ، في وقت الوجوب والاستحقاق ، وأن يحسن في معاملتهم ويحمل في استخدامهم ، ويتصرف في سياستهم ، بين رفق من غير ضعف وخشونة من غير عنف ، مثيباً لمحسنهم ما زاد بالإجابة في حسن الأثر ، وسلم معها من دواعي الأثر ، ومتفهماً لمسيئهم ما كان التعمد له نافعاً وفيه ناجماً ، فإن تكررت زلاته وتتابعت عثراته ، تناوله من عقوبته بما يكون له مصلحاً ولغيره واعظاً ، وأن يختص أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأي والخطر منهم بالمشاورة في الملم والإطلاع على بعض المهم ، مستخلصاً نخائل قلوبهم بالبسط والإدناء

(١) سورة الجمعة : الآية ٩ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٨ .

ومستشجداً بصائرهم بالإكرام والاحتراف ، فان في مشاورة هذه الطبقة إستدلالاً على مواقع الصواب ، وتحرزاً من غلط الاستبداد ، وأخذاً بمجامع الحزامة ، وأمناً من مفارقة الاستقامة . وقد حض الله تعالى على الشورى حيث قال لرسوله عليه الصلاة والسلام : وشاورهم في الأمر ، فاذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١) .

وأمره بأن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ورباطات المرابطين ويقسم لها قسماً وافراً من عنايته ، ويصرف إليها طرفاً بل شطراً من رعايته ، ويختار لها أهل الجلد والشدة وذوي البأس والتجدة من عجمته الخطوب وعركته الحروب واكتسب دربة بخدع المتناوبين ، وتجربة بمكايد المتقارعين ، وأن يستظهر بتكثيف عددهم ، واختيار عددهم وانتخاب خيلهم واستجادة أسلحتهم ، غير مجرم بمثلاً إذا بعثه ولا مستكرهه إذا وجهه ، بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تلهيهم ، وترفهم ولا تئودهم : فإن في ذلك من فائدة الإجماع والعدل في الاستخدام ، وتنافس رجال النوب فيما عاهد عليهم بعمز الظفر والنصر ، وبعد الصيت والذكر ، وإحراز النفع والأجر ، ما يحق على الولاة أن يكونوا به عاملين ، وللناس عليه حاملين ؛ وأن يكرر على أسماعهم ويثبت في قلوبهم مواعيسد الله لمن صابر ورباط ، وسمح بالنفس وجاهد ، من حيث لا يقدمون على تورط غرة ، ولا يجمعون عن انتهاز فرصة ، ولا ينكصون عن تورط معركة ، ولا يلقون بأيديهم إلى التهلكة ؛ فقد أخذ الله تعالى ذلك على خلقه والمرامين عن دينه ، وأن يزيح العلة فيما يحتاج إليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها ،

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

وبناء حصونها ومعاقلها ، واستطراق طرقها ومسالكها ، وإفاضة الأوقات. والمعوقات للمتربين فيها والمترددين إليها والحامين لها ، وأن يبذل أمانه لمن طلبه ، ويعرضه على من لم يطلبه ، ويفي بالعهد إذا عاهد ، وبالعهد إذا عاقد ، غير مخفر ذمة ولا جارح أمانة ، فقد أمر الله تعالى بالوفاء فقال جل من قائل : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (١) . ونهى عن النكث فقال عز من قائل : فمن نكث فإنما ينكث على نفسه (٢) .

وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرائمهم ، وإنعام النظر في جناباتهم وجرائمهم ، فمن كان إقراره واجباً أقره ، ومن كان إطلاقه سائناً أطلقه ، وأن ينظر في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ، ويختار لها من الولاة من يخاف الله تعالى ويتقيه ، ولا يحابي ولا يراقب فيه ، ويتقدم إليهم بقمع الجهال وردع الضلال وتتبع الأشرار وطلب الدعار ، مستدلين على أماكنهم ، متوغلين إلى مكائهم ، متولجين عليهم في مظانهم ، متوثقين ممن يجدرونه منهم ، منفذين أحكام الله تعالى فيهم ، بحسب الذي يتبين من أمرهم ويتضح من فعلهم ، في كبيرة ارتكبوها وعظيمة احتقبوها ومهجة أفاضوها واستهلكوها وحرمة أباحوها وانتكوها : ممن يستحق حداً من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخفين منه وأحلوه به غير مقصرين عنه ، بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأتون به حجة ، ولا يعترضهم في وجوبه شبهة ، فإن الواجب في الحدود أن تقام بالبينات وأن تدرأ بالشبهات ، فأولى ماتوخاه رعاة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليها مع نقصان ، ولا

(١) سورة المائدة : الآية ١ .

(٢) سورة الفتح : الآية ١٠ .

يثوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان ، ومن وجب عليه القتل احتياط عليه بما يحتاط به على مثله : من الحبس الحصين والتوثق الشديد ، وكتب إلى أمير المؤمنين بنخبره وشرح جنايته ، وثبوتها بإقرار يكون منه أو بشهادة تقع عليه ، ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فان أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علماً ، وأتقنه فهماً ، وكان ما يعضيه عن بصيرة لا يخالطها شك ولا يشوبها ريب . ومن أم بصغيرة من الصغائر ويسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له مثلها ولم يتقدم منه أختها ، وعظه وزجره ونهاه وحذره واستتابه وأقاله ، مالم يكن عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه ، وجزاء له ، فإن عاد تناوله من التقويم والتهذيب والتعزير والتأديب بما يرى أنه قد كفى فيما اجترم ، ووفى بما قدم ، فقد قال تعالى :
ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (١) .

وأمره أن يعطل ما في أعماله من الحانات والمواخير ، ويظهرها من القبائح والمناكير ، ويمنع من تجمع أهل الخنا فيها وتآلف شملهم بها : فإنه شمل يصلحه التشييت ، وجمع يحفظه التفريق ، وما زالت هذه المواطن الذميمة والمطرح الدنيئة داعية لمن يأوي إليها ويعكف عليها إلى ترك الصلوات وإهمال المفترضات وركوب المنكرات واقتراف المحظورات ، وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها الله تعالى مفضبة ، وفي إخراجها للخير مجلبة . والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٢) . ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين : فنخلف من بعدهم

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

خلف أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً (١) .
وأمره أن يولي الحماية في هذه الأعمال أهل الكفاية والغناء من
الرجال ، وأن يضم إليهم كل من خف ركابه وأسرع عند الصريح
جوابه ، مرتباً لهم في المسالح وساداً بهم ثغر المسالك ، وأن يوصيهم
بالتيقظ ويأخذهم بالتحفظ ، ويزيح عنهم في علوفة خيلهم والمقرر من
أزوادهم وميرمهم ، حتى لا تثقل لهم على البلاد وطأة ، لا تدعوم إلى
تخيفهم وتلهم حاجة ، وأن يحوطوا السابلة بادئة وعائدة ، ويتداركوا
القوافل صادرة وواردة ، ويجرسوا الطرق ليلاً ونهاراً ، وينفضوها
رواحاً وإبكاراً ، وينصبوا لأهل العيث الأرصاد ، ويتمكنوا لهم بكل
وادي ، ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقاً لفنائهم ومؤدياً إلى
انفضاضهم ، ويحتمعوا حيث يكون الاجتماع مطفئاً لجرتهم وصارعاً
لمررتهم ، وأن لا يخلوا هذه السبل من حماة لها وسيارة فيها : يترددون
في جوادبها ويتعسفون في عوادبها حتى تكون الدماء محقونة ، والأموال
مصونة ، والفتن محسومة والغارات مأمونة ، ومن حصل في أيديهم من
لص خاتل وصعلوك خارب ونخيف لسبيل ومنتهك لحريم ، أمثل فيه
أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل : إنما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا
أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم
خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٢) .
وأمره بوضع الرصد على من يبتاز في أعماله من أباق العبيد ،

(١) سورة مريم : الآية ٥٩ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣٦ .

والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم ، والبحث عن الأماكن التي
 فارقوها والطرق التي استطرقوها ، ومواليهم الذين أبقوا منهم ونشروا
 عنهم ، وأن يردوهم عليهم قهراً ، ويعيدوهم إليهم صغراً ، وأن ينشدوا
 الضالة بما أمكن أن تنشد ، ويحفظوها على رهبها بما جاز أن تحفظ ،
 ويتجنبوا الامتطاء لظهورها والانتفاع بأوبارها وألبانها مما يجز ويحلب ،
 وأن يعرفوا اللقطة ويتبعوا أثرها ويشيعوا خبرها ، فإذا حضر صاحبها
 وعلم أنه مستوجبها سلمت إليه ولم يعترض فيها عليه ، فإن الله عز وجل
 يقول : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها (١) . ويقول
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضالة المؤمن حرق النار .

وأمره أن يوصي عماله بالشد على أيدي الحكام وتنفيذ ما يصدر
 من الأحكام ، وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها ، الذابن عنها
 المقيمين لرسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ، ومن خرج عن ذلك من
 ذي عقل سخييف وحلم ضعيف نالوه بما يردعه وأحلوا به ما يزرعه .
 ومتى تقاعس متقاعس عن حضور مع خصم يستدعيه ، وأمره يوجه
 الحاكم إليه فيه ، أو التوى ملتوى بحق يحصل عليه ودين يستقر في
 ذمته ، قاده إلى ذلك بأزمة الصغار وخزائم الاضطرار ، وأن يجبسوا
 ويطلقوا بأقوالهم ، ويثبتوا الأيدي في الأملاك والفروج وينزعوها
 بقضايهم ، فإنهم أمناء الله في فصل ما يفصلون وبت ما يبتون ، وعن
 كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يوردون ويصدرون ، وقد قال
 تعالى : يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق
 ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل

(٢) سورة النساء : الآية ٥٧ .

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (١) .
وأن يتوخى بمثل هذه المعاملة عمال الخراج في استيفاء حقوق مسا
استعملوا عليه ، واستنظاف بقاياهم فيه ، والرياضة لمن تسوء طاعته
من معاملتهم وإحضارهم طائمين أو كارهين بين أيديهم ، فمن آداب
الله تعالى للعبد التي يحق عليه أن يتخذها أدباً ويجعلها إلى الرضا عنه
سبباً قوله تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٢) .

وأمره أن يجلس للرعية جلوساً عاماً ، وينظر في مطالبها نظراً
تاماً ، ويساوي في الحق بين خاصها وعامها ، ويوازي في المجالس بين
عزیزها وذليلها ، وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه ، بعد
الفحص والتأمل والبحث والتبين ، حتى لا يحكم إلا بعدل ، ولا ينطق
إلا بفصل ، ولا يثبت يداً إلا فيما وجب تثبيتها فيه ، ولا يقبضها
إلا عما وجب قبضها عنه ، وأن يسهل الإذن لجماعتهم ويرفع الحجاب
بينه وبينهم ، ويوليهم من حصانة الكنف والسين المنعطف ، والإشتمال
والعناية والصون والرعاية ما تتعادل فيه أقسامهم وتتوازن أقساطهم ،
ولا يصل المكين منهم إلى استزامة من تأخر عنه ، ولا ذوو السلطات
إلى هزيمة من حلّ دونه ، وأن يدعوهم إلى أحسن العادات والخلائق ،
ويحضهم على أجمل المذاهب والطرائق ، ويحمل عنهم كلّه ويمد عليهم
ظله ولا يسومهم خسفاً ولا يلحق بهم حيفاً ولا يكلفهم شططاً ولا
يخشهم مزلماً ، ولا ينلم لهم معيشة ولا يداخلهم في جريمة ، ولا يأخذ

(١) سورة ص : الآية ٢٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٣ .

بريشاً منهم بسقيم ولا حاضراً بعميم ، فإن الله جل وعز نهى أن تزر وزارة وزر أخرى ، وجعل كل نفس رهينة بمكسبها ، بريئة من مكاسب غيرها ، ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سن عليها من سنة ظالمة ، وسلك بها من محجة جائزة ، ويستقري آثار الولاة قبله عليها ، فيما أزجوه من خير أو شر إليها ، فيقر من ذلك ما طاب وحسن ، ويزيل ما خبت وقبح ، فإن من يفرس الخير يحظى بمسول ثمره ، ومن يزرع الشر يصلى بمرور ريعه . والله تعالى يقول : والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً ، كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون (١) .

وأمره أن يصون أموال الخراج وأثمان الغلات ووجوه الجبايات موفراً ، ويزيد ذلك مثمراً ، بما يستعمله من الإنصاف لأهلها ، وإجرائهم على صحيح الرسوم فيها ، فإنه مال الله الذي به قسوة عباده وحماية بسلاده ودرور حليه واتصال مدده ، وبه يحاط الحريم ويدفع العظيم ويحمى الذمار وتزداد الأشرار ، وأن يجعل افتتاحه إياه بحسب إدراك أصنافه وعند حضور مواقفته وأحيانه ، غير مستسلف شيئاً قبلها ، ولا مؤخرأ لها عنها ، وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترقيه لهم ، وأهل الاستصعاب والامتناع بالتشدد عليهم ، لئلا يقع إرهاب للمذعن ، أو إهمال لطامع ، وعلى المتولي لذلك أن يضع كلا من الأمرين موضعه ، ويوقعه موقعه ، متجنباً إحلال الغلظة بمن لا يستحقها ، وإعطاء الفسحة لمن ليس من أهلها ، والله تعالى يقول : وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى (٢) .

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٨ .

(٢) سورة النجم : الآية ٤١ ،

وأمره بأن يتخير عماله على الأعشار والحراج والضياع والجهيزة والصدقات والجوالي من أهل الظلف والنزاهة والضبط والصيانة ، والجزالة والشهامة ، وأن يستنظر مع ذلك عليهم بوصية يديها أسماعهم ، وعهود يقلدها أعناقهم ، بأن لا يضيعوا حقاً ولا يأكلوا سحتاً ، ولا يستعملوا ظلماً ، ولا يقارفوا غشماً ، وأن يقيموا العمارات ، ويحتاطوا على الفسلات ويتمحروا من ترك حق لازم أو تعطيل رسم عادل ، مؤدين في جميع ذلك الأمانة ، مجتنبين للخيانة ، وأن يأخذوا جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه ، واستجدادة نقده على عبارته ، واستعمال الصحة في قبض ما يقبضون وإطلاق ما يطلقون ، وأن يوعزوا إلى سمات الصدقات بأخذ الفرائض من سائمة مواشي المسلمين دون عامتها وكذلك الواجب فيها ، وأن لا يجمعوا فيها متفرقاً ولا يفرقوا متجمعاً ، ولا يدخلوا فيها خارجاً عنها ، ولا يضيفوا إليها ما ليس منها : من فحل إبـل إلى أكلة راعٍ أو عقيلة مالٍ ، فإذا اجتمهوا على حقها واستوفوها على رسمها أخرجوها في سبيلها وقسموها على أهلها الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ، إلا المؤلفه قلوبهم الذين سقط سهمهم فإن الله تعالى يقول : إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم (١) .

وإلى جباة جماجم أهل الذمة أن يأخذوا منهم الجزية في الحرم من كل سنة بحسب منازلهم في الأحوال ، وذات أيديهم من الأموال ، وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود المحدودة المعهودة لها ، وأن

(١) سورة التوبة : الآية ٦١ .

لا يأخذوها من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ، ولا من ذي سن عالية ولا ذي علة بادية ولا فقير معدم ولا مترهب متبتل ، وأن يراعي جماعة هؤلاء العمال مراعاة يسرها ويظهرها ويلاحظهم ملاحظة يخفيها ويبدئها ، لئلا يزولوا عن الحق الواجب ، أو يعدلوا عن السنن اللاحب ، فقد قال تعالى : وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً (١) .

وأمره أن يندب لعرض الرجال وإعطائهم ، وحفظ جراياتهم وأوقات طعامهم ، من يعرفه بالثقة في ستعرفه ، والأمانة فيما يجري على يده ، والبعد عن الإسفاف إلى الدنية ، والإتباع للدناءة ، وأن يبعثه على ضبط حلى الرجال وشيات الخيل وتجديد العرض بعهد الاستحقاق ، وإيقاع الاحتياط في الانفاق ، فمن صح عرضه ولم يبق في نفسه شيء منه ، من شك يعرض له أو ربيسة يتوهمها ، أطلق أموالهم موفورة وجعلها في أيديهم غير مثلومة ، وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والإخلال ، ناسباً ذلك إلى جهته ، ومورداً له على حقيقته ، وأن يطالب الرجال بإحضار الخيل المختارة ، والآلات المستكلمة المستعملة على ما توجبه مبالغ أرزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم فإن آخر أحدهم شيئاً من ذلك قاصه به من رزقه وأغرمه مثل قيمته ، فإن المقصر فيه خائن لأمير المؤمنين ومخالف لرب العالمين ، إذ يقول الله سبحانه : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . ترهبون به عدو الله وعدوكم (٢) .

وأمره أن يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة والطرز،

(١) سورة الاسراء : الآية ٣٤ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

على من تجتمع فيه آلات هذه الولايات ، من ثقة ودراية وعلم وكفاية
ومعرفة ودراية وتجربة وحكمة ، وحصافة ومسكة ، فإنها أحوال
تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه ، وأن يتقدم إلى ولاية أسواق
الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه ويمضون أمره ، والتحرز من وقوع
تجوز فيه وإهمال له ، إذ كان ذلك عائداً بتحسين الفروج وتطهير
الأنساب ، وأن يعمدوا عنه أهل الريبة ويقربوا أهل العفة ، ولا يمضوا
بيعاً على شبهة ، ولا عقداً على تهمة . وإلى ولاية العيار بتخليص عين
الدرهم والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والنزاهة من
المش (١) ؛ وبحسب الإمام المقرر بمدينة السلام ، وحراسة السكك من
أن تتداولها الأيدي المدغلة وتتناولها الجهات الظنينة ، وإثبات اسم
أمير المؤمنين على ما يضرب منها ذهباً وفضة وإجراء ذلك على الرسم
والسنة ؛ وإلى ولاية الطراز بأن يجروا الاستعمال في جميع المناسج على
أتم النيقة وأسلم الطريقة ، وأحكم الصنعة وأفضل الصحة ، وأن يثبتوا
اسم أمير المؤمنين على طراز الكسا والفرش والأعلام والبنود ، وإلى
ولاية الحسبة بتصفح أحوال العوام في حرفهم ومتاجرهم ومجتمع أسواقهم
ومعاملاتهم ، وأن يعايروا الموازين والمسكايل ، ويفرزوها على التعديل
والتكميل ، ومن اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس أو غيلة أو تدليس ،
أو نجس فيها يوفيه أو استفضل فيما يستوفيه نالوه بغليظ العقوبة وعظيمها
وخصوه بوجيعها وأليمها ، واقفين به في ذلك عند الحد الذي يروونه
لذنبه مجازياً ، وفي تأديبه كافياً . فقد قال الله تعالى : ويبل للمطففين
الذين إذا اكتملوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون (٢) .

(١) المش : الخليط حين يذوب .

(٢) سورة المطففين : الآيات ١-٣ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك ، قد وقفك به على سواء السبيل وأرشدك فيه إلى واضح الدليل ، وأوسعك تعليماً وتحكيمياً وأقنعتك تعريفاً وتفهماً ، ولم يالك جهداً فـيا عصمك وعصم على يدك ، ولم يدخرك مكنأ فـيا أصلح بك وأصلحك ، ولا ترك عذراً في غلط تغلظه ، ولا طريقاً إلى متورط تتورطه ، بالفأ بك في الأوامر والزواجر إلى حيث يلزم الأئمة أن يندبوا الناس إليه ، ويحسبهم عليه ، مقبلاً لك منجيات المسالك ، وصارفاً لك عن مرديات المهالك ، مريداً فيك ما يسلمك في دينك ودنياك ، ويمود بالحظ عليك في آخرتك وأولاك ، فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت ، وإن تجانفت وأعوججت فقد خسرت وندمت . والأولى بك عند أمير المؤمنين ، مع مغرسك الزاكي ومنبتك النامي وعودك الأنجب وعصرك الأطيب أن تكون لظنه بك محققاً ، ولخيلته فيك مصدقاً ، وأن تستزيد بالأثر الجميل قرباً من رب العالمين وثواباً يوم الدين ، وزلفى عند أمير المؤمنين وثناءً حسناً من المسامحين . فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من معاذيره ، وأمسك بيدك على ما أعطى من موافيقه واجعل عهده هذا مثلاً تحتذي به ، وإماماً تقتضيه ، واستعن بالله يعمك ، واستهده يهدك ، وأخلص إليه في طاعته يخلص لك الحظ من معونته ، ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل عليك من صعب أو بهرك من باهر أو بهظك من باهظ ، فاكتب إلى أمير المؤمنين به منياً ، وكن إلى ما يرد من جوابه عليك منتظياً إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ١٥ - ٣١

٢٠٨ - رسالة شغوية أرسلها بهاء الدولة إلى الخليفة القادر :

أعدن قرواش العقيلي سنة ٤٠١ هـ ولامه للفاطميين وخطب للحاكم بأمر الله في الموصل فاستاء الخليفة القادر من ذلك وأرسل إلى بهاء الدولة يشرح له الحال ويطلب منه التدخل ، فقال بهاء الدولة شفويًا للرسول وطلب منه أن يبلغ ذلك للخليفة .

والله إن عندنا من هذا الأمر أكثر مما عند أمير المؤمنين لأن الفساد علينا به أكثر . وقد كاتبنا أبا علي^(١) وتقدمنا بإطلاق مائة ألف دينار يستعين بها على نفقات المسكر ، وإن دعت الحاجة إلى مسيرنا كنا أول طالع على أمير المؤمنين .
المنتظم لابن الجوزي ج ٧ - ٢٥١ .

٢٠٩ - رسالة الجنيد وقواد الجيش للخليفة القادر سنة ٤١٨ هـ بعد وفاة شرف الدولة .

ثار الجنيد والاصفهمسارية سنة ٤١٨ هـ بعد وفاة شرف الدولة وقصدوا الخليفة وأرسلوا يقولون له :

إنك أنت مالك الأمور ، وقد كنا عند وفاة الملك شرف الدولة اخترنا جلال الدولة تقديراً منا أنه ينظر في أمورنا فأغفلنا ، فمدلنا إلى أبي كاليبجار ظناً منا أنه يحقق ما يعدنا به ، فكنا على أقبح من الحالة الأولى ، ولا بد من تدبير أمورنا .

(١) المقصود بآبي علي هنا عميد الجيوش الحسن بن أبي جعفر الذي كان قائداً للجيش البويهبي آنذاك في بغداد .

٢١٠ - جواب الخليفة القادر للجند على رسالتهم السابقة :

إنكم أبناء دولتنا ، وأول ما نأمركم به أن تكون كلمتكم واحدة .
وبعد ، فقد جرى الأمر من عقد الأمر لأبي طاهر ثم نقضه ، ثم
ساعدناكم عليه ، وفيه قبح علينا وعليكم ، ثم عقدتم لأبي كاليبجار عقداً
لا يحسن حله من غير روية ، ولبني بويه في أعناقنا عهد لا يجوز
العدول عنها . والوجه أن تدعونا نكتب أبا كاليبجار ونمصرف
ما عنده .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٢٩

٢١١ - رسالة الجند بحق جلال الدولة إلى الخليفة القادر

سنة ٤١٩ هـ .

شعب الجند ضد جلال الدولة وتحالفوا وأرسلوا إلى الخليفة
يقولون :

نحن عبيد أمير المؤمنين ، وهذا الملك متوفر على لذاته لا يقوم
بأمورنا ، ونريد أن نوزع إليه بالعود إلى البصرة وإنفاذ ولده ليقم
بيننا نائباً عنه في مراعاتنا .

٢١٢ - جواب جلال الدولة للجند الثاني :

توسط الخليفة بين جلال الدولة والجند وبذل جلال الدولة كثيراً
من الوعود ولكنه لم يف بها فعاد الجند إلى الشعب وحاصروه حتى
اضطر إلى الإذعان وأرسل يقول لهم :
إني أرجع عن كل ما أنكرتموه وأعطيتكم .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٣٥

٢١٣ - رسالة الخليفة القاسم بأسمر الله إلى جلال الدولة البويهى
بشأن الجوالي وجبايتها :

حدث نزاع بين الخليفة وجلال الدولة سنة ٤٣٤هـ ، ذلك أن
جلال الدولة صادر ما جباه وكلاء الخليفة من أموال الجوالي وتولى وكلاءه
جبايتها فشق ذلك على الخليفة وأرسل له مع الماوردي رسالة هذا
نصها :

ليس يختل على ذي عقل غلط ما أتاه جلال الدولة من عدوله عن
عهوده والوفاء بعهوده ، وان الإيمان المؤكدة اشتملت على ما لا
فسيحة في نقضه ولا سبيل إلى حله ، وفيما جرى من الاعتراض على
الجوالي في جبايتها بعد تسليمها إلى الوكلاء نقض لما عقده والتعويل
على عقده ، فانطلقت الألسن بما يصاب عن مثله ، فإن ذكر أن
ضرورة دعت إلى ذلك فالأمر راسلنا على الوجه الأجل ، ولو أنه لما
أراد ما أراد جعل الوكلاء القاطنين به يحملونه إليه لكان ذلك أولى. فأما
المدول عن هذه الطريقة فظاهر ، الفرض فيه الومقين^(١) ، ولولا ما
عليه الوكلاء من الإضاقة نرى ترك القول في مال هذه الجوالي مع نزارة
قدره ، لكن للضرورة حكماً تمنع من الاختيار ، وإن روى الوكلاء
يدفعون أيامهم ، وإلا فلهم عند الضرورات متسع من الأرض ، ونحن
نقاضيهِ إلى الله تعالى وهو الحكم بيننا .

٢١٤ - جواب جلال الدولة :

اعتراف بوجود الطاعة ثم قال :

ونحن ناثبون عن الخدمة نيابة لا تنتظم إلا بإطلاق أرزاق المساكر

(١) كذا بالأصل والمعنى مضطرب غير مفهوم ولعل الصواب : الفرض فيه الرقيعة ؟

وقد التجأ جماعة ممن خدمنا إلى الحرم واستعصم به ، حتى أن أحدهم أخذ من تلاعنا في دفعة واحدة تسمائة بدرة ، ونحن نمنع من إحضارها ونحن محذورون عند الحاجة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ١٣٠ - ١١٤

ب - علاقة البويهيين بعضهم ببعض

٢١٥ - رسالة عز الدولة البويهي إلى ابن عمه عضد الدولة وقد وقعت بينهما وحشة أوجبت أن يطلب عز الدولة رضا عضد الدولة والرسالة من إنشاء أبي إسحاق الصابي :

كتابي - أطال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة من العسكر بظاهر سوق الأهواز ، ومولانا أمير المؤمنين مشمول بالكفاية والتأييد ، مخصوص بالعز والتمكين ، يجري على أفضل مسا عود الله خلفاءه في أرضه ، وأحبائه في رعاية خلقه ، من التكفل لهم بالإظهار والإدالة وتوليهم بالإعلاء والإنافة . وأنا مستظل بكنف طاعته مستكن في حرم مشايعته ، شاكر لله على بلائه ، مثن عليه بألائه ، راغب إليه أن يعصمني في مولانا الملك الجليل المنصور وفي نفسي من كل مكروه ومستهجن ، ويوفقي وإياه لكل مستحب ومستحسن ، ويعيذنا من المقام على الفرقة ، والزوال عن سبب الألفة وهو المحمود رب العالمين :

والحقوق بين مولانا الملك وبيني فيما قرره من اللحمة وأكدته العصمة وأثلته الأسلاف ونشأت عليه الأخلاف حقيقة بأن لا تتسرع إليها دواعي النقض ، ولا تتمكن منها ملات النسخ ، ولا يتم للشيطان

عليها ما يحاوله بنزغته ويتوصل إليه بكيدته ، وأن تنزاح العوارض عنها وتضمحل دون التأثير فيها ، وأن نعتقد جميعاً أن بتقارضنا رعايتها ثبات النعم المتصلة بها ، فلا يستنكف مستنكف منا أن يخفض جناحه لأخيه ويغض من جماعه في مقاربة ذويه ، إذ كان ذلك حامياً له في أهول الأحوال مما هو أشد حفضاً وأبلغ رضاً وأسوأ مغبة وأنكر عاقبة .

وقد علم مولانا الملك المنصور بالثاقب من تأمله ، والصحيح من تمييزه وتدبره ، أن دولتنا - حرسها الله - مبنية على أسس التراقد والتعاقد ، موضوعة على قاعدة التوازن والتظافر ، وأن مشيختنا وسادتنا رضوان الله عليهم ، جعلوا الائتلاف رتاجاً بين الأعداء وبينها ، ثم أن مفتاحه هي الخلاف المتطرق لهم عليها ، ولو حدث التنافر في أيام أضعفنا مُنْتَهً ، وأوهننا عقدة ، وأحدثنا سناً وأقلنا حنكة ، لكان ذلك أقل في التعجب من أن يعرض في رياسة أحصفنا رأياً وأسداً تدبيراً وأوفاناً حليماً وأكملنا حزمًا ، وقد تكررت - أيد الله مولانا - على ذات بيننا قوارص احتقرناها حتى امتلأ الإناء من قطرها ، واستقينا منها على العظيمة التي لا ثواء بعدها . وما أعود على نفسي بلوم في ابتداء قببح ابتدأته ، ولا بمركب شنيع ركبته ولا حتى طرحته ، ولا استصلاح تركته ، ولا أدفع مع ذلك أنني قابلت لما تضاعف بالأقل الأيسر ، وجازيت لما ترادف بالأدون الأنزر ؛ إلا أنني ما آثرت كثيرة ولا قليلة ، ولا اخترت دقيقة ولا جليلة ، لكنه لم يصلح في السيرة - وقد اشفينا على التزاحف للحرب والتدالف للطعن والضرب - ان استعمل ما كنت عليه من توفية الحقوق وإقامة الرسوم ، فيراني الأولياء الذين بهم تحمى البيضة وتحاط الحوزة ، متناقض الفعلين ،

متنافي المذهبين ، وكنت في ذلك الفعل الدميم ، والرأي الذي ليس
بمستقيم ، مقتدياً لا مبتدياً ، ومتبعاً لا مبتدعاً ، ولو وقف بي مولانا
الملك الجليل قبل أواخر الجفاء وعطف معي إلى أول شرائع الصفاء ،
لكانت عريكتي عليه ألين ، وطريقه إلى ارتباط طاعتي وولائي أقصد ،
لكنه - أيده الله - أقام على ما لا يليق به من بجانبتي ومغالطتي ،
وبث الحباثل بي ودس المكاييد إلي ، ومتابعته الجواسيس والكتب
إلى الأولياء في عسكري الذين هم أولياؤه أن انصف وعدل ،
ونصحاؤه إن أحسن وأجل ، وكان الأشبه بمولانا ، لو كنت المغالط
عليه ، والباعث لهذه الأسباب إليه . أن يسومني سياسة الحكيم
ويستخلصني استخلاص الكريم ، إذ كنا لم نقدمه معشر أهل البيت
علينا ، ونوله أزمة أمورنا ، إلا لياسو جراحنا ويحبر كسورنا ، ويتعهد
مسيئتنا ، ويستميل نافرنا ، فـأما أن يحاول منسا استباحة الحرم
وإركاب المركب العظيم فكيف يجوز أن تدرم على هذا طاعة أو تصلح
عليه جماعة ، أو يفضي عليه مفضٍ أو يصفح عنه صافح ؟ وكان من
أشد هذه الجفوة وأقطعها ، وأقساها وأغلظها أن عاد رسولي من حضرته
خالياً من جواب بما كتبت إليه ، وما أعرف له - أيده الله - في
ذلك عذراً ييسطه ، ولا سلك منه السبيل التي تشبهه ، وبالله جهد
القسم ومنتهاها وأجلها وأوقاها ، لقد سار مولانا أمير المؤمنين - أطال
الله بقاءه - وسرت إلى هذا الموضع ، واعتقادنا لا يتجاوز حفظ الحدود
والأطراف ، وحياطة النهايات والأكناف ، والأغلب علينا أن مولانا
الملك - أدام الله تأييده - لا يتجاوز معي المكاتبة اللطيفة والمخاطبة
الجميلة ، والاستدعاء مني لما يسوغ له أن يطلبه ولي أن أبذله ، من
تعفئة السالف وإصلاح المستأنف ، وتوفية للحق في رتبة لا أضن بها

عليه ، ولا استكثر النزول عنها له ، وتقرير أصل بيننا يكون - أيده الله - به معقلا لي وموثلا وأكون له نائبا ومظفرا . إلى أن بدأ الأصحاب بالبعث في هذه البلاد ، وألحوا عليها بالفارات واعتمدوها بالنسكيات ، وكان هذا كالرشاش الذي يؤذن بالإنسكاب ، والوميض الذي يوعد بالاضطرام ، وأوجبت قبل المقابلة عليه والشروع في مثله في حق مولانا الملك الجليل ، الذي لا أدع أن احفظ منه ما دعاني إلى إضاعته ، وأتمسك بما اضطرنني إلى مفارقتة ، أن أقدم أمام الإلتقاء على الحرب ، التي هي سجال كما يعلم ، ابلاغ نفسي عندها وإعطاء المقادة منها ، داعيا له إلى طاعة الخالق والإمام وصلة اللحم والأرحام ، وحقن الدماء والمهج وتسكين الدهماء والرهج ، وثني العنان عن المورد الذي لا يدري وارده كيف يصدر عنه ، ولا يثق بالسلامة منه ، وتعريفني ما يريد مني لأتبعه ما لم يكن ثالما لي وعائدا بالوهن علي ، والله الشاهد على شهادة قد علم إخلاصي فيها وسماحة ضميري بها ، وانني أكره أن أنال منه كما أكره أن ينال مني ، وأنال أن أظهر عليه كما أتالم أن يظهر علي ، وأحب أن يرجع عني وأرجع عنه ، وقد التقت قلوبنا وتآلف على الجميل شملنا ، وطرفت أعين الأعداء عنا وانحسمت مطامعهم فينا ، فإن فعل ذلك فحقيق به الفضل ، وهو لعمر الله به أهل ، ولا عذر له في أن لا يفعله ، وقد وسع الله ماله ووفر رجاله ، وأغناه عما يلتمسه الصعلوك ويخاطر له السبوت وجعله في جانب الغنى والثروة والحزم والحيطه . وإن أبي فكتابي هذا حجة عند الله الذي تستنزل منه المعونة ، وعند الناس الذين تلتبس منهم العصبية . وقد انفذت به اسفندار بن خسرويه وإبراهيم بن كالي ، وهما ثقتاي وأميناي ، ليؤدياه ويشافهاه عني بمثل متضمنه ونجواه

والله يعيننا في مولانا الملك الجليل من أن يختار أولى الأمرين وأليقهما
بدينه ومرورته ، وهو ولي ما يراه في الأمر بتمجيل الإيجاب بما أعمل
به ، وانتهى بالتدبير إليه ، إن شاء الله تعالى .
صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ ، ٥٦٤ - ٥٦٨

٢١٦ - رسالة الطائع لله إلى عضد الدولة من أجل عز الدولة :
وقمت النفرة بين عز الدولة وعضد الدولة ، وذلك بعد وفاة
والد عضد الدولة ركن الدولة ، فأرسل الخليفة الطائع كتاباً إلى عضد
الدولة يظم فيه عز الدولة وجعل له التقدم بمسند ركن الدولة .
والكتاب من إنشاء أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ، فكان ذلك
أحد الأسباب التي أدت بعضد الدولة للنقمة على أبي إسحاق ، وفيها
يلي نص الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع
الله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة أبي شجاع ابن ركن الدولة أبي علي
مولي أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله
الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ .
أما بعد : احسن الله حفظك وحياطتك وأمتع أمير المؤمنين بك
وبالنعمة فيك ، فإن من سنن العدل التي يؤثر أمير المؤمنين أن يحبها
وآداب الله التي يرى أن يأخذها ويقتفيها ، إثابة المحسن بإحسانه والإيفاء
به على أقرانه ، والمجازاة له عن راشد مساعيه وصائب مراميه ، بما
يكون قضاءً لما أسلف وقدم ، وكفاءاً لما أكد وألزم ، واضعاً ذلك
مواضعه ، ومطبقاً فيه بين أولياء دولته وأنصار دعوته ، بحسب الذي
عرف من مقامات بلائهم وشهر من مواقف غنائهم ، فلا يستكثر جزيلاً

استحقه أكابرهم ، ولا يحقنر قليلاً استوجبه أصغرهم ، شاحناً لبصائرهم في طلب الغايات وبعثاً على إدراك النهايات ، وتوفية لهم مساصار في ضمنه من إطالة أيديهم إلى ما قصد لنيه ، وتقديم أقدامهم إلى حيث هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . وعلى مثله استمرت سيرة السلف الصالح من أمراء المؤمنين وأئمة المسلمين الذين أمير المؤمنين متبوع لدليلهم وحاذر على تمثيلهم وذاهب على آثارهم في كل غرس غرسه وبناء أسسوه ومفخرة أثلواها ومكرمة أصطلوها ، وأمير المؤمنين يستمد الله في ذلك هداية تؤديه إلى القصد وتوصله إلى المعتمد ، وأصالة تؤمنه من غلط الرأي وخطأ الاختيار ، ومعونة تفضي به إلى سداد المنحى وإصابة المغزى ، ومسا توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وقد علمت - رعاك الله - وعلم غيرك ، بعين ما أدركته الأعمار وسماع ما نقلته الأخبار : أن الدولة العباسية التي رفع الله عماد الحق بها ، وخفض منار الباطل لها ، لم تزل على سالف الأيام ومتعاقب الأعوام تعتل طوراً وتصح أطواراً ، وقلنات مرة وتستقل مراراً ، من حيث أصلها راسخ لا يتزعزع ، وبنيانها ثابت لا يتضمضع ، فإذا لحقها الإلتمياك وحدثت فيها الأحداث كان ذلك على سبيل التقويم والتأديب والاصلاح والتهذيب لمعشر كانوا كالأنعام رتعوا في أكلانها سائمين ، ولها عن شكر آلائها ذاهلين ، فيوقظهم الله من تلك السنة وينهضهم عن مضاجع الغفلة ، ويجعل ما يحله بهم ، في خلال ما يضطرب من دهمائهم ويشتد من لأوائهم عظة لهم ، إن امتدت بهم السنون ، أو لغيرهم ، إن اخترمهم المنون : حتى إذا انتهت هذه الحال إلى حيث أراد الله بهم من الكف والردع ، وسببه لهم من النفع والصنع ، بعث لإقرار الأمر في نصابه وحفظه على أصحابه ولياً نجيباً من أوليائهم ، وعبداً مخلصاً من أصفيائهم ، فلا تلبث أن تمود الدولة على

يده غضة العمود معتدلة العمود جديدة اللباس متينة الأمراس ، وهناك يكذب الله آمال المعاندين ، ويخيب ظنون المحادين ، ويردمهم بغصّة الصدور وشجى النحور ، ويكون النفر الذين تجري هذه المتقبة على أيديهم وتم النعمة فيها بمساعيمهم أعيانا لتلك المعصور ، وولاية فيها على الجمهور ، وكالشركاء للأئمة المساهمين وذوي اللحمة المناسيين . وتلك كانت منزلة معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين ، نفعه الله بما توفاه عليه من عز الطاعة ونظم الفة الجماعة ، والاجتهاد فيما ربّ الدين ولمه ، وتلافى نشره وضمه ، فإنه لبس الأمر وقد دب الفساد فيه وصدت بصائر أهليه وصار حظه منتهياً مضاعفاً ، وفيهم مقتسماً شعاعاً ، وآثار دينهم طامسة ومعامله دارسة ، ورؤوس أوليائه ناكسة وعيون أعدائه متشاوسة ، فلم يدع ، أحسن الله مجازاته ، طرفاً مأخوذاً إلا ارتجعه ولا حقاً مغلوباً عليه إلا انتزعه ، ولا عدواً باغياً إلا قمعه ، ولا جباراً طاغياً إلا صرعه ، شامراً سيفه على كل منتم إلى الولاية بزعمه ودعواه ، أجنبي عنها بسره ونجواه ، إلى أن ذلل الرقاب بعد استصمائها وإبائها ، واضرع الحدود بعد صعرها والتوائها ، ورتق الفتوق بعد تفاقمها واستفحالها . وأدمل الجروح بعد إعيائها وإعضالها ، وأعاد إلى السلطان ما كان خرق من هيئته وصان ما انتهك من حرمة .

وصاحب خدمة المطيع لله - صلوات الله عليه - منذ أفضى الله بخلافته إليه مصاحبة ، وسلك فيها سبيل وفاقه ، وبعُد عن غشه ونفاقه ، وأخلص له إخلاصاً ساوى فيه بين سره وجهره ، والفرق بين عالته وباطنه ، واستمر على ذلك بقية عمره وثميلة مدته إلى أن قبضه الله نقي الصفحة من دون الميوب ، خفيف الظهر من محمل الذنوب ، فأتبعه المطيع لله - صلوات الله عليه - الدعاء الذي هو خير الزاد

وأنفع العتاد ، وأقرب الوسائل إلى رب العالمين وأعودها بأجر المأجورين ،
وجازاه بأن أقر تلك الرتبة العلية والحلة السنية على ولده وسليله ونظيره
في النجابة وعديله ، عز الدولة أبي منصور بن معز الدولة أبي الحسين
مولى أمير المؤمنين - أمتع الله به - لا إقرار الحجابي له فيما لم يستحقه ،
ولا السامي به إلى ما ليس من أهله ، بل عن فضائل تكافئت وآثار
تناصرت ، لم يكن له في شيء منها مقارن يزاحمه بمنكبه ولا مقارب
يحاربه بسعيه ؛ ذلك انه تقيّل خلائق معز الدولة أبي الحسين وراثته ،
واشتمل عليها حيازة ، وتوقل في هضاب معاليه صاعداً ، وفي صعاب
مراقبه سامياً ، واستولى على شرف الترتب والتأدب بين إمام تلك
صنائه ، ووالد هذه ذرائعه ، وقرن إلى تلك المناقب التي كسبه إياها
عظيم سعادته وحبسها عليه كريم ولادته ، مناقب توابع استأنفها ،
ومحاسن شوافع استقبلها ، ومطالب لأواب الفخر والمجد أدركها وتناولها ،
ومغاثم من عوائد الشكر والحمد ملكها ونحوها . ولم يزل للطميع لله ،
رحمة الله عليه ، خير ظهير حفظ سريره ، وأفضل نصيح دبر أموره ،
يدأب له وهو قارئ ، ويحوط من وراثته وهو غار ، ويسهر عليه إذا
رقد ، ويهب معه إذا استيقظ ، ويوليه في كل ما يجتمعان عليه يداً من
الطاعة ، يلين له لمسها ، ويخشن على أعدائه مسها ، إلى أن استوفى
في الخلافة أمداً لم يستوفه أحد من الخلفاء قبله ، ناجياً فيه من الغوائل
التي كانت تغول أعمارهم وتقصّر آجالهم ، وتجري على أيدي السفهاء من
خولهم ، والجهال من جندهم ، مندوداً عنسه في ذلك العمر الطويل
والأجل المديد كل عدو ، بمنوعاً عنه كل مكروه وسوء ، بمتثلاً رأيه
في كل مطلوب ، متبماً هواه في كل محبوب . فلما صار - رضوان
الله عليه - من السن العاليا والعلّة العظمى بحيث يجرى أن يقيم معه على

إمامة قد كل عن تحمل كلها ، وضعف عن النهوض بمبئها ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين خلع الناص عليه والمسلم إليه ، خارجاً إلى رب العالمين وجماعة المسلمين من الحق في إيااتهم وسياساتهم ما استقل واضطلع ، وفي حسن الإرتياد لهم حين حسر وطلع .

وعز الدولة أبو منصور - أمتع الله ببقائه ، ودافع عن حوائثه - متصرف في ذلك على حكم التزمه وفرض افترضه في رعاية ما سلف من الصنيعة واستحفظ من الوديعة ، لا يخرجها عن الطاعة هوى يميل إليه ، ولا غرور يعرج عليه ، لكنه فيها على المنهج الأوضح والمتجر الأربيع والسنن الأقوم والمعتقد الأسلم ، فكان فعله بعد عجز المطيع لله - خصصه الله بالرحمة والصلاة - ونصبه على أمير المؤمنين - أنهضه الله بما ولاء واسترعاه في قود الأولياء إلى الرضى به وجمع كلمتهم على الدخول في بيعته ولذالتهم عما كانوا عليه من اختلاف الآراء وتشتت الأهواء - جازياً لفعل المطيع لله ، رضوان الله عليه ، بعد وفاة معز الدولة أبي الحسين ، رحمه الله ، إذ أقره مقره ونصبه منصبه ، وجرى ذلك مجرى الديوث المتقارضة ، وإن كان كل من الفريقين قد أضاف إلى الحق فيما ابتدأ ، وقضى إحراز الحظ للأمة فيما ارتأى وأتى .

هذا على نواثب قاساها عز الدولة أبو منصور - أحسن الله الإمتاع به - وعانها ، وشدائد باشرها وصابرها ، وحوادث كانت مزقت بين دار أمير المؤمنين وداره ، وباعدت جواره عن جواره . ولم يكتب الله في شيء منها عليه استحالة عن الولاء ، وعلى أمير المؤمنين إخلالاً بالوفاء . ولما كان أمير المؤمنين قد استفاد في زمان تلك الفرقة تجربة ، تثبت له ان لعز الدولة حظاً في كرم الضريبة لا يدانى ، وشأواً في عين النقيب لا يجارى ، ووجده وأهله - أمتع الله أمير المؤمنين بهم ، وحرس

عليه الموهبة فيهم - مشرفين شرفاً : أولاً بالتكنية والتلقيب لهم ،
وشرفاً ثانياً بإجابتهم إلى مثل ذلك في اللائحين المتعلقين بهم ، رأى أن
من أوجب الحق عنده وألزم الأمر له أن يبين عز الدولة أبا منصور
بشعار من الإكرام ويمس من الإعظام لا يساويه فيها مساوياً ، إشارة
إلى موقعه اللطيف ودلالة على محله المنيف ، وتميزاً له عن الأكفء ،
وإيفاءً به على النظراء ، إذ هو مستبد عليهم بأثره مفاداة مجالس أمير
المؤمنين ومراوحتها ، والتمكن منه في أوقات حشدها وخلوتها ،
والاقتدار فيها على تقديم الرتب وتأخيرها ، وإقرار النعم وتخويلها ،
فجدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق والمعالج السوامق ،
التي يلزم كل دان وقاصٍ وعامٍ وخاص أن يعرف له حق ما كرم به
منها ويتزحزح له عن مقام المائلة فيها ، مزايًا ثلاثاً : أولاً أن شابكه
في اللحمة كما شاركه في النعمة ، وناط ما بينه وبينه بصهر يتصل سببه
يوم انقطاع الأسباب ويستمر غرسه في الرلد والأعقاب ، فيكون الناشئ
منهم في مستقبل الأعمار ومستأنف الأدوار ضارباً بعرقه إلى أمير
المؤمنين وإليه . والثانية : أن أمر بالدعاء له في المكاتبات عنه بما
لم يكتب به عن إمام إلى ولي لعهد ولا مات بحق ، واقفاً به في ذلك
على حد سأل عز الدولة « أمتع الله أمير المؤمنين به » الوقوف عليه ،
واستعفى من التجاوز له لزوماً لعادته في إعظام الإمامة والإخبارات
للخليفة وخفض الجناح لها ، وغض الطرف دونها والاستكثار للقليل
من تشريفها ، والاستعظام لليسير من تكريمها ، وإن كان أمير المؤمنين
موجباً له من ذلك استغراق الغايات واستيعاب النهايات ؛ وهو ، أن
يصدر الكتب إليه بأطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك وأمتع أمير
المؤمنين بك وبالنعمة فيك . ويدعى له عند ذكره في الكتب إلى أمير

المؤمنين وعنه بأيده الله . والثالثة : أن جمعه أمير المؤمنين إلى نفسه في استخدام الوزراء وأشركه معه في تقليد الأولياء ، وأن عرف لنصير الدولة أبي طاهر^(١) حق تقدمه في الكفاية والغناء ، وإبرازه في الاستقلال والوفاء . وقيامه بكل مهم طرق ، ودفاعه لكل مهم أرهق ، وسده من هذه الحضرة التي هي قبة الإسلام وواسطته وسنامه وغاربه ، مكاناً لم يسدده مثله ولا يملأه غيره . فعز الدولة أبو منصور ابن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين - أيده الله - الآن المستعلي على الأقران ، الفائت لغايات أهل الزمان ، المتبوء المرتبة العليا ، المستمة في غايتها القصوى . ونصير الدولة الناصح أبو طاهر - أمتع الله به - الجامع لوزارتها ، الحامل للأنتقال دونها ، الحائز شرف المناب عنها ، الجاري مجرىً واحداً منها ، وقد أمر أمير المؤمنين بأن يوفى من الحق أكبر ما وفيه وزير وازر وظهير ظاهر في قديم وحديث ، وبعيد من العهد وقريب ، وحظر على سائر الأولياء والخدم من ذي سيف وقلم أن يسمو بنفسه إلى تسميه باسمه وارتسام برسمه ، لأنه حق من حقوق الخلافة لا ينحله أمير المؤمنين من صنائعه أجمعين ، وان كثر عددهم واختلفت مقارنهم وتقدمت مراتبهم وتوجهت وسائلهم ، إلا من كان مائلاً بين يديه ، وعارضاً للأعمال عليه ، وجارياً هذا الجرى في تمكن السبب عنده وحسن الأثر لديه . فاعرف - كلاك الله - لعز الدولة أبي منصور - أيده الله - قدر ما وقّر من النعمة عليه ، ولنصير الدولة الناصح أبي طاهر ما شخص به وأزل:

(١) هو الوزير محمد بن بقية وزير عز الدولة . وقد قتله عضد الدولة وصلبه لما احتل بغداد وقيلت في حقه المراثية المشهورة .

إليه ، وقم بذلك الحق الأول بادياً ، وبهذا الحق الثاني مثنياً موفياً ،
وأجب أمير المؤمنين بوصول كتابه إليك وامتنالك الأمر الوارد فيه
عليك . وتلقيك إياه بما يعدك به في الأوضحين سبيلاً والأرشدین دليلاً ،
إن شاء الله . والسلام عليك ورحمت الله .

وكتب نصير الدولة أبو طاهر يوم السبت لاثني عشرة ليلة خلت
من جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة .
رسوم دار الخلافة للصابي ١١٣ - ١٢٠

٢١٧ - رسالة عضد الدولة لوالده ركن الدولة :

إنك قد كبرت عن لقاء الحروب ولا مال عندك ، وعندني منه
كيت وكيت في القلاع والخزائن .
تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ - ٣٣١

٢١٨ - رسالة ركن الدولة الشفوية لابنه عضد الدولة من أجل
ابن أخيه عز الدولة بختيار

وقعت فتنة في بغداد وشغب الجند ضد بختيار فاستمد ابن عمه
عضد الدولة الذي أنجده ، ولكنه طمع في مكانه فقبض عليه وخلعه
وحل مكانه في حكم العراق ، ووصل الخبر إلى أبيه ركن الدولة
فغضب وقرر الزحف بنفسه لحرب ابنه ، وكتب إلى جميع الخاصين
لعضد الدولة بحربه ، فتضعض حال عضد الدولة وأرسل لوالده رسالة
شفوية يشرح فيها الوضع ويعتذر عما تم ، وكان ذلك مع رسولين ،
ولكن ركن الدولة أراد قتلها فهربا من بين يديه ثم استدعاهما وقال
لها :

قولا لفلان (يقصد ابنه عضد الدولة وسماه بغير اسمه) :
خرجت إلى نصره ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أنني نصرت
الحسن بن الفيروزان ، وهو غريب عني ، مراراً كثيرة أخرج فيها
كلها عن ملكي وأخطرت بنفسي وأحارب وشمكيت وصاحب خراسان
حتى إذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها إليه وعدت من غير أن أقبل
منه ما قيمته درهم فما فوق طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوة ،
أتريد أن تمن أنت عليّ بدرهمين أنفقتها عليّ وعلى أولاد أخي ثم
تطمع في ممالكهم . . .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ - ٣٥٠

٢١٩ - رسالة شفوية حملها عضد الدولة لابن العميد لتبليغها
لوالده حول نفس الموضوع

أرسل عضد الدولة ابن العميد برسالة لوالده يشرح له ما تم وضعف
بختيار عن ضبط العراق ثم قال لابن العميد : انظر فإن تيقظ للأمر
ونجس فيه هذا القول واشباهه فاقصر عليه ، وإن رأيت مقيماً على
رأيه فزد في الرسالة وقل له :

إني أقاطمك على أعمال العراق وأحمل إليك عنها ثلاثين ألف الف
درهم ، وأنت فقير لا مال لك ولا عدة عندك لمثل هذه الحال إن
عادت إليك ، وأنا أعجل لك من جملتها عشرة آلاف الف درهم ،
وأبعث بختيار وأخوته إليك لتجعلهم بالخيار ، فإن شأوا أقاموا في
أوساط ممالكك ومكنتهم من أي البلدان اختاروه ، وإن شأوا أن
يصيروا إلى فارس فيختاروا من أعمالها أي البلدان أحبوه إلى ذلك
ووسعت عليهم في النفقات وأرغدت عيشهم في أوساط ممالكنا ، ولم

تتركه في هذه الديار التي استضعفه أهلها وعرف جنده سيرته فيها ،
وإن الخلافة تخرج عن يده وأيدينا وهو يضعف عن سياسة جنده
ويعتمد في التدبير على الجبايات والمصادرات وتمكين من يرتفع له في
الوقت على يده مالا يقنع موقعا من حاجته ، ثم يضطر إلى نكبته
واعتماد غيره . على أن هذا الباب أيضا قد انسد ولم يبق فيه بقية
بما عمله قديما ، وقد عرف ذلك من نفسه ولذلك استمعى من الأمر ،
وإن أحببت أن تحضر بنفسك إلى العراق لتلي الدبير وتكون سائس
الخلافة وبيت الملك ووليت الملك وترد بختيار إلى الري فأذصرف إلى
فارس كان ذلك وجهاً من الرأي صحيحاً .

ثم قال لابن العميد : ينبغي أن تنبسط في هذا المعنى فإنك تجد
فيه مقالا واسعا ، فإن لان لك وعرف صواب قولك ، وإلا فزد في
الرسالة فصلا ثالثا تجبه به وهو :

إنك أيها الوالد السيد مقبول القول والرأي والحكم ، ولكن لا
سبيل إلى إطلاق القوم بعد مكاشفتهم والقبض عليهم وإظهار المداوة
لهم ، فإنهم لا يصلحون لي أبداً ولا تنقى جيوبهم ولا تصح نياتهم
وسيقابلوني بغاية ما يقدرون عليه ، فيضطرب الجبل وتنتشر كلمة أهل
هذه البيت أبداً .

وإن أبيت أن تقبل إحدى الخصال التي عدتها لك وخبرتك فيها
وحكمت بانصرافي على هذه الجملة ، فإنني سأضرب أعناق هؤلاء الثلاثة
الأخوة (يعني عز الدولة بختيار وأخويه) واقبض على من أتهمه من
حزب وأخرج وأترك العراق شاغرة ليدبرها من انفقت له .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ ، ٣٤٨ - ٣٤٩

٢٢٠ - رسالة من عضد الدولة إلى ابن العميد من أجل ترتيب لقاء بين عضد الدولة ووالده ركن الدولة .

خضع عضد الدولة لرغبة والده فترك العراق وأطلق سراح أبناء عمه ، ثم أراد أن يصلح والده ووسط ابن العميد فاقترح ابن العميد على الأب أن يأتي عضد الدولة مع جنده لزيارته فاحتج الأب بعدم وجود مال كافٍ لديه للإنفاق عليهم ، فاقترح ابن العميد أن يذهب الأب لزيارة ابنه فاستقبح الأب ذلك ، ووصل الخبر إلى عضد الدولة فأرسل إلى ابن العميد يقترح عليه حلاً ويقول :

إن هاهنا حالة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الأشياء التي يذكرها ، وهو أن يقصد أصهبان فإنها من أعماله وأنهم أنا من فارس فأقصده لخدمته وعبادته من مرضه ، ويلزمي حينئذ تفقد أسبابه وحاشيته ولا يلزمه لي ولا لأحد ممن يصحبني شيء ولا يتحدث بأنه قصدني أوزارني . وقد تم ذلك .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ - ٣٦٣

٢٢١ - نص تحالف أولاد عضد الدولة :

اختلف أولاد عضد الدولة بعد وفاة والدهم ثم اتفقوا على الطاعة لأخيهم الكبير شرف الدولة وكتبوا بذلك عهداً هذا نصه ، وكان ذلك سنة ٣٧٦ هـ :

هذا ما اتفق عليه وتعاهد وتعاقد شرف الدولة أبو الفوارس وصمصام الدولة وأبو النصر أبناء عضد الدولة بن ركن الدولة . اتفقوا على طاعة أمير المؤمنين الطائع لله وشرف الدولة بن عضد الدولة . . .
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٤ ، ١٤٨ - ١٤٩

٢٢٢- نص موافقة الطائع لله على الصلح الذي تم بين شرف الدولة ومصمصام الدولة ولدي عضد الدولة :

تصالح شرف الدولة ومصمصام الدولة وحرر في ذلك وثيقتان تتضمنان خفض الجناح وصلة الرحم والإذعان في الطاعة . ووجد فيما خلفه أبو الحسن ابن حاجب النعمان نسخة أخرى بمثل الذي تقدم ذكره وعلى ظهرها بخط أبي الحسن ابن حاجب النعمان :

بسم الله الرحمن الرحيم . ثبت بحضرة سيدنا ومولانا الإمام الطائع لله أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه وأعز نصره وأدام توفيقه وكتب عدوه - ماتضمنه الاتفاق المكتوب في باطن هذا الكتاب وصح عنده التزام شرف الدولة وزين الملة أبي الفوارس - أمد الله تأييده - لمصمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليبجار مولى أمير المؤمنين - أعز الله نصره - ماشرح فيه بعد أن ألزم له مثله . فحكّم مولانا أمير المؤمنين - أعز الله نصره - عليها به وجمعها إلى الإئتلاف عليه في طاعته وخدمته ، وقطع به بينهما الفرقة والاختلاف ، وأمر بهذا التوقيع تأكيداً لمسا تصافيا عليه ، وإلزاماً لهما بالوفاء به وأنعم بعلامة بخط يده الكريمة في أعلاه . والحكم الشريف النبوي في منتهاه . والله عون مولانا أمير المؤمنين على ما التزمناه وتوخينا .

وكتب علي بن عبد العزيز بالحضرة الشريفة وعن الإذن السامي ، والحمد لله رب العالمين .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج ٣ ، ١٢٥ - ١٢٦

٢٢٣ - رسالة بهاء الدولة الى أبي علي بن أستاذ هرمز والديلم

الذين معه .

تمكن أولاد بختيار عز الدولة من الحرب من سجن صمصام الدولة وقتله ، وهو أخو بهاء الدولة الذي حل محله ، والتف حولهم أبو علي ابن أستاذ هرمز وعدد من الديلم ووقعت الحرب بين الطرفين ، ثم أحس بهاء الدولة رغبة أبي علي في الانضمام إليه فأرسل يقول له : إنه قد كنت أنت والديلم معنورين قبل اليوم في محاربتني حين كانت المنازعة في الملك بيني وبين أخي ، فأما الآن فقد حصل ثأري وثأركم في أخي عند من سفك دمه واستحل محرمه فلا عذر لكم في القعود عني في المطالبة بالثأر واستخلاصي الملك وغسل العار .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ - ٣٢٠

٢٢٤ - رسالة الموفق أبي علي الى بهاء الدولة في النصر على

أولاد بختيار وقتل ابنه .

انضم أبو علي والديلم إلى بهاء الدولة ووجه بهاء الدولة جيشاً بقيادة أبي علي لحرب أولاد بختيار وانتصر أبو علي عليهم وأرسل من مكات المعركة التي نشبت سنة ٣٩٠ هـ الرسالة التالية إلى بهاء الدولة :
بسم الله الرحمن الرحيم . علقته هذه الأحرف غدوة يوم الإثنين لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة من الموضع المعروف بدار زين على خمسة فراسخ من بم ، وبين يدي رأس ابن بختيار ، وقد استولى القتل على أكثر من خمسمائة رجل من الديلم . وأما الرجالة والزط فلم يقع عليهم إحصاء . بلغ الله تعالى مولانا شاهنشاه في جميع أموره وسائر أهداء دولته نهاية آماله وآمال خدمه . وكتابي ينفذ بالشرح ليوقف عليه ويعظم الشكر لله عز اسمه على ماوفق له من هذا الفتح المبارك

بمنه . وقد استوهب البشارة جماعة من الأولياء المقيمين معي وذكرت ذلك لثلاث يوهب شيء منها لغيرها إن شاء الله تعالى .
تاريخ الصابي ص ٣٥٨

٢٢٥ - رسالة أبي علي الموفق إلى بهاء الدولة في الاستمفاء من خدمته .

بلغ أبا علي الموفق أن جماعة طعنوا فيه عند بهاء الدولة وأنه استمع لهم فقرر الاستمفاء من خدمته وأنفذ إلى شيراز مقر بهاء الدولة رسولا هو أبو منصور مردوست وأرسل معه خيلا وبغالا وحمله إلى بهاء الدولة الرسالة التالية :

قد خدمت الملك أولا وأخيرا ووفيته حق الصنيعة وحكم النصيحة ووجب أن ينجز لي ما وعدنيه من الإعفاء بعد الفتح فإني لا أصلح لخدمة ولا عمل بعد اليوم .
تاريخ الصابي ص ٣٦٣

ج - علاقة البويهيين بالآخرين من الحكام والرؤساء

٢٢٦ - رسالة جوابية من ركن الدولة البويهي إلى وشمكير .
قصد وشمكير في عساكره ركن الدولة ليجاربه ، ولكنه قبل المعركة أرسل له رسالة قبيحة يتهده فيها بكل سوء وقبيح فأجابه ركن الدولة بما يلي :
أما جمعك وأحشادك فما كنت قط أمون منك علي الآن . وأما تهديدك وإيعادك ، فوالله لئن ظفرت بك لأعاملك بضده ولأحسن إليك ولأكرمك .

الكامل لابن الأثير ج ٨ - ٥٧٨

٢٢٧ - رسالة معز الدولة البويهى الى ناصر الدولة الحمداني يوبخه
ويعدد عليه أياديه .

انشغل معز الدولة بأحد الثوار فانتز الفرصة ناصر الدولة وزحف
إلى بغداد ، ثم رجع معز الدولة إلى بغداد وهرب ناصر الدولة فأرسل
إليه معز الدولة يقول :

إنك ذاكر ماجرى عليك من تكين الشيرازي فإنه أخرجك من
نعمتك وكاد يأتي على مهجتك ، فلجأت إليّ بعد عداوة سبقت منك
لي ومنازعة نازعتنيها عن بلاد لم يكن في يدك منها شيء ، فأطرحته
الأحقاد واغتفرت الذنوب وآثرتك على تكين ، وهو إذ ذاك يبذل
لي الخدمة والطاعة وحمل المال وإقامة الخطبة ولا يلتمس مني إلا ترك
الدخول بينك وبينه والانصراف عن النصر لك عليه ، فأثرتك وأنفذت
كاتبتي وعسكري بأموال أنفقتها ومؤون تكلفتها حتى أخذت بناصيته
وسلمته إليك فشفيت صدرك منه وعدت إلى وطنك ، ثم حصلت في
يد وزير الصيمري حصول المستجير الذليل فوفى لك ، ولو شاء
لأسرك واشتمل على بلادك وقلاعك . وظننت أنك تعرف لي حق هذه
النعمة وتطالب نفسك عليها بالمجازاة فأبيت إلا غدرًا وتقييماً في
معاملتي . وليتك لما تعمل عمل الأصدقاء الأوفياء عملت عمل الأعداء
الجزماء فكاتبتي تعرض نفسك عليّ في النائبة العظيمة التي نابتني في
أوثق الناس عندي وتبذل لي معاونتك فكنت تنفذ عسكري إلى
تكريت على أنه مدد لي ، فإن لاح لك استظهار مني تحمدت علي وتوددت
إلي ، وإن لاح لك استظهار عليّ ، أظهرت ما في نفسك حيث تكون
فيه أعذر وأقل ملامة .

ثم أتبع هذا القول بالتهديد بالمسير إلى أعماله واستنصاله .

٢٢٨ - جواب ناصر الدولة لعز الدولة على رسالته سالفة الذكر :

إنك قد صدقت في جميع ما عدت ، وإني معترف به ، والله ما كان عن رأي ولا أمرت به ، ولكني شيخ لي أولاد أحداث يخالفونني في تدبيرهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأي لمن لا يطاع .
وتمت المصالحة على أن يدفع ناصر الدولة لعز الدولة ألفي الف درهم معجلة فدفمها له .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ ، ١٦٩ ، ١٧٠

٢٢٩ - رسالة عز الدولة للمطيع عند فتحه الموصل سنة ٣٣٣ هـ

وتغلبه على أبي تغلب الحمداني من إنشاء أبي إسحاق الصابى :

لعبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين ، من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين .

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله ، فإني أحمد إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يهلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد : أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والتوفيق والتسديد والعلو والقدرة ، والظهور والنصرة ، فالحمد لله الملي العظيم ، الأزلي القديم ، المتفرد بالكبرياء والملكوت ، المتوحد بالعظمة والجلوت ، الذي لا تحده الصفات ولا تحوزه الجهات ، ولا تحصره قرارة مكان ولا يغيره مرور زمان ، ولا تتمثله العيون بنواظرها ولا تتخيـله القلوب بنواظرها ، فاطر السموات وما تظلم ، وخالق الأرض وما تقلم ، الذي دل بلطيف صنعته على ! بل حكته ، وبيّن بجلي برهانه عن خفي وجدانه ، واستغنى بالقدرة عن الأعوان ، واستعلى بالعزة عن الأقران ،

البعيد عن كل معادل ومضارع ، الممتنع على كل مطاول ومقارع ، الدائم الذي لا يزول ولا يحول ، العادل الذي لا يظلم ولا يجور ، الكريم الذي لا يظن ولا يبخل ، الحليم الذي لا يعجل ولا يجهل . ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ، منزل الرحمة على كل ولي توكل عليه ، وفوض إليه ، واثتمر لأوامره وازدجر بزواجره ، ومُحِيلِ النعمة بكل عدو صد عن سبيله وسُنَّته ، وصدف عن فرائضه وسُنَّته ، وحاده في مكسب يده ومسمعة قدمه ، وخائنة عينه وخافية صدره ، وهو رافع رتعة النعم السائئة ، في آكلاء النعم السايغة ، وجاهل جهلها بشكر الآلها ، ذاهل ذهولها عن طرق استيفائها ، فلا يلبث أن ينزع سراويلها صاغراً ، ويتعرى منها حاسراً ، ويجعل الله كيداً في تضليله ، ويورده شر المورد الوبيل ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين .

والحمد لله الذي اصطفى للنبوذة أحق عباده بحمل أعبائها وارتياء رداؤها ، محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعظم خطره وكرم ، فصعد بالرسالة وبالغ في الدلالة ، ودعا إلى الهداية ونجى من الغواية ، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم إلى طاعة الرحمن الرحيم ، وأعلمهم بجائز خالقهم ورازقهم ، وعصمة محييهم ومميتهم ، بمد انتحال الأكاذيب والأباطيل واستشعار المحالات والأضاليل ، والتهوك في الاعتقادات الذائدة عن النعم ، السائفة إلى العذاب الأليم . فصلى الله عليه من ناطق بالحق ومنقذ للخلق وناصر للرب ومؤدٍ للفرض ، صلاة زاكية نامية ، رائحة غادية ، تزيد على اختلاف الليل والنهار وتعاقب الأعوام والأدهار .

والحمد لله الذي انتخب أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - من ذلك السنخ الشريف والعنصر المنيف ، والعترة الثابت أصلها الممتد ظلها ،

الطيب جناها ، المنوع حماها ، وحازله مواريث آبائه الطاهرين - صلوات
الله عليهم أجمعين - واختصه من بينهم بتطاول أمد الخلافة واستحصال
حبها في يده ، ووقفه لإصابة الغرض من كل مرمى يرميه ومقصد
ينتجيه ، وهو - جل ثناؤه - حقيق بإتمام ذلك عليه ، والزيادة فيه
لديه ، وأحمده سبحانه حمداً أبتدئته ثم أعيده ثم أكرره وأستزيده ، على
أن أهل ركن الدولة أبا علي ، وعضد الدولة أبا شجاع مولى أمير
المؤمنين ، وأهلني للأثرة عنده التي بذنا فيها الأكفاء ، وفئتنا فيها
القرناء ، وتقطعت دونها أنفاس المنافسين ، وتضرمت عليها أحشاء
الحاسدين ، وأن أولاني في كل مغزى في خدمة أمير المؤمنين أغزوه ،
ومنحى أنحوه ، وثأى أربئه وشمت له وعدواً أرغمه وزانغ أقومه ،
أفضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم النقية جيوبهم المأمونة ضمائرهم
المشحوذة بصائرهم من تمكين يد وتثبيت قدم ونصرة راية وإعلاء كلمة
وتقريب بغية وإنالة أمنية ، وكذلك يكون من إلی ولاء أمير المؤمنين
اعتزأوه ، وبشعاره اعتزازه وعن زناده قدحه وفي طاعته كدحه . والله
ولي بإدامة ما خولنيه من هذه المنقبة وسوغنيه من هذه الموهبة ، وأن
يتوجه أمير المؤمنين في جميع خدمه الذابن عن حوزته المنتمين إلى
دعوته بيمين الطائر وسعادة الطالع ونجاح المطلب وإدراك الأرب ؛
وفي أعدائه الغامطين لنعمته الناقضين موثيق بيعته ، بإضرار الخلد
وإتعاس الجدد وإخفاق الأمل وإحباط العمل بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ينكر قديماً من
فضل الله بن ناصر الدولة أحوالاً حقيقياً مثلها بالإنكار ، مستحقاً من
ارتكها الإعراض ، وأنا أذهب في حفظ غيبه وإجمال محضه وتمحل

حججه وتلقيها وتأليف معاذيره وتتميقها مذهبي الذي أعم به كل من جرى مجراه من ناشيء في دولته ومفتدي بنعمته ، ومنتسب إلى ولايته ومشتهر بصنيعته ، وأقدر أن أستصلحه لأمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وأصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد ومناهج السداد ، وهو يريني أن قد قبل وارعوى وأبصر واهتدى ، حتى رغبت إلى أمير المؤمنين فيما شفني متفضلاً فيه ، من تقليده أعمال أبيه والقناعة منه في الضمان بيسور بذله ، وإيثاره به على من هو فوقه من كبراء إخوانه وأهله . فلما بلغ هذه الحال ، الطء بالمال وخاس بالعهد ، وطرق لفسخ العقد وأجرى إليّ أموراً كرهتها ، ونفد الصبر مني عليها ، وخفت أن أستم على الإغضاء عنها والمساحة فيها ، فيطلع الله مني على إضاعة الاحتياط في أمر قلدي أمير المؤمنين زمامه ، وضمي دركه وإرخاء لبب رجل قبل في الإعتماد عليه رأبي ، وعول في أخذه بما يلزمه على نظري واستيفائي ، فتناولته بأطراف العذل ملوحاً ، ثم بأثباجه مفصلاً مصرحاً .

ورسمت لعبد أمير المؤمنين الناصح أبي طاهر أن يُجِدَّ به وبوسطائه وسفرائه في حال ، ويدخل عليه من طريق المشورة والرفق في أخرى ، وينتقل معه بين الحشونة التي يقفو فيها أثري ، واللين الذي لا يجوز أن يحسه مني ، تقديراً لانثنائه وزوال التوائه ، ففعل ذلك على رسمه في الثاني لكل فاسد حتى يصلح ، ولكل آب حتى يسمع ، ولم يدع التناهي في وعظه والتادي في نصحه ، وتمريفه سوء عاقبة اللجاج ومنغبة الإحراج وهو يزيد طمعاً في الأموال وشرهاً ، وعمى في الرأي وعمها ، إلى أن كاد أمرنا معه يخرج عن حد الإنتظار إلى حد الرضا بالإصرار ، فاستأنفت ادراع الحزم وامتطاء العزم ونهضت إلى أعمال

الموصل وعندي أنه يغنيني عن الإثم ويتلقاني بالإعتاب وينقـُـاد إلى المراد ويتجنب طرق العناد . فحين عرف خبر سيري وجدي فيه وتشميري ، برز بروز المخالف المكاشف وتجرد تجرد المواقع المواقف ، وهو مع ذلك إذا ازددت منه قرباً ازداد مني رعباً ، وإذا أدلقت إليه ذراعاً نكص عني باعاً .

وتوافقت إلى حضرتي وجوه القبائل من عقيل وشيبان وغيرهما في الجمع الكثيف من صعاليكها ، والعدد الكثير من صناديدها ، داخلين في الطاعة ، متصرفين في عوارض الخدمة .

فلما شارفت الحديثة ، انتقضت عزائم صبره وتقوضت دعائم أمره وبطلت أمانيه ووساوسه وأضحلت خواطره وهواجسه ، واضطرب عليه من ثقافته وغلماؤه من كان بهم يعتقد وعليهم يعتمد ، وبدءوا بمخذلانه والأخذ لنفوسهم ومفارقته والطلب بحظوظهم ، وحصل منهم بحضرتي إلى تلك الغاية زهاء خمسمائة رجل ذوي خيل مختارة وأسلحة شاكية ، فصادفوا عندي ما أملوا من فائض الإحسان وغامر الإمتنان وذكروا عن وراهم من نظرائهم التنزي إلى الإنجذاب والحرص على الاستئمان ، وإنهم يردون ولا يتأخرون ويبادرون ولا يتلومون .

ولما رأى ذلك لم يملك نفسه أن مضى هارباً على طريق سنجار ، منكشفاً عن هذه الديار ، قانعاً من تلك الآمال الخائبة والظنون الكاذبة بسلامة حشاشته هي رهينة غيبها وصريرة بقيها .

وكان انهزامه بعد أن فعل الفعل السخيف وكادنا الكيد الضعيف ، بأن أغرق سفل الموصل وعروبها ،^(١) وأحرق جسرها واستنذم^(٢) إلى

(١) العروب : نوع من السفن الرواكد كان في دجلة .

(٢) استنذم إلى أهلها : أساء إلى أهلها وفعل فيهم ما أرجب ذمه .

أهلها ، وقزود منهم اللعن المطيف به أين يم ، الكائن معه حيث خيم . ودخلتها يومي هذا - أيد الله أمير المؤمنين - دخول الغانم الظافر ، المستعلي الظاهر ، فسكنت نفوس سكانها وشرحت صدور قطانها ، وأعلمتهم ما أمرني به أمير المؤمنين - أدام الله عزه وأعلى أمره - من تأنيس وحشتهم ونظم الفتهم وضم نشرهم ولمّ شعهم وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعليقهم وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم ، فكثرت فيهم الثناء والدعاء ، والله سامع ما رفعوا ، ومجيب ما سألوا .

وأجسّستُ حال هذا للجاهل - أيد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمة وأذل هزيمة وأسوأ رأي وأنكر اختيار ، لأنه لم يلقي لقاء الباخع بالطاعة ، المعتذر عن سالف التفريط والإضاعة ، ولا لقاء المصدق لدعواه في الإستقلال والمقارعة ، المحقق لزعمه في الثبات والمدافعة ولا كان في هذين الأمرين بالبر التقي ولا بالفاجر الغوي ، بل جمع بين نقيصة شقاؤه وغدره وفضيحة جنبه وخوره ، متنكباً للصالح عادلاً عن الصواب ، قد ذهب عنه الرشاد وضربت بينه وبينه الأسداد وأنزله الله منزلة مثله من أساء حفظ الوديعة وجوار الصنيعة واستوجب نزعها منه وتحويلها عنه .

وتأملت - أيد الله مولانا أمير المؤمنين - أمره بالتجريب ، وتصفيحته على التقليب ، فإذا هو الرجل الذي أطاع أبوه فيه هوى أمه (١) ، وعصى دواعي رأيه وحزمه ، وقدمه من ولده على من هو أنس رشداً وأكبر سناً وأثبت جاشاً وأجرأ جناناً وأشجع قلباً وأوسع صدرأ وأجدر بمخايل النجابة وشمائل اللبابة . فلما اجتمعت له أسباب القدرة

(١) الإشارة هنا الى فاطمة بنت أحمد الكردية زوجة ناصر الدولة الحمداني وكانت مالكة أمره لا يخرج عن هراها .

والثروة ، وأمكنته مناهز الغيرة والفرصة ، وثب عليه وثبة الصرحان في ثلة الضأن ، وجزاه جزاء أم عامر لمجيرها ، أذفرتة بأنيابها وأظافيرها ، واجتمع هو وأخوه من الأم ، المرتضع معه لبان الإثم ، المكفى أبا البركات - وليس بأب لها ولا حري بشيء منها - على أن نشزا عنه وعقاه ، وقبضا عليه وأوثقاه ، وأقرأه من قلمتها بحيث تقر العتاة وتعاقب الجناة ، ثم أتبعها ذلك باستحلال دمه وإفاضة مهجته ، غير راعين فيه حق الأبوة ، ولا حانين عليه حنو البنوة ، ولا متسذمين من الإقدام على مثله ممن تقدمت عند سلطانه قدمه ، وتوكدت أواصره وعصمه ، ولا راحمين له من ضعف شيخوخته وذهل كبرته ، ولا مصغين إلى وصية الله إياهما به ، التي نصها في محكم كتابه ، وكررها في آية وبيناته إذ يقول : اشكر لي ولوالديك إلى المصير (١) ، وإذ يقول : وقضى ربك ألا تمبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (٢) .

فبأي وجه يلقى الله والد حذب قد أمر أن لا ينهره ، وبأي لسان ينطق يوم يسأل عما استجازه فيه وفعله ؟ وتالله ! لو أن بمكانه عدوا لهما قد قارضهما الذحول وقارعهما عن النفوس ، لقبح بهما أن يلوأ ذلك اللؤم عند الظفر به ، وأن يركبا تلك الخطئة الشنعاء في الأخذ بناصيته ، ولم يرض فضل الله بما أتاه إليه حتى استوفى حدود قطع الرحم ، بأن تتبغ أكابر إخوته السالكين خلاف سبيله ، المتبرئين إلى

(١) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٢) سورة الاسراء : الآيتان ٢٣-٢٤ .

الله من عظيم ما اكتسب ووخيم ما احتقبت ، لما غضبوا لأبيهم وامتعضوا من المستحل فيه وفيهم . فقبض على محمد بن ناصر الدولة حميلة وغيلة وغدراً ومكيدة ، وناذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار الله له فيها ، بأن أصاره من فناء أمير المؤمنين إلى الجانب العزيز والحزب الحرير ، وأن أجرى الله على يده الحرب الواقعة بينه وبين المعروف بكنيته أبي البركات ، التي لقاها الله فيها نحسه ، وأتلف نفسه وصرعه بمقوقه وبغيه ، وقنعه بماره وخزيه ، وهو مع ذلك لا يتمعظ ولا ينزع ولا يقلع ولا يزدجر ، إصراراً على الجزائر التي الله عنها حسيبه وبها طليبه ، والدنيا والآخرة مرصدتان له بالجزاء المحقوق عليه والعذاب المسوق إليه .

وأعظم من هذا كله - أيد الله أمير المؤمنين - خطباً ، وأوعر مسلماً ولجأً أن من شرائط العهد الذي كان عهد إليه ، والعقد الذي عقده ، والضمان الخفف مبالغه عنه ، المأخوذ عفوه منه ، ان يتناهى في ضبط الثغور وجهاد الروم وحفظ الأطراف ورم الأكناف ، فما وفى بشيء من ذلك ، بل عدل عنه إلى الإستئثار بالأموال واقتطاعها . وإحرازها في مكائنها وقلاعها ، والضن فيها دون الإخراج في وجوهها ، والوضع لها في حقوقها ، وأن تراخى في أمر عظيم الروم مهملاً ، وأطرح الفكر فيه مقفلاً ، حتى هجم في الديار وأثر الآثار ونكى القلوب وأبكى العيون وصدع الأكباد وأحرق الصدور ، فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارىء لكتاب الله إذ يقول : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز

العظيم (١) ؛ بل صدف عن ذكر الله لاهياً وعدل عن كتابه ساهياً ، واستفسخه ذلك البيع والعقد ، وتنجزه الوعيد لا الوعد ، ولاطف طاغية الروم وهاداه ، وماراه وأعطاه ، وصانعه بمال المسلمين الذي يلازمه - إن سلم دينه وصح يقينه - أن ينفقه في مرابطهم ويذب به عن حرهم ، لا أن يعكسه عن جهته ويلفته عن وجهته ، بالنقل إلى عدوم وإدخال الوهن بذلك عليهم ، وقاد إليه من الخيل المتاق ماهو الآن عون للكفر على الإيمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ، وكان فيا أتخفه به الخمر التي حظر الله عليه أن يشربها ويسقيها ، وتعبده أن يجتنبها ويحتويها ، وصلبان^٢ ذهب صاغها له وتقرب بها إليه تقرباً قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة ، حتى كأنه عامل من عماله أو بطريق من بطارقه .

فأما فشله عن مكافحته ولججه بملاطفته ، فصد الذي أمره الله به في قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين (٢) .

وأما ما نقل من الخيل من ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم فنقيض قوله عز وجل : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (٣) .

وأما إهداؤه الخمر والصلبان فخلاف^٣ عليه تبارك اسمه إذ يقول : إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٤) .

(١) سورة التوبة : الآية ١١٢ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٢٤ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٩٣ .

كل ذلك عناداً لرب العالمين وطعساً لأعلام الدين وضناً بما يحامى عليه من ذلك الخطام ، المجموع من الحرام ، المئمر من الآثام ، المقتطع من ففي الإسلام ، وقد فعل الآن بي وبالعساكر التي معي ، ومن تضم من أولياء أمير المؤمنين الذين هم إخوته وصحبه - إن كان مؤمناً ، وأنصاره وحزبه - إن كان موقناً ، من توغير المسالك وتفريق العروب وتضييق الأقوات واستهلاك الأزواد ، ليوصل إلينا الضر ويلحق بنا الجهد ، فعل العدو المبين المخالف في الدين . فهل يجتمع في واحدٍ من المساوي ، - أيد الله أمير المؤمنين - ما اجتمع في هذا الناد المعاند والشاذ الشارد ؟ وهل يطمع من مثله في حق يقضيه أو فرض يؤديه أو عهد يرعاه أو ذمام يحفظه ، وهو لله عاصٍ ولأمامه مخالف ولوالده قاتل ولرحمه قاطع ؟ كلا والله . بل هو الحقيق بأن تنفى إليه الأعتة وتشرع نحوه الأسنة وتنصب له الأرصاد وتشحن له السيوف الحداد ، ليقطع الله بها دابره ويحبب غاربه ويصرعه مصرع الأثيم المليم ، المستحق للعذاب الأليم ، أو يفيء إلى الحق إفائة الداخل فيه بعد خروجه ، العائد إليه بعد مروقه ، التائب المنيب النازع المستقيل فيكون حكمه شبيهاً بحكم الراجع عن الردة المحمول على ظاهر الشريعة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا المرشدنا ووقف بنا على السبيل المنجية لنا .
والمقاصد المفضية إلى رضاه ، البعيدة من سخطه .

والحمد لله الذي أعز أمير المؤمنين بالنصر وأعطاه لواء القهر وجعل أوليائه العالمين الظاهرين وأعداءه المسافلين الهابطين ، وهنأه الله هذا الفتح ولا أخلاه من أشكال تقفوه وتلبهه ، وأمثال تتلوه وتشغفه ، واصلها فيها إلى ما وصل فيه إليه من حيازته مهنتاً ، لم يسفك فيه دم ولم ينتهك محرم ولم ينزل جهد ولم يمس نصب .

أنهيت إلى أمير المؤمنين ذلك ليضيف صنع الله له إلى السالف من عوارفه
عنده وأياديه وليجدد من شكره جل وعلا ما يكون داعياً إلى الإدامة
والمزيد ، مقتضياً للعون والتأييد إن شاء الله تعالى .
وكتب يوم الجمعة لتسع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث
وستين وثلاثمائة .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ ، ٤٨٣ - ٤٩٢

٢٣٠ - رسالة عمران بن شاهين حاكم البطيحة الى بختيار عز
الدولة البويهبي

ثارت الحرب بين الأتراك والديلم وحاول بختيار قتل سبكتكين زعيم
الأتراك فمجز وتعصب ضده الأتراك واضطر للهرب من بغداد ولجأ
إلى الأهواز ، ومن هناك أرسل الرسائل إلى عمه ركن الدولة يشكو
ما ناله ويطلب النجدة ، كذلك أرسل إلى عمران بن شاهين المتغلب على
البطيحة يستمد منه العون وأرسل له خلعاً ويخطب إليه إحدى بناته
ويسقط عنه ما تبقى عليه من مال الصلح ويطلب إليه أن يرسل إليه
عسكراً في الماء يستعين به على حرب الأتراك ، فقال عمران للرسول :
يا هذا : قد جئتنا في أمور غير متوجبة عندنا ولا لائقة بأحوالنا .
أما هذا الدين المتروك فالتحمد علينا به مع علمنا بأنه ساقط باطل
لا يحسن ، لكننا نقبل ذلك . وأما الوصلة فأنا رجل لا أداخل أحداً
من خلق الله ، إلا أن يكون الذكر من عندي والأنثى من عنده ،
وقد خطب إليّ الطالبيون مع أنهم موالٍ فما أجبت أحداً منهم إلى
ذلك لأن نفسي لا تسمح له ، وهؤلاء أولاد أخي هم أكفأ بنياتي ما
واصلت أحداً منهم

ولكن إن شاء التصاهر على السبيل الأخرى فعلت . وأما الخلعة
والفرس فلست ممن يلبس لباسكم ولا أركب الخيل لأن دوابي هذه
السفن ؛ لكن أبا محمد إيني يقبل ذلك ولا يرده ، وأما عسكري
وإنفاذه فليس تسكن رجالي إلى مخالطكم لكثرة من قتلوا من رجالكم
على مر السنين والوقائع .

ثم قال للرسول : قل له :

ينبغي أن تتوقر وتترزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق ، فقد
قصدتني محاربا لي فرجعت عني منهزماً ، وقصدت الأهواز فرجعت
منهزماً على هذه الحال والصورة من الفتنة ، وأنا أعلم أن أمرك سيتأدى
إلى أن تجيئني وتلوذ بي وتحصل عندي وسأذكرك هذا ، وتعلم حينئذ
إني أعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك قبلك .

وقد تم ما توقعه عمران هذا بعد فترة وجيزة .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ ، ٣٢٩ - ٣٣٠

٢٣١ - رسالة من سبكتكين الحاجب وزعيم الأتراك في بغداد

لبختيار يعرض عليه اقتسام البلاد والسلطة .

إنك قد جنيت على نفسك جناية عظيمة بما ارتكبتته ودبرته ،
وإن كل ما عمله وتصرف فيه خطأ وغلط . وإن الأمر الآن قد
خرج عن اليد ، فإخرج لي عن واسط حتى تكون هي وبغداد في يدي
بإزاء أموال الأتراك التي قد حصلت علي ، وتكون البصرة والأهواز
ونواحيها في يدك بإزاء أموال الديلم ، واجعل أمري وأمرك واحداً
ولا تدخلن بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فلست من رجالها ، وأنا
ناصر لك مشفق عليك حافظ وصية مولاي فيك التي ما حفظت
مثلها في .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ ، ٣٣٣ - ٣٣٤

٢٣٢ - رسالة جوابيه إلى عضد الدولة البويهى من نائبه أبي
الفضل الشيرازي من إنشاء أبي إسحاق الصابى .

أرسل عضد الدولة إلى نائبه في شيراز رسالة يخبره فيها بصلحه مع
صاحب خراسان فأرسل له ما يلي :
كتابي - أطال الله بقاء مولانا - والأمور التي أخدم فيها جارية
على السداد ، مستمرة على الإطراد ، والنعم بعد ذلك خليفة بالتمام ،
مؤذنة بالدوام .

والحمد لله حق حمده ، وهو المسؤول إطالة بقاء موالينا الأمراء
وحراسة ما خولهم من العز والعلاء ، وأن لا يخلهم من صلاح الشأن
وسمو السلطان وظهور الولي وثبور العدو .

وصل كتاب مولانا الأمير - أطال الله بقاءه - الصادر عن عسكره
المنصور بكازرين^(١) بتاريخ كذا ، مخبراً بشمول السلامة ، مبشراً
بعموم الإستقامة ، موجباً لشكر ما منح الله من فضله وأعطى ، مقتضياً
نشر ما أسيغ من طوله وأضفى ، مشروحاً فيه الحال فيما كان يجري
من الخلاف بين مولانا الأمير السيد ركن الدولة ، وبين ولاية خراسان ،
وجهاده إياهم في حياطة الدين وحماية حريم المسلمين ، والدعاء إلى رضارب
العالمين ، وطاعة مولانا أمير المؤمنين ، وتذممه مع ذلك من دماء كانت
باتصال الحروب تسفك ، وحرمانت باستمرار الوقائع تنتهك ، وثغور
تهمل بعد أن كانت ملحوظة ، وحقوق تضاع بعد أن كانت محفوظة .
وإنه لما جددت العزيمة على قصد جرجان ومنازعة ظهير الدولة أبي
منصور بن وشمكير مولى أمير المؤمنين على تلك الأعمال ، ودفعه عما

(١) ناحية من نواحي فارس .

ولاء أمير المؤمنين بوسيلة موالينا الأمراء - أدام الله تمكينهم - منها
 ومنازعته ومجادبته فيها : نهض مولانا الأمير الجليل عضد الدولة إلى
 كرمان على اتفاق كان بين مولانا الأمير السيد ركن الدولة وبينه في
 التوجه إلى حدود خراسان . فحين عرف القوم الجدد في ردهم والتجريد
 في صدمهم ، وإنه لا مطمع لهم في جنبته إلى طاعة أمير المؤمنين
 انتسابها ، وبندمام سادتنا الأمراء اعتصامها ، اتعظوا واتزعوا ، وخرجوا
 ورجعوا سالكين أقصر مسالكهم ، منتهجين أرشد منا هجهم ، معتمدين
 أعود الأمور على المسلمين عموماً وعليهم خصوصاً باجتماع الشمل واتصال
 الحبل وأمن السرب وعدوية الشرب وسكون الدهماء وشمول النعماء ،
 فخطبوا الصلح والوصلة ، وجنحوا إلى طلب السلم والإلفة ، وإن
 مولانا الأمير عضد الدولة آثر الأحسن واختار الأجل ، فأجاب إلى
 المرغوب فيه إليه ، وتوسط ما بين الأمير السيد ركن الدولة وبين
 تلك الجنبته فيه ، وتكفل بتقريره وتمهيدته ، وتحقق بتوطيده وتشييده ،
 وأخرج أبا الحسن عابدين عليّ إلى خراسان حتى أحكم ذلك وأبرمه
 وأمضاه وتممه ، بجمع من الشيوخ والصلحاء ومشهد من القضاة
 والنقهاء . وأن صاحب خراسان عاد على يد مولانا الأمير عضد الدولة
 إلى طاعة مولانا أمير المؤمنين ومشايخته ، والإمساك بعلائق ولوائه
 وعصمته ، وصار ولياً بعد العداوة وصديقاً بعد الوحشة ومصافياً بعد
 العناد ومخالطاً بعد الإنفراد ، وفهمته وتأملت - أيد الله مولانا - ما
 في ذلك من ضروب النعم المتشعبة وصنوف المنح المتفردة ، العائدة على
 المُلُك بالجمال ، وعلى الرعية بصلاح الحال ، الداعية إلى الائتلاف
 والاتفاق ، المزيلة للخلاف والشقاق ، فوجدت النفع لها عظيماً ، والحظ
 فيها جسيماً ، وحمدت الله حق حمده عليها ، وشكرته أن أجراها على
 يد أولى الناس بها ، وأحقهم بالكارم أجمعها ، وأن قرب الله بيمنه ما

كان بعيداً معضلاً ، ويسر ببركته ما كان ممتنعاً مشكلاً ، فأصلح ذات
البين بعد فسادها ، وأخذ نيران الفتن بعد تلهمها واتقادها ، ووافق ما
بين نيات القلوب وطابق بين نخائل الصدور ، وتحتتت الضلوع بنجح
سميه على التآلف ، وانضمت الجوانح بيمين رأيه على التعاطف وحصل
له في ذلك من جزيل الأجر وجميل الذكر وجيليل الفخر واريح النشر
ما لا تزال الرواة تدرسه والتواريخ تحرسه ، والقرون تتوارثه ،
والأزكان تتداوله ، والخاصة تتحلى بفضله والعامّة تأوي إلى ظله .

فالحمد لله كثيراً ، والشكر دائماً على هذه الآلاء المتواترة والعطايا
المتناصرة والمفاخر السامية ، والمآثر العالوية ؛ وإياه نسأل أن يعرف
مولانا الملك الخيرة فيما ارتآه وأمضاه ، والبركة فيما أولاه وأجراه ، وأن
يهنئه نعمه عنده ويظاهر مواهبه لديه ، ويسهل عليه أسباب الصلاح
ويفتح أمامه أبواب النجاح ، ويعكس إلى طاعته الرقاب الآبوية ،
ويذلل لموافقته النفوس النائية ، ولا يمدمه ، وموالينا الأمراء أجمعين ،
المنزلة التي يرى معها ملوك الأرض قاطبة التعلق بجلهم أمناً ، والإمسك
بذمامهم حصناً ، والإنتباه إلى مخالطتهم عزاً ، والإعتزاء إلى مواصلتهم
حيرزاً ، إنه جل وعز على ذلك قدير ، وبإجابة هذا الدعاء جدير .

وقد اجتهدت في القيام بحق هذه النعمة التي تلتزمني ، وتأدية فرضها
الذي يجب عليّ ، من الإشادة بها والإبانة ، والإشاعة والإذاعة ، حتى
اشتهرت في أعماله التي أنا فيها ، واستوى خاصتها وعامتها في الوقوف
عليها ، وانشرحت صدور الأولياء معها ، وكبت الله الأعداء بها ،
واعتمدت بالنعمة في المطالمة بها والمسكاتبه فيها ، وأضفتها إلى ما سبق
من أخواتها وأمثالها ، وسلف من أترابها وأشكالها ، فإن رأى مولانا
الأمير الجليل عضد الدولة أن يأمر - أعلى الله أمره - بإجرائي على

أكرم غاداته فيها ، واعتمادي بعوارض أمره ونهيه كلها ، فإن وفور حظي من الإخلاص يقتضي لي وفور الحظ من الإستخلاص ، فعمل إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧ ، ٨٢ - ٨٥

٢٣٣ - رسالة إبنی حمدان إلى أبي نصر خواذاشاه قائد

الجيش البويهي .

كان شرف الدولة البويهي معتقلاً لإثنين من آل حمدان هما إبراهيم والحسين . فلما مات شرف الدولة حصل اضطراب تمكن خلاله الحمدانيان من الهرب والذهاب إلى الموصل . وهناك ثار الشعب بالأثرار والديلم وحاصروا دار الأمانة ، وأرسل أبو نصر خواذاشاه لمحربهم ولكنه هُزم وحوصر في دار الأمانة . ولم يشأ إبننا حمدان الإيفال في العداوة وإنما مالا إلى المصالحة ولذلك أرسلنا إلى أبي نصر خواذاشاه رسالة يقولان له فيها :

نحن نخدم السلطان ، وقد جرت الأقدار بغير الإختيار ، ولا قدرة لنا الآن على ضبط العامة لما في نفوسهم من الديلم ، وهم في غد يجرقون الدار ويسفكون الدماء ، فإما أن تصير إلينا ولأما أن تعلم إنك مهلك نفسك .

فعمل صحة قولها ولجأ إليها وتمكن الجميع من تهدئة العامة وإنقاذ المحاصرين .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج ٣ - ١٧٥

٢٣٤ - رسالة أبي حنن محمد بن عمر العلوي إلى شرف الدولة
حول ضياعه وهبته نصفها لابن شرف الدولة .

تحسنت أحوال الشريف محمد بن عمر المادية وتضاعفت أمواله زمن
شرف الدولة حتى أن علي بن طاهر عمل له ارتفاع ضياعه فاشتمل على
عشرين الف الف درهم فخاف الشريف وضاق صدره وأرسل إلى شرف
الدولة يقول :

يامولانا : ما لأحد عليّ نعمة كنعمتك ولا منة كمنتك ، أطلقتني من
حبسي ومننت عليّ بنفسي ، ورددت أموالي وضياعي إليّ ، وزدت
في الإحسان إليّ . وبلغني أن ابن طاهر عمل بضياعي عملاً بعشرين
الف الف درهم . وهذه الضياع هي لك ومنك ، وقد أحببت أن
أجعل نصفها للأمير أبي علي [ابن شرف الدولة] هدى ونحلة طيبة عن
طيب نفس وانشرح صدر .

٢٣٥ - جواب شرف الدولة على الرسالة السالفة :

قد سمعت رسالتك وكل جميل اعتدت به فاعتقادي يوجب لك
أوفى منه . والله لو أن ارتفاعك أضاع ماذكرته لكان قليلاً لك
عندي ، وقد وفر الله عليك مالك وأملاك وأغنى أبا علي عن مداخلتك
في ضياعك ، فكن من السكون والطمأنينة على جملتك .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج ٣ ، ١٧٣ - ١٧٤

٢٣٦ - رسالة جوابية من طغرل بك زعيم السلاجقة إلى
جلال الدولة .

أغار السلاجقة على أملاك جلال الدولة البويهى فأرسل يشكوم
إلى طغرل بك الذي أجابه بما يلي :

إن هؤلاء التركان كانوا لنا عميدا وخداما ورعايا وتبعما يمشون الأمر
ويخدمون الباب . ولما نهضنا لتدبير خطب آل محمود بن سبكتكين
وانتدبنا لكفاية أمر خوارزم ، انحازوا إلى الري فعاثوا فيها وأفسدوا ،
فزحفنا ينجودنا من خراسان إليهم مقدرين انهم يلجأون إلى الأمان
ويلوذون بالعفو والغفران ، فملكتمهم الهيبة وزحزحتهم الحشمة ولا بد
من أن نردم إلى راياتنا خاضعين ونذيقهم بأسنا جزاء المتمردين قريوا
أم بعدوا ، أغاروا أم أنجدوا .

الكامل لابن الأثير ج ٩ - ٣٨٩

٢٣٧ - رسالة بدر بن حسنويه الكردي إلى عميد الجيوش قائد
جيش بهاء الدولة .

حقد بهاء الدولة على بدر بن حسنويه لهجومه على بلاده أثناء
اشتغاله بثورة أبي العباس بن واصل ضده ، فلما قتل أبو العباس أمر
بهاء الدولة عميد الجيوش بالمسير إلى بلاده فسار حتى وصل إلى جنديسابور
وهناك وصلت عميد الجيوش الرسالة التالية من بدر بن حسنويه :
إنك لم تقدر على أن تأخذ ما تغلب عليه بنو عقيل من أعمالكم ،
وبينهم وبين بغداد فرسخ ، حتى صالحتهم ، فكيف تقدر على أخذ
بلادهم وحصولي مني ومعهم من الأموال ما ليس معك مثلها ، وأنا معك
بين أمرين : إن حاربتك فالحرب سجال ولا تعلم لمن العاقبة ، فإن
انهزمت أنا لم ينفعك ذلك لأنني أحتمي بقلاعي ومعالي وأنفق أموالهم
وإذا عجزت فأنا رجل صحرأوي صاحب عمد ، أبعد ثم أقرب ،
وان انهزمت أنت لم تجتمع وتلقى من صاحبك العتب . والرأي أن
أحمل اليك مالا ترضي به صاحبك ونصطليح .

الكامل لابن الأثير ج ٩ ، ١٩٦ - ١٩٧

فأجابه إلى ملتمسه .

د - البويهيون والشوار

٢٣٨ - رسالة بختيار إلى أهله في بغداد للغدر بسبكتكين

دار صراع مرير بين بختيار زعيم الديلم وسبكتكين زعيم الأتراك في بغداد ، وكان بختيار غائبا عن بغداد فأراد أن يغدر بسبكتكين فأرسل إلى أهله يقول :

إني سأكتب إليكم إني قد مت ، فإذا وصل إليكم الكتاب فأظهروا النوح واجلسوا للعزاء فإذا جاء سبكتكين للعزاء فاقبضوا عليه فإنه ركن الأتراك ورأسهم .

ولكن الحيلة لم تنطل على سبكتكين .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ - ٢٧٥

٢٣٩ - رسالة عضد الدولة إلى بني عقيل .

تمدى أحد أفراد قبيلة بني عقيل على أموال الدولة وأخذها لنفسه وطلبه عضد الدولة حتى ظفر به وتشفع به بنو عقيل فلم يقبل شفاعتهم وأرسل إليهم يقول :

مق لم يضمن أكابركم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا الطرق ويمحوا مواد الفساد صرفناكم عن مالكننا .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج ٣ - ٥٦

٢٤٠ - رسالة من أفتكين التركي حاكم دمشق من قبل العزيز بالله

الفاطمي إلى عضد الدولة وقد ثار ضد مولاه يطلب منه النجدة :

إن الشام قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر ، وإن قويتني بالأموال والعدد حاربت القوم في مستقرم .

٢٤١ - جواب عضد الدولة لأفتكين .

غرك عزك فصار قُصار ذلك ذلّك ، فإخش فاحش فيمّلك ، فملكك بهذا تهاداً (١) .

وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ - ٢٢١

٢٤٢ - رسالة فخر الدولة إلى أبي نصر خواشاذه الذي كان معتقداً وهرب من سجنه ، فأرسل إليه فخر الدولة يعرض عليه المميشة الهادئة والإحسان إليه وكان ذلك سنة ٣٨٥ هـ :

لملك تسيء الظن بمعتقدنا للقبیح الذي قدمته في خدمة عضد الدولة عندنا ، وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قدمك واصطنعك ومناصحة من كان يضعك ويرفعك ، وإن نعتد لك من وسائلك لم نجعله من ذنوبك (٢) . وقد علمت ما عاملنا به أبو القاسم اسماعيل بن عباد ، وأنا طويونا جميع ما كان بيننا وبينه واستأنفنا معه من الإكرام والتفويض ما لم يقدره ويظنه ولك علينا عهد الله وميثاقه في أيماننا من كل ما تخافه وتحذره ، وأنا لك بحيث تحبه وتؤثره ، فإن أردت الخدمة قدمناك إلى أعلى مراتبها وأرفع درجتها ، وإن رأيت الاهتزال والدعة أوجبنا لك مائة الف درهم مميشة من أصفهان ووفرناك على المقام في دارك بها .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ٣ - ٢٦٥ - ٢٦٦

٢٤٣ - رسالة القائد الموفق أبي علي بن اسماعيل إلى بهاء الدولة :

أعفى بهاء الدولة قائده الموفق من جميع مناصبه ثم تمكن حساده من

(١) أورد ابن كثير في البداية والنهاية ٧ - ٣٠٠ نصاً مطابقاً لنص هذه الرسالة .

(٢) كذا بالأصل والجملة مضطربة غير مفهومة .

جعل الأمير يعتقله ، ولكنه تمكن من الهرب ، ومن مأمنه أرسل إلى بهاء
الدولة الرسالة التالية :

إنني لم أفارق اعتقالك خروجاً عن طاعتك ، ولا عدولاً عن استعطافك
من تحت قبضتك ، ولكنني عوملت معاملة طلبت بها نفسي ، فحمداني
الإشفاق من تلفها على ما طلبت من خلاصها ، وها أنا مقيم على ما يرد به
أمرك وما أريد إلا رعاية خدمتي في استبقاء مهجتي
تاريخ الصابي ٤٢٩-٤٣٠

٢٤٤ - رسالة بهاء الدولة لرؤساء جنده الذين ثاروا ضده وطالبوه
بتسليم شخص اسمه أبو الحسن المعلم كان منجماً وتقرب من بهاء الدولة حتى
استولى على أموره كلها مما جعل الجيش كله يثور :
ما يحسن بي أن أسلمه للقتل وقد طالعت صحبته لي ، وإذا كفيتم أمره فقد
بلغتم مرادكم .

المنتظم لابن الجوزي ٧٣ - ١٦٨

٢٤٥ - رسالة جند جلال الدولة لما شغبوا ضده وطالبوه بالأموال
حتى هرب منهم والتجأ إلى الكرخ عند الشريف المرتضى ، وهناك وصلته
من جنده الرسالة التالية :

نحن عبيدك وبماليكك ملكناك أمورنا ابتداءً ، وقد ضيقت علينا
مرة بعد مرة وتعدنا وتعتذر إلينا ، ولا نجد أثر ذلك ، ولك ممالك كثيرة
فيجوز أن تطرح كلك عنها مدة وتوفر علينا هذه الصبابة من المادة ، وهذا
أمر قد اجتمعت عليه كلمتنا ، ومن الصواب أن لا تخالفنا فيه ونحوج هذا
العسكر إلى تجاوز ما قد وقفوا عنده .

٢٤٦ - جواب جلال الدولة لمسكره عن الرسالة السابقة :

إننا معترفون لكم بما ذكرتم ، وما يحصل لنا نصره إليكم . وأما خروجنا فالأحوال التي نقاسيها تدعو إليها ولو لم تسألوه ، وهذه أيام صوم وحر ، وإذا انقضت انحدرنا على ما هو أجل بناوبكم ،

٢٤٧ - رسالة ثانية منه لمسكره عن نفس الموضوع الذين لم يهجمهم

جوابه السابق وإنما طالبوا بوعد أكيد يمكن تنفيذه في فترة قصيرة :
إذا قدرتم مدة قريبة يمكن إنجازه أموري في مثلها وندبتهم من يكون في صحبتي وعينتم علي اليوم الذي تختارونه لم أتأخر عنه .

٢٤٨ - جواب المسكر له :

قد شكرنا إنعام مولانا ، ونحن نسأل قبل الخروج أن يحلف لنا على صلاح النية وأن لا يريدنا سوءاً ، ويرتب عندنا أحد الأمراء الأصاغر برسم النيابة عنه حتى ينحدر .

وقد تم الأمر كما رسم

المنتظم لابن الجوزي - ٨ - ٧٤

— السلاجقة —

أ — علاقتهم بالخلافة العباسية والخلفاء العباسيين

٢٤٩ — رسالة جوابية من قريش بن بمران إلى طغرلبيك حول رد الخاتون والخليفة .

نشأ صراع على السلطنة سنة ٤٥٠ هـ بين طغرلبيك وأخيه ، واضطر السلطان إلى ترك بغداد لحرب أخيه . واغتنم الفرصة البساميري [وهو من كبار قواد الأتراك الداخلين في خدمة البويهيين] وراسل الفاطميين وأعلن الثورة وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، واضطر الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى ترك بغداد واللجوء إلى مهارش بن مجلى في الحديثة وهو ابن عم قريش بن بدران الضالع مع البساميري . ولما تمكن طغرلبيك من تهدئة الأوضاع بدأ يفكر في العودة إلى بغداد واستعادة الخاتون وزوجة الخليفة والخليفة نفسه . فكتب إلى قريش يطلب خاتون ويخلط رسالته بذكر الخليفة ورده إلى مكانه فأجابته قريش بما يلي :

إن ما جرى كان من فعل ابن المسلمة ، ومع وقع تسرع في السير إلى العراق فلست آمن أن يتم على الخليفة أمر يفوت وسبب يسوء ، ولسنا بجهت نقف لك ولا نحاربك وإنما نبعد وندهك فرمما ساست العساكر من بلادها ففتحت البشوق وخرب السواد ، وأنا أتوصل في جميع ما يراد من البساميري .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٢٠٢

٢٥٠ - رسالة طغرلبيك إلى قريش من أجل تسليم الخليفة :

إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران مولى أمير المؤمنين ، من شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب طغرلبيك أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق .

وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان : حسبي الله ونعم الوكيل .

والآن وقد سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو في الدين ، ولم يبق علينا من المهات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، وإطلاع أهبة إمامته على سريره عزه ، فإن الذي يلزمنا ذلك ولا فسحة في التقصير فيه ساعة من زمان ، وقد أقبلنا بجنود المشرق وخبولها إلى هذا المهم العظيم ، ونريد من الأمير الجليل علم الدين إبانة النجاح الذي وفق له وتفرد به ، وهو أن يتم وفاءه من إقامته وخدمته في باب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، إما أن يأتي به مكرماً في عزه وإمامته إلى موقف خلافته من مدينة السلام ، ويتمثل بين يديه متولياً أمره ومنفذاً حكمه وشاهراً سيفه وقلمه وذلك المراد ، وهو خليفتنا وتلك الخدمة بعض ما يجب له ، ونحن نوليك العراق بأسرها ونصفي لك مشارع برها وبحرها لا يطؤها حافر خيل من خيول المعجم شبراً من أراضي تلك المملكة إلا ملتصقاً لمعونتك ومظاهرتك . وإما أن تحافظ على شخصه العالي بتحويله من القلعة إلى حين نحظى بخدمته ، فليتمثل ذلك ويكون الأمير الجليل بخيراً بين أن يلقانا أو يقيم حيث شاء ، فنوليه العراق كلها ونستخلفه في الخدمة الامامية ونصرف هممتنا إلى الممالك الشرقية فهمتنا لا تقتضي إلا هذا .

الغرض من العرض ولانسف إلى بملكة من تلك الممالك بل الهمة الدينية وهو

أدام الله تمكينه ، يتيقن ما ذكرنا ويعلم إن توجهنا إثر هذا الكتاب لهذا الغرض المعلوم ولا غرض سواه ، فلا يشمرن قلوب عشائره رهبة فإنهم كلهم اخواننا وفي ذمتنا وعهدنا ، وعلينا به عهد الله وميثاقه ماداموا موافقين للأمر الجليل في موالينا ، ومن اتصل به من سائر العرب والعجم والأكراد ، فإنهم مقرون في جلته ، داخلون في عهدنا وذمتنا . ولكل نخترم في العراق عفونا وأماننا بما بدر منه إلا البساسيري فإنه لا عهد له ولا أمان ، وهو موكل إلى الشيطان وتساويله . وقد ارتكب في دين الله عظيماً ، وهو ، ان شاء الله ، مأخوذ حيث وجد ، معذب على ما عمل ، فقد سعى في دماء خلق كثير بسوء دخيلته ، ودلت أفعاله على فساد عقيدته ، فإن سرب في الأرض فإلى أن يلحقه المكتوب على جبهته ، وان وقف فالقضاء سابق إلى مهجته ؛ والله تعالى مجازي الأمير الجليل على كل سعي تجشم في صالح الدين وفي خدمة إمام المسلمين . وقد حملنا الأستاذ العالم أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب بن فورك ومعتمد الدولة أبا الوفاء زيرك ما يؤديانه من الرسائل وهو يصغي إليهما ويعتمد عليهما ويسرحهما إلى القلعة ليخدمها مجلس سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عننا . وكتب في رمضان سنة إحدى وخمسين (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ٢٠٣ - ٢٠٤

(١) ورد النصف الأول من هذه الرسالة وذلك حتى جملة: فهبتنا لاقتضبي إلا هذا : في ابن كثير البداية والنهاية ١٢ ، ٨١ - ٨٢ . على حين أورده الجميع ابن الجوزي ، وقد تم نسخ القسم الأول عن ابن كثير .

٢٥١ - جواب قريش بن بدران على رسالة طفروليك السابقة

أرسل قريش يعتذر ويتلطف ويقول :
أنا ممك على البساسيري بكل ما أقدر عليه حتى يمكنك الله منه ،
ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون عليّ عارها ، ولكن سأعمل
ما أمرتني به بكل ما يمكنني .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ - ٨١

٢٥٢ - رسالة قريش إلى ابن عمه مہارش يطلب منه أن يعيـد
إليه الخليفة حتى يتمكن من المساومة عليه .

قد علمت أننا أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك ، وقد طلبوه
الآن وربما قصدوك وحاصروك وأخذوه منك فخذهم وارحلهم به وأهلك
وولذلك إليّ ، فإنهم إذا علموا حصوله بأيدينا لم يقدموا على طريق
المراق ، ثم نقرر الأمر في عوده على قاعدة نكون معها سالمين
ونقترح ما نريد من البلاد عوضاً عن رده ، وما أريد تسليمه منك بل
يكون في يدك على جملته بحيث لا يمكن أن يؤخذ قهراً من أيدينا .

٢٥٣ - جواب مہارش :

قل له : إن البساسيري غدر بي ولم يف بما ضمنه لي وبعثت بصاحبي
إلى بغداد وقلت له قد برئت من اليمين التي لكم في عنقي فانفذوا
وتسلموا صاحبكم الذي عندي فلم يفعل ، وعرف الخليفة خلاص رقبتي
من اليمين التي كانت عليّ فاستعملني لنفسه وتوثق مني بما لا يمكن فسخره (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٢٠٦

(١) يذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١٢٠-٨٢ نصين مختصرين بعض الاختصار
للرسالتين المتبادلتين بين قريش ومہارش .

٢٥٤ - رسالة طغرلبك إلى الخليفة القائم لما نشب قتال بين جيشه وأهل بغداد بعد احتلالها مباثمة :

احتل طغرلبك بغداد سلماً وبرز لاستقباله الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه في بغداد والديلم والأتراك ، وبعد يومين ثارت بغداد بجيشه وجرت بين الطرفين معارك طاحنة ، وعتب طغرلبك على الخليفة وأرسل يقول :

إن سبب ذلك كله الملك الرحيم وأجناده ، إن حضروا برئت ساحتهم ، وإن تأخروا أيقنت أن ما جرى إنما كان بوضع منهم .

٢٥٥ - رسالة الخليفة لطرلبك لما اعتقل الملك الرحيم وأعيان عسكره :

أرسل الخليفة الملك الرحيم وأعيان عسكره إلى طغرلبك بعد أن أمنهم ، ولكن طغرلبك اعتقلهم فساء ذلك الخليفة الذي غضب وأرسل إلى طغرلبك يقول :

انهم إنما خرجوا إليك بأمرى وأهاني ، فلما أطلعتهم وإلا فأنا أفارق بغداد ، فإني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً مني أن تعظيم الأوامر الشريفة يزداد ، وحرمة الحرم تعظم ، وأرى الأمر بالضد . فأطلق سراح بعضهم .

السامل لابن الأثير ج ٩ ، ٦١٢ - ٦١٣

٢٥٦ - تفويض القائم بأمر الله تدبير الأمور إلى طغرلبك :

قال القائم لرئيس الرؤساء : قل له يا هلي :
أمير المؤمنين حامد لسعيك شاكر لفضلك آنس بقربك زائد الشغف

بك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ورد إليك فيه مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك وعبدك (١) في ذلك ، واجتهد في عمارة البلاد وصلاح العباد ونشر العدل وكف الظلم .

٢٥٧ جواب طغرلبيك للخليفة بعد تقبيله الأرض :

أنا خادم أمير المؤمنين وعبده ، ومتصرف على أمره ونهيه ومتشرف بما أهلني له واستخدمني فيه ، ومن الله تعالى استمد المعونة والتوفيق .
المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ١٨٢

٢٥٨ - رسالة طغرلبيك إلى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور ابن يوسف وذلك لما رفض الخليفة تزويج ابنته من طغرلبيك التي خطبها وحدث اضطراب في بغداد من أجل ذلك :

هذا جزاء من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وانفقت أموالاً في نصرته وأهلكت خواصي في محبته .
الكامل لابن الأثير ج ١٠ - ٢٢

٢٥٩ رسالة كتبها باسم الخليفة القائم بأمر الله العلاء بسن موصلايا إلى اتسز جواباً على رسالة بعثها اتسز إلى الخليفة ويذكر فيها انتظامه في سلك الطاعة وغلبته الأعداء :

عرض بحضرة أمير المؤمنين ما ورد منك دالاً على تمسكك من الطاعة الإمامية بما لا تزال تجد فيه ملابس التوفيق حالاً بعد حال ، وتجد به مرات السعد محصنة في كل حل وترحال ، منبثاً عن توفرك

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب وعهدك عوضاً عن كلمة وعيدك إذ هذه لامعنى لها .

على المقامات التي انتقمت بها للهدى من الضلال ، واستقمتَ فيها حق
أجلستَ عن كل صلاح ممتد الظلال ، شاهداً بما أنت عليه من موالة
لا تألو جهداً في التزام شروطها بادئاً عائداً ، ولا تخلو فيها من حسن
أثر يكون لدعائم الصواب عامداً ، وترى فيه قاصداً لاجتلاب الخير
عائداً . ووقف عليه وقوف من ارتضى ما يتوالى من قرباتك السقي
لا تزال في إعذاب ورودها ساعياً ، ولما يفضي إلى إغشاب مرعاها
في طلب الحمد مراعيًا ، وانتضى منك للخدمة بتلك الأعمال حساماً
باتراً آجال بقايا الكفر هناك ، ماضياً في كل ما يقضي بانفساح مجال
آمالك في الدهر ومبارك ، واعتدلك بما أنهاه عنك رسول أمير المؤمنين
العائد من قبلك ، وأوضحه من زلفك التي شفع قولك فيها عملك ،
وطالع به الرسول الذي نفذته معه لقصد بابيه ، والمناب في تأكيد
دواعي النجاح وتمهيد أسبابه ، وحل كل ذلك لديه المحل الذي ستجني
ثمره كلما يطيب ويحلو ، ويسلم من كل الإستزادة ويحلو ، ويمز مهـر
الفوز به على غيرك ويفلو ، وقائل لك من الرتبة في حضرته مايدني
لك كل مطلب إلى مرادك آئس ، ويُدوي قلب كل منحرف عن
وفائك مائل ، وصرت من أعيان الخالصاء الذي سميت الهدى أفعالهم
بالحمد ، وسميت بالطاعة آمالهم إلى توكل هضاب الحمد ؛ فما تهم بك
الغيرُ إلا وتنتقع دونك أعناقها ، وترجع في جلباب الحنية وحبيصتها
إليك وإعناقها ، ولا تمتد نحوك يد ضدي إلا ردها عنك جميل الآراء
الشريفة فيك وغلها ، وأوجب نهلها عن موارد القصور وعلها ،
وكيف لا يكون ذلك ولك في الطاعة كل موقف اغتدى بلبان الحمد
واعتنى باشتهاره بلوغ المدى في وصفه والحد ، فأحسن الله توفيقك فيما

أنت بازائه من إخذاد لهب الباطل بتلك الشعاب ، واجهاد النفس في إخال المتاعب وإذلال الصعاب ، وأمدك بالعون على ما بدأت له من جب (١) فيما يليك ، وطب أدواء الفساد في نواحيك . ومسح ما فزت به من هذه المنحة التي جاز قدرها التقدير والظن ، وجاد لك الدهر فيها بما كان شح به على أمثالك ورضن ، فيجب أن تستديها وتحصن من النقل أديها بمزيد من الخدمة تمتز الفرص بالإسراع إليه والبدار ، وتنتهج أقوم الجدد في مقابلة الإيراد منه بالإصدار ، وتنفذ وسهك في كل مسمى ينثني إليك عنان الثناء معه ، وتنفق عمرك في كل أمر يجمع لك مرأى الرضا عنك ومسمعه ، لتجد من جدوى ذلك ماينظم في السعادة شملك ، ويضحى به القياد فيما يصدق أمملك أمملك ، وأن محمد السيرة في الرعايا الذين غدوا تحت كنفك ، وتجعل الإشتال على مصالحهم معرباً عن فضل شفك بالخير وكفك ، فإنهم ودائع الله تعالى ، يلزم أن تُحصى من ضياع يتسلط عليها في حال . وتُسحياً من در الإحسان برضاع لا يخطر الفطام عنه ببال ، فلا تقفن عند غاية في إفاضة الفضل عليهم وإسباغ ظله ، واعتمادهم بتخفيف ثقل الحيف عليهم أو إزالة كله ، ليكونوا في أفياء الأمن راقمين ، ولخرق كل ملم بحسن ملاحظتك راقمين . فالذي يراه أمير المؤمنين في فرضك حق يزداد باعك طولاً ، ولا يترك لك على الزمان اقتراحاً ولا سولاً ، يقتضي أن يتبع كل سابق إليك من الإحسان بلا حق ، ويرع جناب النعمى لديك عند ذر كل شارق ، وكذلك يرى أن يجدد لك من تشريفه المنور مطالع الفجر ، المنوه بالذكر في الدهر ، الذي لا تزال

(١) بياض بالأصل ولعل التكلة : من جب أصول العناد... الخ

الهمم العالية تصبو إلى الفوز به وثميل ، وتقف عند حد الرجاء والتأميل ،
ما أصحب رسولك المشار إليه لتدريج من خلاله ما الشرف الأكبر من
مطاويه ، وتمتطي من صهوة العز فيه ما يبعد على النظراء إدراك
مراميه . ويجب أن تتلقى مقدم ذلك عليك بما ينبىء عن إقتران النعمة
الفراء فيه ، وأقمار أهلة التوفيق عندك بما تقصد في المعنى وتنتجيه .
وإذا عاد رسولك إلى باب أمير المؤمنين حسب ما ذكرت ، أصدر على
يده من ضروب التشريعات ما يقر فيك عيون من يودك ، ويقر في
مفانيك كل سعدٍ يوري فيك زندق . فاسكن إلى أحبائك بالزيد من
كل رتبة أهلت لها ، وكن بحيث الظن فيك توفر عليك أقسام الحمد كلها ،
وثق بترادف آلامٍ ينضم لديك شملها ، ويثقل كل كاهل حملها ، إن
شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ ، ٤٥٣ - ٤٥٦

٢٦٠ - رسالة جوابية من الخليفة المقتدي بالله إلى تتش
أخي ملكشاه .

استفحل أمر تتش بعد وفاة أخيه ملك شاه واستولى على ديار بكر
وبلاد العرب وأرسل إلى الخليفة المقتدي يسأله أن يقيم له الخطبة
وخلط السؤال بتهديد فأجابه المقتدي بما يلي :

صلح أن يكون خطابك في الخطبة إذا حصلت الدنيا بحكمك
وخزائن الأموال بأصفهان وولايتها تحت يدك ، والبلاد بأسرها في قبضتك ،
ولم يبق من أولاد أخيك من يخالفك ، ثم تسأل حينئذ تشريفك بالخطبة
وقاميلك للخدمة ، فأما في هذه الحال فلا سبيل إلى ما التمسته ولا
طريق إلى ما تحاوله ، فلا تمدد حد العبيد فيما تنهيه وتسطره ، والاتباع

فما تورده وتصدره ، وليكن خطابك ضراعة لا تحكما وسؤال تخير .
فان أطعت فنفسك نفعت ، وإن خالفت وقصدتنا رددناك ومنعنا طلبتك
واعتمدنا معك ما يقتضيه حكم الإمام والسلطان ، وأتاك من الله تعالى
مالا قبل لك به ولا يدان (١) ،

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٢٩٣

٢٩١ - رسالة من ملك شاه إلى المقتدي وقد وقعت نفرة بين
الاثنين وغضب ملك شاه على الخليفة :

لا بد أن تترك لي بغداد وتنصرف إلى أي البلاد شئت .

٢٦٢ - جواب الخليفة على الرسالة السابقة :

أمهلي شهراً .

٢٦٣ - جواب ملك شاه :

لا يمكن أن تؤخر ساعة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٩ - ٦٢

٢٦٤ - رسالة بركياروق إلى أتباعه في مصادرة عميد الدولة وزير
الخليفة المستظهر .

ضاقت الأحوال ببركياروق في بغداد واحتاج إلى المال وطالبه
الجند بالأرزاق فقرر مصادرة وزير الخليفة عميد الدولة ابن جبير .
وصدف أن أتى الوزير رسولا إلى السلطان من قبل الخليفة في بحث
أمر من الأمور فاحتجزه بركياروق وأرسل إلى أتباعه يقول :

(١) ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ج ٥ - ١٣٧ نصاً أكثر إيجازاً من نصنا أعلاه.

إن السلطان يقول لكم : قد عرفتم ما نحن فيه من الإضاعة ومطالبة
المسكر ، وهذا الوزير ابن جهير قد تصرف هو وأبوه في ديار بكر
والجزيرة والموصل في أيام جلال الدولة وجبوا أموالها وأخذوا ارتفاعها،
وينبغي أن يعاد كل حق إلى حقه .

٢٦٥ - رسالة الخليفة المستظهر إلى بركياروق لما وصل إلى عامه
احتجاج الوزير وقول بركياروق .

... فلا يفرك إمساكنا عن مقابلة الفلثات . فوحن السالف من
الآباء المتقدمين بحكم رب السماء لئن قصر في أن يعاد شاكراً وبالجباء
موفوراً لنفعلن .

المنتظم لابن الجوزي ج ٩ - ١١٢

٢٦٦ - منشور أصدره السلطان محمد بن ملك شاه سنة ٥٠٠ هجرية
زمن المستظهر لما ملك قلعة شاه ذر قرب أصفهان وقتل الباطنية فيها،
وهو في صورة خطاب موجه إلى وزير الخليفة .

كانت هذه القلعة من أمنع قلاع الباطنية وكان صاحبها ابن عطاش
باطنياً خبيثاً ونال المسلمين منه شر كبير فتمكن السلطان محمد بعد
حروب صعبة من احتلالها وقتل من فيها ، فأنشأ كاتب السلطان أبو
نصر بن عمر الأصفهاني هذا الكتاب ليقرأ على المنابر في كل البلاد .

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو الوزير الأجل مجد الدين شرف الإسلام ظهير الدولة زعيم الملة
بهاء الأمة فخر الوزارة أبو المعالي هبة الله بن محمد بن عبيد المطلب
رضى أمير المؤمنين .

أما بعد : أطل الله بقاء الوزير وألقابه وأدام تأييده وتمهيدته وأحسن من عوائده مزيده ، فإن الله تعالى يقول وقوله الحق : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (١) . ولقد آتانا الله ، وله الحمد ، من هذا الفضل ما صرنا به أطول الملوك في الإسلام باعاً وأهزم في الذب عن حريمه أشياعاً وأتباعاً وأشدهم عند الحفيظة له بأساً وأظهرهم من درن الشبهة فيه لباساً وأقصدهم في افتقار الحق المبين لحناء ، وأثقلهم على أعداء الله وأعداء الدين المنير وطأة وإنحاء ، فلا تتجه عزائمهم من ذلك إلا حققنا الفيصل وطبقنا المفصل وفرينا الفرى واقتدحنا من الزناد الورى ، وأعدنا الحق جدعاً وأنف الباطل مجدعاً ، نعمة من الله تعالى اختصنا بها من دون سائر الأنام وأحلنا من التفرد بمزاياها في الذروة والسنام . فالحمد لله على ذلك حمداً يوازي قدر نعمه ويمتري المزيد من مواد كرمه ، ثم الحمد لله على ما صرنا له من إعزاز الدين ورفع عماده وقمع أضداده واستئصال شأفة الباطنية المناهضين لعباده الذين استزلوا العقول الفاسدة فاستفوهوا بأباطيلهم ، واستهوهوا بأضاليلهم واتخذوا دين الله هزواً ولعباً بما لقفوه من زخارف أقاويلهم ، مسمياً ماسئاً الله من فتح الفتوح وهباً أسبابه من النصر المنوح بأخذ قلعة شاه ذر التي شمع بها الجبل وبذخ ، وكان الباطل باض فيها وفرخ ، وكانت قننى في عيون الممالك وسيماً إلى التورط بالمسلمين في المهاوي والمهالك ، ومرصداً عليهم بالشرارة والنكارة حيثما يتجهونه من المسالك ، وفيها ابن عطاش الذي طار عقله في مدرج

(١) سورة المائدة : الآية ٥٧ .

الضلال وطاش وكان يُري الناس نهج الهدى مضلة ويتخذ السفر المشحون بالأكاذيب مجلة ، ويستبيح دماء المسلمين هدرًا ويستحل أموالهم غررًا ، فنكم من دماء سفكت وحرم انتهكت وأموال استهلكت ، وتيرات تجرعتها النفوس فما استدركت ، ولو لم يكن منهم إلا ما كان عند حدثان أمرهم بأصفهان من اقتناص الناس غيلة واستدراجهم خديمة وقتلهم إياهم بأنواع العقوبات قتلة شنيعة ، ثم فتكهم عوداً على بدء باعيان الحشم وخيار العلماء وإراقتهم ما لا يعد ولا يحصى من محرمات الدماء إلى غير ذلك من هناتٍ يتعض الإسلام لها أي امتعاض ، وما الله عن المسلم أن يتميز لها براضٍ ، لكان حقاً علينا أن نناضل عن حمى الدين ونركب الصعب والذلول في مجاهدتها ولو إلى الصين . وهذه القلعة كانت من أمهات القلاع التي انقطع إليها رؤوس الباطنية كل الانقطاع فكانت تبت الحبال منها في سائر الجهات والأقطار ، وترجع إليها نتائج الفساد رجوع الظير إلى الأوكار ، وهي في العزة والمنعة مثل مناط الشمس التي تنال منها حاسة البصر دون حاسة اللمس ، ترد الطرف كليلاً وتمسد العدد الدثر في محاصرتها كليلاً ، وكأنها وهي أعلى شاهق نزلت على الجبل من حالق ، فهي بهذه الصفة مقابلة لبلدة أصفهان التي هي مقر الملك ودار الثواء وأولى البلاد بتطهيرها من اهتياج الفتن واختلاف الأهواء ، ونحن نقيم بها طول هذه المدة المديدة وندير أمرها إلى ما يصونه الرأي من الحيلة والمكيدة ، وأمامنا من المستخدمين وأصحاب الدواوين نفر تصني إليهم اقتدتهم فيما كانوا عليه من مخالفة الدين يتوصلون بكرهم إلى نقض ما يبرم وتأخير ما تقدم ، ويوهمون أنها من النصائح التي تقبل وتازم حتى تطاول دون ذلك الأمد وبان من القوم المعتقد ،

واتضح لنا من صائب التدبير ما يُتمتد ، وكنا في خلال هذه الأحوال لم نخل هذه القلعة من طائفة تهزم حمية الدين من الجند ينتهون من التضيق عليها إلى كل غاية من الجد فيتوفرون على محاصرتهم ومصابرتهم ويتشمرون لمزاواتهم ومصاولتهم ويقعدون لهم بكل مرصد ، ويسدون كل منزل ومصعد حتى انقطعت عنهم المواد وخانتهم المير والأزواد ، واضطروا إلى أن نزل بعضهم على حكم الأمان بعد الاستئثار والإستئذان . فأمرنا بتخلية سربهم وإيوان سربهم وسلم الشطر من القلعة لحلوه من الفئة النازلة ، واعتصم ابن عطاش بقلعة أخرى تسمى دالان مع نخب أصحابه من المقاتلة ، وهذه القلعة هي أمتع المواقع من القلعة وأحصنها وأوعرها مسلكتاً وأحزنها ، فقد نقل إليها ما كان بقي لهم من الميرة وسائر ما يستظهر به من السلاح والذخيرة على أن يلبثوا بها أياماً معدودة فينزلوا ويبدل لهم الأمان مثل ما بذل للأولين ، ففتحوا كل ذلك بواسطة من قدمنا ذكرهم من المستخدمين في الدواوين ، وفي باطن الأمر خلاف ما يتوهم من الاعلال ، وذلك أنهم قدروا أن ما سلم من القلعة يترك على عمارته ومكانته ، وما امتنع به من القلعة لا يقدر عليه لمنعه وحصانته ، فهم يتوصلون بتمكنهم من ذلك الحيل إلى سرقة ما سلموه آنفاً ببعض الحيل . هذا وقد كفوا مؤن من نزل من الأكلة وعندهم الكفاف لمن بقي من العملة ، ففطننا لما عمدوا وعليه اعتمدوا ، وأمرنا في الحال بالقلعة المسلحة فنسفت نسفاً وخسفت بها خسفاً ، وصير سفها علواً كما كان علوماً خلواً . ثم انتقمنا من المستخدمين الغادرين بالملك والدين حتى ساقهم الحين المتاح إلى حين ، فلم يفلت منهم صاحب ولا مصحوب ، إن الشقاء على الأشقين مصبوب . ووافق ذلك حلول الموعد لنزول باقي القوم من دالان فأبوا إلا المطل والليان ، فلما مضت

أيام على ذلك وأظهروا التمرد والمصيان فصاروا كما قال الله تعالى :
ومن يرد الله فنته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد
الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (١) .
فعند ذلك استخربنا بالله تعالى تجريد العزائم لهذا الجهاد الذي هو
عندنا من أنفس العزائم ولا نخاف فيه لومة لائم ، وأهبننا من حضرة
من العساكر المنصورة إلى الإحداق بالقلعة المذكورة يوم الثلاثاء ثاني ذي
الحجة فزلوا لغنائها محتشدين ولصدق اللقاء متشمرين متجردين وجرت
مناوشة عشية هذا اليوم أنخنت عدة من أولئك القوم ، وبات المسلمون
ليلتهم تلك على أضهم ، والملحدون لحماً على وضهم ، فلما تنفس الصبح
وعردت ديوك الصبح وطوى الليل رداءه ورفع الفجر لواءه نصر الله
الحق وأدال الدين وساء ضباح المنذرين ، وعدت جيوش النصر يسداً
واحدة وكلمة على التظافر والتظاهر مساعدة ، تسطو بالفئة المتحصنة
بالقلعة سطوة الليث المصور وكانهم طاروا بأجنحة الصقور على صم
الصخور . فلم يلبثوا قبل ذرور الشمس بقرنها وأخذها الناصح من لونها
أن أخذوا القلعة عنوة وقهراً وأجروا من دماء الباطنية الملحدة نهراً ،
فلم يثل منهم وائل ولا أخطأهم من السيوف البواتر وائل ، وأمرنا في
الحال بهدمها والتعفية على ردمها فلم يبق منها نافخ ضرمة ولا أثر من
نسمة ولا مدر على أكمة ، وأسر ابن عطاش ، رأس الجالوت وولي
الطاغوت الذي كان بمن قال الله تعالى فيه : وجعلناهم أئمة يدعون إلى
النار (٢) . فجعلناه وولده المقرون به مثلة للنظار وعبرة لأولي الأبصار
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

(٢) سورة القصص : الآية ٤١ .

هذا هو الفتح المبين والعزة التي تتلى لأنها من الدهر الحين والنعمة التي تمت وعمت وأحنت بالنعمة على أعداء الله ورسوله وطمئت ، وما ذلك إلا من بركات عقائدنا الناصحة في موالاته الدولة العباسية ، ظاهر الله مجدها وما يلتزمه في فرضها من فضل المناصحة والمشايعة ، فيها نحن نسطوا بالأعادي ونكفى من اعتراض النواذب كل العوادي ونسوس الدهماء من الحواضر والبوادي .

وهذه البشرية التي بيننا بها الإسلام وترفع بها من الإشادة بذكرها في الخافقين الأعلام أمرنا بنشرها في الأقصى والأدنى ، لاسيما الدارة العزيزة ، ظاهر الله مجدها ، فإنها أولى من يبشر بثلاثها وبيننا ، وأنهيها الأمير عز الدولة إلى إيصال هذه البشارة إلى الديوان العزيز النبوي ، أعلى الله جده ، فندب من قبله من يقوم بهذه الخدمة ويعلمه ما نحن بصدد من الاعتراف بقدر هذه النعمة . وهذا الأمير كان من المندوبين أولاً وآخرًا لمحاصرة هذه القلعة فأبلى فيها بلاءً حسنًا جميلًا وأغنى غناءً لم نجد له فيه عديلاً ، ولذلك اختصصناه بهذه المزية وآثرناه بإبلاغ هذه البشرية الهنيئة ، والمعول تام على الإهتمام الوزيري في إلقائها إلى المقارن العظيمة النبوية ليعلم من صدق نهضتنا بالخدمات ، وعندنا المسعاة في إعزاز الدين من أوجب المهمات من شريف المراضي ، ويفرض لنا من المحامد والمآثر الثابتة إلى الأبد أكرم الأحاطي ، وأن يتقدم في حق المبشر بما هو على الدولة ، ثبته الله ، متمين ، حتى يعود ولما يستحسن من موقع هذه البشارة عليه أثر بين . والوزير أولى من اغتتم هذه المكرمة فاعتنقها وتمكن من عصمة الرأي السديد فاعتلقها ، واستحمد إلينا بما يتكلفه من جميل مساعيه ويتكفله بالاهتزاز والاهتمام فيه من سائر ما يلاحظه من الأمور ويراعيه إن شاء الله تعالى . وكتب بالأمر العالي شفاها في ذي القعدة سنة ٥٠٠ هـ .

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٥٢ - ١٥٦

٢٦٧ - رسالة الخليفة المسترشد إلى السلطان محمود .

نشبت صراع بين السلطان محمود وأخيه مسعود وزحف مسعود نحو العراق فاختلف أمر محمود وكتب إلى الخليفة المسترشد يستأذنه للخروج لحرب أخيه فأجابته :

إنك تعلم ما بيني وبينك من العهد واليمين وأني لا أخرج ولا أدون عسكرياً ، وإذا خرجت عاد العدو وملك الحلة وربما تجد منه ما تعلم .

٢٦٨ - جواب السلطان محمود إلى الخليفة المسترشد :

مق رحلت عن العراق وجدت له حركة وخفت على نفسك وعلى المسلمين وتجده لي أمر مع أخي فلم أقدر على المجيء فقد نزلت عن اليمين التي بيننا فمهما رأيت من المصلحة فافعله .
المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ - ٢٠

٢٦٩ - رسالة السلطان سنجر السلاجوقي من خراسان إلى ابن أخيه

السلطان مسعود .

خلع طربلك من السلطنة في بغداد وحل محله أخوه مسعود ، وكان حوله عدد من الأمراء يفيضون سنجر فأرسل إليه عمه سنجر يقول :

هؤلاء الأمراء الذين معك - وهم البازدار وقزل وبرتقش - ما يتركوك تبليغ غرضاً ، لأنهم عليك لا معك ، وهم الذين أفسدوا أمر أخيك طغرل ، فإذا وقفت على المكتوب فابعث إليّ برؤوسهم .

٢٧٠ - رسالة الأمراء الثلاثة إلى الخليفة المسترشد .

لم يفعل مسعود بنصيحة عمه وإنما أطلع الأمراء الثلاثة على رسالة عمه فتغيرت نفوسهم نحوه وانفصلوا عنه وأرسلوا إلى الخليفة يقولون :

إننا قد انفصلنا عن مسعود ، ونحن في بلاد ابن برسق ، فإن كان لك نية في الخروج فاخرج فنحن في يدك ، وإلا فاخطب لبعض أولاد السلاطين ، ونقد به حتى نكون معه .

٢٧١ - جواب المسترشد :

كونوا على ما أنتم عليه فأنا صائر إليكم .
المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ ، ٤٣ - ٤٤

٢٧٢ - رسالة أرسلها المسترشد بناء على طلب السلطان مسعود إلى استاد الدار بتعيين شحنة جديد لبغداد .

تخارب المسترشد ومسعود وهزم الخليفة وأسر مسعود وطلب منه إرسال الرسالة التالية إلى أستاذ الدار في بغداد بتعيين شحنة جديدة لبغداد .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والحمد لله رب العالمين . ليعتمد الحسن بن جهير مراعاة الرعية والاشتمال عليهم وحمايتهم وكف الأذى عنهم ، فقد ظهر من الولد غياث الدنيا والدين - متع الله به - في الخدمة ما صدق به الخدمة ، فليجتمع وكاتب الزمام وكاتب الخزن على إخراج العمال إلى نواحي الخاص لحراستها فقد ندب من الجناب الفيائي هذا شحنة لذلك ، وليهم بكسوة الكعبة فنحن في أثر هذا المكتوب إن شاء الله .

المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ - ٤٦

٢٧٣ - رسالة الخليفة المسترشد إلى السلطان السلجوقي محمود من أجل دببيس .

ثار دببيس ضد الخليفة وهزم واحتلت أراضيه فأخذ يتجول ويجمع

الجيش لاسترداد أراضيه وبلغ الخليفة انه جمع جيشاً وقصده بغداد فأرسل المسترشد إلى محمود الرسالة التالية :

لئن لم تكف ديبساً عن القدوم إلى بغداد وإلا خرجنا إليه ونقضنا ما بيننا وبينك من العهود والصلح .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ - ١٩٨

٢٧٤ - رسالة من المسترشد إلى وزير السلطان سنجر معز الدين

الفضل بن محمود .

مقامك يا عز الدين - أحسن الله حياطتك وكمل موهبته لديك - في خدمة الدار العزيزة التي مازلت لجهدك فيها باذلاً ، وفي جلايب المناصحة رافلاً ، لا يقبضنك أن تواصل حالاً فحالاً بأبنائك وتستديم ما خصصت به من شريف الآداب الموفية بك على أكفائك ؛ وعرض بحضرة أمير المؤمنين ماورد منك دالاً على طاعتك المهدودة ، وموالاتك الرائقة المشهودة ، واستمرارك على المجدد والمبيع فيما حاز المرادي الشريف الإمامية لك ، وحقق في الفوز بجميل الآراء أملك ، وناطقاً بجمال فلان المارق عن الدين ، الجاهر بمصيبة الله تعالى في مخالفة أمير المؤمنين ، وما اقتضاه الرأي المعزي (١) بحسن سفارتك وسداد مقصدك في الطاعة وصفاء نيتك ، وأحاط علماً بضمونه الذي لا ريب إنه ثمرة مناصحتك ونتيجة سعيك المضاهي نصيحة عقيدتك . ومن أولى منك بهذه الحال ؟ وأنت الخوّل القلب ذو الحنكة المحرب ، الذي تفرد في الأنام بكماله ، وقصر أكفاؤه عن درك شأوه في الخير ومثاله . وما زلت حديثاً وقديماً موسوماً بهذه المزية مرقوماً ، وبغير شك انك تراعي

(١) المعزي ؛ نسبة إلى معز الدنيا والدين لقب السلطان سنجر السلجوقي .

ما بدأت به وتعضد فعالك في موارده بما تعمده من مصادره ، وتحرس
ماقدمته من الاحتياط بتجربتك في أواخره . وتمضي العزيمة لإتمام
ماشرعت فيه ، كفاء ما يوجبه دينك ويقتضيه ، جرياً على وتيرتك فيما
قضي للأحوال بالانتظام والاتساق ، وآذن لشمس الصلاح بالإضاءة
والإشراق .

وبعد فقد عرفت ما تكرر إليك في أمر هذه الطائفة الخبيثة
المكاشفة بذهب الإلحاد ، المبارزة بسوء الإعتقاد ، بعثاً على جهادها
وكف ضررها عن الإسلام وفسادها . ورفع ستر المراقبة عنها ، والإنتمام
لله ورسوله منها ، وما يُقنع من مهمة معز الدولة والدين - أمتع الله
ببقائه - ومن وافر عقلك ودينك وصدق يقينك ، إلا بإرهاق العزيمة
في مكاشفتها ، وخوض العمار في محاربتها ، والقصد لمضايقة من اعتصم
منها بالقلع ، وقتل كل من يظفر به في سائر البقاع ، حمية وامتصاصاً
للدين ، وأنفاً بما استولى عليه بها من الضرر المبين . فكُن من وراء
الحب لمعز الدنيا والدين على تيقنك هذا المثال والإدكار بما تفوز به مع
الامتثال له في المآل ؛ وانهض في تنفيذ ما يأمرك به في هذا الباب
نهضة من اتزر رضا الله وأراده ، وبذل في صلاح معاده اجتهاده ، فإن
الله تعالى لا يرضى منكما للإنتصار لدينه بالتقصير . وأمير المؤمنين
أمركا بالجد فيه والتشمير ، وقد شرفك بتحفة أمر يحملها إليك من بين
يدي سدته وأعرب بها عن مكانك من حضرته ، إنافة على الأمشال
بقدرك ، وإضفاء للملابس فيحرك ، فاعرف بمكان النعمة في ذلك ، واسلك في
القيام لشكرها أوضح المسالك ، وأدم المواصلة بطالعتك وقدم التوقيع
من إجابتك ، تفز من المراضي الشريفة بالخط الأسنى ، ويجمع لك منها
الإسم والمعنى ، إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلمشندي ج ٦ ، ٤١٩ - ٤٢١

٢٧٥ - مقتطفات من يمين الراشد التي أقسمها في الولاء للسلطان مسعود بعد مقتل المسترشد وتنصيب الراشد خليفة .

... من حشدت أو حاذيت وجذبت سيفاً في وجه مسعود فقد خلمت نفسي من هذا الأمر ...

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٥ - ٢٥٨

٢٧٦ - رسالة الراشد إلى يرتقش أحد قواد السلطان مسعود .

أرسل السلطان مسعود جيشاً على رأسه عفيف الخادم ليطالب الخليفة باسم السلطان بسبعمائة ألف دينار كان المسترشد تعهد له بها ، وكذلك ليحصل من أهالي بغداد خمسمائة ألف دينار . واستشار الخليفة أصحابه فقررُوا الرّفْض والقتال ، وأرسل الخليفة إلى يرتقش أحد قواد مسعود بما يلي :

أما الأموال المضمونة فإنما كانت لإعادة الخليفة إلى داره سالمًا وذلك لم يكن وأنا مطالب بالثأر . وأما مال البيعة فلمعري ألا إنه ينبغي أن تماد إلى أملاكي وأقطاعي حتى يتصور ذلك ، وأما ما تطلبونه من العامة فلا سبيل إليه وما بيننا إلا السيف (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ - ٥٤

٢٧٧ - رسالة الخليفة المقتفي إلى السلطان مسعود السلجوقي .

قتل الراشد وأصبح المقتفي خليفة ، وأرسل السلطان وزيره أبا البركات إلى بغداد وطالب الخليفة بمائة ألف دينار ، فبعث الخليفة إليه .

(١) ورد نص مشابه إلى حد كبير لنصنا أعلاه في الكواكب الدرية لابن قاضي شعبة

ما رأينا أعجب من أمرك ، أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله فجرى ما جرى وعاد أصحابه عراة ؛ وولى الراشد ففعل ما فعل ثم رحل وأخذ ما بقي من الأموال ، ولم يبق في الدار سوى الأثاث فأخذته جميعه وتصرفت في دار الضرب ودار الذهب وأخذت التركت والجوالي ، فمن أي وجه نقيم لك هذا المال ؟ وما بقي إلا أن نخرج من الدار ونسلمها فإني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ من المسلمين حبة واحدة ظلماً (١) .

المنتظم لابن الجوزي

٢٧٨ - رسالة المقتفي للسلطان مسعود حول حصار جنوده بغداد وبدنهم في نهبها .

ثار عدد من الأمراء ضد السلطان مسعود وأتوا إلى بغداد وبدأوا في نهبها والسلطان بعيد عنها . فأرسل الخليفة إلى السلطان يقول : أما الشحنة الذي من قبلك فقد هرب هو وأمير الحاج إلى تكريت ، وقد أحاط العسكر بالبلد ، وما يمكنني أن آخذ عسكرياً لأجل العهد الذي بيننا فدبر الآن .

٢٧٩ - جواب السلطان مسعود للخليفة على رسالته السابقة :

قد برئت ذمة أمير المؤمنين من العهد الذي بيننا وقد أذنت لك أن تجند عسكرياً وتحمط لنفسك والمسلمين .

المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ - ١٣٢

(١) ذكر ابن تفردي في النجوم الزاهرة ٥٥ - ٢٥٩ رسالة مشابهة إلى حد كبير لرسالتنا أعلاه .

٢٨٠ - رسالة جوابية من المفتي إلى السلطان محمود السلجوقي ،
وذلك جواب رسالة أرسلها السلطان للخليفة يخبره باجتماعه بعمه
السلطان سنجر .

أما بعد : فإن كتابك عرض بحضرة أمير المؤمنين ناطقاً بسدر
الأوطار وحصول المقاصد على الآثار ما أنهيته من الاجتماع بعز الدنيا
والدين ، جمع الله في طاعته شملكما ، ووصل بالألفة والتوادد حبلكما ،
ومن إكرام الوفاة الذي أنت أهله ووليه ، حقيق أن يتبع وسميته
لديك وليه (١) ، والموافقة على كل حال آذنت ببلوغ الأغراض
وتيسرها ، ونجاز المساعي على أتم وفاق وتقررها ، وانتظام الأمور
على أجل معناد وأكمل مراد وأحسن إتساق واطراد ، واستقرار
القواعد على الوصف الجامع أشتات الاتفاق ، الدال على صدق المحافظة
بينكما وفرق الشقاق ، محفوفاً بالسعادة التي لا تزال متأرك في الطاعة
الإمامية تلك قيادها ، وتقلدك على الاتصال بنجاحها ، فتللت بهذا النبأ
المبهج أسرة البشرية ، وأصبح الجدل بكانه أفعم عرقاً وأذكى نشراً ،
وقامت لأجله في عراض الدار العزيزة مواسم ، وأصبح المسرة بها
مفترة الثغور ضاحكة المباسم ، وجدير بمن كان له من المهيم الشريفة
مدد وافٍ ، وعدد يدفع في صدر كل خطبٍ موافٍ ، أن يكتنفه الميامن
والسعود ، ويصدق في كل مرمى ينحوه من النجح الموعود ، وثقاده له
المصاعب ذللاً ، ويمودَ بيمن نقيبته كل عافٍ من الصلاح جديداً مقتبلاً ،
ولا ينفك صنع الله جل اسمه لطيفاً ، وبربائه محققاً مطيفاً ، والتوفيق
مصاحبه أنى حل وثوى ، أو ثنى عنانه إلى وجهه ولوى . والله

(١) الولي : المطر بعد المطر .

يتمتع أمير المؤمنين منك بالمعصد الذي يذنب عن دولته وبجامي، ويناضل
دونها بجنود الاخلاص ويرامي ، ولا يخلبك من رعايته التي لا يزال
يستقر فيها إليك ، ويرغب إليه في إسباغ لباسها عليك ، حتى تتسنى
لك المطالب معاً ، ويغدو الزمان فيما ينشأ متبعباً .

هذه مفاوضة أمير المؤمنين إليك - أدام الله تأييدك - أجراك
فيها على مألوف العادة وجدد لك بها برود الفخار والسعادة ، فاجر على
وتيرتك في إتخاف حضرته بطبيب أخبارك وبجاري الأمور في إيرادك
وإصدارك ، تهد إليها ابتهاجاً وافرأ ، وابتساماً يظل لثامه عن حمد
الله المسند بها سافراً إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ ، ٥٤٢ - ٥٤٣

٢٨١ - رسالة من المقتفي إلى السلطان مسعود السجلوقي جواباً
علي رسالة أرسلها السلطان للخليفة يخبره فيها أن بعض من كان خرج
عن سلطانه عاد إليه وانحاز .
من عبد الله أبي عبد الله محمد الإمام المقتفي لأمر الله أمير
المؤمنين إلى فلان بالقابه .

أما بعد : أطال الله بقاءك ، فإن كتابك عرض بحضرة أمير المؤمنين معرباً
عن أخبار سعادتك ، وجرى الأمور على إرادتك ، وبلوغ الأغراض من
الوجهة التي توجهت إليها ، والأطراف التي أشرقت سعادتك عليها .
بيمان ما تثق به من الطاعة الإمامية وتضميره ، وتمتعده من الإخلاص
وتستشمره . وإن ركن الدين محمداً ومن انضم إلى جملة وانتظم في
سلك موافقته لما ظفروا منك بذمام اطمأنوا إليه وسكنوا ، وأمان
وثقوا به وركنوا ، أبصروا الرشد فاتبعوه ، واستجابوا الداعي إذ

سمعوه ، وأذعنوا لطاعتك مسرعين ، وانقادوا إلى متابعتك مهطعين ، على استقرار مسيرهم تحت لوائك إلى باب همدان لتكون تقرير القواعد الجامعة للمصالح عند وصولها ، والتوفر على تحري ما تقر به الخواطر مع حلولا ، والانفصال إلى من يفسد إلى الأبواب العزيزة مؤتسماً بقرب الدار ، ومستمداً بالخدمة الشريفة الإمامية المؤذنة ببلوغ الأوطار ، ووقف عليه وعرف مضمونه ، وجدد ذلك لديه من الابتهاج والاعتباط الواضح المنهاج ، ما تقتضيه ثقته بيجانبك واعتقاده ، وقعوده على جميل معتقدك واعتاده ، واعتضاده من طاعتك بجبل لا تنقض الأيام مبرمه ، وسكونه من ولائك إلى وَزَرَ لاتروع المخاوف حرمة ، وواصل شكر الله تعالى على ما شهدت به هذه النعمة العظيمة والموهبة الجسيمة ، من إجابة الأدعية التي مازالت جنودها نحوك مجهزة ، ووعوده - جلت عظمتة - بقبول أمثالها منجزة ، وإمدادك منها بأمداد تستدعي لك النصر وتستنزله ، وتستكمل الحظ من كل خير وتستنجزه ، وتبلغ الأمل منك فيمن هو العدة للعلماء ، والحامي لتقرير الأنس من روائع الشتات ، ومن ببقائه تكف عن الامتداد أكف الخطوب ، وتطلق وجوه المسار من عقل القطوب . ويأبى الله العادل في حكمه وحكمته ، الرؤوف بعباده وخليقته ، إلا إعلاء كلمة الحق بألهم الإمامية ، والإجراء على عوائد صنيعته الخفية ، الكافلة بصلاح العباد والرعية ، وقد أقيمت أسواق التهنية بهذه البشرية ، وأفادت جذلاً تتابع وفوده تترى ، لاسياً مع الإشارة إلى قرب الأوبة التي تدني كل صلاح وتجلبه ، وتزيل كل خلل أتعب القلوب وتذهب به ، وإلى الباري جل لإسمه الرغبة في اختصاصك من عنايته بأحسن ما عهدته وأجمله ، وصلة آخر وقتك في نوح المساعي بأوله . وأن لا يخلي الدار العزيزة من إخلاصك في ولائها ، ورغبتك في تحصيل مرضيها وشريف آرائها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين - أدام الله تأييدك - أبتغى الله جزاءك فيها على عادة تكريمته ، وأعرب بها عن اعتقاده فيك وطوبته ، ومكانك الأثيل في شريف خطرتة ، وابتهاجه بنعمة الله عنـدك وخيرته ، فتأملها تأملاً يشاكل طاعتك الصافية من الشوائب والأقذاء ، وتلقها بصدق الاعتقاد عليها وحسن الإصغاء ، تنقزُ بالإصابةِ قـداحك ، ويقرن بالتوفيق مغداك ومراحك ، إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ ، ٤٤٨ - ٤٤٩

ب - علاقة السلاجقة بعضهم بعضاً -

٢٨٢ - رسالة جعفري بك داود إلى أخيه طغرلبك :

ملك جعفري خراسان وملك طغرلبك العراق وبنسداد ، وأرسل جعفري قبل وفاته رسالة إلى أخيه مع قاضي سرخس عبد الصمد هذا نصها :

بلغني لإخرا بك البلاد التي فتحتها وملكتها ، وجلا أهلها عنها ، وهذا ما لا يخفاء به في مخالفة أمر الله تعالى في عباده وبلاده ، وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وإيجاش الرعية .

وقد علمت أننا لقينا أعداءنا ونحن في ثلاثين رجلاً وهم في ثلاثمائة فغلبنام ، وكنا في ثلاثمائة وهم في ثلاثة آلاف فغلبنام ، وكنا في ثلاثة آلاف وهم في ثلاثين ألفاً فدفنناهم ، وقاتلنا بالأمس شاه ملك وهو في أعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم ، وهرب

من بين أيدينا إلى خمسمائة فرسخ من موضعه . فظفرنا به وأسرتاه وقتلناه ، واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد أن كنا أصاغر تابعين ، وما تقتضي نعم الله علينا أن نقابلها هذه المقابلة .

٢٨٣ - جواب طغرلبيك لأخيه عن تلك الرسالة أرسلها مع الرسول وقال له قل له في الجواب :

يا أخي أنت ملكت خراسان وهي بلاد عامرة فخربتها ، ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وأنا وردت بلاداً أخربها من تقدمني ، واجتاحها من كان قبلي فما أتمكن من عمارتها والأعداء محيطة بها والضرورة تقود إلى طرقها بالمساكر ، ولا يمكن دفع مضرتها عنها .

الكامل لابن الأثير ج ١٠ ، ٦ - ٧

٢٨٤ - رسالة تتش لأخيه السلطان ملك شاه سنة ٤٤٨٠ هـ يطلب إمداده ضد المصريين الذين حاصروه بدمشق :

قد استولى المصريون على الساحل وضايقوا دمشق ، وأسأل السلطان أن يأمر آق سنقر وبوزان أن ينجداني .

النجوم الزاهرة لابن تقي بردي ٥٥ - ١٢٥

٢٨٥ - رسالة ملك شاه لنظام الملك حول استبداده وأولاده في الأمور

ولى نظام الملك حفيده عثمان مرو وهناك أساء معاملة أحد خلاء السلطان ملك شاه فشكا ذلك إلى السلطان الذي غضب وأرسل الرسالة الشفوية التالية مع وفد برئاسة الأمير يلبرد إلى نظام الملك :

إن كنت شريكى في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم ،
وإن كنت نائبي وبحكى فيجب أن تلزم حد التبعية والنيابة . وهؤلاء
أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولي ولاية كبيرة .
ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا إلى أن فعلوا كذا
وكذا.. وأطال القول .

٢٨٦ - جواب نظام الملك الشفوي على رسالة ملك شاه السابقة :

غضب نظام الملك لهذه الإهانة وقال للوفد : قولوا للسلطان :

إن كنت ما علمت أنى شريكك في الملك فاعلم ، فإنك ما نلت هذا الأمر
إلا بتدبيرى ورأيت . أما يذكر حين قتل أبوه فقامت بتدبير أمره وقامت
الخوارج عليه من أهله وغيرهم ، منهم فلان وفلان - وذكر جماعة ممن خرج
عليه - وهو ذلك الوقت متمسك بي يلزمني ولا يخالفني . فلما قدت
الأمر إليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة ،
وأطاعه القاصي والداني أقبل يتجنى لي الذنوب ويسمع في السعيات .
قولوا له عني : إن ثبات تلك القلنسوة معدوق بهذه الدواة ، وإن اتفقا
رباط كل رغبة وسبب كل غنيمة . ومق أطبقت هذه زالت تلك . فإن
عزم على تغيير فليتزود للإحتياط قبل وقوعه ، وليأخذ الحذر من الحادث
أمام طروقه... .

ثم قال لهم : قولوا للسلطان عني مهما أردتم فقد أهمني ما الحقني من
توبيخه وقت في عضدي (١) .

الكامل لابن الأثير ، ١٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ -

(١) أورد نص هاتين الرسالتين عدد من المصادر كالمنتظم لابن الجوزي ٩٠-٦٧ وتاريخ
مختصر الدول لابن العبري ص ١٩٣ ، ولا خلاف بينهما إلا في بعض التفاصيل البسيطة .

٢٨٧ - رسالة السلطان سنجر إلى ابن أخيه محمود يحذره من محاولة الخليفة المسترشد ضرب السلاجقة ببعضهم ، فقد اتفق المسترشد مع السلطان محمود ضد السلطان طغرل بن محمد ، ووصل الخبر إلى سنجر فكتب إلى محمود يحذره ويقول له :

أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك ، فإذا اتفقتما عليّ فرغ مني وعاد إليك فلا تلتفت إليه . وأنت تعلم انه ليس لي ولد ذكر ، وأنت ضربت معي مصافاً وظفرت بك فلم أسيء إليك وقتلت من كان سبباً لقتالنا ، وأعدتكم إلى السلطنة وجعلتكم ولي عهدي وزوجتك ابنتي . فلما مضت إلى الله تعالى زوجتك الأخرى . ورأيت فيك رأي الوالد . فالله الله أن تعول على ما قال لك . ويجب بعد هذا أن تمضي إلى بغداد ومعك العساكر فتقبض على وزير الخليفة ابن صدقة وتقتل الأكراد الذين قددوهم وتأخذ المنزل الذي قد عمله وجميع آلة السفر وتقول : أنا سيفك وخادمك وأنت تعود دارك على ماجرت به عادة آبائك وأنا لا أحوجك إلى تعسف ، فإن فعل وإلا أخذته بالشدة ! وإلا لم يبق لك ولا لي معه حكم .

المنتظم لابن الجوزي ج ٩ ، ٢٥٤ - ٢٥٥

رسالة السلطان سنجر إلى ابن أخيه السلطان مسعود في إطلاق سراح الخليفة المسترشد .

وقعت حرب بين مسعود والمسترشد وهزم عسكر الخليفة وأسر هو نفسه ، وصادف ذلك حدوث الزلازل والعواصف فخاف السلطان سنجر وأرسل إلى مسعود يطلب منه إطلاق سراح الخليفة ويقول : ساعة وقوف الولد العزيز غياث الدنيا والدين مسعود على هذا

المكتوب يدخل على أمير المؤمنين - أعز الله أنصاره - ويقبل الأرض بين يديه ويقف ويسأله العفو عنه والصفح عن جرمه وإقدامه ويتنصل غاية التنصل ، فإنه قد ظهرت عندنا من الآثار السائية والأرضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها دون المشاهدة من الرياح العواصف والبروق الخواطف وتزلزل الأرض ودوام ذلك عشرين يوماً وتشويش العساكر وانقلاب البلدان . ولقد خفت على نفسي من جانب الله تعالى وظهور آياته وجانب الخلقين ، والعساكر وتغيرهم عليّ وامتناع الناس في الصلاة في الجوامع وكسر المنابر ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحملها . فأنه الله تتلافى أمرك وتحقن دم المسلمين وتعيد أمير المؤمنين إلى مستقر عزه وتسلم إليه ديبساً ليرى رأيه ، فإنه هو الذي أحوج أمير المؤمنين إلى هذا وأحوجنا أيضاً نحن إلى مثل هذا ، وعجل ولا تتأخر . وتعمل له البرك وتنصب له السراشق وتضرب له التخت وتحمل له العاشية بين يديه أنت وجميع الأمراء كما جرت عادتنا وعادة آبائنا في خدمة هذا البيت (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ ، ٤٧ - ٤٨

٢٨٩ - رسالة السلطان محمود السلجوقي إلى الب أرسلان بن رضوان السلجوقي ملك حلب يطلب منه أن يقتل الباطنية لديه .

كان والدك يخالفني في الباطنية ، وأنت ولدي فأحب أن تقتلهم .

زبدة الحلب لابن العديم ج ٢ - ١٦٨

(١) ذكر ابن قاضي شبيهة في الكواكب الدرية ص ١٠٠ وابن العماد في شذرات الذهب ٤٣ ، ٨٧ - ٨٨ نصاً أقل تفصيلاً من نصنا هذا

ج - علاقة السلاجقة بالآخرين من حكام ورؤساء وثوار

٢٩٠ - رسالة سليمان بن قطامش إلى شرف الدولة مسالم بن قريش العميلي صاحب حلب :

كان لشرف الدولة رسم سنوي يأخذه من صاحب انطاكية الرومي ،
فما احتل سليمان بن قطامش مدينة انطاكية من الروم ، أرسل إليه شرف
الدولة يطالبه بما كان يدفعه الرومي له ويخوفه معصية السلطان فأجابته :
أما طاعة السلطان فهي شعاري ودياري ، والخطبة له والسكة في
بلادي ، وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسماعته من هذا البلد وأعمال
الكفار . وأما المال الذي كان يحمل صاحب انطاكية قبلي فهو كانت
كافراً وكان يمسك جزية رأسه وأصحابه ، وأنا بجمعة الله مؤمن
لا أحمل شيئاً (١) .

الكامل لابن الأثير ج ١٠ ، ١٣٩ - ١٤٠

٢٩١ - رسالة طغرلبيك السلجوقي إلى مسعود الغزنوي .

أغار السلاجقة على أملاك مسعود الغزنوي فحاربهم فكسروه وهزم ،
فأرسل إلى طغرلبيك رسالة يتهدده فأجابته :

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير .

الكامل لابن الأثير ج ٩ - ٤٧٨

(١) أورد ابن الأثير نفسه في الباهر ص ٦ نصاً مختصراً لهذه الرسالة وكذلك فعل ابن
خلدون في العبر ٤٥ - ٥٧٦ .

٢٩٢ - رسالة ألب أرسلان إلى محمود بن نصر بن صالح الموداسي حاكم حلب .

كان محمود هذا يخطب في بلاده للعلويين . فلما علم ان ألب أرسلان قاصده قرر معانقته فقطع الخطبة العلوية وخطب للعباسيين ، وأرسل له الخليفة تقليداً فلبسه ، ولكن السلطان أصر على وجوب حضوره بنفسه ليطأ بساطه على الرغم من رفض محمود فعزل ذلك وأرسل السلطان يقول له :

أي شيء تساوي خطبته للخليفة ولبس تشريفه مع ماسبق من شقته العصا وخروجه عن الطاعة ؟

زبدة الحلب لابن العديم ج ٢ - ٢٠

٢٩٣ - رسالة نظام الملك إلى أبي إسحاق الشيرازي عن الفتنة التي وقعت بين الحنابلة والأشاعرة .

وقعت فتنة بين الأشاعرة والحنابلة وترددت الرسائل بين نظام الملك وعدد من العلماء عن ذلك الموضوع . وفيما يلي نص رسالة وجهها نظام الملك إلى أبي إسحاق الشيرازي جواباً لرسالته له عن نفس الموضوع :
ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب ، وليس توجب سياسة السلطان وقضية المدلة إلى أن نميل في المذاهب إلى جهة دون جهة ، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة^(١) إلا لصيانة أهل العلم والمصلحة لا للاختلاف وتفريق الكلمة . ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه من هذه الأسباب فليس إلا التقدم

(١) المقصود هنا المدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك في بغداد كما أسس غيرها في عدد من بلدان الخلافة الشرقية .

بسد الباب ، وليس في المكنة الإيبان على بغداد ونواحيها ونقلهم عن ماجرت عليه عاداتهم فيها ، فإن الغالب هناك هو مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمة الله عليه ، ومحلّه معروف بين الأئمة ، وقدره معلوم في السنة ، وكان ما انتهى إلينا أن السبب في تجديد ما تجدد مسألة سئل عنها أبو نصر القشيري في الأصول فأجاب عنها بخلاف ما عرفوه من معتقداتهم ، والشيخ الإمام أبو إسحق - وفقه الله - رجل سليم الصدر سلس الإنقياد ويصغي إلى كل من ينقل إليه ، وعندنا من تصادر كتبه ما يدل على ما وصفناه من سهو له يفتدبه ، والسلام .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٣١٢

٢٩٤ - رسالة ديبس بن صدقة إلى الخليفة المسترشد .

نشأ نزاع بين ديبس والسلطان السلجوقي محمود فأنحدر ديبس إلى بغداد وأظهر الفساد وأرسل إلى الخليفة يقول :
إنك أرسلت تستدعي السلطان ، فإن أعدتوه وإلا فعلتُ وصنعتُ .

٢٩٥ - جواب الخليفة على الرسالة السابقة :

إن عود السلطان ، وقد سار عن همدان ، غير ممكن ، ولكننا نصلح حالك معه .

الكامل لابن الأثير ج ١٠ - ٥٦٥

٢٩٦ - مرسوم أصدره السلطان محمد السلجوقي بإطلاق يد طغتكين

في بلاد الشام سنة ٥٥١٠ .

انتصر طغتكين في عدة معارك على الصليبيين وسيطر على دمشق ، وفي أواخر سنة ٥٥٠٩ زار السلطان السلجوقي في بغداد وهناك أعطاه

تقليداً مطلقاً للشام من إنشاء الحسين بن علي بن أبي إسماعيل الطغرائي .
بسم الله الرحمن الرحيم . هذا منشور أمر بإنشائه السلطان العظيم
غياث الدنيا والدين - أطال الله بقاءه وأعز أوليائه ونصر لوائه - للأمير
الأصفهسلار الأجل الكبير ظهير الدين أتابك - أدام الله تأييده - لما بان تمكسه
من الطاعة بأحكام علائقها واعتصامه من الخدمة بأوكده وثائقها ،
وانتهاجه من المشايعة أقوم مسالكها ، واعتماده أفضل طرائقها ؛ وأجلت
التجارب منه عين الناصح الأريب والمهذب اللبيب المتدرج في مراقب
الرتب السنية بالمساعي الرضية ، والمحرز أحاطي القرب الحظيرة بالآثار
الشهيرة المشهورة مواقفه في قود الجاهير . العظام والذب عن حوزة
الإسلام ، والتجرد لمظاهرة الأولياء ومقارعة الأعداء ، والإستقلال
بعضلات الأعباء ، الجامع إلى خصائص هذه الأسباب والإمام بخدمة
الأبواب ، والتحقق بزمر الحشم والأصحاب ، المستقل بنصحه المنخول
بولائه المقبول ، ووسائله المشفوعة توالدها بالطوارف ، وشوافعه المنصورة
سوالفها بالأوائف ، أن يزداد في الإناقة بقدره والإشادة بذكره ،
ويستخلص تحلية صدره بتفخيم أمره وتجدد الصنيعة عنده بما يكون
لواجب حقوقه قضاءً ولمصالح مساعيه كفاءً ولحلله المرموق لائقاً ،
ولوضعه من الدولة مضاهياً مطابقاً ؛ فرأيناه أحق من أقيمت عليه
ملابس الإنعام ، وحبسي من الكرامة بأوفر الأقسام ورفع من مراتب
الإجتباء والإختصاص إلى الذروة والسنام ، ورشح لكفاية المهام وتديبير
الأمر الجسام ، وأوطىء عقبه السكاة والأنجاد ، ورد إلى أياته
الأمصار والأجناد ، رسمنا أن نجدد له هذا المنشور بإمارة الشام ونقرر
عليه مادلت عليه المناشير المنشأة المتضمنة لأسامي البلاد الوجبة له
صارته رسمه مع مايجري معها ويضاف إليها من النواحي والضياع والحصون

والقلاع حسب ما أورد ذكره مفصلاً في هذا المثال ، وجعلناها نعمة مصونة من الإرتجاع وطعمة محمية من الانتزاع ، قلدناه في عامة تلك البقاع أعمال الحرب والمعاون والأحداث والأخرجة والأعشار وسائر وجوه الجبايات. والعروض والإعطاء والنفقة في الأولياء والمظالم والأحكام وسائر المستظهر عليه بنظر الولاية الكفاة والنصحاء والثقة رعاية لحقوقه اللازمة ومحافظة على ذمته المتقدمة ، وثقة منه باستدامة النعمة وارتباطها بالتوفر على شرائط الخدمة واستدعاء مزيد الإحسان واستيفاء عوائد الاصطناع بدوام النصح وفضل الاستقلال والاضطلاع . والله تعالى يجرينا على أحسن عوائده بإصابة شاكلة الصواب في اختيار الأولياء ، ويلهمنا المرشد في مرامي الأفكار ومواقع الآراء ، ولا يخلينا في اصطفاء من نصطفيه واجتباء من نجتبيه من مساوقة التوفيق لما نرتاده ونرتثيه .

أمرناه بتقوى الله وطاعته واستشمار خيفته ومراقبته ، والإلتجاء منها إلى الحصن الأمنع والظل الأمتع والاستظهار منها بالذخر الأتقى والحرز الأوقى ، والإحتراس من هواجس الهواء باعتلاق عروتها الوثقى وإدراع شعارها الأتقى . قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم (١) .

وأمرناه أن يسير فيمن قبله من الأولياء والحشم أجمل سيرة ويحملهم بحسن السياسة على أفضل وتيرة ويسلكهم مسلكاً وسطاً بين الدين والحشونة والسهول والوعورة . ويشعر قلوبهم من الهيبة ما يقبض المتبسط ويردع المتسلط ويرد غرب الجامح ويقيم صعر الجانح ، ويخلص منهم ذوي

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٩ .

الرأي والحفكة والثبات والمسكة بالمشاورة والمباحثة ، ويستخلص نخائل صدورهم عند طروق الحوادث بالمفاوضة والمنافثة ، ويستعين بثار ألبابهم ونتائج أفكارهم على دفاع الملم وكفاية المهم . ويتناول سفاهم وذوي العيث والفساد منهم بالتقويم والتهذيب والتعريك والتأديب ، ويردهم عن غلوائهم بالقول ما كفى وأحرز النصح ما أجدى وأغنى ، ومن زاده الأناة والحلم والاحتمال والكظم تمادياً في العدوان وتتابعاً في الطغيان عركه عرك الأديم وتجاوز به حد التقويم إلى التحطيم متيقناً أن إعطاء كل طبقة ممن تشمله رعايته وتكنفه أياته حقها من قوانين السياسة إرهاباً لبصيرة الفارح التمسك ، وكفماً لغرب الحرج المتهالك ، قال الله تعالى : وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين (١) .

وأمرناه أن يوكل بأمر الثغور المتاخمة لأعماله والمصاغبة لبلاده عيناً كالثة وأذنًا واعية وهمة للصغير والكبير في مصالحها مراعية ، فيشحنها بذوي البأس والنجدة المذكورين بالبسالة والشدة ، المعروفين بالصريمة والقناء والصبر عند اللقاء والبصيرة بكابدة الأعداء ، ويستظهر لهم باستجادة الأسلحة والآلات والاستكثار من المير والأقوات ، وينابو بينهم في مقارم مناوبة تجم المكدود وتريح المجهود ، وتدر عليهم الأرزاق عند الوجوب والإستحقاق ليقوم أودهم ويقبل لدهم ويحسن طاعتهم وتلين مقادتهم ، ويكثف عددهم وعدتهم ويشدد على الأعداء شوكتهم ويفيظ الكفار ورأيهم وشازيمهم . قال الله تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (٢) .

(١) سورة الأنفال : الآية ٥٨ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

وأمره أن يأخذ نفسه وأصحابه بالثبات والصبر عند قراع السيوف بالسيوف وذلوق الزحوف بالحروف . ويرخصوا أنفسهم في ابتغاء مرضاه والذب عن حوزة الدين والحمامة عن بيضة الإسلام والمسلمين . ويحتاط مع ذلك لنفسه وأصحابه ولا يقدم بهم على غرر ولا يفسح لهم في ركوب خطر إلا بعد الأخذ بالحزم واستعمال الرفق في الحذر، ويكون إقدامهم على بصيرة تامة لا تقتحم معها غرة ولا تضاع فرصة ولا يحجمون إذا أحر الناس واشتد المراس عن تورد المعركة ، ولا يلقون بأنفسهم إذا حمى الوطيس والتقى الخيس بالخيس إلى التهلكة . قال الله جل وعلا : وجاهدوا في الله حق جهاده^(١) .

وأمرناه أن يصل جناح ضمانه بالوفاء ، ويشد أركان عهده بالثبات ويصون ذمته مما يخفها ويشفق عليها مما يحيلها ويغيرها ، ويدب مع دواعي الصدق ويصبر على تكاليف الحق ، ولا يروع لهم سرباً آمنه ولا ينقض شرطاً ضمنه ، ولا ينكث عهداً أبرمه ، ولا يخلف وعداً أقدمه ، ولا يتجاوز عن يلوذ بمقوته ولا يأبى قبول السلم من اتقى بصفحته . قال الله تعالى : وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً^(٢) . وقال جل من قائل : وإن جنحوا للسلم فاجنح لها^(٣) .

وأمرناه أن يعم رعاياه القاره والماره بالأمن العائد عليهم بسكون الجأش وسعة المعاش ، ويعوظهم في متوجهاتهم ومتصرفاتهم حياطة تكتفهم من جميع جهاتهم ، ويحمي نفوسهم وذرائعهم وأموالهم ومعايشهم حماية ترد كيد الظالم وتقبض يد الغارم وتخرج ذوي الريب من مظالمهم

(١) سورة الحج ، الآية ٧٨ .

(٢) سورة الاسراء : الآية ٣٤ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦١ .

وتحول بينهم وبين عدوانهم وتجري حكم الله فيهم . وتقيم حده على من سفك فيهم دماء وانتك محرماً أو أظهر شقاقاً وعباداً أو سعى في الأرض فساداً . قال الله تعالى : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (١) .

وأمرناه أن ينظر في أموال الرعايا أتم نظر وأوفاه ، ويسأل عن ظلاماتهم أبلغ سؤال وأحفاه ، ويستن بالسنة العادلة فيهم ويمنع أقوياءهم من تهضم مستضعفيهم ، ويعمل من تحت يده على التعادل والتناصف ويصددهم عن التعاصب والتظالم . ويقر الحقوق مقارها عند وضوح الحجة وارتفاع الشبهة ، ويختار لهم من العمال والولاة أسداهم طرائق وأقومهم مذاهب وأحدهم خلائق ، ويأمر كلا منهم أن لا يغير عليهم رسماً ، ولا ينوي لهم حقاً ولا يسومهم في معاملاتهم خسفاً ولا يحدث عليهم من يدع الجور رسماً ولا يرتكب منهم ظلاماً ولا يأخذ منهم بئراً بأثم ، ولا برأ بسقيم ، ويقنع منهم في إخراجاتهم ومقاسماتهم وقسوطهم ومقاطعاتهم بالحقوق المستمرة ، ويحملهم في العدل على الفوائد المستقرة ، ويستقرى آثار الولاة قبله ، فما طاب منها وحسن اقتفاؤه اقتفره ، وما ذم منها واستكره اماطه ، وغيره ، ويعتقد أنه مسؤول عما اكتسب واجترح ومحاسب على ما أفسد وأصلح . قال الله تعالى : وإن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى (٢) .

(١) سورة المائدة : الآية ٣٦ .

(٢) سورة النجم : الآيات ٣٩-٤٠ .

فليتلق هذه النعمة الكبيرة والعارفة الخطيرة بإعظام قدرها والقيام
بواجب شكرها وليتحقق أنها قاطنة بفنائها ما أحسن جوارها بخالصة
نصحه وولائه ، وباقية عليه وعلى عقبه ماعملوا بأحكام هذا العهد وعنوا
بتأكيد أسبابه وأعلنوا بشعار الدولة واستمروا على السنة المألوفة في
إقامة الخطبة والسكة وتمسكوا بولاء الدولة العباسية التي هي سنة متبعة
وما عداها ضلالة مبتدعة ، وجاهدوا في الله حق جهاده وأحسنوا السيرة
في عباده وبلاده . والله تعالى يمدنا وإياه في هذا الرأي الذي رأيناه .
ويؤلف من رضاه ما يحمد فاتحته وعقباه إن شاء الله تعالى . وكتب في
المحرم سنة ٥١٠ هـ .

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٩٣-١٩٧

- الغزنويون -

٢٩٧ - استولى محمود الغزنوي على خراسان سنة ٤٣٨٩ هـ وأقام الدعوة للخليفة العباسي القادر وأرسل يعلمه بذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فالحمد لله العلي مكانسه الرفيع سلطانه الواحد الأحد الفرد الصمد العزيز القهار القوي الجبار الذي تكفل بإعلاء الحق ورفعهم ، وإخزاء الباطل وقمعه ، الحائق بشيخ البغي والمدوان مكره ، اللاحق بفرق الطغيان قهره وقسره ، الحاكم لأولياته بالعلو والاقتماد ، الحاتم على أعدائه بالبشور والتبار ، المتفرد بجلاله أن يمانع ، المتعالي بكبريائه أن يدافع ، يميل المغتر بأناته استدراجاً ولا يهمل ، ويعلي المخدوع بحلمه احتجاجاً ولا يغفل ، بيده الخلق والأمر . ومن عنده الفتح والنصر فتبارك الله رب العالمين رب السموات والأرضين . والحمد لله الذي اصطفى محمداً عليه السلام واختار له دين الاسلام وفضله على من تقدمه من الرسل وأثار به مناهج الآيات والسبل وأرسله إلى الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهدى إلى القرآن والتوحيد ودل على الأمر الرشيد ، وأهاب بالبرية إلى مستقيم الدين وأناف بهم على العلم اليقين ، فصلوات الله عليه أتم صلاة نساء وأكملها بهاء ، صلاة ترتقي إليه جل جلاله في أعلى الدرجات وتحيي روحه في السموات وعلى آله أجمعين .

والحمد لله الذي أنشأ سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله - أطال الله بقاءه - من ذلك النسخ الزكي والعرق النقي أحسن منشأ وبوأه من خلافته في أرضه أكرم مبعوأ ، وجعل دولته عالية ،

والأقدار لإرادته مواتية ، فلا يخالف رأيه عدو إلا حان حينه وسخت عينه ، ولا يجيب دعوتيه ولي إلا كان قدحه في القـداح فائزاً ، وسعيه للنجاح حائزاً ، وبذلك جرت عادة الله وسنته ولن تجد لسنة الله تحويلاً ، وقد علم مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - حال الماضين من السامانية فيما كانوا فيه من نفاذ الأمر وجمال الذكر وانتظام الأحوال واتساق الأعمال بما كانوا يظهرونه من طاعة أمير المؤمنين ومبايعتهم ، وينتحلونه من موالاتهم ومشايعتهم . ولما مضى صالح سلفهم وبقي خلفهم خلفهم خلموا ربة الطاعة وشقوا ، مخالفة مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - عصا الجماعة واخلوا منا بخراسان عن ذكره وإسمه ، وخالفوا في إفاضة القول وحسم عادية الجور والخبل على أمره ورسمه ، وعم البلاد والمباد فسادهم وبلاؤهم ، ونهك الرعايا ظلمهم واعتداؤهم . ولم استنجز ، مع ما جمع الله لي في طاعة مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - من عدة وعدة وشكة وشوكة وقوة وأقران وإمكان وكثرة أنصار وأعوان إلا ادعوم إلى حسن الطاعة ، ولا أبدل في إقامة الدعوة لمولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - تمام الوسع والإستطاعة . فدعوت منصور بن نوح إليها ، وبعثته يجدي واجتهادي عليها ، ولم يصنع إلى أعذار وتذكير ، ولم يلتفت إلى إنذار وتبصير ، ونهض من بخارا بخيله ورجله وحشده وحفله يجمع على أهل الضلالة من أشياعه ، ويحشر من في البلاد من أتباعه ، فكان من شؤم رأيه وسوء أنحائه أن اصطلمه جنده فكحلوه وباعوا أخاه عبد الملك وملكوه . وجريت على عادتي مع هذا الأخير أوفد إليه مرة بمسد أخرى ، وثانية عقب أولى من يدعوه إلى الرشاد ويبصره من التمسك بطاعة مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - سبل الرشاد ، فلم

يرده ذلك إلا ما زاد أخاه استقصاءً واستقواءً ، وثموراً في الضلال واستشراءً . فلما أيست من فيئه إلى وضع الجدد ورجوعه إلى الأحسن والأعود ، ورأيته متتابعاً في عمائته ومتكسماً في مهاري غوايته نهضت إليه بن معي من أولياء مولانا أمير المؤمنين - أدام الله علوه - وأنصار الدين في جيوش يشرق بها القضاة ويشفق من وقعها القضاة تزحف في الحديد زحفاً ، وتخذ الأرض جرفاً ونسفاً إلى أن وردت مرو يوم الثلاثاء لثلاث بقين من جمادي الأولى ، وهو البلد اليمون الذي به ابتداء إشاعة الدولة العباسية وزالت البدعة الأموية ، على أحسن تعبئة وأكمل عتاد وأجل هيئة ، ووليت أمر الميمنة عبد مولانا أمير المؤمنين أخي نصر بن ناصر الدولة والدين في عشرة آلاف رجل وثلاثين فيلاً ، وجعلت في الميسرة من الموالي الناصرية إثني عشر ألف فارس وأربعين فيلاً ، ووقفت في القلب بقلب لا ينقلب ، وطاعة مولانا أمير المؤمنين شعاره عن أصداده ، وعزم لا ينتقض ، ودعوة أمير المؤمنين عتاده في إصداره وإيراده ومعني عشرون ألف فارس من سائف ورامح ودارع وقارس وسيمون فيلاً . وبرز عبد الملك بن نوح وعن يمينه ويساره بكتوزون أحد غواته وفائق رأس طفاقه وعتاته ، وأبن سيجمور وغيرهم من مساعديه على ضلالتهم مستعدين للكفاح ، مستلهمين في شكك السلاح ، وتلاقت الصفوف بالصفوف واصطلت السيوف بالسيوف . وتوقدت الحرب واحتدت ، واضطربت نيرانها واشتدت ، واختلط الضرب بالطعن وكبا القرن بالقرن ، ولم ير إلا تهاوي الصوارم على حجب الجماجم ، وأوداق النبال في أحداق الكفاة والأبطال . وأهب الله ريح الظفر لأولياته وكشفوا مقانِب الأهداء وحملوا فيهم الحتوف ، وأروا من دمائهم السيوف ، وانجملت المعركة عن ألفي قتيل من شجمانهم وأبطالهم وألفي وخمسة

أسير من مشهوري ذادة رجالهم وصناديدهم ، واقتفى الأولياء آثار الفل من عباديدهم يقتلون ويأسرون ويسلبون ويغنمون إلى أن ألقى الشمس يمينها وأبرزت ظلمة الليل جبينها وعاد الأولياء إلى معسكرهم في وفور من السلامة وتمام من النعمة ، وقد ملأوا أيديهم من الغنيمة والنفائس الجمة ثم ما نضب منهم أحد ولم ينتقص لهم حد . وكتابي هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة وجعل منابرها تذكر اسمه متباهية وكلمة الحق عالية ، والأهواء في مولاته متهادية . وبعد فلم أجدد رسماً في حل وعقد وإبرام ونقض إلى أن يرد من عالي أمره ورسمه ما أبني الأمر بينائه واحتدي إلى حدائه بإرادة الله سبحانه وتعالى . فالحمد لله العزيز المنان العظيم السلطان الذي لا يضيع لمحسن عملاً ولا يفغل عن مسيء وإن أرخى له أجلاً . ولا يمجزه متغلب بقوته وحوله ولا يمتنع ممتنع عن سطوته وصوله . ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين راد ، ولا يصد نعمته عن الظالمين صاد ، حمداً يمتري المزيد من إحسانه ويقتضي الصنع الجديد من امتنانه ، وإياه أسأل أن يهنئ مولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله خير هذا الفتح الجليل خطره ، الواضح على وجه الزمان غرره ، وأن يواصل له الفتوح قرباً وبعداً وغوراً ونجداً وبراً وبحراً وسهلاً ووعراً ، وأن يوفقني للقيام بشرائط خدمته ، والمناضلة عن بيضته إنه على ما يشاء قدير وبه جدير . فإن رأى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أن ينعم بالوقوف عليه وتصريف عبده بين أمره ونهيه فعمل إن شاء الله تعالى .

تاريخ الصابي ص ٣٤١ - ٣٤٥

٢٩٨ - رسالة محمود الغزنوي إلى الخليفة القادر بالله يخبره

بفتوحاته في الهند :

إن كتاب العبد صدر من مستقره بغزنة للنصف من المحرم سنة
عشر . والدين في أيام سيدنا ومولانا الأمير القادر بالله أمير المؤمنين
مخصوص بزيد الإظهار . والشرك مقهور بجميع الأتراك والأقطار
وانتدب العبد لتنفيذ أوامره العالمة وتمهيد مراسمه السامية ، وتابع
الوقائع على كفار السند والهند ، فرتب بنواحي غزنة العبد محمداً مع
خمس عشرة ألف فارس وعشرة آلاف راجل ، وانهض العبد مسعوداً
مع عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل ، وشحن بلخ وطخرستان
بأرسلان حاجب مع إثني عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل ،
وضبط ولاية خوارزم بالتوتناش الحاجب مع عشرين ألف فارس
وعشرين ألف راجل ، وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف
راجل لصحبة راية الإسلام وانضم إليه جماهير المطوعة ، وخرج العبد
من غزنة يوم السبت الثالث عشر من جمادى الأولى سنة تسع بقلب
منشرح لطلب الشهادة ونفس مشتاقة إلى درك الشهادة ، ففتح قلاعاً
وحصوناً وأسلم زهاء عشرين ألفاً من عباد الوثن وسلموا قدر ألف ألف
درهم من الورق ، ووقع الاحتواء على ثلاثين فيلة . وبلغ عدد المهالكين
منهم خمسين ألفاً . ووافى العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف قصر
مشيد وألف بيت للأصنام ، ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون
ألف مثقال وثلاثمائة مثقال ، وقلع من الأصنام الفضية زيادة على ألف
صنم ، ولهم صنم معظم يؤرخون مدته لعظم جهالتهم بثلاثمائة ألف عام
وقد بنوا حول تلك الأصنام زهاء عشرة آلاف بيت للأصنام المنصوبة

واعترفى العبد بتخريب هذه المدينة اعتناءً تاماً وعمها المجاهدون بالإحراق فلم يبق منها إلا الرسوم ، وحين وجد الفراغ لاستيفاء الغنائم حصل منها عشرون ألف ألف درهم ، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثة وخسين ألفاً واستعرض ثلثائة وستة وخسين فيلاً (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ، ٢٩٢ - ٢٦٣

٢٩٩ - رسالة السلطان محمود الغزنوي إلى الخليفة القادر بفتح

قلعة كبرى في الهند سنة ٤١٤ هـ :

أتيت قلعة ليس لها في الدنيا نظير ، وما الظن بقلعة تسع خمسمائة ألف لإنسان وخمسمائة فيل وعشرين ألف دابة ، ويقوم لهذا العدد بما يكفيه من عذوبة وطعام ، وأعسان الله حق طلبوا الأمان فأمنت ملكهم وأقررتهم على ولايته بخراج قرر عليه ، وأنفذ هدايا كثيرة وفيلة . ومن الطرف الغربية طائر على هيئة القمري ومن خاصته أنه إذا حضر على الخوان ، وكان في شيء مما قدم سم دمعت عينه وخرج منها ماء تحجر وحك فطلي بما يحك منه الجراحات ذوات الأنفواه الواسعة فيلحمها فتقبلت هديته ، وانقلب العبد بنعمة من الله وفضله .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ١٣

٣٠٠ - رسالة أخرى من السلطان محمود إلى الخليفة القادر عن

فتوحاته في الهند وكسره الصنم المعروف باسم سومنات :

إن أصناف الخلق افتتنوا بهذا الصنم ، وربما اتفق برؤ عليل يقصده ،

(١) ذكر ابن العماد في شذرات الذهب ٣٠ - ١٨٩ نصاً موجزاً كل الإيجاز للرسالة

المذكورة أعلاه .

وكانوا يأتونه من كل فج عميق ويتقربون إليه بالأموال الكثيرة حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع ، وامتلأت خزائنه بالأموال . ورتب له ألف رجل للمواظبة على خدمته ، وثلاثمائة يملقون حبيجه ، وثلاثمائة وخمسون يرقصون ويغنون على باب الصنم ، وقد كان العبد يتمنى قلع هذا الوثن ، فكان يتعرف الأحوال فتوصف له المفاوز وقلة الماء واستيلاء الرمل على الطريق ، فاستخار العبد الله تعالى في الانتداب لهذا الواجب ، ومثل في فهمه أضعاف المسموع من المتاعب طلباً للشواب الجزيل . ونهض العبد في شعبان سنة ست عشر في ثلاثين ألف فارس اختارهم سوى المطوعة ، ففرق في المطوعة خمسين ألف دينار ليستعينوا على أخذ الأهبة ، ثم مضى في مفازة أصعب مما وصف ، وقضى الله الوصول إلى بلد الصنم وأعان حتى ملك البلد وقلع الوثن وأوقدت عليه النار حتى تقطع وقتل خمسون ألفاً من سكان البلد .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ٢٩ - ٣٠

٣٠١ - رسالة أخرى من السلطان محمود إلى الخليفة سنة ٥٤٢٠ هـ

حول استنصاله الباطنية في الري .

سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين ، فإن كتاب العبد صدر عن معسكره بظاهر الري عشرة جمادي الآخرة سنة عشرين . وقد أزال الله من هذه البقعة أيدي الظلمة وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة ، وقد تناهت إلى الحضرة المقدسة حقيقة الحال فيما قصر العبد عليه معيه واجتهاده ، من غزو أهل الكفر والضلال وقع من نبتغ ببلاد خراسان من الفئسة الباطنية

الفجار ، وكانت مدينة الري مخصوصة بالتجاهم إليها وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها يختلطون بالمعتزلة المبتدعة والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة يتجاهرون بشتم الصحابة ويرون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة . وكان زعيمهم رستم بن علي الديلمي ، فمظف العبد عنانه بالعساكر فطلع يجرجان وتوقف بها إلى انصراف الشتاء ، ثم دلف منها إلى دامغان ووجه علياً الحاجب في مقدمة العسكر إلى الري فبرز علي بن رستم من وجاره على حكم الإسلام والإضطراب فقبض عليه وعلى أعيان الباطنية من قواده وطلعت الرايات إثر المقدمة بسواد الري غدوة الإثنين السادس عشر من جمادي الأولى وخرج الديلمية معترفين بذبوبيهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم ، فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم فاتفقوا على أنهم خارجون عن الطاعة داخلون في أهل الفساد ومستمرون على المناد فيجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جناباتهم ، وإن لم يكونوا من أهل الإلحاد ، فكيف واعتقادهم في مذاهبهم لا يعدو ثلاثة أوجه تسود بها الوجوه في القيامة : التشيع والرفض والباطن . وذكر هؤلاء الفقهاء إن أكثر القوم لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يعرفون شرائط الإسلام ولا يميزون بين الحلال والحرام بل يتجاهرون بالقذف وشتم الصحابة ، ويعتقدون ذلك ديانة ، والأمثل منهم يتقلد مذهب الاعتزال . والباطنية منهم لا يؤمنون بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وإنهم يعدون جميع الملل بخاريق الحكاء ، ويمتقدون مذهب الإباحة في الأموال والفروج والدماء . وحكوا أن رستم بن علي كان يظهر التسمر ويتميز بسه عن سلفه ، إلا أن في حبالته زيادة على خمسين امرأة من الطرائر ولدن ثلاثة وثلاثين نفساً من الذكور والإناث . وحين رجع إليه في السؤال

عن هذه الحال وعرف أن من يستجيز مثل هذا الصنيع مجاوز كل حد في الإستحلال ، ذكر أن هذه العدة من النساء أزواجه وأن أولادهن أولاده ، وأن الرسم الجاري لسلفه في ارتباط الحرائر كان مستمراً على هذه الجملة وأنه لم يخالف عاداتهم في ارتكاب هذه الخطية ، وإن ناحية من سواد الري قد خصت بقوم من المزدكية يدعون الإسلام بإعلان الشهادة ثم يهاهرون بترك الصلاة والزكاة والصوم والغسل وأكل الميتة ، ففصى الانتصار لدين الله تعالى بتميز الباطنية عنهم فصلبوا على شارع مدينة طال ما امتلكوها غصباً واقتسموا أموالها غصباً . وقد كانوا بذلوا أموالاً جمة يفتدون بها نفوسهم فعرفوا أن الغرض نهب نفوسهم دون العرض ، وحوّل رستم بن علي وابنه وجماعة من الديالمة إلى خراسان وضم إليهم أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلص الناس من فتنهم ، ثم نظر فيما اختزنه رستم بن علي فعثر من الجواهر ما يقارب خمسمائة ألف دينار ، ومن النقد مائتين وستين ألف دينار ، ومن الذهبيات والفضيات على ما يبلغ قيمة ثلاثين ألف دينار ، ومن أصناف الثياب على خمسة آلاف وثلثمائة ثوب . وبلغت قيمة الدسوت من النسيج والخزوانيات عشرين ألف دينار ووقف أعيان على مائتي ألف دينار . وحول من الكتب خمسون حملاً ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض فإنها أحرقت تحت جذوع المصلين إذ كانت أصول البدع ، فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة والروافض ، وانتصرت السنة . فطالع العبد بحقيقة مايسره الله تعالى لأنصار الدولة القاهرة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ٣٨ - ٤٠

٣٠٢ - رسالة محمد بن محمود الغزنوي إلى ابن أخيه مودود بن مسعود يخبره فيه قتل أخيه [أي مسعود] ويعتذر عن ذلك .

ساعت أحوال مسعود الغزنوي وخلع عن العرش وولي الجيش أخاه محمداً مكانه وسعى أولاد محمد حتى قتلوا مسعوداً وغضب لذلك مودود ابن مسعود حاكم خراسان على الرغم أن عمه محمداً أرسل إليه يعتذر عن قتله أباه ويقول :

إن والدك قتل قصاصاً ، قتله أولاد أحمد نيالتكين بلا رضى مني .

٣٠٣ - جواب مودود لعمه محمد :

أطال الله بقاء الأمير العم ورزق ولده الممتوه أحمد عقلاً يعيش به ، فقد ركب أمراً عظيماً وأقدم على إراقة دم ملك مثل والذي الذي لقبه أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين ، وستعاملون في أي حتف تورطتم وأي شر تأبطتم . وسيعلم الذين ظلموا أين منقلب ينتقلون .

نفلق هاماً من رجال أعزةٍ علينا وهم كانوا أعق وأظلاماً (١)

الكامل لابن الأثير ج ٩ ، ٤٨٦ - ٤٨٧

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١٢-٤٨ هاتين الرسالتين بشكل أقل تفصيلاً .

- الخوارزميون -

٣٠٤ - رسالة سلطان سمرقند خان خانان إلى خوارزم شاه .

احتل الخطا بلاد تركستان وأبقوا حكمها تحت سلطتهم بيد سلطان سمرقند المسلم ، ولكنه ضجر من تحكمهم في المسلمين فأرسل إلى خوارزم شاه يقول :

إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم في التحكم في الأموال والأبشار . ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل إليك ما نحمله لإيهم ونذكر إسمك في الخطبة وعلى السككة . فوافق على ذلك .

الكامل لابن الأثير ج ١٢ - ٢٥٩

٣٠٥ - رسالة خوارزم شاه إلى سلطان سمرقند .

تحالف خوارزم شاه مع ملك سمرقند وبخارى ضد الخطا وكسرهم وعاد ملك سمرقند إلى مكانه ومعه ممثل خوارزم شاه ثم بعد سنة غدر السلطان بالخوارزميين وقتلهم فزحف إليه خوارزم شاه وحاصره وأرسل إليه يقول :

قد فعلت ما لم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر . وقد عفا الله عما سلف فاخرج من البلاد وامن حيث شئت .

الكامل لابن الأثير ج ١٢ ، ٢٦٨ - ٢٦٩

٣٠٦ - رسالة ملك الخطا إلى خوارزم شاه لما هاجمه التتار .

أما ما كان منك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فعمدوا عنه . وقد أتى من هذا العدو ما لا قبل لنا به ، ولأنهم إن انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك . والمصلحة أن تسيروا إلينا بمسكوك وتناصرنا على قتالهم ، ونحن نخلف لك أننا إذا ظفرنا بهم لا نتعرض إلى ما أخذت من البلاد ونقتنع بما بين أيدينا (١) .

٣٠٧ - رسالة كشي خان ملك التتر إلى خوارزم شاه يعرض عليه التحالف ضد الخطا .

إن هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا فساعدنا عليهم ونخلف أننا إذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك ونقتنع بالمواضع التي ينزلونها .

٣٠٨ - جواب خوارزم شاه إلى كل واحد منهما نسخة واحدة .

إنني معك ومعاضدك على خصمك .

الكامل لابن الأثير ج ١٢ - ٢٧٠

٣٠٩ - رسالة ملك التتر كشي خان إلى خوارزم شاه .

هزيم الخطا ومن خوارزم شاه على ملك التتر أنه لولاه لما تمكن من القضاء على الخطا وهزيم . وبعد فترة أرسل ملك التتر إلى خوارزم شاه يقول :

كما أننا اتفقنا على إبادةهم يجب أن نقسم بلادهم

(١) أتى الذهبي في المبر - ٥ - ١٦ بنص مشابه إلى حد كبير لنصنا هذا وإن يكن أقل تفصيلا .

٣١٠ - جواب خوارزم شاه :

ليس لك عندي غير السيف ولستم بأقوى من الخطا شوكة ولا أعز ملكا ، فإن قنعت بالمساكنة وإلا سرت إليك وفعلت بك شرأ بما فعلت به .

٣١١ - رسالة ثانية من كشلي خان ملك التتر إلى خوارزم شاه .

أدرك خوارزم شاه أنه لا يقف للتتر فكان يحارب أطرافهم أو إذا رآهم منفردين ، فأرسل إليه ملك التتر يقول :
ليس هذا فعل الملوك ، هذا فعل اللصوص ، وإلا إن كنت سلطانا كما تقول ، فيجب أن نلتقي ، فلما أن تهزمني وتملك البلاد التي بيدي ، وإما أن أفعل أنا بك ذلك .

الكامل لابن الأثير ج ١٢ - ٢٧١

٣١٢ - رسالة خوارزم شاه إلى غياث الدين .

احتلت جيوش غياث الدين وأخيه شهاب الدين الغوريين بلاد خوارزم شاه في خراسان وغيرها ، فلما رحلت الجيوش عن البلد أرسل خوارزم شاه إلى غياث الدين يعاتبه ويقول :

كنت أعتقد أن تخلف عليّ بعد أبي ، وأن تنصرتني على الخطا وتردم عن بلادي ، فحيث لم تفعل فلا أقل من أن لا تؤذيني وتأخذ بلادي . والذي أريده أن تعيد ما أخذته مني إليّ ، وإلا استنصرت عليك بالخطا وغيرهم من الأتراك إن عجزت عن أخذ بلادي ؛ فإني إنما شغلني عن منعمك عنها الإشتغال بعزاء والدي وتقرير أمر بلادي ، وإلا فما أنا عاجز عنكم وعن أخذ بلادكم خراسان وغيرها .

الكامل لابن الأثير ج ١٢ - ١٧٣

- المغول -

٣١٣ - رسالة جنكيز خان إلى خوارزم شاه .

أرسل جنكيز خان تجاراً إلى خراسان فقتلهم والي خوارزم شاه فيها فأرسل جنكيز خان إلى خوارزم شاه يستوضحه ويقول :
من المهود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم وم
الذين يحمونهم إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة . ثم إن هؤلاء
التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك ، فإن كان أمراً أمرت به طلبنا
بدمائهم ، وإلا فأنت قنكره وتقتص من نائبك .
ولكن خوارزم شاه قتل الرسول حامل الرسالة .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ - ١١٩

٣١٤ - رسالة جنكيز خان إلى خوارزم شاه لما بلغه ما فعل
بالتجار والرسول .

تقتلون أصحابي وتجاري وتأخذون مالي منهم ، استعدوا للحرب
فإني واصل إليكم يجمع لا قبل لكم به .
الكامل لابن الأثير ج ١٢ - ٣٦٣

٣١٥ - مفتتح رسالة ابن جنكيز خان التي كان يفتتح بها رسائله
الموجهة إلى ملوك الإسلام يدعوم للطاعة :
من نائب رب السماء مسح وجهه الأرض ملك الشرق والغرب
قان قان .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ - ١٥٦

٣١٦ - رسالة تاجر مجهول من الري الى اصحابه في الموصل
سنة ٦٢٧ هـ يتحدث عن أعمال المغول في الري وأذربيجان :

إن الكافر - لعنه الله - ما تقدر أن نصفه ولا نذكر جموعه حتى
لا تنقطع قلوب المسلمين فإن الأمر عظيم . ولا تظنوا أن هذه الطائفة
التي وصلت إلى نصيبين والخابور ، والطائفة الأخرى التي وصلت إلى
أربل ودقوقا كان قصدهم النهب ، إنما أرادوا أن يعملوا هبل في البلاد
من يردم أم لا ؟ فلما عادوا أخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع
ومدافع ، وأن البلاد خالية من ملك وعساكر ، فقوى طمعهم وهم
في الربيع يقصدونكم وما يبقى عندكم مقام . إلا إن كان في بلاد
الغرب ، فإن عزمهم على قصد البلاد جميعاً ، فانظروا لأنفسكم .

الكامل لابن الأثير ج ١٢ - ٥٠٣

٣١٧ - كتاب بدر الدين لؤلؤ صاحب دمشق إلى أهل دمشق
يفرض عليهم ضريبة اسمها ضريبة التتر :

لني قررت على أهل الشام قطعة للتتر في كل سنة من الغني عشرة
دراهم ومن المتوسط خمسة دراهم ومن الفقير درهم .

كتاب السلوك للمقرئبي ج ١ - ق ٢ - ٣١٥

٣١٨ - بيان اذاعة هولاء سنة ٦٥٢ هـ إلى ملوك وحكام إيران
طالباً منهم المساعدة ضد الملاحدة في القلاع المنيعه كآلموت وغيرها
بناءً على أمر القآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وإزعاج تلك
الطائفة ، فإذا أسرعتم وساهتم في تلك الحملة بالجيوش والمدد والآلات
فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم ، وستحمد لكم
مواقفكم ، أما إذا تهاونتم في امثال الأوامر وأهملتم ، فإننا حين

نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة ، فإننا لا نقبل عذرکم ونتوجه إليکم
فيجري على ولاياتکم ومساکنکم ما يكون قد جرى عليهم .
جامع التواريخ للهمداني ج ٢ - ق ١ - ٢٤٠

٣١٩ - رسالة هولاکو إلى المستعصم آخر خلفاء بني العباس
يعاتبه ويهدده ويطلب منه الخضوع سنة ٥٦٥٥ هـ :

لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة وطلبنا مدداً من
الجند ، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند . وكانت آية الطاعة
والإتحاد أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة فلم ترسل إلينا الجند
والتمست العذر ، ومهما تكن أسرتك عريقة وبيتك ذا مجد تليد .

فإن لمان القمر قد يبلغ درجة

يخفى معها نور الشمس الساطعة

ولا بد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام ما حل بالعالم
والعالمين على يد الجيش المغولي منذ عهد جنكيز خان إلى اليوم ، والذل
الذي حاق بأسر الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديلمة والأتابكة وغيرهم
من كانوا ذوي عظمة وشوكة ، وذلك بحول الله القديم الدائم . ولم
يكن باب بغداد مغلقاً في وجه أية طائفة من تلك الطوائف ، واتخذوا
منها قاعدة ملك لهم ، فكيف يفلق في وجهنا رغم ما لنا من قدرة
وسلطان ، ولقد نصحنك من قبل . والآن نقول لك : احذر الحقد
والخصام ، ولا تضرب الخصف بقبضة يدك ، ولا تطلخ الشمس
بالوحد فتتعيب . ومع هذا فقد مضى ما مضى ، فإذا أطاع الخليفة
فليهدم الحصون ويردم الخنادق ويسلم البلاد لابنه ويحضر لمقابلتنا ،
أو إذا لم يرد الحضور فليرسل كلاً من الوزير وسلياً نشاء والدواتدار

ليبلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص . فإذا استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكون له الحقد ، وسنبقى له على دولته وجيشه ورعيته ، أما إذا لم يصغ إلى النصيح وآثر الخلاف والجدال ، فليعبىء الجنسد وليعين ساحة القتال فإننا متأهبون لمحاربتة وواقفون له على استعداد . وحينئذ أقود الجيش إلى بغداد مندفعاً بسورة الغضب ، فإنك لو كنت مختلفياً في السماء أو في الأرض .

فسوف أنزلك من الفلك الدوار

وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد

ولن أدع حيناً في مملكتك

وسأجعل مدينتك وأقليمك وأراضيك طعمة للنار

فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسررتك فاستمع لنصحي بسمع العقل والذكاء . وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله .

جامع التواريخ للهمذاني ج ٢ ، ق ١ - ٢٦٨

٣٢٠ - رسالة الخليفة الجوابية حملها هولوكو شفويأ شرف الدين

ابن الجوزي وبدر الدين محمود وزنكي النخجواني :

أيها الشاب الحدث : الممتني قصر العمر ، ومن ظن نفسه محيطاً ومتغلباً على جميع العالم مفترأ بيومين من الإقبال ، متوهماً أن أمره قضاء مبرم وأمر محكم ، لماذا تطلب مني شيئاً لم تجده .

كيف يمكن أن تتحكم في النجم وتقيده

بالرأي والجيش والسلاح

ألا يعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب ، ومن الملوك إلى الشعـاذين ومن الشيوخ إلى الشباب من يؤمنون بالله ويعملون بالدين

كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لي . إنني حينما أشير بجمع الشتات ، سأبدأ بحسم الأمور في إيران ثم أتوجه منها إلى بلاد توران ، وأضع كل شخص في موضعه ، وعندئذ سيصير وجه الأرض جميعه مملوءاً بالقلقى والاضطراب ، غير أني لا أريد الحقد والخصام ، ولا أن اشتري ضرر الناس واينداهم ، كما أنسني لا أبغي من وراء ترده الجيوش أن تلهج السنة الرعية بالمدح أو القدح ، خصوصاً وأنني مع الخاقان وهولاكو خان قلب واحد ولسان واحد . وإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق رعيقي وحصونهم ، فاسلك طريق الود وعد إلى خراسان ، وإن كنت تريد الحرب والقتال .

فلا تتوان لحظة ولا تعتذر

إذا استقر رأيك على الحرب

إن لي أوفياً مؤلفه من الفرسان والرجالة

وهم متأهبون للقتال

وإنهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان

جامع التواريخ للهمذاني ج ٢ ، ق ١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ -

٣٢١ - رسالة جوابية من هولاكو إلى الخليفة وقد امتأذ غيظاً

من الرسالة السابقة :

إن الله الأزلي رفع جنكيز خان ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب ، فكل من سار معنا وأطاعنا واستقام قلبه ولسانه تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه ، ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك .

ثم عاتب الخليفة بشدة قائلاً .

لقد فتنتك حب الجاه والمال والمعجب والغرور بالدولة الفانية ، بحيث أنه لم يعد يؤثر فيك نصح الناسحين بالخير ، وإن في أذنيك وقرأ فلا تسمع نصح المشفقين ، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك ، وإذن فعلنيك أن تكون مستعداً للحرب والقتال فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد ، ولو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى فتلك هي مشيئة الله العظيم .

جامع التواريخ للهمذاني ج ٢ ، ق ١ - ٢٧١

٣٢٢ - رسالة ثانية إلى هولاءكو من الخليفة أرسلها له على يد بدر الدين قاضي بندينجان :

لو غاب عن الملك ، فله أن يسأل المطلعين على الأحوال ، إذ أن كل ملك - حتى هذا العهد - قصد أسرة بني العباس ودار السلام بغداد ، كانت عاقبته وخيمة . ومها قصدهم ذور السطوة من الملوك وأصحاب الشوكة من السلاطين ، فإن بناء هذا البيت محكم للغاية ، وسيبقى إلى يوم القيامة .

وفي الأيام السالفة قصد يعقوب بن الليث الصفار الخليفة وتوجه بجيش لجب إلى بغداد فلم يبلغ مأربه إذ مات بعلة الزحار ، والأمر كذلك مع أخيه عمرو ، إذ قبض عليه إسماعيل بن أحمد الساماني وكيله وأرسله إلى بغداد ، لكي يجري عليه الخليفة ما حكم به القضاء ، وكذلك جاء البساسيري بجيش عظيم من مصر إلى بغداد وقبض على الخليفة وسجنه في الحديقة^(١)

(١) هنا بعض الأخطاء يجب تصحيحها . فالبساسيري لم يأت بجيش قط من مصر وإنما اعتماده على جيشه الخاص وحليفه قريش . وكذلك التجأ الخليفة القائم إلى مدينة الحديثة واستقر في إحدى قلاعها ولم يسجن وإنما لجأ إلى حماية أمير بدوي اسمه مهاوش بن مجلي .

وفي بغداد جعل الخطبة والسككة مدة عامين باسم المستنصر الذي كان خليفة الإسماعيلية في مصر . وفي النهاية علم طغرلبيك بذلك فأسرع من خراسان وقصد البساسيري في جيش جرار وقبض عليه وقتله ، وأخرج الخليفة من السجن وأعادته إلى بغداد وأجلسه على عرش الخلافة . وكذلك قصد السلطان محمد السلجوقي بغداد فعاد منهزماً وهلك في الطريق . وجاء محمد خوارزمشاه بجيش عظيم قاصداً استئصال هذه الأسرة فابتلي في روابي أسد آباد بالثلج والعواصف بسبب غضب الله عليه وهلك أكثر جنده وعاد خائباً خاسراً ، ثم لاقى ملاقى من جدك جنكيز خان في جزيرة آيسكون . فليس من المصلحة أن يفكر الملك في قصد أسرة العباسيين ، فاحذر عين السوء من الزمان الغادر .

جامع التواريخ للهمذاني ج ٢ ، ق ١ ، ٢٧٥ - ٢٧٦

٣٣٣ - رسالة قائد طلائع الجيش المغولي الزاحف إلى بغداد سلطان جوق إلى قبجاق قراسنقر قائد طلائع جيش الخليفة وذلك لما زحف المغول إلى بغداد وتهايا الطرفان للحرب الفعلية :

إنني وإياك من جنس واحد [ذلك أن الاثنين كنا من أصل خوارزمي] ، وبعد البحث والتدقيق التحقت بخدمة هولاءكو بسبب الفقر والاضطرار ودخلت في طاعته . وهو الآن يعاملني معاملة طيبة فأنتقد أنت أيضاً حياتك وترفق بها وأشفق على أولادك وقدم الطاعة حتى تأمن على دارك وأولادك ومالك وروحك من هؤلاء القوم .

٣٢٤- جواب قراسنقر على رسالة سلطان جوق السابقة :

من يكون هؤلاء المغول حتى يقصدوا أسرة العباسيين ؟ لقد شاهدت هذه الأسرة الكثير من أمثال دولة جنكيز خان التي تترنح من كل ربيع عاصف . ثم أن العباسيين قد استمروا حكاهما أكثر من خمسمائة سنة ، وكل مخلوق قصدهم بسوء قضى عليه الزمان ، وإذن فليس من العقل والكياسة أن تدعوني لأنضم إلى جانب الغصن الغض لدولة جنكيز خان . وكان الأولى بالود والمسألة ألا يتجاوز هولاكوخان الري بمد فراغه من فتح قلاع الملاحدة وأن يعود إلى خراسان وتركستان ، لأن قلب الخليفة متأثر وساخط بسبب زحف هولاكو يبيوشه ، فإذا كان هولاكو نادماً حقاً على فعلته فعليه أن يعيد الجيش إلى همدان ، لكي نجعل الدواتدار شقيماً ، فيتضرع بدوره إلى الخليفة عله يزول ألمه ويقبل الصلح فيغلق بذلك باب القتال والجدال .

جامع التواريخ للهمداني ج ٢ ، ق ١ ، ٢٨٣ - ٢٨٤

٣٢٥- رسالة هولاكو للخليفة مباشرة قبل الهجوم :

إذا كان الخليفة قد أطاع فليخرج ، وإلا فليتناهب للقتال ، وليحضر إلينا قبل كل شيء الوزير وسليمان شاه والدواتدار ليسمعوا ما نقول :

جامع التواريخ للهمداني ج ٢ ، ق ١ - ٢٨٤

٣٢٦- رسالة الخليفة النهائية لهولاكو وذلك بعد أن أيقن بالبوار

بعد أن هزم جيشه وبدأت بغداد بالسقوط فأرسل الخليفة هذه الرسالة مع الوزير والجائليق إلى هولاكو يقول :

إن الملك قد أمر أن أبعث إليه بالوزير ، وما أنذا قد ليت طلبه ، فينبغي أن يكون الملك عند كلمته .

٣٢٧- جواب هولاءكو :

إن هذا الشرط قد طلبته وأنا على باب ممدان ، أما الآن فنحن على باب بغداد وقد ثار بحر الاضطراب والفتنة ، فكيف أقنع بواحد؟ ينبغي أن ترسل هؤلاء الثلاثة .

والمقصود بالثلاثة الدواقدار وسليمانشاه والوزير

جامع التواريخ للهمداني ج ٢ ، ق ١ - ٢٨٧



فهرس الوثائق^(١)

- ١ - نص بيعة الجند والعامه بالخلافة المنتصر
- ٢ - كتاب المؤيد والمعتز أخوي المنتصر له بخلع نفسيها من ولاية العهد
- ٣ - رساله المنتصر إلى عماله بخلع أخويه المؤيد والمعتز عن ولاية العهد
- ٤ - بيان المستعين إلى أهل بغداد بالنصر على الأتراك
- ٥ - كتاب المستعين إلى المعتز بخلع نفسه من الخلافة ومبايعته المعتز بها
- ٦ - نص بيعة المعتز بالخلافة
- ٧ - خطاب المعتز بأنصاره لما نشبت الحرب بينه وبين المستعين
- ٨ - رساله جوابية إلى المعتز من أخيه أبي أحمد عن سير الحرب ضد المستعين
- ٩ - « محمد بن عبد الله بن طاهر قائد جيش المستعين إلى المعتز وأنصاره
- ١٠ - جواب المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر
- ١١ - رساله غلمان المعتز إلى ابن طولون بقتل المستعين
- ١٢ - جواب ابن طولون لهم عن رسالتهم السابقة
- ١٣ - كتاب خلع المعتز من الخلافة
- ١٤ - رساله المهتدي إلى العامه وأنصاره
- ١٥ - مطالب العامه وأنصار المهتدي منه
- ١٦ - جواب المهتدي لأنصاره والعامه عن مطالبهم

(١) يشير الرقم الموضوع أمام الوثيقة إلى رقمها لا إلى رقم الصفحة .

- ١٧ - رسالة ثانية من المهتدي لأنصاره والعامّة عن نفس الموضوع
- ١٨ - « موسى بن بغا للعامّة وأنصار المهتدي
- ١٩ - رقاع مجهولة تتضمن الدعاء بالنصر للمهتدي
- ٢٠ - خطاب المهتدي بالأتراك لما شغبوا ضده
- ٢١ - نص الدعاء الذي كان يدعى به للموفق أخيه المعتمد بعد أخيه
- ٢٢ - نص خطاب المعتضد للنيل من معاوية
- ٢٣ - منشور أصدره ابن مقلة وزير المقتدر باسمه بهزيمة جماعة من الجند ضده
- ٢٤ - رسالة المقتدر إلى مؤنس والجيش لما ثاروا ضده
- ٢٥ - رسالة ابن مقلة إلى القاهر للتمويه عليه
- ٢٦ - دعاء الراضي لما خرج وصلى بالناس
- ٢٧ - رسالة الراضي إلى أخيه الأصغر أبي إسحاق
- ٢٨ - عهد المطيع بالتنازل عن الخلافة لولده الطائع
- ٢٩ - رسالة القادر إلى بهاء الدولة لما أصبح خليفة
- ٣٠ - « القادر إلى الأفاق بتعيين ولده ولياً للعهد
- ٣١ - نص الدعاء الذي تقرر أن يدعو به الخطباء لولي عهد القادر بعد أبيه
- ٣٢ - رسالة جلال الدولة إلى القادر لما سمى ولده ولياً للعهد
- ٣٣ - « الجند الأتراك إلى القائم بأمر الله يطلبون تسليمهم شخصاً قتل أحد زملائهم
- ٣٤ - جواب الخليفة القائم على الطلب السابق
- ٣٥ - نص قسم القائم بالوفاء لجلال الدولة
- ٣٦ - رسالة القائم إلى الجند الأتراك الذين ثاروا بوزير السلطان البويهبي
- ٣٧ - وصية القائم قبل موته
- ٣٨ - نص يمين الولاء التي أقسمها الراشد للسلطان مسعود
- ٣٩ - رسالة المستنجد إلى وزيره يخبره بوفاته والده المقتفي وصيرورته خليفة

- ٤٠ - رسالته ومرسومه اللذان أذاعها الخليفة الظاهر لما أصبح خليفة
- ٤١ - رسالة ابن الفرات الشفوية الى محمد بن داود بن الجراح زمن المقتدر
- ٤٢ - نص خاتمة رسائل علي بن عيسى وزير المقتدر للعمال
- ٤٣ - رسالة علي بن عيسى وزير المقتدر إلى العمال بتحري العدل
- ٤٤ - « المقتدر إلى عماله بعودة الوزير ابن الفرات للمرة الثانية الى الوزارة
- ٤٥ - « ابن الفرات الى سليمان بن الحسن بن مخلد
- ٤٦ - « شفوية من ابن الفرات الى المقتدر
- ٤٧ - « « « « الى الوزير الخاقاني لما أصبح وزيراً واعتقل
ابن الفرات
- ٤٨ - جواب الخاقاني له
- ٤٩ - رسالة ابن مقلة وهو معتقل الى الوزير ابن الفرات
- ٥٠ - « القاهر الى ابن مقلة لما استوزره
- ٥١ - « ابن مقلة الوزير الى أبي عبد الله البريدي
- ٥٢ - « المنتهي لابن مقلة
- ٥٣ - مرسوم القائم بتعيين فخر الدولة بن جهير وزيراً
- ٥٤ - رسالة عميد الملك الكندري الشفوية الى نظام الملك
- ٥٥ - « المقتدي بكف يد وزيره
- ٥٦ - نص كتاب المقتدي بعزل وزيره محمد بن محمد بن جهير
- ٥٧ - تعيين المسترشد علي بن طراد نائباً للوزير
- ٥٨ - رسالة الناصر الى ناظر واسط بتقليد ابن زيادة الوزارة
- ٥٩ - « للناصر من مملوكه سنقر الذي هرب من يد الوزير
- ٦٠ - « أخرى للناصر من مملوك آخر هرب من يد الوزير
- ٦١ - « الشريف نصير الدين للناصر لما عزله من الوزارة
- ٦٢ - جواب الناصر للشريف نصير الدين

- ٦٣ - مرسوم ابن طولون بتقليد أحد القضاة القضاء في برقة
- ٦٤ - رسالة القاضي أبي خازم إلى المعتضد
- ٦٥ - جواب المعتضد للقاضي أبي خازم
- ٦٦ - رسالة القاضي أبي خازم إلى وزير المعتضد
- ٦٧ - عهد المطيع إلى محمد بن صالح الهاشمي بتعيينه قاضياً للقضاة
- ٦٨ - « « للحسين بن موسى العلوي بالنظر في المظالم
- ٦٩ - الطائع « « « « في الأوقاف
- ٧٠ - « القادر إلى محمد بن عبد الله بولاية القضاء والصلابة في جيلان
- ٧١ - « القائم بتعيين أبي عبد الله الحسين بن علي قاضياً للقضاة
- ٧٢ - « المقتدي بتعيين أبي منصور محمد بن محمد قاضياً على المظالم
- ٧٣ - « المسترشد بتعيين علي بن الحسين الزيني القضاء في بغداد وسائر الجهات
- ٧٤ - مرسوم الراشد برد المظالم التي كانت موجودة زمن المسترشد
- ٧٥ - « الناصر بتعيين محيي الدين أبي عبد الله محمد بن فضلان قضاء القضاة
- ٧٦ - رسالة عضد الدولة إلى العزيز بالله الفاطمي
- ٧٧ - جواب العزيز بالله لعضد الدولة
- ٧٨ - مرسوم الطائع بتقليد الشريف أبي الحسن محمد بن الحسين نقابة الطالبين
- ٧٩ - نص محضر الطعن في نسب الفاطميين
- ٨٠ - رسالة القادر إلى جلال الدولة لما هاجم الشيعة الخطيب في مسجد براكا
- ٨١ - عهد القادر بتولية الشريف الرضي نقابة الأشراف
- ٨٢ - رسالة القادر إلى والد الشريف الرضي لما وصلته أبياته المشهورة
- ٨٣ - « القائم إلى المعز بن باديس لما أقام الخطبة العباسية
- ٨٤ - « الناصر بتقليد محمد بن محمد نقابة الطالبين
- ٨٥ - نص كتاب القرامطة الذي فيه تعاليمهم
- ٨٦ - مطلع الخطاب الذي كان يرسله زكرويه القرمطي إلى عماله

- ٨٧ - خطاب أحمد بن القاسم ممثل زكرويه في القرامطة
- ٨٨ - صورة كتاب أرسله إلى القرمطي أحد أتباعه
- ٨٩ - رسالة قائد المكتفي محمد بن سليمان إلى الوزير بالنصر على القرامطة
- ٩٠ - « « القاسم بن سيبا بالتغلب على القرامطة
- ٩١ - « أبي سعيد الجنابي الشفوية إلى المعتضد
- ٩٢ - « جوابية للوزير علي بن عيسى من أولاد أبي سعيد الجنابي
- ٩٣ - « مؤنس الخادم إلى المقتدر
- ٩٤ - « « إلى أبي طاهر زعيم القرامطة
- ٩٥ - « معز الدولة البويهبي الشفوية إلى قرامطة هجر
- ٩٦ - « أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني إلى زعيم القرامطة
- ٩٧ - « أخي أبي طاهر القرمطي إلى المطيع لما أعاد الحجر الأسود
- ٩٨ - « محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عماله بتعيين أخيه خلفاً عنه
- ٩٩ - منشور الراضي ضد الحنابلة
- ١٠٠ - رسالة المقتدر إلى مؤنس الخادم يرد بها على التهم
- ١٠١ - « الوزير حامد إلى المقتدر من أجل العلاج
- ١٠٢ - « المقتدر إلى الوزير حامد بإعدام العلاج
- ١٠٣ - « الوزير ابن الفرات إلى والي مصر
- ١٠٤ - « من صاحب بريد الدينور إلى المقتدر
- ١٠٥ - تقليد أصدره أحمد الخلفاء (لعله الطائع ؟) لأبي طريف العقيلي
- بجاية الكوفة
- ١٠٦ - كتاب صمصام الدولة لمحمد بن عبد الله بن شهرام بإقطاعه إقطاعاً
- ١٠٧ - رسالة الغزالي إلى مؤيد الملك بن نظام الملك يمتنر عن العودة للتدريس
- ١٠٨ - « بأمر الناصر إلى مقطع البصرة طفول
- ١٠٩ - تقليد الناصر محمد بن فضلان قدريس نظامية بغداد

- ١١٠ - رسالة شريف مكة قتادة بن إدريس للناصر
- ١١١ - مرسوم الناصر بتنظيم الفتوة
- ١١٢ - « المعتضد بتأخير افتتاح الخراج
- ١١٣ - وثيقة تحوي واردات ومصاريف الدولة زمن المقتدر
- ١١٤ - كتاب المقتدر بإسقاط المواريث
- ١١٥ - رسالة أحد عمال الخراج الى الوزير علي بن عيسى بالسماح بمعاينة متأخري الخراج بالضرب
- ١١٦ - جواب الوزير علي بن عيسى
- ١١٧ - مرسوم المطيع بتحويل السنة الخراجية
- ١١٨ - رسالة والي المعتز على فارس الى يعقوب الصفار
- ١١٩ - جواب الصفار له
- ١٢٠ - مقتطفات من منشور المعتمد بالنصر على الصفار
- ١٢١ - ديباجة خطبة صاحب الزنج
- ١٢٢ - رسالة صاحب الزنج الى أحد قواده
- ١٢٣ - « أخرى من صاحب الزنج الى أحد قواده
- ١٢٤ - « تهديد من صاحب الزنج الى محمد بن عبيد الله
- ١٢٥ - « جوابية من هارون الشاري الى قائد المعتضد نصر القشوري
- ١٢٦ - « المعتضد الى قائده نجاح الخادم بظفره ضد الأعراب
- ١٢٧ - « المقتدر الى أحمد بن نصر القشوري باعتقال البريديين الثلاثة
- ١٢٨ - « البريدي المستبد بالأهواز الى ياقوت قائد الراضي
- ١٢٩ - « ثانية من البريدي الى ياقوت
- ١٣٠ - « ابن رائق الى البريدي زمن الراضي
- ١٣١ - « ثانية من ابن رائق الى البريدي

- ١٣٢ - جواب البريدي لابن رائق
- ١٣٣ - « البريدي الشفوية للمتقي
- ١٣٤ - « المتقي الى توزون
- ١٣٥ - « الطائع الى صمصام الدولة لما قضي على فتنة كردويه
- ١٣٦ - « « الى ثوار صحار
- ١٣٧ - أمان أصدره باسم الطائع صمصام الدولة لجماعة من عرب المنتفق
- ١٣٨ - رسالة قريش الى البساسيري حول القائم
- ١٣٩ - « القائم الى مسعود الغزنوي بالنصر على البساسيري وقتله
- ١٤٠ - مرسوم المقتدر بعدم استخدام أهل الذمة في الدواوين
- ١٤١ - « القائم بإلزام أهل الذمة الغيار
- ١٤٢ - « « بتعيين عبد يشوع الفطرك جاثليقاً
- ١٤٣ - « المقتدي بإلزام اليهود الغيار
- ١٤٤ - رسالة وزير الناصر له حول النصراني ابن ساوه
- ١٤٥ - جواب الناصر لوزيره عن النصراني
- ١٤٦ - رسالة الناصر لثائب الوزارة من أجل استخدام أهل الذمة في الدواوين
- ١٤٧ - مرسوم الناصر بتسمية ابن هبة رئيساً لليهود
- ١٤٨ - رسالة المنتصر لقائده لما وجهه لحرب الروم
- ١٤٩ - « عامل طرسوس الى المعتضد عن القداء
- ١٥٠ - « ملك الروم الى ملك الصقالبة
- ١٥١ - جواب ملك الصقالبة الى ملك الروم
- ١٥٢ - رسالة عامل الثغر الى الوزير علي بن عيسى بشأن معاملة الروم
أسرى المسلمين
- ١٥٣ - رسالة بطريك انطاكية وجاثليق القدس الى ملكي الروم
- ١٥٤ - « ملوك الروم الى الراضي

- ١٥٥ - جواب الراضي بالله لهم
- ١٥٦ - جواب الإخشيد لملك الروم
- ١٥٧ - رسالة ابن طولون لعامل الثغر بعدم الهدنة مع الروم
- ١٥٨ - « نفقور فوكاس لأهل طرسوس والمصيصة
- ١٥٩ - « « لأهل مصيصة خاصة
- ١٦٠ - « أوأو غلام الحمداني إلى ملك الروم بإسبيل
- ١٦١ - « « « إلى منجوتكين لما اقترب منه جيش الروم
- ١٦٢ - « شفوية من رسول عضد الدولة إلى ملك الروم
- ١٦٣ - جواب ملك الروم لرسول عضد الدولة
- ١٦٤ - رسالة ملك الروم لأهل بيروت
- ١٦٥ - « الطائع إلى ركن الدولة البويهبي عن انتصار المسلمين على الروم
وأسر الدمستق مليح
- ١٦٦ - « تزييسكيس إلى أشوط الثالث
- ١٦٧ - بيان البندقية بشأن تقييد التجارة مع المسلمين
- ١٦٨ - اتفاق صمصام الدولة وسقلاروس الرومي
- ١٦٩ - رسالة قائد صمصام الدولة إلى سقلاروس الرومي
- ١٧٠ - « ألب أرسلان إلى إمبراطور الروم قبل معركة ملاذكرد
- ١٧١ - جواب الإمبراطور
- ١٧٢ - خطاب ألب أرسلان لجنوده قبيل معركة ملاذكرد
- ١٧٣ - رد جنوده عليه
- ١٧٤ - رسالة زنكي عماد الدين إلى ملك الروم
- ١٧٥ - « قبيحة أم المعتز لابن طولون حول قتل المستعين
- ١٧٦ - « ابن طولون إلى المعتمد حول خراج مصر
- ١٧٧ - « طيفور إلى ابن طولون حول شخص يطعن بسيرته

- ١٧٨ رسالة ابن طولون لابن المدبر صاحب خراج مصر
- ١٧٩ - « ماجور الى المعتمد في التحريض على ابن طولون
- ١٨٠ - « المعتمد الى ابن طولون بعزله عن مصر
- ١٨١ - رسالة ابن طولون للموفق
- ١٨٢ - « « « المعتمد يدعوه للقدوم اليه
- ١٨٣ - « طيفور لأبن طولون حول منع المعتمد من السفر إلى مصر
- ١٨٤ - محضر ابن طولون بخلع الموفق من ولاية العهد
- ١٨٥ - كتاب الموفق بلعن ابن طولون
- ١٨٦ - رسالة ابن طولون إلى يازمان حاكم طرسوس
- ١٨٧ - « « « الشفوية إلى القاضي بكار
- ١٨٨ - جواب القاضي بكار الشفوي
- ١٨٩ - رسالة ابن طولون الشفوية لابنه العباس لما ثار ضده
- ١٩٠ - « « « الخطبة » « في برقة
- ١٩١ - « العباس الجوابية لأبيه ابن طولون
- ١٩٢ - « ابن طولون لابنه لما هرب من برقة واعتصم بالإسكندرية
- ١٩٣ - « قائد الجيش الذي أرسله ابن طولون له بالنصر على إبنه
- ١٩٤ - مقتطفات من رسالة ابن طولون لغلामه أولو لما استأمن للموفق
- ١٩٥ - رسالة خمارويه إلى ابن أبي الساج
- ١٩٦ - « محمد بن سليمان إلى هارون بن خمارويه
- ١٩٧ - « ناصر الدولة الحمداني لوزيره لما أساء اليسرة
- ١٩٨ - « سيف الدولة لأخيه ناصر الدولة
- ١٩٩ - « « « « « مرة ثانية
- ٢٠٠ - « قرغويه لسعد الدولة بن سيف الدولة
- ٢٠١ - « أبي تغاب الحمداني إلى عز الدولة البويهبي

- ٢٠٢ - رسالة ابن رائق الإخشيد
- ٢٠٣ - الإخشيد لعبيده كافور
- ٢٠٤ - محاوره بين معز الدولة البويهبي وعدد من أنصاره حول إلغاء الخلافة
العباسية
- ٢٠٥ - نص الكتابة التي أمر معز الدولة بنقشها على جدران مساجد بغداد
- ٢٠٦ - رسالة الطائع إلى بختيار حول طلبه المال منه للجهاد
- ٢٠٧ - عهد الطائع إلى فخر الدولة
- ٢٠٨ - رسالة بهاء الدولة الشفوية إلى القادر
- ٢٠٩ - الجنيد والقواد للقادر حول جلال الدولة
- ٢١٠ - جواب الخليفة للجنيد والقواد
- ٢١١ - رسالة ثانية من الجنيد للقادر بحق جلال الدولة
- ٢١٢ - جواب جلال الدولة
- ٢١٣ - رسالة القائم إلى جلال الدولة من أجل الجوالي وجبايتها
- ٢١٤ - جواب جلال الدولة للقائم
- ٢١٥ - رسالة عز الدولة إلى عضد الدولة
- ٢١٦ - الطائع إلى عضد الدولة من أجل عز الدولة
- ٢١٧ - عضد الدولة لوالده ركن الدولة
- ٢١٨ - ركن الدولة الشفوية لابنه عضد الدولة من أجل عز الدولة
وإخوته
- ٢١٩ - رسالة عضد الدولة الشفوية لأبيه ركن الدولة من أجل عز الدولة
وإخوته
- ٢٢٠ - رسالة عضد الدولة لابن العميد لترتيب لقاء بينه وبين والده
- ٢٢١ - نص تحالف أولاد عضد الدولة
- ٢٢٢ - نص موافقة الطائع على الصلح بين أولاد عضد الدولة

- ٢٢٣ - رسالة بهاء الدولة إلى أبي علي والديلم الذين معه
- ٢٢٤ - « أبي علي إلى بهاء الدولة في النصر على أولاد بختيار
- ٢٢٥ - « « « « في الإستعفاء من خدمته
- ٢٢٦ - رسالة ركن الدولة الجوابية إلى وشمكير
- ٢٢٧ - « معز الدولة البويهبي إلى ناصر الدولة الحمداني
- ٢٢٨ - جواب ناصر الدولة لمعز الدولة
- ٢٢٩ - رسالة عز الدولة للمطيع عند فتحه الموصل
- ٢٣٠ - رسالة عمران بن شاهين إلى عز الدولة
- ٢٣١ - « سبكتكين الحاجب إلى عز الدولة
- ٢٣٢ - « نائب عضد الدولة له حول صلحه مع صاحب خراسان
- ٢٣٣ - رسالة ابني حمدان إلى قائد الجيش البويهبي
- ٢٣٤ - « محمد بن عمر العلوي إلى شرف الدولة يهبه نصف ضياعه
- ٢٣٥ - جواب شرف الدولة على الرسالة السابقة
- ٢٣٦ - رسالة جوابية من طغرلبك إلى جلال الدولة
- ٢٣٧ - « بدر بن حسنويه إلى قائد جيش بهاء الدولة
- ٢٣٨ - « عز الدولة إلى أهله للغدر بسبكتكين
- ٢٣٩ - « عضد الدولة إلى بني عقيل
- ٢٤٠ - « أفتكين حاكم دمشق الفاطمي إلى عضد الدولة
- ٢٤١ - جواب عضد الدولة
- ٢٤٢ - رسالة فخر الدولة إلى أبي نصر خواشاذه
- ٢٤٣ - « القائد أبي علي إلى بهاء الدولة
- ٢٤٤ - « بهاء الدولة لرؤساء جنده الثائرين ضده
- ٢٤٥ - « جنود جلال الدولة له لما شغبوا ضده

- ٢٤٦- جواب جلال الدولة عن الرسالة السابقة
- ٢٤٧- رسالة ثانية منه لعسكره
- ٢٤٨- جواب العسكر له
- ٢٤٩- رسالة حوابية من قريش إلى طغرلبيك حول الخاتون والخليفة
- ٢٥٠- « طغرلبيك إلى قريش من أجل تسليم الخليفة
- ٢٥١- جواب قريش
- ٢٥٢- رسالة قريش لمهارش عن نفس الموضوع
- ٢٥٣- جواب مهارش
- ٢٥٤- رسالة طغرلبيك للقائم
- ٢٥٥- « القائم إلى طغرلبيك حول اعتقال الملك الرحيم
- ٢٥٦- تفويض القائم طغرلبيك بتدبير الأمور
- ٢٥٧- جواب طغرلبيك للقائم حول ذلك
- ٢٥٨- رسالة طغرلبيك إلى قاضي القضاة لما رفض الخليفة تزويجه ابنته
- ٢٥٩- رسالة القائم إلى اتسز لما أرسل له رسالة يذكر فيها انتظامه بسلك طاعته
- ٢٦٠- « المقتدي الجوابية إلى تتش أخي ملكشاه
- ٢٦١- « ملك شاه إلى المقتدي يطلب منه مغادرة بغداد
- ٢٦٢- جواب المقتدي
- ٢٦٣- « ملك شاه
- ٢٦٤- رسالة بر كيا روق إلى أنصاره في مصادرة أموال وزير المستظهر
- ٢٦٥- « المستظهر إلى بر كياروق لما صادر أموال وزيره
- ٢٦٦- منشور السلطان محمد السلجوقي لما ملك قلعة شاه ذر
- ٢٦٧- رسالة المسترشد إلى السلطان محمود
- ٢٦٨- جواب السلطان محمود للمسترشد

- ٢٦٩ - رسالة السلطان سنجر الى ابن أخيه مسعود
- ٢٧٠ - « أمراء السلطان مسعود للمسترشد
- ٢٧١ - جوابه لهم
- ٢٧٢ - رسالة المسترشد بتعيين شحنة لبغداد
- ٢٧٣ - « المسترشد الى السلطان محمود من أجل ديبس
- ٢٧٤ - « « الى وزير سنجر معز الدين الفضل بن محمود
- ٢٧٥ - مقتطفات من يمين الراشد للسلطان مسعود
- ٢٧٦ - رسالة الراشد الى يرتقش قائد السلطان مسعود
- ٢٧٧ - « المقتفي للسلطان مسعود
- ٢٧٨ - « « « حول حصار بغداد
- ٢٧٩ - جواب السلطان مسعود
- ٢٨٠ - رسالة جوابية من المقتفي للسلطان محمود السلجوقي
- ٢٨١ - « من المقتفي الى السلطان مسعود
- ٢٨٢ - « جفري بك داود الى أخيه طغرل بك
- ٢٨٣ - جواب طغرل بك
- ٢٨٤ - رسالة تتش لأخيه ملك شاه بطلب إمداده لحرب المصريين
- ٢٨٥ - « ملك شاه لنظام الملك حول استبداده وأولاده بأمور الدولة
- ٢٨٦ - جواب نظام الملك
- ٢٨٧ - رسالة السلطان سنجر الى ابن أخيه محمود يحذره من المسترشد
- ٢٨٨ - « « « « « مسعود يطب . منسه إطلاق
- سراج المسترشد
- ٢٨٩ - رسالة السلطان محمود السلجوقي الى ألب أرسلان بن رضوان في حلب
- حول قتل الباطنية

- ٢٩٠ - رسالة سليمان بن قطامش الى شرف الدولة صاحب حلب
- ٢٩١ - « طغرل بك الى السلطان مسعود الغزنوي
- ٢٩٢ - « ألب أرسلان الى محمود بن نصر المرداسي حاكم حلب
- ٢٩٣ - « نظام الملك الى أبي إسحاق الشيرازي حول الفتنة
- ٢٩٤ - « ديبس بن صدقة للمسترشد
- ٢٩٥ - جواب الخليفة على ذلك
- ٢٩٦ - مرسوم السلطان محمد السلجوقي بإطلاق يد طغتمكين في الشام
- ٢٩٧ - رسالة محمود الغزنوي للقادر يعلمه باحتلاله خراسان وإقامة
الدعوة العباسية
- ٢٩٨ - رسالة محمود الغزنوي للقادر يعلمه بفتوحاته في الهند
- ٢٩٩ - « « « « بفتح قلعة كبرى في الهند
- ٣٠٠ - « أخرى من محمود الغزنوي للقادر حول تحطيم الصنم سومنات
- ٣٠١ - « « « « استئصال الباطنية في الري
- ٣٠٢ - « محمد بن محمود الغزنوي الى ابن أخيه يخبره فيها قتل أخيه
- ٣٠٣ - جواب مودود لعمه محمد
- ٣٠٤ - رسالة سلطان سمرقند لخوارزمشاه
- ٣٠٥ - « خوارزمشاه لسلطان سمرقند
- ٣٠٦ - « ملك الخطا الى خوارزمشاه
- ٣٠٧ - « ملك التتر «
- ٣٠٨ - جواب خوارزمشاه الى كل من السابقين
- ٣٠٩ - رسالة ملك التتر الى خوارزمشاه
- ٣١٠ - جواب خوارزمشاه
- ٣١١ - رسالة ثانية من ملك التتر الى خوارزمشاه

- ٣١٢ - رسالة خوارزمشاه الى غياث الدين الغوري
 ٣١٣ - « جنكيز خان الى خوارزمشاه
 ٣١٤ - « « « ثانية الى خوارزمشاه
 ٣١٥ - مفتوح رسائل جنكيز خان
 ٣١٦ - رسالة تاجر مجبول من الري الى أصحابه في الموصل حول المغول وحركتهم
 ٣١٧ - كتاب بدر الدين لؤلؤ الى أهل دمشق يفرض عليهم ضريبة اسمها
 ضريبة التتر
 ٣١٨ - بيان هولاء الى حكام إيران يطلب مساعدته في القضاء على
 قلاع الملاحدة
 ٣١٩ - رسالة هولاء الى المستعصم
 ٣٢٠ - جواب الخليفة لهولاء
 ٣٢١ - جواب هولاء للخليفة
 ٣٢٢ - رسالة ثانية إلى هولاء من الخليفة
 ٣٢٣ - « قائد جيش المغول الى قائد جيش الخليفة
 ٣٢٤ - جواب قائد جيش الخليفة عن الرسالة السابقة
 ٣٢٥ - رسالة هولاء للخليفة مباشرة قبل الهجوم
 ٣٢٦ - جواب الخليفة
 ٣٢٧ - جواب هولاء النهائي .

لائحة المصادر

- ١ - ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي . التاريخ الباهر للدولة الأتابكية . تحقيق عبد القادر أحمد طليبات . القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٣ م .
- ٢ - ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي . الكامل في التاريخ . القاهرة ، دار الطباعة المنيرية ، ١٣٥٦ هـ . ١٢ ج .
- ٣ - ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ م . ١٢ ج .
- ٤ - ابن الجوزي ، علي بن عبد الرحمن . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٩ هـ .
- ٥ - ابن خلدون ، عبد الرحمن . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ... القاهرة ، بولاق ، ١٢٨٤ هـ .
- ٦ - ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد . وفيات الأعيان ... تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ م . ٦ ج .
- ٧ - ابن الساعي الخازن ، أبو طالب علي بن النجب . الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير . تحقيق مصطفى جواد . بغداد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، ١٩٣٤ م .
- ٨ - ابن العسبري ، أبو الفرج غريغوريوس . تاريخ مختصر الدول . تحقيق أنطون صالحاني . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٠ م .
- ٩ - ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد . زبدة الحلب من تاريخ حلب .

- تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ،
١٩٥١ - ١٩٦٨ م . ٣ ج
- ١٠ - ابن الهادي الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي . شذرات الذهب في أخبار من
ذهب . القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٣٥١ هـ . ٨ ج
- ١١ - ابن الفرات ، ناصر الدين محمد . تاريخ ابن الفرات . بيروت ، المطبعة
الأميركية ، ١٩٤٢ م .
- ١٢ - ابن الفرات ، ناصر الدين محمد . تاريخ ابن الفرات . تحقيق الشماخ . البصرة .
- ١٣ - ابن قاضي شهبه ، بدر الدين . الكواكب الدرية في السيرة النورية .
تحقيق محمود زايد . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١ م .
- ١٤ - ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة . ذيل تاريخ دمشق . تحقيق امدروز .
بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م . أعادت طبعه بالأنست
مكتبة المثنى ببغداد .
- ١٥ - ابن كثير ، اسماعيل . البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة ، المطبعة
السلفية ، ١٩٣٢ م . ١٤ ج
- ١٦ - ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد . تجارب الأمم وتعاقب الأمم .
تحقيق امدروز . ١٩١٦ م .
- ١٧ - ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم . مفرج الكروب في أخبار بني
أيوب . تحقيق جمال الدين الشيال . القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد
القومي . ٤ ج
- ١٨ - أبو شجاع ، محمد بن الحسين الروذراوري . ذيل تجارب الأمم . تحقيق
امدروز . القاهرة ، شركة التمدن الصناعية ، ١٩١٦ م .
- ١٩ - أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل . المختصر في أخبار البشر .
القسطنطينية ، ١٢٨٦ هـ .

- ٢٠ - البدوي ، عبد الرحمن . مؤلفات الغزالي . القاهرة ، المجلس الأعلى
لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٦١ م .
- ٢١ - البلوي ، أبو محمد عبد الله بن محمد . سيرة أحمد بن طولون . تحقيق
محمد كرد علي . دمشق ، المكتبة العربية ، ١٣٥٨ هـ .
- ٢٢ - توفيق ، عمر كمال . مقدمات العسوان الصليبي ... القاهرة ، دار
المعارف ، ١٩٦٧ م .
- ٢٣ - الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد . تاريخ بغداد أو مدينة السلام .
القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٣١ م . ١٢ ج .
- ٢٤ - الذهبي ، محمد بن أحمد . العبر في خبر من عبر . تحقيق صلاح الدين
المنجد وفؤاد السيد . الكويت ، دائرة المطبوعات والنشر ، ١٩٦٠ م .
- ٢٥ - الذهبي ، محمد بن أحمد . كتاب دول الاسلام ... حيدر آباد الدكن ،
دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ هـ .
- ٢٦ - السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . تاريخ الخلفاء ... تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الرابعة . القاهرة ، المكتبة التجارية
الكبرى ، ١٩٦٩ م .
- ٢٧ - الصابي ، أبو الحسين هلال بن المحسن . تاريخ ابن الحسين هلال بن المحسن
الصابي الكاتب . تحقيق امدروز ومرجليوث . القاهرة ، شركة التمدن
الصناعية ، ١٩١٦ م .
- ٢٨ - الصابي ، أبو الحسين هلال بن المحسن . رسوم دار الخلافة . تحقيق ميخائيل
عواد . بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ م .
- ٢٩ - الطبري ، أبو جعفر بن جرير . تاريخ الأمم والملوك . القاهرة ، المكتبة
التجارية الكبرى ، ١٩٣٩ م .
- ٣٠ - عريب بن سعيد القرطبي . صلة تاريخ الطبري . القاهرة ، المطبعة
الحسينية .

- ٣١ - علي بن ظافر ، جمال الدين . أخبار الدول المنقطعة . تحقيق اندريه فريه . القاهرة ، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٧٢ م .
- ٣٢ - القلقشندي ، أبو العباس أحمد . صبح الأعشى في صناعة الانشا . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٣ م .
- ٣٣ - محمد بن تقي الدين الأيوبي . مضمار الحقائق وسر الخلدائق . تحقيق حسن جمش . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٦٨ م .
- ٣٤ - المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد . الطبعة الثالثة . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٥٨ م . ج ٤ .
- ٣٥ - المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي . اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء . تحقيق جمال الدين الشيبان . القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٦٧ م .
- ٣٦ - المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي . المخطوط المقرئية . الشياخ ، لبنان ، مكتبة إحياء العلوم .
- ٣٧ - المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي . كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك . تحقيق محمد مصطفى زيادة . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٤ م .
- ٣٨ - الهمداني ، رشيد الدين فضل الله . جامع التواريخ . . . تعريب محمد صادق نشأت ومحمد موسى الهنداري ، وفؤاد عبد المعطي الصبياد . القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦٠ م .
- ٣٩ - ياقوت الحموي ، أبو عبد الله . معجم الأدياب . تحقيق أحمد فريد الرفاعي . القاهرة ، دار المأمون ، ١٩٣٨ م . ج ٢٠ .

— فهرس الأعلام —

— ١ —

- ابن أبي الساج ٣٥٥
ابن رائق ٤٥ ، ٢٦٢ ، ٣٥٨
ابن زيادة ٣٠ ، ١٥٠
ابن سادة النصراني ٢٨٢
ابن طولون ١٤ ، ٣١ ، ٥٦ ، ٥٧ — ٦١ ، ١٠٦ ، ١٥١ ، ٣٠٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢
٣٣٥ — ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ — ٣٥٤
ابن العميد ٣٩٢ ، ٣٩٤
ابن الفرات ٢٨ — ٢٩ ، ١٣٧ ، ١٣٩ — ١٤٢ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨
ابن المدبر ٥٦ ، ٣٣١
ابن مقلة ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣
ابن مهدي ٢٨٢
ابن هبة اليهودي ٤٨ ، ٢٨٣
أبو أحمد أخو الممتز ٩٤ ، ١٠٣
أبو إسحاق الشيرازي ٤٥٢
أبو إسحاق الصائبي ١٢ ، ٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨
٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٩٩
أبو تغلب الحمداني ٥٤ ، ٦٩ ، ٢١٨ ، ٣٥٧ ، ٣٩٩
أبو خازم القاضي ٣٤

— ٥٠٣ —

أبو زنبور ٢٢٤
أبو سعيد الجنابي ٤٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦
أبو سفيان ٢٦ ، ١١٦ ، ١٢٢
أبو طاهر الجنابي ٢١٩
أبو طريف العقيلي ٢٢٥
أبو عبد الله البريدي ١٤٣
أبو علي بن أستاذ هرمز ٣٩٦ ، ٣٩٧
أبو عمر المسيحي ٣٥٦
أبو الفضل الشيرازي ٤١١
أبو الفوارس ختورا القائد البويهبي ٣٢٥
أبو نصر خوادا شاه ٤١٤ ، ٤١٨
أتسز ٤٢٦
أحمد بن طغان ٢٨٩
الاششيد ٤٩ ، ٥٠ - ٥٢ ، ٢٩١ ، ٣٥٨
أشوط ملك أرمينية ٥٣ ، ٣١٠
أفتكين ٣١٢ ، ٤١٧
ألب أرسلان السلجوقي ١٩ ، ٣٠ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٤٥٢
ألب أرسلان بن رضوان ملك حلب ٧٦ ، ٤٥٠

- ب -

باسيل الثاني ملك الروم ٤٩ ، ٥٣ ، ٣٠١
بايكباك ٥٦ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ٣٣١
بدر بن حسنويه ٤١٦
بدر الدين محمود ٤٧٦

- ٥٠٤ -

بدر الدين لؤلؤ ٤٧٤
بركياروق ٧٢ ، ٤٣٠ ، ٤٣١
البساسيري ٤٥ ، ٧١ ، ٨١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٤٢١ ، ٤٧٨
بكار القاضي ٦٠ ، ٦١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠
بهاء الدولة ١٢٧ ، ٣٧٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠

— ت —

تلش ٤٢٩ ، ٤٤٧
تزييسكيس ملك الروم ٤٩ ، ٥٣ ، ٣١٠ ، ٣١٧
تكين ٥١
توزون ١٤٣ ، ٢٦٤

— ج —

جفري بك داود أخو طغرلبك السلجوقي ٤٤٦
جلال الدولة ٢٧ ، ٣٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٣١ ، ١٩٨ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤١٥
جمال الدين قشتمر ١٥٠
جنكيز خان ٧٩ ، ٨٠ ، ٤٧٣

— ح —

الحاكم بأمر الله الفاطمي ١٩٧ ، ٣٧٧
حامد الوزير ٢٢٣ - ٢٢٤
الحسين بن علي ١٢١ ، ١٦٦
الحسين بن موسى ١٥٧ ، ١٦١
الحلاج ٢٢٣ - ٢٢٤
حمدان قرمط ٢٠٧

- خ -

الخاقاني الوزير ١٤١ ، ١٤٢ ،

خان خانان ٤٧٠

خمارويه ٣٥٥ ، ٥١

خوارزم شاه ٨١ ، ٤٧٠ - ٤٧٣

- د -

دييس بن صدقة ٤٣٨ ، ٤٥٣

- ر -

الراشد بالله ٢٠ ، ٢٧ ، ٧١ ، ٧٤ ، ١٣٤ ، ١٨١ ، ٤٤١

الراضي بالله ٤١ ، ١٢٦ ، ١٤٣ ، ٢٢٠ ، ٢٦١ ، ٢٩١

ركن الدولة البويهي ٥٤ ، ٦٥ ، ٣٠٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧

رومانوس ملك الروم ١٩

- ز -

زكرويه ٢٠٩ ، ٢١٠

زنكي عماد الدين ٣٢٨

زنكي المنجبواني ٤٧٦

- س -

سبكتكين الحاجب التركي ٤١٠ ، ٤١٧

سعد الدولة الحمداني ٣٥٧

سلطان جوق ٤٧٩ ، ٤٨٠

سليمان بن الحسن بن محمد الوزير ١٤٠

سليمان بن قطلمش ٤٥١

سليمان شاه ٨٠ ، ٤٨٠ ، ٤٨١

- ٥٠٦ -

سنجر السلطان السلجوقي ٢٠ ، ٧٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٩ ،
سيف الدولة الحمداني ٣٥٦

- ش -

شرف الدولة البويهي ٣٧٧ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ،
شرف الدين بن الجوزي ٤٧٦
الشريف الرضي ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٠٠ ،
الشريف المرتضى ٣٧ ، ٢٠٠

- ص -

صالح ١١٠ ، ١١٢ ،
صمصام الدولة ٤٥ ، ٥٢ ، ٣٢٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٢٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥

- ط -

الطائع لله العباسي ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٢٦ ، ١٦١ -
١٦٤ ، ١٨٩ ، ٢٢٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٣٠٣ ، ٣٢٠ ،
٣٦٠ - ٣٧٧ ، ٣٨٤ ، ٣٩٥

طاهر بن الحسين ٩٣

طبارجي قائد ابن طولون ٣٥١

طفتكين ٧٦ ، ٤٥٣

طغرل ٤٢ ، ٧٣ ، ٣٣٢ ، ٣٧٠ ، ٤٤٩

طغرلبك السلجوقي ٤٥ ، ٧٠ ، ٤١٥ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥١

طينفور ٣٣٥

- ظ -

الظاهر بالله العباسي ٢٨ ، ١٣٥ - ١٣٦

- ع -

العباس بن أحمد بن طولون ٥٧ ، ٣٤١ - ٣٥٢

عبد يشوع ٤٨ ، ٢٧٧

- ٥٠٧ -

عميد الله بن سليمان ١٥٥

عز الدولة البويهي ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٥ - ٧٠ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٨٠ - ٣٨٤

٣٩١ ، ٣٩٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٧

العزير بالله الفاطمي ٣٧ ، ٣٨ ، ١٨٨ ، ٤١٧

عضد الدولة البويهي ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٦١ ، ٦٥ - ٧٠ ، ١٨٨

٣٠٢ ، ٣٨٠ - ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤١١ ، ٤١٧

العلاء بن موصليا ٢٧٧ ، ٤٢٦

علي بن أبي طالب ٢٦ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ١١٨

علي بن الحسين الزيني ٣١

علي بن طراد ١٤٩

علي بن عيسى الوزير ٢٨-٢٩ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ١٣٧-١٣٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩

٢٥٠ ، ٢٩٠

عماد الدولة البويهي ٦٥

عمران بن شاهين ٦٩ ، ٤٠٩

عميد الجيوش ٣٧٧

عميد الدولة بن جبير ٤٣٠ ، ٤٣١

عميد الملك الكندري الوزير ١٤٨

- غ -

الغزالي ٢٣١

غياث الدين الغوري ٤٧٢

- ف -

فخر الدولة بن جبير ٢٩

فخر الدولة البويهي ٦٣ ، ٦٤ ، ٣٦٠-٣٧٧ ، ٤١٨

- ٥٠٨ -

- ق -

القائم بأمر الله العباسي ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٧١ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٦٦ ،
٢٠١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٧٩ ، ٤٢١ ،
٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٧٨

القادر بالله العباسي ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٢٧ - ١٣١ ، ١٦٤ ،
١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٤ - ٤٦٨

القاسم بن سيبا ٢١٥

القاهر بالله العباسي ١٢٥ ، ١٤٢

قبيحاق قراسنقر ٤٧٩ ، ٤٨٠

قبيحة أم المعتز ١١٢ ، ٣٣٠

قتادة بن إدريس العلوي ٢٣٩

قرواش العقيلي ٣٧٧

قريش بن بدران ٤٦ ، ٧١ ، ٢٦٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٧٨

قرغويه مولى الحمدانيين ٣٥٧

- ك -

كافور الإخشيدي ٣٥٨

كشلي ٤٧١ ، ٤٧٢

- ل -

لؤلؤ غلام أبي الفضائل الحمداني ٣٠١

- م -

ماجور قائد تركي ٣٣١

المتقي لله العباسي ١٢٦ ، ١٤٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤

محمد بن داود بن الجراح ١٣٧

محمد بن سليمان ٢١٢ ، ٣٥٥

- ٥٠٩ -

محمد بن صالح ١٥٦
محمد بن عبد الله بن الحسن ١٦٤
محمد بن عبد الله بن شهرام ٢٢٦
محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٣ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٤ ،
١٠٥ ، ٢١٩ ، ٢٨٦ .

محمد بن فضلان ٤٢ ، ١٨١ ، ٢٣٧
محمد بن محمد بن الحسين ١٦٧
محمد بن ملك شاه السلجوقي ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٤٣١ ، ٤٥٣
محمد بن محمد بن جبير ١٣٣ ، ١٤٩
محمود السلطان السلجوقي ٧٣ ، ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠
محمود السلطان الغزنوي ٧٧ ، ٧٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٤ - ٤٦٨
محمود بن نصر المرداسي ٤٥٢

المسترشد العباسي ٢٠ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ،
١٨١ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣

المستظهر العباسي ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢
المستعصم العباسي ١٤ ، ٣٠ ، ٧٤ ، ٤٧٥ - ٤٨١
المستعين بالله العباسي ١٦ ، ٢٢ - ٢٢ ، ٥٦ ، ٩١ - ٩١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٣٣٠ ،
المستنجد بالله العباسي ١٣٤ - ١٣٥
المستنصر بالله الفاطمي ٤٦ ، ٢٦٩ ، ٤٢١ ، ٤٧٨

مسعود السلطان السلجوقي ٧٢ ، ٧٣ ، ١٣٤ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٩
مسعود بن محمود الغزنوي ٤٧ ، ٢٧٠ ، ٤٥١ ، ٤٦٩

المطيع لله العباسي ٤٣ ، ١٢٦ ، ١٥٦ ، ١٥٧ - ١٥٧ ، ١٦١ ، ٢١٩ ، ٢٥٠ ، ٣٩٩
مظفر الدين ستقر ١٥٠

معاوية بن أبي سفيان ٢٦ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨

المعتز بالله العباسي ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ - ٢٤ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٩ - ١٠٧ ، ٢١٩ ، ٢٥٥
المعتض بالله العباسي ١٧ ، ٢٥ - ٢٧ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ١١٣ -
١٢٣ ، ١٥٥ ، ٢١٥ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٢٨٩

المعتمد على الله العباسي ٥ ، ٥٧ ، ١١٣ ، ٢٥٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ -
المعز بن باديس ٢٠١

المعز لدين الله الفاطمي ٣١١

معز الدولة البويهي ٦٢ ، ٦٥ - ٦٨ ، ٢١٨ ، ٣٥٩ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩
مفلح ١٠٩

المقتدر بالله العباسي ١٧ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، ٢١٦ ،
٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٦

المقتدي بالله العباسي ٧٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ٢٨٢ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠

المقتفي بالله العباسي ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤

المكتفي بالله العباسي ١٧ ، ٢١٢ ، ٢١٥

الملك الرحيم البويهي ٤٢٥

ملك شاه السلجوقي ١٩ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٤٧

المنتصر بالله العباسي ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٥٣ ، ٨٣ - ٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠

منجوتكين ٣٠١

مهارش بن مجلي ٤٦ ، ٧١ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٧٨

المهتدي بالله العباسي ١٦ ، ٢٤ - ٢٥ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ٢٥٨

الموفق أخو المعتمد العباسي ١٦ ، ١٧ ، ٢٥ - ٢٧ ، ٥٧ - ٦٠ ، ١١٣ ،

٣٣٢ - ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨

موسى بن بقا ١٠٩ ، ١١٠

مؤنس الخادم ٤١ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، ١٤١ ، ٢١٧ ، ٢٢١

المؤيد بالله ٨٥ - ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١

مؤيد الدين بن العلقمي ٣٠

- ث -

ناصر الدولة الحمداني ٦٨ ، ٣٥٦ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩
الناصر لدين الله العباسي ٢٠ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ١٥٠ ، ١٨١ ، ٢٠١ ،
٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣

نجاح الخادم ٢٦٠

نصر القشوري ٢٥٩

نصير الدين العلوي ١٥٠

نظام الملك ٢٠ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٧٥ ، ١٤٨ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢

نقفور فوكاس ٤٩ ، ٥٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠١

- ه -

هارون الشاري ٢٥٩

هارون بن خمارويه ٣٥٥

هولاكو ١٤ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٤٧٤-٤٨١

- و -

وردس سقلاروس ٣٢٠ - ٣٢٧

وصيف ١٦ ، ٥٣ ، ٢٨٦

وشمكير ٣٩٧

- ي -

يازمان ٣٣٩

ياقوت ٢٦١ ، ٢٦٢

يزيد بن معاوية ١٢٠ - ١٢٢

يعقوب الصفار ٨١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧

- ٥١٢ -

قائمة المحتويات

صفحة	
٥	تصدير
٧	١ - القسم الأول :
	مدخل لدراسة الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور
٧	العباسية المتأخرة
٩	مصادر الوثائق
١٦	عصر النفوذ التركي
١٧	العصر البويهي
١٩	العصر السلجوقي
٢٠	حيوية الحضارة الإسلامية ووحدةها وازدهارها
٢١	المنتصر
٢٢	المستعين
٢٣	المعز
٢٤	المهتدي
٢٥	المعتد
٢٥	المعتضد
٢٧	بقية الخلفاء
٢٨	الوزارة والوزراء
٣١	القضاء والقضاة

صفحة	
٣٤	العلويون والشيعة
٣٩	القرامطة وموقفهم
٤١	الشؤون الإدارية
٤٣	شؤون الخراج والضرائب
٤٥	الثورات والثوار
٤٧	أهل الذمة
٤٩	العلاقات الخارجية
٥٦	الدول المتغلبة
٥٦	الطولونيون
٦١	البويهيون
٧٠	السلاجقة
٧٧	الغزنويون
٧٩	المغول
٨٣	٢ - القسم الثاني :
٨٣	وثائق الحكومة المركزية
٨٣	أ - الخلافة والخلفاء
٨٣	المنتصر
٩١	المستعين
٩٩	المعز
١٠٧	المهتدي
١١٣	المعتمد
١١٣	المعتضد
١٢٣	المقتدر

صفحة

١٢٥

القاهر

١٢٦

الراضي

١٢٦

المطيع

١٢٧

القادر

١٣١

القائم

١٣٤

الراشد

١٣٤

المستنجد

١٣٥

الظاهر

١٣٧

ب - الوزارة والوزراء

١٥١

ج - القضاء والقضاة

١٨٨

د - الشيعة والملويون

٢٠٧

هـ - القرامطة

٢١٩

و - شؤون ادارية

٢٤٢

ز - شؤون الخراج والضرائب

٢٥٥

ح - الثورات والثوار

٢٧٦

ط - أهل الذمة

٢٨٦

ي - السياسة الخارجية

٣٣٠

٣ - القسم الثالث :

٣٣٠

ونائق الدول المتغلبة

٣٣٠

ا - الطولونيون

٣٥٦

ب - الحمدانيون

٣٥٨

ج - الإخشيديون

٣٥٩

د - البويهيون

صفحة

٣٥٩	١ - علاقتهم بالخلفاء العباسيين
٣٨٠	٢ - علاقتهم ببعضهم بعضاً
٣٩٧	٣ - علاقتهم بالآخرين من حكام ورؤساء
٤١٧	٤ - البويهيون والشوار
٤٢١	٥ - السلاجقة
٤٢١	١ - علاقتهم بالخلفاء العباسيين
٤٤٦	٢ - علاقتهم ببعضهم بعضاً
٤٥١	٣ - علاقتهم بالآخرين
٤٦٠	و - الفزنويون
٤٧٠	ز - الخوارزميون
٤٧٣	ح - المغول
٤٨٢	فهرس الوثائق
٤٩٩	لائحة المصادر
٥٠٣	فهرس الأعلام



تطلب جميع منشوراتنا من

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي ومناحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ص.ب: ٧٤٦٠ - بركينا: بيروت - لبنان